

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام

مقصودها الاستدلال على مادعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد بأنه الحاي^٢ لجميع الكالات من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث وغيره ، وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الأنعام ، لأن الإذن فيها - كما يأتي - مسبب عما ثبت له من الفلق^٣ والتفرد بالخلق ، هـ و تضمن باقى ذكرها إبطال ما اتخذوه من أسرها ديناً ، لأنه لم يأن فيه ولا إذن لأحد معه ، لأنه المتوحد بالإلهية ، لا شريك له ، وحصر المحرمات من المطاعم التى هى مجلها فى هذا الدين وغيره ، فدل ذلك على إحاطة علمه ، وسيأتى فى سورة طه البرهان الظاهر على أن إحاطة العلم ملزومة لشمول القدرة وسائر الكالات ، وذلك عين مقصود السورة ، ١٠ وقد ورد من عدة طرق - كما ينت^٤ ذلك فى كتابي هـ مصاعد النظر ،

(١) مكبة إلا آيات عند البعض ، وإلا ثلاث آيات أو ست آيات عند الآخرين ، وعدة آياتها عند الكوفيين مائة وخمس وستون ، وعند البصريين والشاميين ست وستون ، وعند الحجازيين سبع وستون - راجع روح المعاني ٢/ ٤١٩ (٢) فى ظ : الحائر (٣) فى ظ : العلو - كذا (٤) سقط من ظ (هـ) فى ظ : ثبت (٦) فى ظ : المنظر ، واسمه التام : مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور.

أنها نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك ، لهم زجل بالتسبيح ،
 وفي رواية : إن نزولها كان ليلا ، وإن الأرض كانت ترتج لنزولها .
 وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة^١ ، والقدرية وأهل الملل
 الزائغة ، وعليها مبنى أصول الدين لاشتغالها على التوحيد والعدل والنبوة
 ٥ والمعاد وإبطال مذاهب الملحدين . وإنزالها على الصورة المذكورة يدل
 على أن أصول الدين في غاية الجلالة ، وأن تعلمه واجب على الفور
 لنزولها جملة . بخلاف الأحكام فإنها تفرق بحسب المصالح . ولنزولها
 ليلا دليل^٢ على غاية البركة لأنه محل الأنس بنزوله تعالى إلى سماء الدنيا ،
 وعلى^٣ أن هذا العلم لا يقف على أسرارهِ إلا البصراء الأيقاظ من سنة
 ١٠ الغفلات ، أولو الأبواب أهل الخلوات والأرواح الغالبة على الأبدان
 وهم قليل . (بسم الله) الذي بين دلائل توحيدهِ بأنه الجامع لصفات
 الكمال (الرحمن) الذي أفاض على سائر الموجودات من رحمته بالإيجاد
 والإعدام ما حَيَّرَ لعمومهِ^٤ الأفهام . فضاقت به^٥ الأوهام (الرحيم)
 الذي حبا أهل الإيمان بنور البصائر حتى كان الوجود ناطقا لهم ،
 ١٥ بالإعلام بأنه الحي القيوم السلام . (الحمد) أي الإحاطة^٦ بأوصاف
 الكمال (لله) .

لما ختم سبحانه تلك بتحميد عيسى عليه السلام لجلالهِ* في ذلك

(١) في ظ : المبتدعين (٢) سقط من (٣) في ظ : لعموم (٤-٤) في ظ :
 بالأوصاف الكاملة (٥) في ظ : الجلالة .

اليوم في ذلك الجمع ، ثم تحميد نفسه^١ المقدسة بشمول الملك والقدرة ،
 إذ الحمد هو الوصف بالجميل ؛ اقتح سبحانه و تعالى هذه السورة^٢ بالإخبار^٣
 بأن ذلك الحمد و غيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دائما قبل
 إيجاد الخلق و بعد إيجادها - سواء شكره العباد أو كفروه ، لما له سبحانه و تعالى
 من صفات : الجلال و^٤ الكمال - على ما تقدمت الإشارة إليه في الفاتحة - هـ
 فأتى بهذه الجملة الاسمية المفتحة باسم الحمد الكلى الجامع لجميع أنواعه
 الدالة على الاستغراق ، / إما بأن اللام له عند الجمهور ، أو بأنها للجنس -
 كما هو مذهب الزمخشري ، ويؤل^٥ إلى مذهب الجمهور ، فإن الجنس إذا
 كان مختصا به لم يكن^٦ فرد^٧ منه لغيره ، إذ الجنس لا يوجد إلا ضمن
 أفراد ، فتي وجد فرد منه لغيره^٨ كان الجنس موجودا فيه فلم يكن^٩
 الجنس مختصا به وقد قلنا : إنه مختص ، وهذا التحميد صار^{١٠} بوصفه
 فردا^{١١} من أفراد تحميد الفاتحة تحقيقا لكونها^{١٢} أما ، و عقبها سبحانه
 بالدليل الشهودى على ما ختم به تلك من الوصف بشمول القدرة بوصفه
 بقوله : (الذى خلق) .

ولما كان تعدد السارات ظاهرا بالكواكب في سيرها و حركاتها ١٥
 في السرعة و البطوء واستتار^{١٣} بعضها ببعض عند الخسوف و غيره و غير ذلك

(١) زيد في الأصل : ثم تحمده لنفسه ، ولم تكن الزيادة في ظ لخذفناها (٢) سقط
 من ظ (٣) في ظ : الاخبار (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، وفي
 الأصل : موول - كذا (٦) في ظ : فلم يكن (٧) في ظ : سا - كذا (٨) في ظ :
 فرد (٩) في ظ : لكونه (١٠) من ظ ، وفي الأصل : استار .

بما هو محرر عند أهله : جمعها فقال : ﴿ السَّمُوت ﴾ أى على علوها
وإحكامها ، [قدمها لما تقدم قريبا - ١] ﴿ والارض ﴾ أى على تحليها^٢
بالمنافع وانتظامها .

ولما كان فى الجعل معنى التضمن^٣ فلا يقوم المجهول بنفسه قال :
هـ ﴿ وجعل ﴾ أى أحدث و أنشأ لمصالحكم ﴿ الظلمات ﴾ أى الأجرام
' المتكاثفة كما تقدم ' ﴿ والنور ﴾ و جمع ' الأول تنبيها على أن طرق
الشر والهلاك كثيرة تدور على الهوى ، وقد تقرر بهذا ما افتتح به السورة ،
لأن من تفرد باختراع الأشياء كان هو المختص بجميع المحامد ، ومن
اختص بجميع المحامد لم يكن إله سواه ولم يكن له شريك ، لا ثانى
١٠ اثنين ولا ثالث ثلاثة ولا غير ذلك ، وما أحسن ختمها - بعد الإشارة
إلى هذه المقاصد المبعدة لأن يكفر به أو يعدل به شيء - بقوله :
﴿ ثم الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من أدلة وحدانيته
التي لا خفاء بها عن أحد جرّد نفسه من الهوى ، وعالج أدواءه بأنفع
دواء ، لإحاطته بجميع صفات الكمال ، وزاد الأمر تقيحا عليهم بأبدال^٤
١٥ ما كان الأصل فى الكلام من الضمير^٥ بقوله : ﴿ ربهم ﴾ أى المحسن
إليهم الذى لم يروا إحسانا إلا منه ﴿ يعدلون هـ ﴾ أى يجعلون غيره بمن
لا يقدر على شيء معادلا له مع^٦ معرفتهم به^٧ بأنه الذى أبدع الأشياء ،
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : تحللها (٣) فى ظ : التضمين (٤-٤) سقط ما بين الرقین
من ظ (هـ) من ظ ، وفى الأصل : جعل (٦) فى ظ : بدل (٧) من ظ ، وفى
الأصل : الضم (٨) - سقط من ظ .

كفرا لنعمته و بعدا من رحمته ، فبعضهم عدل به بعض الجواهر من خلقه من السماء كالنجوم ، أو من الأرض كالأصنام ، أو بعض ما ينشأ عن بعض خلقه من الأعراض وهو خلقه كالنور و الظلمة ، و الحال أن تقلباتهما^١ تدل بأدنى^٢ النظر على أمرين : الأول بعدهما عن الصلاحية للالهية لتغيرهما^٣ " قال^٤ لا أحب الأفليس " ، و الثاني قدرة خالقهما^٥ و مغيرهما على البعث^٦ لإيجاد كل منهما بعد إعدامه كما هو شأن البعث - إلى غير ذلك من الأسرار التي تدق عن^٧ الأفكار ، و تقديم الظلمة مناسب لسياق العادلين ، و التعبير بتم^٨ للتنبيه^٩ على ما^{١٠} كان ينبغي لكل راء^{١١} لهذا الخلق من الإبعاد عن الكفر لبعده عن الصواب ، فقد لاح أن^{١٢} مقصد السورة الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب الذي تبين^{١٣} أنه الهدى من توحيد الله و الاجتماع عليه و الوفاء بعهوده بأنه سبحانه وحده الخالق الحائز لجميع الكمالات من القدرة على البعث و غيره ، و ما أنسب ذلك بنجم المائة بذكر يوم الجمع و أن لِمَلِكِهِ^{١٤} جميع الملك ، و هو على كل شيء قدير ، و هذه السورة أول السور الأربع^{١٥} المشيرة إلى جميع النعم المندرجة تحت " النعم الأربع " التي اشتملت عليها الفاتحة ، ١٥ و كل سورة منها^{١٦} مشيرة إلى^{١٧} نعمة من النعم الأربع^{١٨} ، فقوله^{١٩} " خلق السموات و الأرض " - الآية ثم " خلقكم " / من طين " ثم^{٢٠} " و ما من

١٥٨ /

(١) من ظ ، و في الأصل : تقلباتها (٢) من ظ ، و في الأصل : باداني (٣) من القرآن الكريم آية ٧٦ ، و في الأصل و ظ : اني (٤) من ظ ، و في الأصل : البعض (٥) في ظ : على (٦-٦) من ظ ، و في الأصل : عليها (٧) في ظ : واحد . (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : الملكة - كذا (١٠) من ظ ، و في الأصل : الأربعة (١١-١١) في ظ : الأربع النعم (١٢) في ظ : بقوله .

دابة في الارض - الآية، متكفل^١ بتفصيل نعمة الإيجاد الأول لجميع العالمين من السماوات و الارض وما بينهما وما فيها من آدمي وغيره المشار إليه في الفاتحة رب العالمين كما تقدم .

ولما تكفلت السور^٢ المتقدمة بالرد على مشركي^٣ العرب و اليهود و النصرى مع الإشارة إلى إبطال جميع أنواع الشرك، سبق مقصود هذه السورة في أساليب متكفلة بالرد على بقية الفرق ، وهم الثنوية^٤ من^٥ المجوس القائلون^٦ بالهين اثنين و بأصلين :^٦ النور و الظلمة ، و يقرون بنبوة إبراهيم عليه الصلاة و السلام فقط ، و الصابئة القائلون بالاثوثان السماوية و الأصنام الارضية متوسطين إلى رب الأرباب ، و ينكرون الرسالة في الصورة البشرية ، و أصحاب الروحانيات ، أغنى مديرات الكواكب و الأفلاك ، و ينتسبون^٧ إلى ملة إبراهيم عليه السلام ، و يدعون أنه منهم - و قد أعاده الله من ذلك ، و السمنية^٨ القائلون بالهية الشمس ، مع تأكيد الرد على الفرق المتقدمة على أن جميع فرقهم يجتمعون في اعتبار النجوم ، يتبين ذلك لمن نظر في كتب فتوح بلاد الفرس في أيام الصديق و الفاروق رضی الله عنهما ، و قال تنكلوشا^٩ البابلي في أول كتابه

- (١) في ظ تنكفل (٢) في ظ : السورة (٣) من ظ ، و في الأصل : مشرك .
(٤) وقع في الأصل : الثرية ، و في ظ : بالثوية - كذا ، و التصحيح من كتاب البدء و التاريخ ٤ / ٢٤ حيث ذكر أديان من قال باثنين أو بأكثر (٥) في ظ : القائلين (٦) زبدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ لحذفناها .
(٧) في ظ : يفسون (٨) في ظ : الشمسية ، و الضواب ما في الأصل - راجع البدء و التاريخ (٩) في ظ : تنكلوما - كذا .

في أحكام الدرج^١ الفلكية أن القدماء من الكسدانيين استبطوا
غوامض أسرار الفلك، وكان عندهم أجل العلوم ولم يكونوا يظهرون
علم الفلك لكل الناس، بل كانوا يخفون أكثره عن عامتهم، و يعطونهم منه
بمقدار ما يصلح، و يتدارسون الباقي بينهم مطوياً^٢ بين علمائهم^٣ و حكماهم^٤،
ثم ذكر تقسيمهم درج الفلك على ثلاثمائة و ستين، ثم قال: و قسموا الدرج^٥
أقساماً كثيرة حتى قالوا: إن بعضها ذكور^٦ و بعضها إناث، و بعضها مسعدة
و بعضها منحسة، ثم قال: كل ذلك يريدون فيه الدلالة منها على ما تدل
عليه في عالمنا و على أحوالنا حتى جعلوا لكل درجة عالماً و خلقاً منفرداً
بمدته^٧، و أن ذلك العالم و الخلق يندرسون و ينشأ بعدهم غيرهم - إلى
غير ذلك من الكلام الذي يرجع إلى اعتقاد تأثير النجوم بنفسها - ١٠
تعالى الله عن أن يكون له شريك أو يكون له^٨ كفو أحد.

ولما قرر سبحانه أنه^٩ هو الذي خلق السماوات و الأرض اللتين
منها وفيهما الأصنام و الكواكب و الأجرام التي عنها النور و الظلة، ثبت
وجوده على ما هو عليه من الإحاطة بأوصاف الكمال التي أثبتها الحمد،
فبطلت جميع مذاهبهم، فمجب منهم بكونهم يعدلون به غيره، أتبع ذلك^{١٥}
اختصاصه بخلق هذا النوع البشري، وهو - مع ما فيه من الشواهد له

(١) من ظ، و في الأصل: الدارج، وسمى هذا الكتاب في كشف الظنون

٧٤٠/١: درج الفلك - في الأحكام (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: مطلوباً.

(٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) في ظ: ذكورا (٦ - ٦) من ظ، و في

الأصل: فتفرد بمدته.

بالاختصاص بالحمد والرد على المَظْطَرِّين لعيسى عليه السلام - المخلوق من الطين بخلق أيهم آدم عليه السلام - مؤكَّد^١ لإبطال مذهب الثنوية، وذلك أنهم يقولون: إن النار خالق الخير، والظلمة خالقة الشر، فإذا ثبت أنه الخالق^٢ لنوع الآدميين الذين منهم الخير والشر من شيء واحد، هـ وهو الطين الذي ولد منه المني الذي يجعل منه الأعضاء المختلفة في اللون والصورة والشكل من القلب وغيره من الأعضاء البسيطة كالعظام والغضاريف^٣ والرباطات والأوتار، ثبت أن خالق أوصافهم من الخير والشر واحد قدير عليم، لأن توليد الصفات المختلفة من المادة المتشابهة لا يكون إلا ومبدعه واحد مختار، لا اثنان، / وهو الذي خلق الأرض ١٥٩ / التي منها أصلهم، وهو الله الذي اختص بالحمد فقال: ﴿ هو الذي خلقكم ﴾ ولما كانوا يستبعدون البعث لصيرورة الأموات ترابا واختلاط تراب الكل بعضه ببعض وبتراب الأرض، فيتعذر التمييز^٤، وكان تمييز الطين لشدة اختلاط أجزائه بالماء أعسر من تمييز التراب قال: ﴿ من طين ﴾ أي فميز طينة كل منكم - مع أن منكم الأسود والابيض ١٥ وغير ذلك والشديد وغيره - من طينة الآخر بعد أن جعلها ماء تخيلا له قوة الدفق ونماها إلى حيث شاء من الكبر .

- (١) في ظ: مؤكدا (٢) في ظ: خالق (٣) من ظ، وفي الأصل: خالق .
 (٤-٤) في ظ: كالطعام والعطارييف - وهو خطأ، والغضاريف جمع غضروف وهو كل عظم رخيص، ويقال أيضا: الغرضوف (٥) من ظ، وفي الأصل: المتشابه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: التمييز (٨) من ظ، وفي الأصل: تمييز (٩) من ظ، وفي الأصل: كلا (١٠) من ظ، وفي الأصل: ثم .
 (٢) و لما

ولما كان من المعلوم أن ما كانا^١ من شيء واحد كانت مدة بقائهما واحدة ، نه بأداة التراخي على كمال قدرته واختياره من^٢ المفارقة بين الآجال فقال : ﴿ ثم قضى ﴾ أى حكم حكما تاما وبت و أوجد ﴿ اجلا^٣ ﴾ أى وقنا مضروبا لانقضاء العمر و قطع التأخر لكل واحد منكم خيرا كان^٤ أو شريرا ، قويا كان^٥ أو ضعيفا ، من أجل يأجل أجولا - إذا ه تأخر ، وجعل تلك الآجال - مع كونها متفاوتة^٦ - متقاربة لا مزية لأحد منكم بصفة على آخر بصفة مغايرة لها ، وفاعل ذلك لا يكون إلا واحدا فاعلا بالاختيار .

ولما ذكر الاجل الأول الذى هو الإبداع من الطين إشارة إلى ما فرع منه من الآجال متفاوتة ، ذكر الاجل الآخر الجامع للكل ، لأن ذكر البداية يستدعى ذكر النهاية ، فقال مشيرا إلى تعظيمه بالاستئناف ١٠ والتكثير : ﴿ و اجل ﴾ أى عظيم ﴿ مسمى ﴾ أى لكم أجمعين لانقضاء البرزخ للاعادة التى هى فى مجارى عاداتكم أهون من الابتداء لمجازاتكم* والحكم بينكم الذى هو محط حكمته ومظهر نعمته ونقمة فى وقت واحد ، يتساوى فيه الكل ، وسرعله عن الكل كما أشار إليه بالتكثير ، وهذا لا يصح أن يكون إلا لواحد ، لا متعدد ، وإلا لتباينت المقادير ١٥ والإرادات و انشق كل مقدور فى صنف^٧ لا يتعداه ، وإلا لعلا بعضهم على بعض و انتهكت^٨ أسرار البعض بالبعض - سبحانه الله و تعالى عما يصفون ، و غير السياق إلى الاسمية إشارة إلى اختصاصه بعلمه ، أنه ثابت لا شك فيه ١ و يؤكد^٩ إثبات قوله : ﴿ عنده ﴾ فى هذه الجملة و حذفها

(١) من ظ ، و فى الأصل : كان (٢) فى ظ : فى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : لمجازتكم (٦) فى ظ : صنعه (٧) من ظ ، و فى الأصل : انتهكت (٨) فى ظ : مؤكدة .

من الأولى ' هنا ^٢ وفي قوله " ثم يعثكم " فيه يقضى اجل مسمى " و قدم
المبتدأ مع تكثيره - و الاصل تأخيره - إفادة ' لتعظيمه .

ولما كان في هذا من البيان لوحديته و تمام قدرته لا سيما على
البعث الذى هو مقصود حكمته ما يبعد معه الشك فى الإعادة ، أشار إليه
بأداة الترخي و صيغة الاقتران فقال : (ثم اتم تملكون هـ) أى تكلفون
أنفسكم الشك فى كل من الوحداية و الإعادة التى هى أهون على مجارى
عاداتكم من الابتداء ، بتقليد الآباء ، الركون إلى مجرد الهوى و الإعراض
عن الأدلة [التى - ^٦] هى أظهر من ساطع الضياء ، و هذه الآية نظير آية
الروم " ا ولم يتفكروا فى انفسهم " ^٨ أى كيف خلقهم الله من طين ، و سلط بعضهم
على بعض بالظلم و العدوان ، و جعل لهم آجالا فأت بينهما ^٩ و ساءى فى
ذلك بين الأصل و الفرع ، فأتج هذا أنه ما خلق الله السماوات و الأرض
" و ما بينهما " إلا بالحق ، أى ^{١٠} بسبب إقامة العدل فى جميع ما وقع بينكم من
الاختلاف كما هو شأن كل مالك فى عبيده " و اجل مسمى " - الآية . وقال
الإمام أبو جعفر ^{١٢} بن الزبير : لما بين سبحانه / و تعالى حال ^{١٣} المتقدمين ^{١٤}
١٥ و هو الصراط المستقيم ، و أوضح ما ^{١٥} يظهر الحذر ^{١٦} [من - ^{١٧}] جانبى
الاخذ و الترك ، و بين ^{١٨} حال من تنكب عنه بمن كان قد يلحجه ^{١٩} ، و هم

/ ١٦٠

(١) من ظ ، و فى الأصل : الاول (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل و ظ :
نعثكم - كذا . و التصحيح من القرآن الكريم آية ٩٠ ، و الآية بالغية بلا خلاف .
(٤) من ظ ، و فى الاصل : لا فادة (٥) فى ظ : الوحداية (٦) فى ظ : القدرة (٧) زيد
من ظ (٨) آية ٨ (٩) فى ظ : بعض (١٠) فى ظ : منها (١١ - ١٢) سقط ما بين
الرقمين من ظ (١٣) فى الأصل : جعفر ، و الصواب ما فى الأصل ، و هو أحمد
ابن إبراهيم بن الزبير - راجع معجم المؤلفين ١ / ١٣٨ (١٣) فى ظ : المتقين .
(١٤ - ١٥) فى ظ : يحذر - كذا (١٥) فى ظ : من (١٦) فى ظ : تلمحه .

اليهود والنصارى ، وكونهم لم يلتزموا الوفاء به^١ ، وحادوا عما أنهج^٢ لهم ،
وانقضى أمر الفريقين ، ذمالحالمهم وبياننا لنقضهم وتحذيرا للمتقين أن
يصيهم ما أصابهم ، وختم ذلك ببيان حال المؤمنين في القيامة يوم ينفع
الصادقين صدقهم ، وقد كان انجر^٣ مع ذلك ذكر مشركى العرب و صممهم
عن الداعى و عمام عن الآيات . فكانوا أشبه بالبهائم منهم بالاناسى ، أعقب ه
ذلك تعالى بالإشارة إلى طائفة مالت^٤ إلى النظر والاعتبار ، فلم توقع
لإصابة الحق وقصرت عن الاستضاءة بأنوار الهدى . وليسوا بمن يرجع
إلى شريعة قد حرفت . غيرت ، بل هم في صورة ^٥ هَمَّ أن يهتدى^٥
بهدى الفطرة ويستدل بما بسط الله تعالى في المخلوقات فلم يعن النظر
ولم يوفق فضل^٦ وهم المجوس وسائر الثنوية ممن كان قصارى^٦ أمره نسبة ١٠
الفعل إلى النور والإظلام ، ولم يكن تقدم لهؤلاء ذكر ولا إخبار بحال
فقال تعالى ” الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمت والنور “
فبدأ تعالى بذكر خلق السموات والارض التى عنها وجد النور والظلمة ،
إذ الظلمة ظلال هذه الأجرام ، والنور عن أجرام نيرة محمولة فيها
[وهى الشمس - ^٧] والقمر والنجوم ، فكان الكلام : الحمد لله الذى ١٥
أوضح الأمر لمن اعتبر واستبصر ، فعلم أن وجود النور والظلمة متوقف
بحكم السببية التى شاءها تعالى على وجود أجرام السموات والارض
(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : انهج (٣) من ظ ، وفى الأصل :
اومات - كذا (٤-٤) من ظ ، وفى الأصل : منهم - كذا متصلا (٥) من ظ ،
وفى الأصل : يهدى (٦) من ظ ، أى غاية أمره ، وفى الأصل : قصارين (٧) زيد
من ظ .

وما أودع فيها، ومع بيان الأمر في ذلك حاد [عنه - ١] من عمى
عن الاستبصار "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" وقوله تعالى "هو
الذي خلقكم من طين" مما يزيد هذا المعنى وضوحاً، فإنه تعالى ذكر
أصلنا والمادة التي عنها أوجدنا، كما ذكر للنور والظلمة ما هو كالمادة،
هـ وهو وجود السماوات والأرض، وأشعر لفظ 'جعل' بتوقف الوجود
بحسب المشيئة على ما ذكر، وكان قد قيل: أي فرق [بين - ١]
وجود النور والظلمة عن وجود السماوات والأرض وبين وجودكم
عن الطين حتى يقع امتراء فيه^٢ عن نسبة الإيجاد إلى النور والظلمة، وهما
لم يوجد إلا بعد مادة أو سبب كما طرأ في إيجادكم؟ فالأمر في ذلك أوضح
١٠ شيء. "ثم أنتم تموتون"، ثم مرت السورة من أولها إلى آخرها منبهة
على بسط الدلالات في الموجودات مع التنبيه على أن ذلك لا يصل
إلى استهزاء فائدته^٢ إلا من هيىء بحسب السابقة فقال تعالى "انما يستجيب
الذين يسمعون" ثم قال تعالى "والموتى يعثهم الله". وهو - والله أعلم -
من نمط "أو من كان ميتاً فأحييناه"، أجمل هنا ثم فسر بعد في السورة
١٥ بعينها، والمراد أن من الخلق من جعله الله سامعاً مطيعاً متيقظاً معتبراً بأمر
وهلة، وقد أرى المثال سبحانه وتعالى في ذلك في قصة إبراهيم عليه
السلام في قوله "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض"
فكانه يقول لعباده المتقين: تعالوا فانهجوا طريق الاعتبار ملة أبيكم
(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: فتدعى (٣) في ظ: زائدة (٤) في
ظ: هيا (هـ) من ظ، وفي الأصل: كانه.

إبراهيم 'كيف نظر' عليه السلام نظر السامع المتيقظ ! فلم يرجع في أول نظره على ما سبب وجوده بين^١ فيحتاج فيه إلى غرض في الكواكب والقمر والشمس ، بل نظر فيما عنه^٢ صدر النور ، لا في النور ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، فتأمل كونه عليه السلام لم يطول النظر بالثفات النور ، ثم كان يرجع إلى اعتبار الجرم / الذي عنه^٣ النور ، بل لما رأى ١٦١ / النور عن أجرام سماوية تأمل تلك الأجرام وما قام بها من الصفات ، فرأى الأفول والطلوع والانتقال والتقلب فقال : هذا لا يليق بالربوبية لأنها صفات حدوث ، ثم رقى^٤ النظر إلى القمر والشمس فرأى ذلك الحكم جاريا فيها فحكم بأن وراءها مدبرا لها يتنزه عن الانتقال والغية والأفول فقال : " أنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض " ، ١٠ وخص عليه السلام ذكر هذين لحملهما أجرام^٥ النور وسييتهما^٦ في وجود الظلة^٧ . ثم تأمل هذا النظر منه عليه السلام وكيف خص بالاعتبار أشرف الموجودين^٨ وأعلاهما ، فكان في ذلك وجهان من الحكمة : أحدهما علو النظر ونفوذ البصيرة في اعتبار الأشرف الذى إذا بان منه الأمر فهو فيما سواه أبين ، فجمع بين قرب التناول وعلو التهدى^٩ ، ١٥ والوجه الثانى التناسب بين حال الناظر والمنظور فيه والتناول والجرى على الفطرة العلية ، وهو من قبيل أخذ نبينا صلى الله عليه وسلم اللبن حين عرض عليه اللبن والخمر فاختر اللبن ، فقيل له : اخترت الفطرة !

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : عند (٣) من ظ ، وفي الأصل : رمى (٤-٤) في ظ : النورية وسييتهما (٥) من ظ ، وفي الأصل : الوجودين (٦) أى الاسترشاد ، وفي ظ : الهدى .

فكان قد قيل : هذا النظر و الاعتبار بالهام ، لا نظر من أخذ إلى الأرض
فعد الضياء و الظلام ، و ينبغي أن يعتمد في قصة إبراهيم عليه السلام في
هذا الاعتبار أنه صلى الله عليه و سلم في قوله : « هذا ربى » ، إما [قصد - ^١]
قطع حجة من عبد شيئا من ذلك ^٢ إذ كان ^٣ دين قومه ، فبسط لهم الاعتبار
و الدلالة ، و أخذ يعرض ما قد تنزه ^٤ قدره عن الميل إليه ، فهو كما يقول
المناظر لمن ينظره : هب أن هذا على ما تقول ^٥ . يريد بذلك إذعان خصمه
و استدعاه ^٦ الاعتبار حتى يكون غير ^٧ مناظر له ^٨ ما لا يعتقده ، لينفى على
ذلك مقصوده ليقلع ^٩ خصمه و هو على يقين من أمره ، فهذا ما ينبغي أن
يعتمد هنا لقول يوسف عليه السلام " ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ^{١٠} " .
١٠ . فالعصمة قد اكتفتهم عما يتوهمه ^{١١} المبطلون و يقوله المفسرون ، و يشهد
لما قلناه قوله تعالى " و تلك حجتنا اتينها إبراهيم على قومه ^{١٢} " ، فهذه حال
من علت درجته من الذين يسمعون ، فن الخلق من جعله الله سامعا بأول
وهلة و هذا مثال شاف في ذلك . و منهم الميت ، و الموتى على ضربين :
منهم من يزاح ^{١٣} [عن - ^{١٤}] جهله و عمهه ، و منهم من يبقى في ظلماته
١٥ . ميتا لا حراك به ، يبين ذلك قوله تعالى " أو من كان ميتا فأحييناه و جعلناه
(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : فكان (٣) من ظ ، و في الأصل : نزه (٤) في
ظ : يقول (٥) في ظ : استدعاه (٦-٦) في ظ : منسأ قوله (٧) في ظ : ليقع .
(٨) سورة ١٢ آية ٣٨ (٩) في ظ : يتوهمونه (١٠) من القرآن الكريم - راجع
آية ٨٣ من الأنعام ، و في الأصل و ظ : قوله (١١) من ظ ، و في الأصل :
جزئين - كذا (١٢) في ظ : يرح - كذا .

نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها“؛
ولما كانت السورة متضمنة^١ جهات الاعتبار و محرّكة إلى النظر و متعلّقة
من مجموع آياتها أن المعتبر و المتأمل - و إن^٢ لم يكن^٣ متيقظاً بأول
وهلة، و لا سامعاً أول محرّك، و لا مستجيباً^٤ لأول سامع - قد يتقل
حاله عن جموده؛ و غفلته إلى أن يسمع و يلحق بمن كان يتيقظ^٥ في هـ
أول وهلة؛ ناسب تحريك العباد و أمرهم بالنظر أن تقع الإشارة في
صدر السورة إلى حالتين: حالة السامعين لأول وهلة، و حالة السامعين
في ثاني حال، فقيل: / ”انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى ١٦٢/
يعتهم الله“ و لم تقع هنا إشارة إلى القسم الثالث مع العلم به، و هو
الباقى على هموده و موته من^٦ لم يحركه زاجر و لا واعظ و لا اعتبار، و لأن ١٠
هذا الضرب لو ذكر هنا لكان فيه ما يكسل من ضعف همة، رجعت حالة
ابتدائه، فقيل: ”و الموتى يعتهم الله“ و أطلق ليعمل الكل على هذا
البعث من الجهل و التيقظ من سنة الغفلة كما دعا لكل إلى الله دعاء
واحداً فقيل: ”يا أيها الناس اعبدوا ربكم“ ثم اختلفوا في إجابة الداعي
بحسب السوابق هكذا، و ردّ هذا ”و الموتى يعتهم الله“ إسماعاً للكل، ١٥
و في صورة التساوى مناسبة للدعاء لتقوم الحجة على العباد، حتى إذا
انبسطت الدلائل و انشروحت الصدور لتلقيها^٦ و تشبثت^٧ النفوس
(١) من ظ، و في الأصل: مضمنة (٢-٣) من ظ، و في الأصل: يكن.
(٣) من ظ، و في الأصل: مسجياً - كذا (٤) في ظ: نهموده (هـ) في ظ:
يعظ (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: تسبب - كذا.

و تعلقت بحسب ما قدر، و فاز بالخير أهله، قال تعالى بعد آى: " أو من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس " و كان قد قيل [لمن -^١] انتقل عن حالة الموت فرأى قدر نعمة الله عليه بأحيائه: هل يشبه الآن حالك النيرة^٢ - بما منحت حين اعتبرت - بحالك الجمادية ؟ فأشكر ربك

ه و اضرع إليه فى طلب الزيادة، و انتظ^٣ بحال من لزم حال موته فلم تغن عنه الآيات، و هو المشار إليه [بقوله -^١] " كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها "، " انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه "، " و لو انا نزلنا اليهم الملائكة و كلهم الموتى و حشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله "، " سواء عليهم ء انذرتهم ام لم تنذرهم [لا يؤمنون -^٤] "،

١٠ و كان القسم المتقدم الذى سمع لأول وهلة لم يكن ليقع ذكره هنا من جهة قصد أن أراه قدر هذه النعمة و إنقاذ المتصف بها من حيرة شك^٥ موقعها فيما تقدم من قوله " انما يستجيب الذين يسمعون " فذكر هنا ما هو واقع فى إراءة^٦ قدر نعمة الإنقاذ و التخليص^٧ من عمى الجهل، هذا حال من انتقل بتوفيق الله و حال من بقى على موته، أو يكون الضربان^٨ قد شملهما قوله " أو من كان ميتا فأحييناه " و أما الثانى و هو الذى ثبتت^٩ فيه صورة النقل فأمره صريح من الآية و أما الضرب الأول و هو السامع لأول^{١٠}

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل: التزه - كذا، وفى ظ: البره (٣) من ظ . وفى الأصل: و النقص - كذا (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ٦ (٥) فى ظ: ابعاد (٦) من ظ، وفى الأصل: شسكه (٧) من ظ، وفى الأصل: اراه - كذا (٨) من ظ، وفى الأصل: التخلص (٩) وقع فى ظ: ضر - كذا مقطوعا (١٠) من ظ، وفى الأصل: بسبب (١١) فى ظ: الأول .

وهلة المكنى المؤنة لواقى العصمة من طوارق الجهل و الشكوك ، فدخوله
 [تحت - ١] مقتضى هذا اللفظ من حيث أن وقايته تلك أو سماعه بأول وهلة
 ليس من جهته ولا بما سبق أو تكلف ، بل بإسداء^٢ الرحمة و تقديم النعمة ، ولو^٣
 أبقاه لنفسه أو وكله إليها لم يكن كذلك ” وما بكم من نعمة فمن الله “ ، فهذا
 النظر قد تكون الآية قد شملت الضروب الثلاثة وهو أولى ، أما سقوط هـ
 الضرب الثالث من^٤ قوله ” إنما يستجيب الذين يسمعون “ فلما تقدم -
 و الله أعلم بما أراد ؛ ولما تضمنت هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار
 و إبداء جهات النظر ما إذا تأمله المتأمل علم أن حجة الله قائمة على العباد ،
 و أن إرسال الرسل رحمة و نعمة و فضل و إحسان ، و إذا كانت الدلالات^٥
 مبسوطه و الموجودات مشاهدة مفصحة . و دلالة النظر من سمع و أبصار ١٠
 / و أقنعة موجودة ، فكيف يتوقف عاقل فى عظيم رحمته تعالى بإرسال
 الرسل ! فتأكدت الحجة و تعاظمت البراهين ، فلما عرف الخلق لقيام الحجة
 عليهم بطريق الإصغاء إلى الداعى^٦ و الاعتبار^٧ بالصنعة ؛ قال تعالى ” قل فلوله
 الحجة البالغة “ ، ” فقد جاءكم بينة من ربكم و هدى و رحمة “ ، فيما^٨ عذر المعتذر
 بعد هذا ؟ أتريدون كشف الغطاء و رؤية الأمر عيانا ! لو استبصرتم ١٥
 لحصل لكم ما منحكم ، ” هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى ربك
 أو ياتى بعض ايت ربك “ - الآية ، ثم ختمت السورة من التسليم و التفويض

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل و ظ : بإسد - كذا (٣) سقط من ظ .

(٤) سورة ١٦ آية ٥٣ هـ (٥) فى ظ : فى (٦) فى ظ : الدلائل (٧-٧) فى ظ :

فلا اعتبار (٨) فى ظ : فما .

بما يجدى مع قوله " فلو شاء لهدنكم اجمعين " و حصل من السور الأربع بيان أهل الصراط المستقيم و طبقاتهم^١ في سلوكهم و ما ينبغي لهم التزامه^٢ أو تركه ، و بيان حال المتكبين عن سلوكه من اليهود و النصارى و عبدة الأوثان و المجوس - انتهى .

٥ و لما كان علم جميع أحوال المخلوق دالا على أن العالم بها هو خالقه ، و^٣ أن من ادعى أن خالقه عاجز عن ضبط مملكته : عن كشف غيره لعوراتها و علم ما لا يعلمه هو^٤ منها ، فلم يكن^٥ إلها ، و كان الإله هو العالم وحده ، و كان المحيط العلم لا يعسر عليه تمييز التراب من التراب ، و كان صلى الله عليه و سلم يخبرهم عن الله من مغيبات أسرارهم و خفايا أخبارهم ١٠ مما يقصون منه العجب و يعلمون منه إحاطة العلم حتى قال أبو سفيان ابن حرب يوم الفتح : لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصاة^٦ ، قال تعالى عاطفا على " هو الذى " دالا على الوجدانية بشمول العلم بعد قيام الدليل على تمام^٧ القدرة و الاختيار ، لأن إنكارهم المعاد لأمرين : أحدهما ظن أن المؤثر فى الأبدان امتزاج الطبائع و إنكار أن المؤثر هو^٨ قادر ١٥ مختار ، و الثانى أنه - على تقدير تسليم الاختيار - غير عالم بالجزئيات ، فلا يمكنه تمييز بدن^٩ زيد عن أجزاء^{١٠} بدن عمرو ، فإذا قام الدليل على

(١) فى ظ : تلقياهم - كذا (٢) فى ظ : التزامهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : او (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : و كان (٦) وفى سيرة ابن هشام ٢١٩/٢ : الحصى - و كلاهما واحد (٧) زيد بعده فى الأصل : علم ، ولم تكن الزيادة فى فى ظ فحذفناها (٨) فى ظ : بدون .

كأل قدرته سبحانه و اختياره و شمول غلله لجميع المعلومات : الكلّيات و الجزئيات^١ ، زالت جميع الشبهات : (وهو الله) أى الذى له هذا^٢ الاسم المستجمع لجميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى المدعو به تألها له و خضوعا و تعبدا ، و علق بهذا المعنى قوله : (فى السموات) [لأن من فى الشئ يكون متصرفا فيه - ^٣] . هـ

و لما كان الخطاب لمنكرى البعث أ كد فقال : (و فى الارض^٤) أى هذه صفته دائما [^٢ - على هذا المراد من أنه سبحانه ثابت له هذا^٣ الاسم الذى تفرد به على وجهه التأله ، و التعبّد فى كل من جهتي العلو و السفلى ، و لا يفهم ذو عقل صحيح ما يقتضيه الظاهر من أنه محوى ، فان كل محوى منحصر محتاج إلى حاويه و حاصره ، ضعيف التصرف ١٠ فيما وراه ، و من كان محتاجا نوع احتياج لا يصلح للألوهية و المشيئة لحديث الجارية : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، و محجوج بحديث " أنت الاول فليس قبلك شئ ، و أنت الآخر فليس بعدك شئ ، و أنت الظاهر فليس فوقك شئ ، و أنت الباطن فليس دونك شئ " فان ظاهره منافٍ لظاهر الاول ، و ظاهر هذا مؤيد بقاطع النقل من أنه غير محتاج ، ١٥ و مؤيد بصحيح النقل " ليس كئله شئ " أى لا فى ذاته و لا صفاته و لا شئ من شؤنه ، و " قد كان الله و لا شئ معه " ، و حديث " ليس فوقك شئ " - رواه مسلم و الترمذى و ابن ماجه فى الدعوات و أبو داود فى الأدب عن أبى هريرة رضى الله عنه - و الله الموفق] .

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : بهذا (٤) زيدت الواو بعده فى ظ لخذفناها لاستقامة العبارة .

ولما كان المراد إثبات أن علمه تعالى محيط ، نسبة كل من الخفى
والجلى إليه على السواء^١ ، و كان السياق هنا للخفى فانه فى بيان خلق
الإنسان و عجيب صنعه فيه بما خلق^٢ فيه من إدراك المعانى و هبأه له من
قبل أن يقدر على التعبير عنه ، ثم أقدره على ذلك ؛ قدم الخفى فقال
هـ شارحا لكونه لا يغيب عنه شئ : ﴿ يعلم سركم ﴾ .

ولما كان لا ملازمة بين علم السر و الجهر لانه قد يكون فى الجهر لفظ
شديد يمنع اختلاط الأصوات فيه من علمه ، صرح به فقال : ﴿ و جهركم ﴾ . نسبة
كل منها إليه على حد سواء^٣ ، و لا توصف واحدة منها بقرب فى المسافة إليه
ولا بعد ؛ ولما كان السر و الجهر شائعين فى الأقوال ، وكانت الأقوال تتعلق
بالسمع ، ذكرما يعمهما و هو شائع فى الأفعال المتعلقة بالبصر فقال :

١٠ / ﴿ و يعلم ما تكسبون * ﴾ فأفاد ذلك صفتى السمع و البصر مع إثبات
العلم . فلما تظاهرت الأدلة و تضافرت الحجج و هم عنها ناكبون ، وصل
بذلك فى جملة حاله قوله ، معرضا عنهم إيدانا باستحقاقهم شديد الغضب :
﴿ و ما تاتينهم ﴾ أى هؤلاء الذين هم أهل للاعراض عنهم ، و أعرق فى
١٥ النقي بقوله : ﴿ من آية ﴾ أى علامة على صحة ما دعاهم إليه رسولهم صلى الله

عليه و سلم . و بعض بقوله : ﴿ من آيت ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بنصب
الأدلة و إفاضة العقول و بعث الرسول ﴿ الا كانوا معرضين ه ﴾ أى
هذه صفتهم دائما قصدا للعناد لثلاث يلزمهم الحجة ، و يجوز أن يكون

(١) من ظ ، و فى الأصل : استواء (٢) فى ظ : تعلق (٣) فى ظ : السواء (هـ) فى ظ :
صفة (هـ) من ظ ، و فى الأصل : تنافرة - كذا (٦) فى ظ : دليلا - كذا .

ذلك معطوفا على " يعدلون " .

ولما كان إعراضهم عن النظر سببا لتكذيبهم ، وهو سبب لتعذيبهم
قال^١ : ﴿ فقد كذبوا ﴾ أى أوقعوا تكذيب الصادق ﴿ بالحق ﴾ أى
بسبب الأمر الثابت الكامل فى الثبات كله . لأن الآيات كلها متساوية
فى الدلالة على ما تدل عليه الواحدة منها ﴿ لما جاءهم^٢ ﴾ أى لم يتأخروا
عند المجيء أصلا لنظر ولا لغيره ، وذلك أدل ما يكون على العناد^٣ .
ولما كان الإعراض عن الشيء هكذا فعل المكذب المستهزئ الذى
بلغ بتكذيبه^٤ الغاية القصوى ، وهى الاستهزاء ، قال : ﴿ فسوف يأتهم ﴾
أى بوعده صادق لا خلف فيه عند نزول العذاب بهم وإن تأخر إتيانه
﴿ انبأوا ما كانوا ﴾ أى جبلة وطبعا ﴿ به يستهزءون^٥ ﴾ أى يحددون^٦
الجزء به بغاية الرغبة فى طلبه ، وهو أبعد شئ عن الجزء ، والنبأ : الخبر
العظيم ، وهو الذى يكون معه الجزء ، وأفاد تقديم الظرف أنهم
لم يكونوا يهزءون بغير الحق الكامل - كما ترى كثيرا من المترفين لا يعجب^٧
من العجب ويعجب^٨ من غير العجب ، أو أنه عد^٩ استهزاهم بغيره بالنسبة
إلى الاستهزاء به عدما .

١٥

ولما أخبر بتكذيبهم على هذا الوجه وتوعدهم^{١٠} بتحتم تعذيبهم^{١١} ،
أتبعه ما يجرى مجرى الموعدة والنصيحة ، فعجب من تماديهم مع ما علموا

(١) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٢ - ٢) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن
« الاستهزاء قال » والترتيب من ظ (٣) فى ظ : تكذيبه (٤) فى ظ : فلا تعجب .
(٥) فى ظ : تعجب (٦) فى ظ : قد (٧ - ٧) فى ظ : بتحتمهم .

من إهلاك من كان أشد منهم قوة وأكثر جماعاً و جنى^١ من سوانح النعم بما لم^٢ يعتبروه فيه مع ما ضموه إلى تحقيق^٣ أخبارهم من مشاهدة آثارهم وعجيب اصطناعهم في أبنيتهم وديارهم مستدلاً بذلك على تحقيق ما قبله من التهديد على الاستهزاء ، فقال مقرراً منكرًا موضحاً معجبا: (الم يروا) ودل على كثرة الخبر عنهم تهويلاً للخبر بقوله: (كم اهلكنا) .

ولما كان المراد ناسا معينين لم يستغرقوا زمن القبل ، وهم أهل المكنة الزائدة كقوم نوح و هود و صالح ، أدخل الجار فقال: (من قبلهم) و بين^٤ " كم " بقوله: (من قرن) أى جماعة مقترنين فى زمان واحد ، و [م - °] أهل كل مائة سنة - كما صححه القاموس - لقول النبى صلى الله عليه وسلم لغلام^٥: عش قرنا ، فعاش مائة .^٦ هذا نهاية القرن ، و الأقرب^٧ أنه لا يتقدر ، بل إذا انقضى أكثر أهل عصر قيل: انقضى القرن ، و دل على ما شاهدوا من آثارهم بقوله: (مكثهم) أى ثبثهم بتقوية الأسباب^٨ من البسطة^٩ فى الأجسام و القوة فى الأبدان و السعة^{١٠} فى الأموال (فى الأرض) أى بالقوة و الصحة و الفراغ ما لم تمكثكم ،^{١١} و مكنا لهم بالخشب و البسطة و السعة^{١٢} (ما لم تمكن) أى تمكينا لم نجعله (لكم) أى نخضعكم به ، فالآية من الاحتباك أو شبهه ، و الالتفات من

(١) من ظ ، وفى الأصل: حى - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل: له (٣) من ظ ، وفى الأصل: نقي (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) وهو عبد الله بن بشر - كما فى البحر المحيط ٦٥ / ٤ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) فى ظ : الاشياء (٩) فى ظ : البسط .

الغية إلى الخطاب لثلا يلتبس^١ الحال ، لأن ضمير الغائب يصلح لكل من
المفضول^٢ والفاضل ، ولا يُبقي اللبس التعبير^٣ بالماضي^٤ في قوله : ﴿ وارسلنا
السماء ﴾ / أى المطر تسمية للشيء باسم سيده أو السحاب ﴿ عليهم ﴾ . ١٦٥ /
ولما كان المراد المطر ، كان التقدير : حال كونه ﴿ مدارا ﴾ أى ذا سيلان
غزير^٥ متابع . لأنه صفة مبالغة من الدر ، قالوا : ويستوى فيه المذكور
والمؤنث .

ولما ذكر نفعمهم بماء السماء ، وكان غير دائم ، أتبعه ماء الأرض
لدوامه و ملازمته للبساتين و الرياض فقال : ﴿ وجعلنا الانهر تجري ﴾
ولما كان عموم الماء بالأرض^٦ و بُعده مانعا من تمام الارتفاع بها ، أشار
إلى قربها و عدم عموم الأرض به بالجاء فقال : ﴿ من تحتهم ﴾ أى على ١٠
وجه الأرض و أسكنناه فى أعماقها فصارت بحيث إذا حفر تَبَعَ منها
[من - ٦] الماء ما يجرى منه نهر .

ولما كان من المعلوم أنه من الماء كل شيء حى ، فكان من أظهر
الاشياء أنه غزر نباتهم و اخضرت سهولهم و جبالهم ، فكثرت زروعهم
و ثمارهم ، فاتسعت أحوالهم و كثرت أموالهم فتيسرت آمالهم ، أعلم ١٥
سبحانه أن ذلك ما كان إلا لهوانهم استدراجا لهم بقوله مسييا عن ذلك :
﴿ فاهلكنهم ﴾ أى بعظمتنا ﴿ بذنوبهم ﴾ أى التى كانت عن بطرهم^٧ النعمة

(١) من ظ ، وفى الاصل : لثلا يلبس (٢) فى ظ : من (٣) فى الأصل : بالماض ،
وفى ظ : لما مضى (٤) فى ظ : عظيم (٥) من ظ ، وفى الأصل : للأرض .
(٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : بطونهم .

ولم نبال بهم و 'لا أغت' عنهم نعمهم .

ولما كان الإنسان ربما أبقى على عبده أو صاحبه خوفاً من الاحتياج إلى مثله ، بين أنه سبحانه غير محتاج إلى شيء فقال : ﴿ وانشأنا ﴾ ولما كان سبحانه لم يجعل لأحد الخلد ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بعدهم ﴾ أى فيما كانوا فيه ﴿ قرناً ﴾ ودل على أنه لم يُبَيَّن من المهلكين أحداً ، وأن هذا القرن الثانى لا يرجع^٢ إليهم بنسب^٣ بقوله : ﴿ آخرين ه ﴾ ولم ينقص ملكنا شيئاً ، فاحذروا أن تفعل بكم كما فعلنا بهم ، وهذه الآية مثل آية الروم " أولم يسيرا فى الارض " - الآية ، فتمكنهم^٤ هو المراد بالشدة هناك ، و التمكن لهم هو المراد بالعبادة ، والإهلاك بالذنوب هو المراد ١٠ بقوله " فما كان الله ليظلمهم " - إلى آخر الآيتين .

ولما كانت ترجمة ما مضى : ثم هم^١ يعدلون بربههم^٢ غير^٣ه ويكذبونك فيما جئت به من الحق مع ما أوضحت عليه من الحجج ونصبت من الدلائل ، و كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على إيمانهم ، كان المقام يقتضى أن يقول لسان الحال : أنزل عليهم يارب ما ينتقلون به من النظر بالفكر ١٥ إلى العيان كما اقترحوا على^٤ ، فأخبره أنهم لا يؤمنون بذلك ، بقوله عطفاً على " وما تاتيه من آية " تحقيقاً له وتصويراً فى جريته^٥ : ﴿ ولو نزلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ عليك كتباً ﴾ أى مكتوباً من السماء

(١ - ١) من ظ ، وفى الأصل : اعتب - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : مسبب (٤) آية (٥) من ظ . وفى الأصل : فتمكنهم (٦ - ٦) فى ظ : بربههم يعدلون (٧) فى الأصل : جربه ، وفى ظ : خرقة - كذا .

(في قرطاس) أى ورق ، إجابة لما أشار عليهم اليهود باقتراحه ، ثم حقق أنه واضح الأمر ، ليس بخيال ولا فيه نوع لبس بقوله : (فلسوه) أى زيادة على الرؤية . وزاد فى التحقيق والتصوير ودفع التجوز بقوله : (بآيديهم لقال) و أظهر ولم يضمّر تعليقاً للحكم بالوصف وتنبهاً على أن من الموجودين من يسكت ويؤمن ولو بعد ذلك فقال : (الذين كفروا) ٥
أى حكماً بتأيد كفرهم سترًا للآيات عنادا ومكابرة ، ولعله أسقط 'منهم' إشارة إلى عموم دعوته ، أى من العرب ومن غيرهم من أمة دعوتك ولا سيما اليهود المشار إلى تعنتهم* وكذبهم بقوله " يستلك اهل الكتب ان تنزل عليهم كتباً من السماء " (ان) أى ما (هذا الا سحر) أى تمويه وخيال لا حقيقة له ، وزادوا في الوقاحة فقالوا : (مبين) أى ١٠
واضح ظاهر ، قال صاحب كتاب الزينة : معنى السحر فى كلام العرب التعليل^٧ بالشئ والمدافعة به والتعزيز بشئ لا محصول له ، يقال : سحره - إذا علله وعززه وشبه عليه حتى لا يدري من أين يتوجه ويقلب عن وجهه / ، فكان السحرة يملكون الناس بالباطل ويشبهون الباطل في صورة الحق ويقلبونه عن جهته .

١٦٦ /

١٥

ولما بين ما يترتب على الإجابة إلى ما أشار إلى أن اليهود اقترحوه من إنزال الكتاب ، أخبر أنهم اقترحوا ظهور الملك [لهم - ^٨] ، وبين لوازمه ، فأنهم قالوا : لو بعث الله رسولا لوجب كونه ملكا ليكون أكثر

(١) تأخر في الأصل عن « ذلك فقال » (٢) في ظ : تعدد (٣) من ظ ، وفي الأصل : حكنا (٤) في ظ : بسائر (٥) من ظ ، وفي الأصل : بغيم (٦) من ظ والقرآن الكريم آية ١٥٣ من سورة النساء ، وفي الأصل : ينزل (٧) من ظ ، وفي الأصل : التعليل (٨) زيد من ظ .

علما وأقوى قدرة وأظهر امتيازاً عن البشر، فتكون^١ الشبهة في رسالته أقل،
والحكيم^٢ إذا أراد تحصيل مهم^٣ كان الأولى تحصيله بما هو أسرع إيصالاً
إليه، فقال: ﴿وقالوا لو لا﴾ أي هلا ولِمَ لا ﴿انزل عليه ملك^٤﴾ أي
من السماء ظاهراً لنا يكلمنا ونكلمه ولا يحتجب عنا .

٥ ولما ذكر قولهم مشيراً إلى شبهتهم ، نقضه بقوله : ﴿ولو﴾ أي
والحال أنا لو ﴿انزلنا﴾ وأسقط أداة الاستعلاء لعدم الاحتياج في رد
كلامهم إلى ذكرها ، و^٥ لئلا يكون فيه تسليهم لما لوحوا إليه من إنكارهم
نزول الملك عليه بالوحي ﴿ملكا﴾ أي كما اقترحوه^٥ ، فلا يخلو إما أن
يكون على صورته^٦ أولاً ، فإن مكان على صورته^٦ التي خلق عليها لم يثبتوا
١٠ لرؤيته ، ولو كان كذلك ﴿لقضى الأمر﴾ أي بهلاكهم ، وبناء^٧ للفعل
إشارة على^٨ طريق كلام القادرين إلى غاية السرعة لسهولة الأمر وخفة
مؤنته ، فانه لا ينظره أحد منهم إلا صعق ، ولئن أعطيناهم قوة يثبتون بها
لنظره ليكون^٩ قضاؤه الأمر وانفصال اللزاع من وجه آخر ، وهو
أن ذلك كشف للغطاء وفوات للايمان بالغيب ، وقد جرت عادتنا
١٥ بالإهلاك عند ذلك ، فإذا هم هالكون على كل من هذين التقديرين ، وهو
معنى قوله مهولاً . لرتبته بحرف التراخي : ﴿ثم لا ينظرون ه﴾ أي على
حالة من هاتين ، وأما إن جعلناه على صورة يستطيعون نظرها فانا نجعله

(١) من ظ ، وفي الأصل : فيكون (٢) في ظ : الحكم (٣) في ظ : مهمهم .
(٤) سقط من ظ (٥) في ظ : اقتروه (٦-٧) تكرر ما بين الرقنين في الأصل .
(٧) في ظ : بناؤه (٨) من ظ ، وفي الأصل : الى (٩) في ظ : ليكون .

على صورة رجل ، فانها أكل الصور ؛ وحيث يقع لهم اللبس الذى
وقع لهم بدعائك ، وهو معنى (ولو جعلناه) أى مطلوبهم (ملكا)
أى يمكن فى مجارى العادات فى هذه الدار رؤيتهم^٢ له وبقاؤهم بعد رؤيته
(لجعلناه رجلا) أى فى صورة رجل ، ولكنه عبر بذلك إشارة إلى تمام
اللبس حتى [أنه - ٢] لا يشك أحد يراه فى كونه رجلا ، كما كان ه
جبريل عليه السلام ينزل فى بعض الأوقات على النبی صلى الله عليه وسلم
فى صورة دحية الكلبي ، فاذا رآه بعض الصحابة رضى الله عنهم لم يشك أنه
دحية رضى الله عنه (و) لو جعلناه رجلا (للبسنا عليهم ما يلبسون ه)
أى خلطنا عليهم بجعلنا إياه رجلا ما يخلطونه^٤ على أنفسهم وعى غيرهم
فى قولهم : إن الرسالة لا تصح من البشر ، فلو كان هذا [الذى يقول : ١٠
إنه رسول - ٢] رسولا لكان ملكا ، فوقع اللبس عليهم بأنه لما كان
[هذا - ٢] الذى يقول : إنه رسول ، ملكا كان رجلا ، ويجوز أن
يقرر ذلك على وجه آخر ، وهو أن يكون "ولو نزلنا" فى حيز
"كانوا عنها معرضين" ، أى أعرضوا عنها لو نزلناها عليك فى غير
قرطاس ، ولو نزلنا عليك من السماء كتابا فى قرطاس فجعلناه لهم فى ١٥
ذلك بين حس^٥ البصر واللس لأعرضوا ، وقال الذين أبَدنا كفرهم عنادا
(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : رويته (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ما يخلطونه .
(٥) زيد بعده فى الأصل : يقول رسولهم الذى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخصفناها .
(٦) فى ظ : لجعلنا (٧) فى ظ : حيز - كذا .

ومكافرة: ما هذا إلا سحر ظاهر، ويكون "وقالوا" معطوفاً على "لقال الذين كفروا" ويكون ذلك قبل اقتراحهم لذلك بما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الإسراء بقوله "وقالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً" - إلى آخرها، فيكون إخباراً بمغيب .

٥. ولما قطع الرجاء لهداية من حكم بشقاوته، و كان طلبهم للإنزال الملك ونحوه إنما هو على سبيل^٢ التعت^٢ والاستهزاء، و كان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم و المؤمنين رضى الله عنهم غاية المشقة /، انتفتت النفس إلى الإراحة منهم و توقعته لما تقدم من مظاهر العظمة، فأخبره أنه فاعل ذلك في سياق متكفل بتسليته، و أن^٣ ذلك لم يزل^٢ سنته^٢ فيمن فعل فعلهم، فقال - عاطفاً على قوله "فسوف ياتيهم انبؤا" - : ﴿ و لقد ﴾ أى هذا منهم إنما هو استهزاء بك و لقد ﴿ استهزئ ﴾ أى أوقع الهزء و أوجد من الالام، و بنى للفعل لأن المنكى الاستهزاء، لا كونه من معين، و إشارة إلى أنه كان يقع لهم ذلك من الأعلى و الأدنى ﴿ برسل ﴾ .

١٥. و لما كان القرب في الزمن في مثل هذا مما يسلى، و كان كل* من^٦ الاستهزاء و الإرسال^٦ لم يستغرق الزمن^٦، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبلك ﴾ فأهلكنا من هزأ بهم، و هو معنى ﴿ لحاق ﴾ أى فأحاط (١) آية ٩ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣ - ٣) في ظ: تلك لم تزل . (٤) من ظ، و في الأصل: سنة (٥) من ظ، و في الأصل: ذلك (٦ - ٦) في ظ: الإرسال و الاستهزاء (٧) في ظ: الزمان .

(بالذين يخرجوا منهم) أى من أولئك الوسل (ما كانوا به يستهزون ٤)
 أى من العذاب الذى^١ كانوا يتوعدون به^٢ ، و كان سببا لهم .
 و لما [علم الله تعالى أنهم يقولون فى جواب هذا : إن هذا إلا أساطير
 الأولين - ٣] ، أمره صلى الله عليه وسلم بعد ما مضى من التعجب من كونهم
 لم ينظروا بقلوبهم أو أبصارهم مصارع الماضين فى قوله " ألم يروا كم أهلكنا " ه
 أن يأمرهم بأن يشاهدوا مصارع من تمكن فى قلوبهم علم أنهم أهلكوا
 بمثل تكذيبهم من قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ليعنيهم ذلك عن
 مشاهدة ما أقرحوا فقال تعالى : (قل سيروا) أى أوقعوا السير
 للاعتبار ولا^١ تنفروا بامهالككم وتمكينكم (فى الأرض) - الآية ، وهى^٢
 كالدليل على قوله تعالى " لقال^١ الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين " . ١٠
 و لما كان السياق للتهديد بالتحذير من مثل أخذ الأمم الماضية ،
 و كان قد سلف^١ أنه لا تقدمهم^٢ عن آجالهم ، أمهلهم فى النظر فانه أقوى
 فى التهديد ، و أدل على القدرة ، و ادعى إلى النصفة^٣ و لاسباب و السورة
 من أوائل القرآن نزولا^٤ و أوائله ترتيبا فقال : (ثم انظروا) و أشار
 إلى أن هذا أهل لأن يسأل عنه بقوله : (كيف كان عاقبة) أى آخر أمر ١٥

(١) فى ظ : الذين (٢) سقط من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ :
 اولم (٥) فى الأصل : لتعتهم ، و فى ظ : ليعينهم - كذا (٦) فى ظ : فلا .
 (٧-٧) فى ظ : و هو (٨) فى ظ : لقاه (٩) فى الأصل و ظ : اسف - كذا .
 (١٠) فى ظ : يقدمهم (١١) من ظ ، و فى الأصل : النص - كذا (١٢) من ظ ،
 و فى الأصل : ولا - كذا .

(المكذبين ه) أى أنعموا النظر و بالغوا في التفكير و أطلوا^١ التدبر إذا رأيتم آثار المكذبين لأجل تكذيب الرسل، فانكم إذا شاهدتم تلك الآثار كل لكم الاعتبار و قوى الاستبصار، و ذلك إشارة إلى أن الأمر في غاية الانكشاف، فكلما طال الفكر فيه ازداد ظهورا .

هـ و لما أمرهم سبحانه بالسير، سألهم هل يرون في مسيرهم^٢ و تطوافهم و جولانهم و اعتسافهم شيئا لغير الله ؟ تذكر لهم بما^٣ رحمهم به من ذلك في إيجاده^٤ لهم أولا و تيسير منافعه و دفع مضاره ثانيا، استعطافا لهم إلى الإقبال عليه و الإعراض عن الخضوع لما هو مثلهم أو أقل منهم، و هو ملكه سبحانه و في قبضته، و تقيحا لأن يأكلوا خيره و يعبدوا غيره. فقال مقررا لهم على إثبات الصانع و النبوة و المعاد، و مبكثا بسفاههم و شدة جهلهم و عمههم : (قل لمن) و به بتقديم المفعول على الاهتمام بالمعبود^٥ (ما في السموات و الأرض) .

و لما كانوا في مقام العناد حيث لم يبادروا إلى الإذعان بعد نهوض^٦ الأدلة و إزاحة كل علة، أشار إلى ذلك بقوله معرضا عن انتظار جوابهم ١٥ توينخا لهم بعدم^٧ النصفة التي يدعونها : (قل لله) أى الذى له الإحاطة

الكاملة قدرة و علما و لا كفوء له، لا لغيره، و هم و إن كانوا معاندين فانهم لا يمكنهم رد قولك، لا سيما و جواب الإنسان عما سأله إنما يحسن

(١) في ظ : اطلوا (٢) في ظ : سيرهم (٣) في ظ : بما (٤) في ظ : إيجاد (٥) في ظ : بالعمود (٦) في ظ : شهود (٧) من ظ ، و في الأصل : بعد .

١٦٨/ أن يتعاطاه هو بنفسه / إذا كان قد بلغ في الظهور إلى حد لا يقدر على إنكاره منكراً، وهو هنا كذلك لأن آثار الحدوث والإمكان^١ ظاهرة على صفحات الآكوان، فكان الإقرار به ضروري، لا خلاف فيه^٢.
ولما كان أكثر ما في هذا الكون منافع مع كونها حسنة لذينة طيبة شهية، وما كان فيها^٣ من مضار فهي محجوبة بمنوعة عنهم^٤، يقل ه وصولها إليهم^٥ إلا بتسييهم^٦ فيها، والكل مع ذلك دلائل ظاهرة على وحدانيته وتمام علمه وقدرته، وكان ذلك أهلاً لأن يتعجب منه لعموم هذا الإحسان، مع ما هم عليه من الإثم والعدوان، وتأخير العذاب عنهم مع العناد والطغيان، قال دالا على أن رحمته سبقت غضبه مستأنفاً: ﴿كتب﴾ أي وعد وعدا هو كالمكتوب الذي ختم، وأكد غاية التأكيد، ١٠ أو كتب حيث أراد سبحانه.

ولما كانت النفس يعبر بها^٧ عن الذات على ما هي عليه قال: ﴿على نفسه الرحمة^٨﴾ أي فلذلك أكرمكم هذا الإكرام بوجوه الإنعام، وأخر عنكم الانتقام بالاستئصال، ولو شاء [هو -] لسلط^٩ عليكم المضار، وجعل عيشكم من غير اللذيذ كالتراب وبعض القاذورات التي يعيش بها ١٥ بعض الحيوانات.

(١) من ظ، وفي الأصل: الإنكار (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: فيه (٤) في ظ: منهم (٥ - ه) في ظ: لانفسهم (٦) في ظ: عنها (٧) زيد من ظ (٨) في ظ: لسلطهم.

و لما كان ذلك 'مطعما للظالم البطر' ، و معجبا بحيرا مؤسفا للظلم المنكسر ، قال محذرا مرجحا مبشرا ملتفتا إلى مقام الخطاب لأنه أبلغ وأخص على المقصود دالا على البعث بما مضى من إثبات أن الاكوان لله ، لأن كل ما فيها موصوف بصفات يحوز اتصافه بأضدادها ، فاختصاص كل جسم بصفته المعينة إنما يكون بتخصيص الفاعل المختار ، فيكون قادرا على الإعادة ، لأن التركيب الأول إنما كان لأن صانعه قادر على جميع الممكنات لكونه عالما بجميع المعلومات ، و الاتصاف بذلك لا يحوز اتفكاكه عنه فهو ملك مطاع آمرناه مرسل من يبلغ عنه أوامره و نواهيه لإظهار ثمرة الملك من الثواب و العقاب في يوم الجمع : ﴿ ليجمعنكم ﴾ أى ١٠ و الله محشورين شيئا فشيئا ﴿ الى يوم القيمة ﴾ للعدل بين جميع العباد كائنا ﴿ لا ريب فيه ﴾ أى بوجه من الوجوه ، و ذلك الجمع لتخصيص الرحمة في ذلك اليوم بأوليائه ، المقت و النعمة بأعدائه بعد أن كان عم بالرحمة الفريقين في يوم الدنيا ، و جعل الرحمة أظهر في حق الأعداء ، [و بهذا اجمع تمت الرحمة من كثير من الخلق ، و لولاه ارتفع الضبط و كثر ١٥ الحبط كما كان في الجاهلية - ٢] .

و لما كان ذلك كذلك في عدم الريب لإخبار الله به على السنة رسله و لما عليه من الأدلة لما في هذا الخلق من بدائع الحكم مع خروج أكثر أفعال الحيوانات عن العدل ، فصار من المعلوم (١-٦) في ظ : مطعما (٢) في ظ : مؤسفا (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في الأصل وظ : فيه - كذا (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم (٦) في الأصل وظ : النعمة - كذا (٧) زيد ما بين الحاذرين من ظ .

لكل ذى وهى أن البحث محط الحكمة لإظهار التحلى بالصفات العلى لجميع
الخلق : الشقى و السعيد القريب و البعيد ، كان كأنه قيل : فما
لنا زى^١ أكثر الناس كافرا به ، فقال جوابا : (الذين خسروا انفسهم)
أى باهلا كههم إياها بتكذيبهم به لمخالفة^٢ الفطرة الأولى التى تهدى
الآخرس ، و ستر العقل^٣ السليم (فهم) أى بسبب خسارتهم لأنفسهم ه
باهمال العقل^٤ و إعمال الحواس و التقيد بالتقليد (لا يؤمنون ه)
فصاروا كمن يلقى نفسه من شاق ليموت لغرض من الأغراض الفاسدة ،
لا بسبب خفاء فى أمر القيامة و لا لئس بوقع ربنا ، و صار المعنى : إن
الذين لا يؤمنون فى هذا اليوم هم^٥ المفضى بخسارتهم فى ذلك اليوم .

و لما استنارت الأدلة / استنارة الشمس و انتصبت البراهين حتى ١٠ / ١٦٩

لم يبق أصلا نوع لبس ، عم بالخبر عما تقدم مما يشاهدونه و غيره ، فقال
ذاكرا^٦ الزمان بعد المكان^٧ . و قدمه لأنه أظهر ، و المعلم الكامل هو الذى
يبدأ بالأظهر فالأظهر متربعا إلى الأخرى فالأخرى ، فم بذلك الخبر عن
الزمان و الزمانيات و المكان و المكانيات : (وله) أى وحده (ما سكن)
أى حل و تحيز^٨ و حصل (فى الليل و النهار)^٩ أى ما من شأنه أن يسكن ١٥
فيهما و إن كان متحركا ، ولكنه عبر بذلك دون التحرك لأنها
دار الموت ، و دخل فى ذلك النور و الظلمة اللذان أشرك بهما من أشرك .
و لما دل ما مضى على القدرة التامة ، و انقسم إلى متحرك و ساكن ،

(١) فى ظ : لا ترى (٢) فى ظ : بمخالفة (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى
الأصل : العقل (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : هو (٧ - ٧) فى ظ : زمان (٨) من
ظ ، و فى الأصل : تحتر .

وكانت القدرة لا تتم إلا بالعلم ، دل عليه بقوله : ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره
 ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع لكل متحرك ﴿ العليم ﴾ أى العام العلم
 بالبصر و السمع وغيرهما بكل متحرك و بكل ساكن من أقوالكم و أفعالكم
 وغيرهما ، فلا تطمعوا^١ فى أن يترك شيء من مجازاتكم ، و العليم هنا أبلغ
 من البصير ، و ذلك مثل ما تقدم فى قوله ” قل اتعبدون من دون الله
 ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا و الله هو السميع العليم “ و هو ترجمة قوله
 ” يعلم سركم و جهركم و يعلم ما تكسبون “ .

و لما نهض من الحجج ما لم يبق معه لذى بصيرة شك ، كان لسان
 الحال مقتضيا لأن ينادى [بالإنكار عليهم فى الالتفات عن جنبه و الإعراض
 ١٠ عن بابه فأبرز - ٢] تعالى ذلك فى قالب الأمر له صلى الله عليه وسلم
 بالإنكار على نفسه ، ليكون أدعى لهم و أرفق بهم ، و لأن ما تقدم منبئ
 عن غاية المخالفة ، منذر بما أندر من سوء عاقبة المشاققة ، فكأنهم قالوا :
 فهل من سبيل إلى الموافقة ؟ قليل : لا إلا باتخاذكم^٣ إلهى وليا ، و ذلك لعمري
 سعادتك فى الدارين ، و بتطعمكم^٤ فى اتخاذى أندادكم أولياء ، و هذا
 ١٥ ما لا يكون أبدا ، و هو معنى قوله تعالى : ﴿ قل ﴾ أى مصرحا لهم بإنكار
 أن تميل^٥ إلى أندادهم بوجه .

و لما كان الإنكار منصبا إلى كون الغير متخذا ، لا إلى اتخاذ الولي ،

(١) فى ظ : إلثام (٢) من ظ ، وفى الأصل : فلا تطعموا (٣) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ (٤ - ٥) فى ظ : إلى أولياء - كذا (٥) فى ظ : بتطعمكم (٦) فى الأصل
 و ظ : يميل .

أولى "غير" الهمة [فقال - ٢] : (اغير الله) أى الذى لا شئ يدانيه
 فى العظمة (اتخذ) [أى - ٢] أكلف نفسى إلى خلاف ما تدعو إليه
 الفطرة الأولى والعقل المجرد عن الهوى كما فعلتم أتم و أخذ (وليا)
 أى أعبدته لكونه يلى جميع أمورى ، ثم وصفه بما يحقق ولايته ويصرف
 عن ولاية غيره فقال : (فاطر السموات والارض) أى خالقهما ابتداء ه
 على غير مثال سبق (وهو) أى والحال أن الله (يطعم) أى يرزق
 كل من سواه بما فيه روح .

و لما كان المنفى كونه سبحانه مفعولا من الطعم ، لا كون ذلك من
 مطعم معين ، بنى للمفعول قوله : (ولا يطعم) [أى - ٢] ولا يبلغ
 أحد بوجه من الوجوه أن يطعمه ، والمعنى أن المنافع من عنده ، ولا ١٠
 يمحور عليه الاتفاص ، فامتنع فى العقل اتخاذ غيره وليا ، لأن غيره محتاج
 فى ذاته و [فى - ٢] جميع صفاته إليه ، وهو سبحانه القى على الإطلاق ،
 وهذا التفات ٥ إلى قوله تعالى " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت
 من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يا كن الطعام ٦ " و تعرض بكل من عبد
 من دون الله ولا سيما الأصنام ، فانهم كانوا يهدون لها الأطعمة فتأكلها ٧
 الدواب و الطيور ، فعلوم أنها لا تطعم ولا تطعم ، روى الدارمى فى ١٥

(١) من ظ ، وفى الأصل : عن (٢) زيد من ظ ، غير أن فيه « قال » (٣) زيد
 من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الالتفات (٦) سورة ه
 آية ٧٥ (٧) من ظ ، وفى الأصل : يأكلها .

أول / مسنده بسند حسن عن الأعمش عن مجاهد قال : حدثني مولاى
 أن أهله بعثوا منه بقدرح فيه زبد و لبن إلى آلهم ، قال : فنفنى أن
 آكل الزبد مخافها^١ ، فجاء كلب فأكل الزبد و شرب اللبن ثم بال على
 الصنم . ومولاه كان شريك النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ،
 ه و اختلف فيه فقيل : هو قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن عمران^٢
 ابن مخزوم ، وقيل : قريه السائب بن أبى السائب صيفى بن عائذ بن عبد الله
 ابن عمر بن مخزوم ، وقيل : ابنه عبد الله بن السائب - والله أعلم ؛ وله
 عن أبى رجاء - هو^٣ العطاردى وهو مخضرم - قال : كنا فى الجاهلية
 إذا أصبنا حجرا حسنا عبدناه ، وإن لم نصب حجرا جمعنا كشة^٤ من
 ١٠ رمل ، ثم جئنا بالناقة الصنى^٥ فنفاج^٦ عليها فتحلبها^٧ على الكشة حتى
 نروبها ، ثم نعبد تلك الكشة ما أقنا بذلك المكان . وفيه أيضا إيماء إلى
 أنه كما خلقكم كلكم من طين على اختلافكم فى المقادير والألوان
 والأخلاق وهو غنى عنكم . فكذلك خلق المطاعم على اختلاف
 أشكالها وطعومها ومنافعها وألوانها من طين ، وجعلها منافع لكم
 ١٥ وهو غنى عنها ، وسيأتى التصريح بذلك فى قوله ” وهو الذى أنزل
 (١) فى ظ : مخافة (٢) وفى الإصابة : وقيل فى نسبه : عبد الله بن عمر - بدل
 عمران (٣) فى ظ : عن (٤) فى ظ : اذ (٥) فى ظ : كشيبة (٦) من الدارمى ،
 وفى الأصل : الصيفى ، وفى ظ : العيفا - كذا ، وفى الدارمى : قال أبو عهد :
 الصنى : الكثرة الألبان (٧) أى نفرج بين رجلها - راجع أول الدارمى .
 (٨-٨) من الدارمى ، وفى الأصل : عليه فيحلبها ، وفى ظ : عليه فيجعلها .
 (٩) سقط من ظ .

من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء^١ " المستوفى^٢ في مضماره " فكلوا
 بما ذكر اسم الله عليه^٣ " وفي الآية كلها التفات إلى قوله أول السورة " ثم الذين
 كفروا بربهم يعدلون " وقوله في التي قبلها " ولو كانوا يؤمنون بالله
 والنبي^٤ وما أنزل عليه^٥ ما اتخذوهم أولياء " في أمثالها عما فيه تولى الكفار
 لغير خالفهم سبحانه وتعالى ، هذا لو لم يرد أمر^٦ من قبل الخالق كان ه
 النظر السديد^٧ كافيا في التنزه عنه ، كما كنت^٨ قبل النبوة لا ألقت إلى
 أصنامكم ولا اعتبر للعبادة شيئا من أنصابكم ، فكيف وقد أمرت بذلك !
 وهو معنى (قل انى امرت) أى من جهة من له الأمر ، ولا أمر إلا له ،
 وهو من تقدم أن له كل شيء ، وهو الله وحده (ان اكون) أى^٩
 بقلبي وقلبي (اول من اسلم) في الرتبة مطلقا ، وفي الزمان بالنسبة ١٠
 إلى الأمة .

ولما كان الأمر بالإسلام نهيا^{١١} عن الشرك ، لم يكتف به ، بل صرح
 به جمعا بين الأمر والنهى من هذا الرب الكريم الذى يدعو إحسانه
 وكرمه إلى ولايته ، وينهى تمام ملكه وجبروته عن شيء من عداوته ،
 في قوله عطفًا على " قل " على^{١٢} وجه التأكيد : (ولا تكون) أى بوجه ١٥
 من الوجوه في وقت من الأوقات أصلا^{١٣} (من المشركين) أى فى

(١) فى الأصل : المرف ، وفى ظ : المستوف (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين
 من ظ ، وراجع آية ٨١ (٣) من ظ ، وفى الأصل : امرا (٤ - ٤) فى ظ : البطر
 الشديد (٥) من ظ ، وفى الأصل : كتب (٦) من ظ . وفى الأصل : عدم .
 (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : تقيا .

عدادهم باتباعهم في شيء من أغراضهم ، وهذا التأكيد لقطع أطاعهم عنه صلى الله عليه وسلم في سؤالهم أن يطرد بعض أتباعه ليوالوه ، ونحو ذلك مما كانوا يرجون مقاربتهم^١ منهم به ، إعلاما بأن فعل شيء مما يريدون مصحح للنسبة^٢ إليهم والكون في عدادهم^٣ من تشبه بقوم فهو منهم ، .

و لما كان فعل المنهى قد لا يعذب عليه ، قال معلما بأن المخالفة في هذا من أبلغ المخالفات ، فصاحبها مستحق لأعظم الانتقام ، وكل ذلك فطرا لهم عن الطمع فيه ، وأكده لذلك ولإنكارهم مضمونه : ﴿ قل انى ﴾ و لما كان المقام للخوف ، قدمه فقال : ﴿ اخاف ان عصيت ﴾ أى شيء مما تريدون منى^٤ أن أوافقكم فيه بما^٥ أمرت به أو نهيت عنه ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلى^٦ ﴿ عذاب يوم ﴾ و^٧ لما كان عظم^٨ الظرف بعظم مظلوفه قال : ﴿ عظيم ه ﴾ .

/ و لما كان قد قدّم من عموم رحمته ما أطمع الفاجر ثم أياسه من ذلك بما أشير^٩ إليه من الخسارة ، صرح هنا بما اقتضاه ذلك المتقدم ، فقال واصفا لذلك العذاب مبينا أن الرحمة في ذلك اليوم على غير المعهود الآن ، فأنها خاصة لا عامة دائمة السبوغ على من نالته ، لا زائلة ،

١٥ وكذا النعمة ، هكذا شأن ذلك اليوم ﴿ من صرف عنه ﴾ أى ذلك العذاب ؛ و لما كان المراد دوام الصرف في جميع اليوم ، قال : ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ يكون عذاب ذلك اليوم به^{١٠} ﴿ فقد رحمه ه ﴾ أى فعل به بالإنعام عليه فعل المرحوم^{١١} ﴿ وذلك ﴾ أى لا غيره ﴿ الفوز ﴾ أى

(١) في ظ: مقارنته (٢) من ظ، وفي الأصل: للثنية (٣) من ظ، وفي الأصل: معلما (٤) من ظ، وفي الأصل: من (٥) في ظ: بما (٦-٧) من ظ، وفي الأصل: المكان عظيم (٧) في ظ: اشار (٨) سقط من ظ .

الظفر بالمطلوب ﴿ المينء ﴾ أى الظاهر جداء ومن لم يصرف عنه فقد أهانه ، وذلك هو العذاب العظيم ،

ولما كان التقدير : فان يصرف عنك ذلك العذاب فقد قرت عينك ، عطف عليه دليلا آخر لأنه لا يجوز فى العقل أن يتخذ غيره وليا ، فقال معمما للحكم فى ذلك العذاب وغيره مبينا أنه لا مخلص لمن أوقع به : ﴿ وان يمسك الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ؛ ولما كان المقام للرهيب^٢ ، قدم قوله : ﴿ بضر ﴾ أى هنا أو هناك ﴿ فلا كاشف له ﴾ أصلا بوجه من الوجوه ﴿ الا هو ﴾ أى لأنه لا كفوء له ، فهو قادر على إبقائه ، ولا يقدر غيره على دفعه ، لأنه على كل شئ قدير ﴿ وان يمسك بخير ﴾ أى فى أى وقت أراد . ١٠

ولما كان القياس على الأول موجبا لأن يكون الجزاء : فلا مانع له ، كان وصفه من صفة قوله : ﴿ فهو على كل شئ ﴾ أى من ذلك وغيره ﴿ قديره ﴾ ولا يقدر غيره على منعه ، منها على أن رحمته سبحانه سبقت غضبه . ولما كانت المجلتان من الاحتباك ، فأفادتاه بما ذكر وما دل عليه المذكور بما حذف أنه تعالى غالب على أمره ، قال مصرحا بذلك : ١٥
﴿ وهو القاهر ﴾ أى الذى يعمل^٣ مراده كله ويمنع غيره^٤ مراده إن شاء ، و صور قهره وحققه [تمكن الغلبة -^٥] بقوله : ﴿ فوق عباده ﴾ وكل ما سواه عبد ؛ ولما كان فى القهر ما يكون مذموما ، نقاه بقوله : ﴿ وهو ﴾ أى وحده ﴿ الحكيم ﴾ فلا يوصل^٦ أثر القهر بإيقاع المكروه

(١) من ظ ، وفى الأصل : انه (٢) فى ظ : لا يخلص (٣) فى ظ : للترتيب (٤) سقط من ظ (٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ : فاذا (٧) زيد فى ظ : بقوله . (٨) من ظ ، ولا يتضح فى الأصل (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : فلا توصل .

إلا المستحق، وأنتم المعنى بقوله : ﴿الخير﴾ أى بما يستحق كل شيء ،
فتمت الأدلة على عظيم سلطانه ، أنه لا فاعل غيره .

ولما [ختم - ٢] بصفى الحكمة والخبرة ، كان كأنه قيل : فلم

لم يعلم^٣ أنا نكذبك^٢ بخبرته فيرسل معك بحكمته من يشهد لك - على ما يقول

هـ من أنه أمرك أن تكون أول من أسلم ، ونهاك عن الشرك لنصدقك -

من ملك كما تقدم سؤالنا لك^٥ فيه^٦ أركتاب في قرطاس أو غيرهما ؟ فقال :

قد فعل ، ولم يرض لى^٥ إلا بشهادته المقدسة فقال - أو يقال : إنه لما

أقام الأدلة على الوحدانية والقدرة ووصل إلى صفة القهر المؤذن بالانتقام ،

لم يبق إلا الإشهاد عليهم إيداناً بما يستحقونه من سوء العذاب وإنذاراً به

١٠ ثلثا يقولوا إذا حل^٧ بهم : إنه لم يأتنا نذير ، فقال - : ﴿ قل ﴾ أى يا أيها

الرسول لهم ﴿ أى شيء أكبر ﴾ أى^٨ أعظم وأجل^٩ ﴿ شهادة^{١٠} ﴾ فان

أنصفوا وقالوا : الله ! قل : هو الذى يشهد^{١١} لى ، كما قال فى النساء " لكن

الله يشهد بما أنزل اليك^{١٢} " ، ولكنه قطع الكلام هنا إشارة إلى عنادهم

أو سكوتهم ، أو إلى تنزيلهم منزلة المعاند ، أو العالم بالشئ العامل عمل

١٥ الجاهل ، فقال آمرا له صلى الله عليه وسلم : ﴿ قل الله لى ﴾ أى الملك

الأعظم المحيط علما وقدرة أكبر شهادة .

(١) فى ظ : فدلّت (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ : لانا فلذلك (٤) فى ظ : بان .

(٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : منه (٧) من ظ ، وفى الأصل :

كل (٨-٨) فى ظ : أجل وأعظم (٩) فى ظ : شهد (١٠) من ظ والقرآن الكريم -

آية ١٦٦ ، وفى الأصل : اليه .

و لما / كانوا بمعرض أن يسلموا ذلك و يقولوا : إنه كذلك . ولكن
 هلم شهادته ! قال : (شاهد) أى هو أبلغ شاهد يشهد (ببنى و بينكم قه)
 أى بهذا القرآن الذى ثبت بعجزكم عنه^١ أنه كلامه ، و بغيره من الآيات
 التى عجّزتم عن معارضتها ؛ و لما قرر أنه أعظم شهيد^٢ ، و أشار إلى شهادته
 بالآيات كلها ، نبه على أعظمها ، لأن إظهاره تعالى للقرآن على لسانه صلى
 الله عليه وسلم على وفق دعواه شهادة من الله له^٣ بالصدق ، فقال ذاكرة
 لفائدته فى سياق تهديد متكفل باثبات الرسالة و إثبات الوجدانية ، و قدم
 الأول لأنه المقرر للثانى و المفهم^٤ له بغايته ، عاطفا على جملة^٥ 'شاهد' بانيا للفعول ،
 تنبيها على أن الفاعل معروف للعجّاز ، و بنى للفاعل فى السواد : (واوحى الى)
^٦ و حقق الموحى به و شخصه بقوله : (هذا القرآن) و لما كان فى سياق ١٠
 التهديد قال مقتصرا على ما^٧ يلائمه^٨ : (لا نذركم) أى أخوفكم و أحذرکم
 من اعتقاد شائبة نقص فى الإله لا سيما الشرك^٩ (به و من) أى و أنذر به
 كل من (بلغ) أى بلغه ، قال الفراء^{١٠} : و العرب تضمر الهاء فى صلات
 'الذى' و 'من' و 'ما' . و قال البخارى فى آخر الصحيح : " لا نذركم به "

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : شهيدا (٣) فى ظ : الفهم (٤) من ظ ، و فى الأصل :
 فائقه - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : متعلق (٦ - ٧) تداخل ما بين الرقين
 فى ظ بين « سياق التهديد » و « قال مقتصرا » (٧) فى الأصل : يلائمه ، و فى
 ظ : ملائمة - كذا (٨) زيد بعده فى الأصل : الذى و من و ما و قال ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ لحذفها (٩ - ١٠) فى الأصل : للفراء ، و العبارة من هنا إلى « من
 و ما » تقدمت فى الأصل على « و حقق الموحى » .

يعنى أهل مكة ، ومن بلغ هذا القرآن فهو له نذير . علقه بصيغة الجزم
عن ابن عباس و وصله إليه ابن أبي حاتم كما أفاده شيخنا في شرحه .
وقال عبد الرزاق في تفسيره : أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : بلغوا عن الله ، فمن بلغته^١ آية من كتاب الله فقد بلغه
ه أمر الله . وقال الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي^٢ في جواب
سؤال ورد عليه سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة في أن النبي صلى الله عليه
وسلم هل بعث إلى الجن - ومن خطه نقلت - : الكتاب^٣ و السنة ناطقان^٤
بذلك ، و الإجماع قائم عليه ، لا خلاف بين المسلمين فيه ، ثم أسند الإجماع
إلى أبي طالب القضاء و أبي عمر بن عبد البر في التمهيد و أبي محمد بن
١٠ حزم في كتاب الفصل^٥ و غيرهم ثم قال : أما الكتاب فأيات إحداها
”لا نذركم به و من بلغ“ قال محمد بن كعب القرظي^٦ : من بلغه القرآن
فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، و قال ابن عباس - فذكره ، و قال

(١) راجع فتح الباري - كتاب الرد على الجهمية ، باب قوله تعالى ”بل هو
قرآن مجيد“ ، و رواه الطبري أيضا بسنده و أوصله إلى ابن عباس - راجع
تفسير هذه الآية في جامع البيان (٢) و في تفسير الطبري : بلغه ، و رواه هناك
من عبد الرزاق بالسند المذكور (٣) هو عالم مشارك في الفقه و التفسير و الأصول
و المنطق و القراءات و الحديث و الخلاف و الأدب و النحو و اللغة و الحكمة ،
و كان قاضي الشام - راجع معجم المؤلفين ٧ / ١٢٧ (٤) في ظ : بالكتاب .
(٥) من ظ ، و في الأصل : ناطقا (٦) في ظ : الفضل ، و الصواب ما في الأصل -
راجع معجم المؤلفين ٧ / ١٦ (٧) في ظ : القرطبي .

السدى : من بلغ^١ القرآن فهو له نذير ، و قال ابن زيد : من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره . وهذه كلها أقوال متفقة المعنى ، و قد أمر نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول هذا الكلام و أن^٢ ينذر بالقرآن كل من بلغه ، و لم يخص إنساناً لا جنا من أهل التكليف ، و لا خلاف أن الجن مكلفون - انتهى^٣ . و سيأتى بما ذكر من الآيات و غيرها ما يابق بالاستدلال على هـ الإرسال إلى الملائكة عليهم السلام ، فالمعنى : فمن صدق هذا القرآن فقد أفلح . و من كذب فليأت بسورة من مثله ، ثم عجزه شاهد على نفسه بالكذب ، و هو شهادة الله لى بالصدق ، و لأجل أن الله هو الشاهد لم تنقض الشهادة بموت النبي صلى الله عليه و سلم ، بل استمرت على مرّ الأيام^٤ و كرّ الأعوام لبقاء الشاهد و تعاليه عن شوائب النقص و سمات الحدث^٥ ، و إلى ذلك الإشارة بقول النبي صلى الله عليه و سلم : ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى^٦ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . - أخرجه الشيخان عن أبي هريرة / رضى الله عنه . و لعل الاختصار ١٧٣ / على الإنذار مع ما تقدم إشارة إلى أن أكثر الخلق هالك ، و قد ذكر ١٥ فى نزول هذه الآية أن أهل مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا : أما وجد الله رسولا غيرك ؟ ما نرى أحدا يصدقك بما تقول ،

(١) وفى تفسير الطبرى حيث أخرج هذا الحديث : بلغه - راجع فيه آية ١٩ من الأنعام (٢) من ظ ، وفى الأصل : انه (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ما . (٥) من ظ ، وفى الأصل : الآثار (٦) من ظ ، وفى الأصل : الحديث .

ولقد سألنا عنك^١ اليهود والنصارى^٢ فزعموا أنه ليس عندهم منك ذكر،
فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما زعم، فأنزلها الله .

ولما لم يبق لمتعت شبهة، ساق^٣ فذلكة ذلك وقطب دائرته - وهو
لزوم التوحيد الذى جعلت الرسالة مرقى^٤ إليه، فاذا ثبت فى قلب فاضت
ه أنواره بحسب^٥ ثباته حتى أنها ربما ملأت الأكوان وعلت على كيوان^٦ -
مساك استفهام على طريقة الإنكار والتعجيب تعظيما لشأنه وتفخيما لمقامه^٧
وتنديها لهم على أن يبعدوا عن الشرك فقال: ﴿ ائتكم لتشهدون ان مع الله ﴾
أى الذى حاز جميع العظمة ﴿ الهة ﴾ .

ولما كانوا لكثرة تعنتهم ربما أطلقوا على أسمائه سبحانه إله^٨ كما
١٠ قالوا حين سمعوه صلى الله عليه وسلم يقول: يا الله يا رحمن - كما صيأتى
إن شاء الله تعالى آخر الحجر وآخر سبحان، صرح بالمقصود على وجه^٩
لا يحتمل النزاع فقال: ﴿ اخرى^{١٠} ﴾ ولما كان كأنه قيل: إنهم^{١١} ليقولون
ذلك، فاذا يقال لهم؟ قال: ﴿ قل لا أشهد^{١٢} ﴾ أى معكم شئ مما تقولونه
لأنه باطل، ولو كان حقا لشهدت^{١٣} به .

١٥ ولما كان هذا غير قاطع لطمعهم فيه، اجتثته من أصله وبرمته
بقوله: ﴿ قل إنما هو ﴾ أى الإله ﴿ اله واحد ﴾ وهو الله الذى

(١) فى ظ: عن (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: مساق (٤) من ظ،
وفى الأصل: بنجر - كذا (٥) بفتح اوله: اسم زحل بالفارسية (٦) من ظ،
وفى الأصل: لشانه (٧) من ظ، وفى الأصل: آلهة (٨) من ظ، وفى الأصل:
بصه - كذا (٩) من ظ . وفى الأصل: شهدت .

لا يعجزه شيء . و هو يعجز كل شيء ، لأنه واحد لا كفوء له ، فانكم عجزتم
عن الإتيان بسورة من مثل كلامه و أنتم أفصح الناس .
و لما كان معنى هذا البراءة من إنذارهم ، صرح به في قوله مؤكدا
في جملة اسمية : ﴿ و انى برىء مما تشركون ؟ ﴾ أى الآن و في مستقبل الزمان
إبعادا من تطمعهم أن تكون الموافقة بينه و بينهم باتخاذ الانداد أو شيئا
منها وليا ، فثبت التوحيد بهذه الآية بأعظم طرق البيان^٢ و أبلغ وجوه
التأكيد^٣ ، و لقد امتثل^٤ صلى الله عليه و سلم الأمر بإنذار من يمكن
إبلاغه القرآن ، فلما استراح^٥ عن حرب^٦ قريش و كثير عن حوله من
العرب في عام الحديبية ، و هو سنة ست^٧ من الهجرة ، و أعله^٨ الله تعالى
أن ذلك فتح مبين ، أرسل إلى من يليه من ملوك الأمصار في ذلك^٩
العام و ما بعده ، و كان أكثر^{١٠} عند منصرفه من [ذلك -^{١١}] الاعتبار
يدعوهم إلى جنات و أنهار في دار القرار ، و ينذرهم دار البوار ؛ قال
أهل السير : خرج صلى الله عليه و سلم - بعد رجوعه من عمرة الحديبية التي
صد عنها - على أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فقال : أيها الناس ! إن الله
بعثنى رحمة و كافة ، و إنى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم - و قال ابن
عبد الحكم في " فتوح مصر عن عبد الرحمن بن عبد القادر أن رسول الله
صلى الله عليه و سلم قام ذات يوم على المنبر فحمد الله و أثنى عليه و تشهد
(١) من ظ ، و في الأصل : يكون (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : التوكيد .
(٤) من ظ ، و في الأصل : امتننه (ه - هـ) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من
ظ ، و في الأصل : ستة (٧) من ظ ، و في الأصل : أعلم أن (٨) من ظ ، و في
الأصل : أكثرهم (٩) زيد من ظ (١٠) و العبارة من هنا إلى « و قال ابن
عبد الحكم » الآخر ، ساقطة من ظ .

ثم قال : أما بعد فاني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك العجم ، فأدوا
عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون - وقال ابن عبد الحكم :
بنو إسرائيل - على عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فقال المهاجرون :
يا رسول الله ! والله لا نختلف عليك في شيء أبدا ، فرنا وبعثنا ، فسألوه :
كيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام ؟ قال : دعاهم إلى الذي -
١٧٤ / 'و في رواية' : لمثل الذي - دعوتكم / إليه ، وقال ابن عبد الحكم : إن الله
تبارك وتعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام أن ابعث إلى مقدس الأرض ،
فبعث الحواريون - فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم ، وأما من
بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و تناقل - قال ابن عبد الحكم : وقال : لا أحسن
١٠ كلام من تبعني إليه - فشكا ذلك عيسى عليه السلام إلى الله عز وجل ،
فأصبح كل رجل - وقال ابن عبد الحكم : فأوحى الله تعالى إليه أني
سأكفيك ، فأصبح المشاغلون وكل واحد منهم - يتكلم بلغته الأمة^٢ التي
بعث إليها . فقال عيسى عليه السلام : هذا أمر قد عزم الله عليه^٣ فامضوا له^٤ .
وقال الشيخ مجد الدين الفيروز آبادي في القاموس : إن المكان الذي جمع
١٥ فيه^٥ عيسى عليه السلام الحواريين وأنفذهم إلى النواحي^٦ قرية بناحية^٧
طبرية تسمى الكرسي^٨ . وقال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب

(١-١) في الأصل : فإروايته - كذا (٢) من ظ و سيرة ابن هشام ٣ / ٧٧ ،
وفي الأصل : الآية - كذا (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : اليه (هـ) من ظ ،
وفي الأصل : به (٦-٦) في ظ : قريب ناحية (٧) من ظ و انقاموس ، وفي
الأصل : الكرئين - كذا .

المصرى أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان و ملوك [العرب و - ^١] العجم و ما قال لأصحابه حين بعثهم، قال : فبعث به إلى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه - فذكر نحو ما تقدم إلى أن قال : قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم من الحواريين و الاتباع الذين كانوا بعدهم ^٢ في الأرض بطرس الحوارى ^٥ و معه بولس - وكان [بولس - ^١] من الاتباع و لم يكن من الحواريين - إلى رومية ^٢، و أندرائس ^٣ و متا ^٤ إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس، و توماس إلى أرض بابل من أرض المشرق و قيليس ^١ إلى قرطاجنة ^٧، و هى إفريقية، و يحنس ^٨ إلى أقسوس ^٩ قرية [الفتيّة - ^١] أصحاب الكهف، و يعقوبس إلى أوراشلم و هى إيلياء قرية بيت المقدس، و ابن ثلثا ^{١٠} إلى الأعرابية، و هى أرض الحجاز، و سيمين ^{١١} إلى أرض البربر، و يهودا و لم يكن من الحواريين، فجعل مكان يودس ^{١٢} - انتهى - كذا رأيت فى

(١) زيد من سيرة ابن هشام ٧٨ / ٣ (٢) فى ظ : كانوا بعثهم - كذا (م) من ظ و السيرة، و فى الأصل : رومة (٤) فى ظ : اندراس (٥) فى ظ : مينا، و بهامش السيرة : قوله : و متا، فى نسخة : و متنا - بالثلاثة (٦) من السيرة، و فى الأصل : فليس، و فى ظ : فليس - كذا، و الصحيح أنه فلبس - كما يأتى من نص الإنجيل (٧) فى ظ : قرطاجيه (٨) من السيرة، و فى الأصل : محس، و فى ظ : بيجيس - كذا (٩) فى ظ : اقيوس (١٠) من ظ و السيرة، و فى الأصل : سلما (١١) من السيرة، و فى الأصل : سيمين، و فى ظ : سمين - (١٢) من ظ و السيرة، و فى الأصل : يورس - كذا.

نسخة معتمدة مقابلة من تهذيب السيرة لابن هشام ، و كذا في مختصرها
 للامام جمال الدين محمد بن [المكرم - ^١] الأنصارى عدد رسله و أسمائهم ،
 وفي آخرهم : قوله : مكان يودس ، ولم يتقدم ليودس ذكر ، و الذى
 حررته أنا من الأناجيل التى بأيدى النصارى غير هذا ، و لعله أصح ،
 ٥ و قد جمعت ما تفرق ^٢ من ألفاظها ، [قال - ^٣] فى إنجيل متى ما^٤ نصه -
 و معظم السباق له : ودعا - يعنى عيسى عليه السلام - تلاميذه الاثنى عشر
 و أعطاهم سلطانا على جميع الأرواح [النجسة - ^٥] لكي يخرجوها
 و يشفوا كل الأمراض ؛ و فى إنجيل مرقس : و صعد إلى الجبل و دعا
 الذين أحبه فأتوا إليه ، و انتخب اثنى عشر ليكونوا معه و لكي يرسلهم
 ١٠ ليكرزوا ، و أعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض و إخراج الشياطين ؛
 و فى إنجيل لوقا : و كان فى تلك الأيام خرج إلى الجبل يصى ، و كان
 ساهرا فى صلاة الله ^٦ ، فلما كان النهار دعا تلاميذه و اختار منهم اثنى
 عشر ؛ و قال فى موضع آخر : و دعا الاثنى عشر الرسل و أعطاهم قوة
 و سلطانا على جميع الشياطين و شفاء المرضى ، و أرسلهم يكرزون
 ١٥ بملكوت الله و يشفون ^٧ الأوجاع ؛ و هذه أسماء ^٨ الاثنى عشر الرسل :
 سمعان المسمى بطرس - و نسبه فى موضع ^٩ من إنجيل [متى - ^{١٠}] :
 ابن يونا - و أندراوس أخوه ^{١١} ، و يعقوب بن زبدي ^{١٢} و يوحنا أخوه -
 (١) زيد من معجم المؤلفين ١٢ / ٤٦ ، و موضعه فى ظ : المكر - كذا (٢) من ظ ،
 و فى الأصل : تعرف - كذا (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من
 الإنجيل (٦) فى ظ : الليل (٧) فى ظ : يغون - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل :
 الاسماء (٩) راجع الأصحاح السادس عشر - آية ١٧ (١٠) فى ظ : زيدا - كذا .

قال في إنجيل مرقس : و سماهما باسمي بوارجس^١ الذين^٢ ابنا^٣ الرعد -

/ و فيلبس^٤ و برثولوماوس ، و توما و متى العشار ، و يعقوب بن حلفي ،

و لباس^٥ الذي يدعى تداوس^٦ . و جعل في إنجيل مرقس بدل هذا :

تدي ، و في إنجيل لوقا بدلهما : يهوذا بن يعقوب ، ثم اتفقوا : و سمعان

القساني ، و قال في إنجيل لوقا : المدعو الغيور ، و يهوذا الإسخريوطي^٧

الذي أسلمه - أي دل عليه في الليلة التي ادعى اليهود القبض عليه فيها -

هؤلاء الاثنا عشر^٨ الرسل الذين أرسلهم يسوع - و في إنجيل مرقس :

و دعا الاثني عشر^٩ و جعل يرسلهم اثنين اثنين^{١٠} ، و أعطاهم السلطان

على الأرواح النجسة - قائلا : لا تسلكوا طريق الأمم ، و لا تدخلوا

مدينة السامرة ، و انطلقوا خاصة إلى^{١١} الخراف التي ضلت من بيت^{١٢}

إسرائيل ، و إذا ذهبتم فاكرزوا و قولوا : قد اقتربت ملكوت السماوات ،

اشفوا المرضى ، أقيموا الموتى ، طهروا البرص ، أخرجوا الشياطين ،

مجانا أخذتم مجاناً أعطوا ، لا تكنزوا^{١٣} ذهبا^{١٤} و لا فضة^{١٥} و لا نحاساً في مناطقكم

و لا هيئات^{١٦} في الطريق و لا ثوبين و لا حذاء و لا عصي ، و الفاعل

(١) من إنجيل مرقس ، وفي الأصل : توابرجس ، وفي ظ : نوابرجس - كذا .

(٢) في ظ : الذين هم (٣) من ظ ، وفي الأصل : ابن (٤) في ظ : فيلبس - كذا .

(٥) من إنجيل متى ، وفي الأصل و ظ : لنا - كذا (٦) من ظ و الإنجيل ، وفي

الأصل : بذاوس - كذا (٧-٧) في ظ : هو الاثني عشر - كذا (٨) من ظ

و الإنجيل ، وفي الأصل : الاثنا عشر (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ : في (١١) من

ظ ، وفي الأصل : لا تنكروا - كذا (١٢) في ظ : هيئات .

مستحق طعامه ؛ وفي إنجيل مرقس : وأمرهم أن لا يأخذوا^١ في الطريق غير عصي فقط ولا هيئانا^٢ ولا خبزا^٣ ولا فضة^٤ ولا محاسا في مناطقهم إلا نعالا في أرجلهم ولا يلبسوا^٥ قيصين ؛ وفي إنجيل لوقا : وقال لهم^٦ : لا تحملوا في الطريق^٧ شيئا ، لا عصي ولا هيئانا^٨ ولا خبزا ولا فضة ، ولا يكون لكم^٩ ثوبان^{١٠} ، و أي مدينة أو قرية دخلتموها فخصوا^{١١} فيها عمن يستحقكم ، وكونوا هناك حتى تخرجوا^{١٢} ، فاذا دخلتم إلى البيت فسلوا عليه ، فان كان البيت مستحقا لسلامكم^{١٣} فهو يحل عليه ، وإن كان لا يستحق فسلامكم راجع إليكم ، ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاذا خرجتم من ذلك البيت و تلك القرية أو تلك المدينة انفضوا غبار أرجلكم ؛ ١٠ وفي إنجيل مرقس : وقال لهم : أي بيت دخلتموه أقيموا فيه إلى أن تخرجوا^{١٤} منه ، و أي موضع لم يقبلكم ولم يسمع منكم فاذا خرجتم من هناك فانفضوا الغبار الذي تحت أرجلكم للشهادة عليهم ، الحق أقول^{١٥} لكم ١ إن لأرض^{١٦} سدوم و^{١٧} عامورا^{١٨} راحة في يوم الدين أكثر من تلك

(١) من ظ ، وفي الأصل : لا يؤخذوا (٢) في ظ : هيئانا (٣-٢) ليس ما بين الرقيين في إنجيل مرقس (٤) من ظ . وفي الأصل : لا تلبسوا (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ ، ولم تكن في إنجيل لوقا لخذفناها (٧) في ظ : لهم (٨) من ظ و إنجيل لوقا . وفي الأصل : ثوبا (٩) من ظ ، وفي الأصل : اخصوا (١٠) من ظ و إنجيل متى ، وفي الأصل : يخرجوا . (١١) في ظ : لسلامكم (١٢) من ظ و إنجيل مرقس ، وفي الأصل : يخرجوا . (١٣) سقط من ظ (١٤) من إنجيل متى ، وفي الأصل و ظ : الأرض (١٥) من ظ ، وفي الأصل : عامور ، وفي الإنجيل : عمورة .

المدينة^١، هو ذا أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب، كونوا حكماء كالحية وودعاء^٢ كالحم^٣، أحذروا من الناس، فإنهم يسلبونكم إلى المحافل، وفي مجامعهم^٤ يضربونكم، ويقدمونكم إلى القواد والملوك من أجل شهادة لهم^٥ وللأمم - وفي إنجيل مرقس^٦: شهادة عليهم وعلى كل الأمم، ينبغي أولاً أن يكرزوا بالإنجيل - فاذا أسلبوكم فلا تهتموا بما تقولون^٧ - وفي إنجيل مرقس: ولا ما ذا تجيئون - فانكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به، ولستم أنتم المتكلمين لكن روح أيكم - وفي إنجيل^٨ مرقس: لكن روح القدس يتكلم فيكم - وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والآب ابنه، ويقوم الآباء على آباءهم فيقتلونهم، وتكونون^٩ مبغوضين من الكل من أجل اسمي، والذي يصبر إلى المنتهى يخلص، فاذا طردوكم^{١٠} من هذه المدينة اهربوا إلى أخرى، الحق الحق^{١١} أقول لكم! إنكم لا تكلمون مدائن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان، ليس تلميذ أفضل من معلمه، ولا عبد أفضل من سيده، وحسب التلميذ أن يكون مثل معلمه والعبد مثل سيده، إن كانوا سموا رب البيت باعل زبول فكم بالحرى أهل بيته! فلا تخافوهم، فليس خفي إلا سيظهر ولا مكتوم إلا سيعلم، الذي أقول لكم^{١٥}

(١) زیدت الواو بعده في ظ (٢) جمع وديع: هادئ ساكن، وفي الإنجيل:

بسطاء (٣) من ظ و الإنجيل، وفي الأصل: الخما - كذا (٤) في ظ: محافلهم.

(٥) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: لكم (٦) العبارة من هنا إلى «إنجيل مرقس»

- الآتي، ساقطة من ظ (٧) في الأصل: يقولون، ومبنى التصحيح نص الإنجيل.

(٨) سقط من ظ (٩) في ظ: يكونون (٩) من ظ و الإنجيل، وفي الأصل:

في الظلمة قولوه أتم في النور . و ما سمعتموه بأذانكم فاكرزوا / به على
السطوح ، و ' لا تخافوا من ' يقتل الجسد ولا يستطيع أن يقتل النفس ' ،
خافوا من يقدر أن يهلك النفس و الجسد جميعا في جهنم ، [أليس - ٢]
عصفوران يباعان بفلس ، و واحد منهما لا يسقط على الأرض دون
إرادة أيكم . و أتم فشعور ' رؤسكم كلها محصاة . فلا تخافوا ، فانكم أفضل
من عصافير كثيرة ، لا تظنوا أني جئت لألقي على الأرض سلامة ،
لكن سيفا ' ، أتيت لأفرك الإنسان من أبيه و الابنة ' من أمها ، و العروس
من حماتها ' ، و أعداء الإنسان ' أهل بيته ، من أحب أبا أو ' أما أكثر
متى فما يستحقني ، و من وجد نفسه فليهلكها ، و من أهلك نفسه من
أجلى وحدها . و من قبلكم فقد قبلني ، و من قبلني فهو يقبل الذي
أرسلني ، و من يقبل نيا باسم نبي فأجر نبي ' يأخذ ، و من يأخذ صديقا
باسم صديق فأجر ' صديق يأخذ ، و من سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء
بارد فقط باسم تلميذ ' - الحق أقول لكم ' - إن أجره لا يضيع . و لما
أكمل يسوع أمره لتلاميذه ' الاثني عشر ، انتقل من هناك ليعلم و يكرز

- (١) - سقط من ظ (٢) في ظ : من (٣) زيد من ظ و الإنجيل (٤) من ظ .
و في الأصل : شعور (٥) في ظ : سيف (٦) من ظ ، و في الأصل : الأمة .
(٧) من ظ ، و في الأصل : حمايتها (٨) زيد بعده في ظ : من (٩) من إنجيل
متى ، و في الأصل ' و ' (١٠) من ظ ، و في الأصل : نبي - كذا (١١) من
ظ ، و في الأصل : فاجبر (١٢) من ظ و الإنجيل ، و في الأصل : التلميذ .
(١٣) زيد بعده في ظ : ان اجرة تلميذ الحق أقول لكم (١٤) في ظ : تلاميذه .

في مدتهم^١ ؛ في إنجيل مرقس : فلما خرجوا - يعنى الرسل - كرزوا
 بالتوبة وأخرجوا شياطين كثيرة و مرضى عديسة^٢ يدهنونهم بالزيت
 فيشفون ؛ وفي إنجيل لوقا : و من بعد هذا أيضا ميز الرب سبعين آخرين^٣
 و أرسلهم اثنين اثنين قدام وجهه إلى كل مدينة و موضع أزمع أن
 يأتيه ، و قال لهم : إن الحصاد كثير و الفعلة قليلون^٤ ، أطلبوا [من ^٥]
 رب الحصاد ليخرج فعلة لحصاده ؛ و في إنجيل متى ما ظاهره أن هذا
 الكلام كان^٦ للاثني عشر ، فانه^٧ قال قبل ذكر عددهم : فلما رأى الجمع
 تحزن عليهم لأنهم كانوا ضالين و مطرحين كالخراف التي ليس لها راع ،
 حيثذ قال لتلاميذه الاثني عشر - إلى آخر ما ذكرته عنه أولا ، فيجمع
 بأنه قاله للفرقتين^٨ - رجع إلى السياق الأول : اذهبوا ، هو ذا أرسلكم^٩
 كالخراف بين الذئاب ، لا تحملوا هميانا و لا حذاء و لا مزودا
 و^{١٠} لا تقبلوا أحدا في الطريق ، و أى بيت دخلتموه فقولوا^{١١} أولا :
 سلام لأهل هذا البيت ، فان كان هناك ابن سلامكم^{١٢} فان سلامكم يحل^{١٣}

(١) من ظ و الإنجيل ، و في الأصل : مدينتهم (٢) في الأصل : عدة ، و في ظ :
 عددهم ، و في الإنجيل : كثيرين (٣) من إنجيل لوقا ، و في الأصل و ظ : آخر .
 (٤) من الإنجيل ، و في الأصل و ظ : قليل (٥) زيد من الإنجيل (٦) سقط
 من ظ (٧) في ظ : و انه (٨) في ظ : للفقير من - كذا (٩-١٠) و في إنجيل لوقا :
 لا تسلموا على أحد (١٠) في ظ : فسلموا (١١ - ١٢) سقط ما بين الرقيين
 من ظ .

عليه ، وإلا فسلامكم راجع إليكم ، وكونوا في ذلك [البيت - ١] ، كلوا
واشربوا من عندهم^٢ ، فإن الفاعل مستحق أجرته . ولا تنتقلوا من بيت
إلى بيت ، وأى مدينة دخلتموها و يقبلكم أهلها فكلوا عما يقدم لكم^٣ ،
واشفوا المرضى الذين فيها ، و قولوا لهم : قد قربت ملكوت الله . وأى
مدينة دخلتموها ولا يقبلكم أهلها فاخرجوا^٤ من شوارعها و قولوا
[لهم - ٦] : نحن ننفض لكم الغبار الذى لصق بأرجلنا من مدينتكم ، لكن
اعلموا أن ملكوت الله قد قربت ، أقول لكم : إن سدوم^٥ فى ذلك
اليوم لها راحة أكثر من تلك المدينة^٦ ، الويل لك يا كورزين^٧ ! الويل
لك يا بيت صيدا ! لأنه لو كان فى صور و صيدا القوات التى كنّ فيكما^٨
١٠ جلسوا و تابوا بالمسوح و الرماد ، و أما صور و صيدا فلها راحة فى
الدينونة أكثر منكم ، و أنت يا كفرنا حوم لو أنك ارتفعت إلى السماء
سوف تهبطين^٩ إلى الجحيم . من سمع منكم فقد سمع منى ، و من جحدكم
فقد جحدنى ، [و من جحدنى - ٦] فقد شتم الذى أرسلنى ؛ فرجع
السبعون بفرح قائلين^{١٠} : يا رب ! الشياطين باسمك تخضع لنا^{١١} يا رب^{١٢} ! فقال
١٥ لهم : قد رأيت الشيطان^{١٣} سقط من السماء مثل البرق ، و هو ذا قد أعطيتكم

(١) زيد من الإنجيل (٢) فى ظ : عندكم (٣) سقط من ظ (٤) من الإنجيل ، وفى
الأصل وظ : اخرجوا (٥) فى الإنجيل : إلى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل :
سدومة (٨) فى ظ : كوزن (٩) من الإنجيل ، وفى الأصل : فيكون . وفى
ظ : فيك (١٠) من ظ ، وفى الأصل : تهبطن (١١) فى ظ : قتلون (١٢-١٣) ليس
ما بين الرقيين فى الإنجيل (١٣) من ظ و الإنجيل ، وفى الأصل : الشياطين .

سلطانا / لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ، ولا يضركم شئ ،
ولكن^٢ لا تفرحوا^٣ بهذا أن الأرواح تخضع لكم ، افرحوا لأن أسماءكم
مكتوبة في السموات ، وفي تلك الساعة تهل يسوع بالروح ، والتفت
إلى تلاميذه خاصة وقال : طوبى للأعين التي ترى ما رأيتم ! أقول لكم :
إن أنبياء كثيرين^٤ وملوكا اشتبهوا أن ينظروا ما نظرتهم فلم ينظروا ،
و يسمعوا ما سمعتم فلم يسمعوا ؛ وفي إنجيل متى - بعد ما ادعى اليهود صلبه -
أنه ظهر لتلاميذه الأحد عشر - وهم من تقدم غير يهوذا الإسخريوطي
الذي أسلمه - في الجليل في الجبل الذي أمرهم به يسوع ، وكلهم قائلا :
أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا الآن وتلبذوا كل
الأمم ؛ وفي آخر إنجيل مرقس أنه ظهر لهم وهم مجتمعون ، وكانوا ١٠
في تلك الأيام سيكون وينوحون فبكتهم لقله^٥ إيمانهم وقسوة قلوبهم
وقال لهم : امضوا إلى العالم أجمع^٦ ، واكرزوا بالإنجيل في الخليقة
كلها ، فمن آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدان ، وهذه الآيات
تتبع^٧ المؤمنين ، يخرجون الشياطين [باسمي - ^٨] ويتكلمون بالسنة
جديدة ، ويحملون بأيديهم الحيات ولا تؤذيهم ، ويشربون السم القاتل ١٥
فلا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون ؛ ومن بعد ما كلمهم

(١) من الإنجيل ، وفي الأصل وظ : لتدوسوا (٢ - ٢) من الإنجيل ، وفي الأصل
وظ : تفرحون (٣) من الإنجيل ، وفي الأصل وظ : كثيرا (٤) من ظ . وفي
الأصل : او (٥) من ظ ، وفي الأصل : لغة - كذا (٦) في ظ : اجتمعوا .
(٧) من الإنجيل ، وفي الأصل : يتبعون ، وفي ظ : يتبع (٨) زيد من الإنجيل .

يسوع ارتفع^١ إلى السماء ، فخرج أوثك يكرزون في كل مكان ؛ وفي إنجيل لوقا : فلما خرجوا كانوا يطوفون في القرى و يبشرون و يشفون في كل موضع - وفي آخره بعد أن ذكر تلامذته الأحد عشر^٢ و كلاماً كانوا يخوضون فيه بعد ادعاء اليهود لصلبه : وفيما هم يتكلمون ه وقف يسوع في وسطهم و قال لهم : السلام لكم^٣ ، أنا هو ! لا تخافوا ، فاضطربوا و ظنوا أنهم ينظرون رجلاً فقال : ما بالكم تضطربون ؟ و لم تَأْتِ الأفكار في قلوبكم ؟ انظروا يدي ورجلي فاني أنا هو ! جسوني و انظروا ، إن الروح ليس له لحم و لا عظم كما ترون أنه لي ؛ و لما قال هذا أراهم^٤ يديه ورجليه ، و إذا هم غير مصدقين من الفرح ، قال لهم : ١٠ أعندكم ههنا ما يؤكل ؟ فأعطوه^٥ جزءاً من حوت مشوى و من شهد عسل ، فأخذ قدامهم و أكل ، و أخذ الباقي و أعطاهم ، و قال لهم : هذا الكلام الذي كلمتكم به إذا^٦ كنت معكم ، و أنه سوف يكمل كل شيء هو^٧ مكتوب في ناموس موسى و الأنبياء و المزامير لأجلي ، و حينئذ فتح أذهانهم ليفهموا ، و قال لهم : اجلسوا أتم في المدينة يروشلیم حتى ١٥ تنذرعوا^٨ لقوة من العلي ، ثم أخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ، فرفع يديه و باركهم ، و كان فيما هو يباركهم انفرد عنهم^٩ و صعد إلى السماء أمامهم ، فرجعوا إلى يروشلیم بفرح عظيم ، و كانوا في كل حين يسبحون

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : الاحدى عشر (٣) في ظ : عليكم (٤) من ظ ، وفي الأصل : ارايتم (٥) في ظ : فأعطوهم (٦) في ظ : ادا . (٧) في ظ : تدعوا - كذا (٨) في ظ : عليهم .

و يساركون الله - انتهى ما نقلته من الإنجيل . و ما^١ كان فيه من لفظ
يوهم نقصا [ما -^٢] فقد تقدم في أول^٣ آل عمران أنه لا يجوز في
شرعنا إطلاقه على الله تعالى و إن كان صح إطلاقه في شرعهم ، فهو مؤول
و قد نسخ ؛ و قال الإمام محي السنة البغوى في تفسير آل عمران فيما نقله
عن وهب : فلما كان بعد سبعة أيام - أى من ادعاء اليهود لصلبه - قال الله ه
تعالى لعيسى عليه السلام : اهبط على مريم المجدلانية في جبلها ، فانه لم ييك
عليك أحد بكاءها ، و لم يحزن [عليك -^٤] أحد حزنها ، ثم لتجمع لك
الحواريين فنبهم^٥ في الأرض دعاة إلى الله تعالى ، فأهبطه^٦ الله تعالى عليها
فاشتعل^٧ الجبل حين هبط نورا ، / فجمعت له الحواريين فنبهم^٨ في الأرض
دعاة ، ثم رفعه الله إليه ، و تلك الليلة هى التى تدخن^٩ فيها النصارى ، فلما ١٠
أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى عليه السلام
إليهم ، فذلك قوله تعالى ” و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين ”^{١١}
هذا ما ذكر^{١٢} من شأن رسل عيسى عليه السلام - أنهم كانوا دعاة ، و أما
رسل^{١٣} النبي صلى الله عليه وسلم فانهم^{١٤} كانوا مبلغين - لكتبه صلى الله عليه وسلم ،

(١) فى ظ : مما (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من معالم التنزيل -
راجع الخازن ٢٩٩/١ (٥) فى ظ : فهم (٦) من المعالم ، وفى الأصل و ظ : فاهبط .
(٧) من ظ و المعالم ، وفى الأصل : فاسعد - كذا (٨) فى ظ : لبثهم (٩) من
المعالم ، وفى الأصل : يدخل ، وفى ظ : يدخر - كذا (١٠) راجع آية ٤ه من
آل عمران ، و زيد : - الوار بعده فى ظ (١١) فى ظ : ذكره (١٢) زيد بعده
فى الأصل : عيسى عليه السلام ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (١٣) فى ظ : فانما .

فمن قبل ذلك كان حظه من الله ، ومن أنى كان جوابه السيف
 الماحق له^١ - كما ذكرته مستوفى في شرحى لنظمى للسيرة^٢ وهو مذكور
 في فتوح البلاد ؛ ولما بعث صلى الله عليه وسلم رسله اتخذه لأجل مكانة
 الملوك الخاتم ، أخرج أبو يعلى في مسنده عن أنس رضى الله عنه أن
 ٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر - وفي رواية :
 وأكيدر دومة و^٣ إلى كل جبار - يدعوم إلى الله ؛ وأخرج الشيخان
 في صحيحهما - وهذا لفظ مسلم - عن أنس بن مالك أيضا رضى الله عنه قال :
 [لما -^٣] أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم - وفي رواية : إلى
 العجم - قالوا : إنهم لا يقرؤن كتابا إلا محتوما ، فاتخذ رسول الله صلى
 ١٠ الله عليه وسلم خاتما من فضة كأنى أنظر إلى ياضه في يد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، نقشه محمد رسول الله . فبعث دحية بن خليفة الكلبي رضى
 الله عنه إلى قيصر ملك الروم وأمره أن يوصل الكتاب إلى عظيم
 بصرى ليوصله إليه ، فعظم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وقبله وقراه
 ورضعه على وسادة وعلم صدقه صلى الله عليه وسلم [و-^٤] أنه
 ١٥ سيغاب على ملكه ، فجمع الروم وأمرهم بالإسلام فأبوا ، فخافهم فقال :
 إنما أردت أن أجربكم ، ثم لم يقدر الله له الإسلام ، فأزال الله حكمه
 عن الشام وكثير من الروم على يدى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ،
 [ثم -^٤] عن كثير من الروم أيضا على يد من بعدهم ، ومكن بها
 (١) في ظ : السيرة (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و صحيح مسلم - كتاب
 الباقين (٤) زيد من ظ (٥) في ظلة الخاتم .

الإسلام، لكن أثابه^١ الله على تعظيم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بأن أبقى ملكه في أطراف بلاده إلى الآن، وبلغنى أن الكتاب محفوظ عندهم إلى هذا الزمان؛ وبعث شجاع بن وهب الأسدى رضى الله عنه إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى - وقال القضاعى: المنذر بن أبى شمر عامل قيصر على تخوم الشام - [ثم - ٢] إلى جيلة بن الأيهم^٢ الغسانى، فأما ه الحارث أو المنذر فغضب من الكتاب وهم^٣ بالمسير إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقاتله، زعم فنهاه^٤ عن ذلك قيصر، فأكرم شجاعا ورده وأسلم^٥ حاجبه مرى الرومى^٦ بما عرف من صفة النبي صلى الله عليه وسلم^٧ فى الإنجيل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم^٨: باد ملك الحارث، وفاز مرى، فقل ما لبث الحارث حتى مات، وولى بعده [فى مكانه - ٢] جيلة بن الأيهم^٩ ١٠ الغسانى، وهو آخر ملوك غسان على نواحي الشام، فرد^{١٠} إليه النبي صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضى الله عنه، فرد^{١١} على النبي صلى الله عليه وسلم ردا جميلا ولم يسلم، واستمر يترصد حتى أسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه لما رأى من ظهور نور الإسلام وخمود نار الشرك، ثم إنه

(١) من ظ، وفى الأصل: آثاره - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من سيرة ابن هشام ٧٨/٣، وفى الأصل: الا انهم، وفى ظ: الا فهم - كذا (٤) فى ظ: هو. (٥) من ظ، وفى الأصل: فنها (٦) من ظ، وفى الأصل: فاسلمه (٧) ذكر قصته فى السيرة الحلبية مبسوطا من غير تعرض لاسمه - راجع ٣٥٣/٣ منها، ولكن ذكره فى السيرة التى بهامش الحلبية قال: وكان هذا الحاجب روميا اسمه مرى - راجع ٨٥/٣ منها، وذكر اسمه أيضا فى الخصائص الكبرى ١٢٠/٢. (٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) فى ظ: فيرد (١٠) فى ظ: فرد.

ارتد - ولحق يبلاد الروم - في لطفة أريد أن يقتص منه فيها ، فسبحان
 الفاعل لما يشاء ! وبعث عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه إلى كسرى
 ملك الفرس ، وأمره أن يدفع الكتاب / إلى عظيم البحرين ليوصله إليه ،
 فلما رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ باسمه الشريف مزق الكتاب قبل
 أن يعلم ما فيه ، فرجع عبد الله ، فلما سكن غضب الخبيث التمسسه فلم يجد
 فأرسل في طلبه فسبق الطلب ، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن
 تمزيق الكتاب ، دعا على كسرى أن يمزق كل ممزق ، فأجاب الله دعوته فشتت
 شملهم وقطع وصلهم على يد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم قتل يزيد جرد
 آخر ملوكهم في خلافة عثمان رضي الله عنه ، فأصبح ملك الأكاسرة
 ١٠ كأمس الدابر ، وعم بلادهم الإسلام ، وظهرت بها كلمة الإيمان ، بل
 تجاوز الإسلام ملكهم إلى ما وراء النهر وإلى بلاد الخطأ . وبعث حاطب
 ابن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى المقوقس صاحب مصر والإسكندرية ،
 فلم من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ما علمه قيصر من الإنجيل ،
 فأكرم الرسول وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم وردا جميلا ولم يسلم ،
 ١٥ فأباد الله ملكه على يد عمرو بن العاص أمير لعمر رضي الله عنهما . وبعث
 عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى النجاشي فأمن رضي الله عنه وقال :
 أشهد أنه النبي صلى الله عليه وسلم الأمل الذي ينتظره أهل الكتاب ،
 وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل عليهم السلام ،
 (١) وفي الروض الأنف ٢ / ٢٥٧ : وهو الذي أسلم ثم تنصر من أجل لطفة
 حاكم فيها إلى أبي عبيدة بن الجراح (٢) من ظ ، وفي الأصل : بارأ - كذا .
 (٣) في ظ : الدائر (٤) سقط من ظ (٥) من ظ والسيرة ، وفي الأصل : أبي ثعلبة .
 (٦) في ظ : الدائر (٧) من ظ والسيرة ، وفي الأصل : أبي ثعلبة .
 وأن (١٥) ٦٠

و أن العيان ليس بأشقى من الحر^١، وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدايا^٢ كثيرة، وأرسل ابنه بإسلامه في سبعين من الحبشة، وقال في كتابه: وإني لا أملك إلا نفسي ومن آمن بك من قومي، وإن أحببت أن آتيك يا رسول الله فعلت؛ فضلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على النجاشي واستغفر له؛ وبعث العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى المنذر بن ساءى العبدى ملك البحرين وإلى أسيت^٣ مرزبان هجر بكتاب يدعوهما^٤ فيه إلى الإسلام أو الجزية. وأرض البحرين من بلاد العرب، لكن كان الفرس قد غلبوا عليها، وبها خلق كثير من عبد القيس وبكر ابن وائل وتميم فأسلم المنذر وأسيحت^٥ وجميع من هناك من العرب وبعض العجم، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على عمله؛ وبعث سليط^٦ ابن عمرو العامري رضي الله عنه إلى هودثة بن علي الخنفي صاحب اليمامة، وكان عاملاً لقيصر على قومه، فقرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ووزد رداً دون رد من فصادف أن قدم عليه راهب من دمشق، فأخبره أنه لم يجب إلى الإسلام، فقال: لم؟ قال: ضنفت بملكي^٧. قال الراهب: لو تبعته لأقرك والخير لك في اتباعه، فانه النبي صلى الله عليه وسلم. بشر به^٨

(١) كذا وقع في الصباح المضيء، وزيد بعده فيه عنه، وكذا ذكره في السيرة الحلبية ٣/٣٤٥، وفي السيرة بهامش الحلبية: وانه ليس الخبر كالعيان. وجمع السيرة الحلبية ٣/٧٣، وهو الصواب (٢) في ظ: بهدايا (٣) من الصباح المضيء، وفي الأصل: سيخت. وفي ظ: سمحت. وكذا، ونُسب هو هناك إلى ابن عبد الله. (٤) في ظ: يدعوها (٥) من ظ، وفي الأصل: تمسكي.

عيسى عليه السلام ، قال هوذة للراهب : فمالك^١ لا تتبعه ؟ فقال : أجدني^٢
أحسده ، وأحب الخمر ، فكتب هوذة كتابا [وبعث - ٢] إلى النبي
صلى الله عليه وسلم بهدية مكانه ذلك . وشعر به قومه [فأتوه - ٢]
فهددوه^٣ ، فرد الرسول واستمر^٤ على نصرانيته ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لما رجع إليه سابط : باد هوذة ، باد ما في يده ، فلما انصرف
النبي صلى الله عليه وسلم من فتح [مكة - ٢] جاءه^٥ جبرئيل عليه السلام
بأن هوذة مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إن اليامة سيخرج
بها كذاب^٦ يتنبا ، يقتل بعدى . فكان^٧ كذلك كما هو مشهور من أمر
مسيلة الكذاب ؛ وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي رضى الله عنه
١٨٠ / ١٠ إلى الحارث بن عبد / كلال الحميري ملك اليمن ، فلما بلغه رسالة النبي
صلى الله عليه وسلم قال الحارث : قد كان هذا النبي عرض نفسه على نخطت^٨
عنه ، وكان ذخرا لمن صار إليه ، وسأناظر ، وتباطأ به الحال إلى أن
أسلم عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك سنة الوفود ، وكاتب
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ؛ وبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى
١٥ جيفر^٩ وعبد^{١٠} ابني الجلندى^{١١} الأزديين ملكي عمان ، فوثقهما واضطرب^{١٢}

(١) في ظ : بالك (٢) في ظ : اخذ (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : وهددوه .
(٥) من ظ ، وفي الأصل : استمرت (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل :
وكان (٨) من ظ و الروض الأتق ٢ / ٣٠٨ ، وفي الأصل : نخطيته - كذا .
(٩) من السيرة ٣ / ٧٧ ، وفي الأصل و ظ : حنيقة - كذا (١٠) في نسخة من
السيرة : عياذ (١١) في ظ : الحامدي - كذا (١٢) في ظ : اضرب .

رأيهما، ثم عزم الله لهما على الرشد فقال جيفر: إنه والله قد دلني على هذا النبي صلى الله عليه وسلم الأملئ أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، و [لا - ١] ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يطرأ، و يغلب فلا يفجر^٢. و أنه يوفى بالعهد و ينجز الوعد، و لا يزال يطع على سر قوم يساوى فيه أهله، و إني أشهد أنه رسول الله، و أسلم أخوه أيضا، هـ و كتبنا^٣ إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالسلامهما، فقال خيرا و أثنى خيرا، و كان في سير هؤلاء الرسل لعمري غير ما ذكر أحاديث عجائب و أقاصيص غرائب من دلائل النبوة و أعلام الرسالة، خشيت من ذكرها الإطالة و أن تمل و إن لم يكن فيها ما يقتضى^٤ ملاله. و قد شفيت في شرحي لنظمي للسيرة باستيفائها القليل في ترتيب جميل و نظم أسلوبه لعمري ١٠ جليل؛ هؤلاء رسل البشر، و أما الرسل من الجن فقد روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى " و اذ صرفنا إليك نفرا من الجن^٥ يستمعون القرآن^٦ " قال: كانوا^٧ تسعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا إلى قومهم. قال الهيثمي: و في سنده النضر أبو عمر و هو متروك، و يؤيد عموم هذه الآية في ١٥ تناولها الملائكة عليهم السلام قوله تعالى " ليكون للعللين نذيرا^٨ " و إذا

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : فلا ينظر (٣) في ظ : فلا يضجر، و في الخصائص الكبرى ١٤ / ٢ : فلا يهجر (٤) في ظ : كتب (هـ) من ظ، و في الأصل : يقصن (٦-٦) سقط ما بين الرقعين من ظ، و راجع سورة ٤٦ آية ٢٩ . (٧) في ظ : كنا - كذا (٨) سورة ٢٥ آية ١ .

تأملت سياق الآيات التي بعدها مع آخر السورة التي قبلها قطعت بذلك
 " لينذر من كان حيا " ، " انما تنذر من اتبع الذكر " اذ هم من جملة
 العالمين ومن بلغه القرآن ومن هوحي ومن اتبع الذكر ،
 والخطاب بالإنذار وارد مورد التغليب ، إذ الإنس والجن أهل له ،
 فاتننى ما يقال : إن الملائكة في غاية الخوف من الله تعالى مع عصمتهم
 فليسوا^٢ ممن يخوف ، ويزيد ذلك وضوحا قوله تعالى " ومن يقل منهم
 ائى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين " ولا إنذار
 أعظم من ذلك ، وإن عيسى عليه السلام من هذه الأمة ومن شملته
 ١٠ الآيات الدالة على عموم الرسالة بغير شك ، وأن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال : « والذى نفسى بيده ! لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى »
 أخرجه الإمام أحمد و الدارمي و البيهقي فى الشعب عن جابر رضى الله
 عنه ، ومذهب أهل السنة أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة ،
 وقد ثبتت رسالته إلى الأفضل المعصوم بالفعل لعيسى ، وبالتعلق بالحياة
 ١٥ لموسى عليه السلام . وقد أخذ الله سبحانه ميثاق النبين كلهم عليهم السلام
 إن أدركوه ليؤمنن به . وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم -
 وهو أشرف الخلق وأكملهم - بالإنذار فى غير آية ، فهما أول به ذلك
 فى حقه صلى الله عليه وسلم / قبل مثله فى حقهم عليهم السلام ،

/ ١٨١

(١) زيد بعده فى ظ : هو (٦) زيد بعده فى ظ : اذ هم من جملة العالمين (٢) فى ظ :

فليس (٤) سورة ٢١ آية ٢٩ (٥) من ظ ، وفى الأصل : ثبت .

وما يرفع^١ النزاع و يدفع^٢ تعلل المتعلل بالإندار قوله تعالى "لتنذر به
وذكرى للمؤمنين"^٣ فحذف مفعول 'تنذر' دال على عموم رسالته، و تعليق
الذكرى بالمؤمنين مدخل لهم بلا ريب لأنهم من رؤسهم - عليهم السلام،
وقوله تعالى "لتبشر به المتقين"^٤ - إلى غيرها من الآيات، فيكون عموم
رسالته لهم زيادة شرف له، وهو واضح^٥، و زيادة شرف لهم بحمل^٥
أنفسهم على طاعته و التقيد بما حده لهم من أعمال ملته طاعة لله^٦ تعالى
زيادة في أجورهم و رفعة درجاتهم، وذلك مثل ما قال أبو حيان^٧ في
قوله تعالى^٨ "نخذ ما اتيتك وكن من الشكرين"^٩ : إن في^{١٠} الأمر له
بذلك مزيد تأكيد و حصول أجر بالامثال؛ و قال القاضي عياض^{١١}
في الفصل السابع من الباب الأول من القسم الأول من الشفا في قوله ١٠
تعالى^{١٢} "وإذا أخذ الله ميثاق النبي لما أتيتكم من كتب^{١٣} و حكمة^{١٤}" - الآية؛
قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا و نعت^{١٥}
و أخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به، و بعض ذلك ما قال في أول الباب
الأول: و حكى أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لجبرئيل عليه السلام:
(١) في ظ يقع :- كذا (٢) في ظ: يمنع (٣) سورة ٧ آية ٢ (٤) من ظ،
و في الأصل: الذكر (٥) سورة ١٩ آية ٩٧ (٦) زيد بعده في ظ: لهم (٧) في
ظ: الله (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) سورة ٧ آية ١٤٤ (١٠) سقط
من ظ (١١) هو ابن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي
المالكي، محدث حافظ مؤرخ ناقد مفسر فقيه أصولي، و اسم كتابه هذا: الشفا
بتعريف حقوق المصطفى - راجع معجم المؤلفين و كشف الظنون (١٢) سورة ٣
آية ٨١ (١٣) في ظ: بعثه - كذا.

هل أصابك من هذه الرحمة المذكورة في قوله تعالى " وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين " شيء ؟ قال : نعم ! كنت أخشى العاقبة فأمنت
 لثناء الله عز وجل على بقوله " ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع
 ثم أمين " وروى مسلم في كتاب الصلاة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن
 ٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت
 جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى
 الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون .
 وحمل من حمل الخلق على الناس - للرواية التى فيها « إلى الناس » تحكم ،
 بل العكس أولى لمطابقة الآيات ، وقد خرج من هذا العموم من لا يعقل
 ١٠ بالدليل العقلى ، فبقى غيرهم داخلا فى اللفظ ، لا يحل لأحد أن يخرج
 منه أحدا منهم إلا بنص صريح ودلالة قاطعة ترفع النزاع ، وقال عياض
 فى الباب الثالث من القسم الأول : وذكر البزار عن على بن أبى طالب
 رضى الله عنه : لما أراد الله تعالى أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ١٥ الأذان - فذكر المعراج وسماع الأذان من وراء الحجاب ثم قال :
 ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه ، فأم بأهل السماء فيهم
 آدم ونوح - انتهى . وروى عبد الرزاق عن سلمان الفارسى رضى الله عنه
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان الرجل بأرض فى
 (١) سورة ٢١ آية ١٠٧ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٨١ آية ٢٠ و ٢١ (٤-٤) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٥) فظ : لى - كذا ، وفى اللسان : أبدلوا الواو به
 طلبا للخفة ، وكسروا القاف لمجاورتها إنياء - راجع (قوا) .

فحات الصلاة فليوضاً ، فان لم يجد الماء فليتميم ، فان أقام صلى معه ملكاه ، وإن أذن وأقام صلى خلفه من جنود الله مالا يرى طرفاه . قال المنذرى : القى - بكسر القاف و تشديد الياء ، وهى الأرض الفقر . و روى مالك و الستة إلا الترمذى و أبو يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا قال الإمام " غير المغضوب ه عليهم و لا الضالين ، فقولوا " آمين - و فى رواية : إذا أمن الإمام فأمنوا - فانه من وافق [تأمينه - ٢] تأمين الملائكة - و فى رواية : من وافق قوله قول الملائكة - غفر له ما تقدم من ذنبه . و فى رواية ٤ فى الصحيح : إذا قال أحدكم فى الصلاة : / آمين ، و قالت الملائكة فى السماء :

١٨٢ /

آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم له من ذنبه . و فى ١٠ رواية ٥ لآبى يعلى : إذا قال الإمام " غير المغضوب عليهم و لا الضالين " قال الذين خلفه : آمين ، التفت ٦ من أهل السماء و أهل الأرض [آمين - ٧] ، غفر للعبد ما تقدم من ذنبه . و للشيخين عن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا ٨ لك الحمد ، فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ١٥ ما تقدم من ذنبه ؛ و فى رواية : فإذا وافق قول أهل السماء قول أهل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ارض (٣) زيد من الخمسة .

(٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (ه) فى ظ : الذى (٦) من مجمع الزوائد

١١٣/٢ حيث سبق هذا الحديث ، و فى الأصل وظ : التفت - كذا (٧) زيد من

المجمع (٨) زيدت الواو بعده فى ظ و نسخة من صحيح البخارى .

الأرض غفر له ما تقدم من ذنبه ؛ في أشكال ذلك بما يؤذن بآتيهم
 الملائكة بأئمتنا ، وذلك ظاهر في التقيد^١ بشرعنا ؛ وروى أحمد
 وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم -
 وجزم ابن معين والذهلي بصحته - عن أبي بن كعب رضى الله عنه أن
 ٥ النبي صلى الله عليه وسلم قال : وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة .
 وأدل من جميع ما مضى ما روى مالك والشيخان وأبو داود وابن خزيمة
 عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من
 اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب
 بدنه ، ومن راح في الساعة^٢ الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في
 ١٠ الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة^٣ الرابعة
 فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ،
 فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون^٤ الذكر ؛ وفي رواية :
 فإذا قعد الإمام طويت الصحف ، [وفي رواية لأحمد عن أبي سعيد :
 فإذا أذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر طويت الصحف -^٥] ودخلوا
 ١٥ المسجد يستمعون الذكر . فان تركهم لكتابة الناس وإقبالهم على الاستماع
 دليل واضح على الإهتمام ، بما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة أيضا
 رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا قلت لصاحبك

(١) في ظ : التقيد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ : يستمعون .

(٤) زيد ما بين الحازنين من ظ ، و « على المنبر » كان ساقطة من ظ فأثبتناه

من مستند الإمام أحمد ٨١/٣ .

يوم الجمعة : أنصت ، و الإمام يخطب^١ فقد لغوت^٢ ؛ قال الحلبي في الرابع من شعب الإيمان في الجواب عما أورد على قوله "لئن اجتمعت الانس و الجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله^٣" من أن التخصيص بالانس و الجن لا يمنع قدرة الملائكة على المعارضة ما نصه : و أما الملائكة فلم يتحدوا على^٤ ذلك لأن الرسالة إذا لم تكن إليهم^٥ لم يكن القرآن حجة عليهم ، فسواء كانوا قادرين على مثله أو عاجزين ، و هم عندنا عاجزون ؛ و قال في الخامس عشر في أن من أنواع تعظيمه الصلاة عليه فأمر الله عباده أن يصلوا عليه و يسلبوا ، و قدم قبل ذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه ، فأمر الله عباده^٦ لنبيهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل إذا كانت الملائكة مع انفكاكهم عن شريعته تتقرب^٧ ١٠ إلى الله تعالى بالصلاة و التسليم عليه^٨ ، ليعلموا أنهم بالصلاة و التسليم عليه أول و أحق - هذا نصه في الموضعين ، و لم يذكر لذلك دليلا ، و نسب الجلال المحلى في شرحه لجمع الجوامع مثل ذلك إلى البيهقي في الشعب فانه قال : و صرح الحلبي و البيهقي في الباب الرابع من شعب الإيمان بأنه عليه الصلاة و السلام لم يرسل إلى الملائكة ، و في الباب الخامس عشر ١٥ بانفكاكهم من شرعه ، قال : و في^٩ تفسير الإمام الرازي و البرهان النسفي^{١٠}

(١) زيد في ظ : يوم الجمعة (٢) زيد بعده في ظ : لكن (٣) سورة ١٧ آية ٨٨ .
(٤) في الأصل و ظ : عن (٥) من ظ ، و في الأصل : تعظيم (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) في الأصل و ظ : يتقرب (٨) سقط من ظ (٩) من ظ . و في الأصل : المسمى ، و هو برهان الدين محمد بن محمد النسفي الحنفي ملخص تفسير الرازي - راجع معجم المؤلفين ٢٩٥/١١ .

حكاية الإجماع^١ في تفسير الآية^٢ الثانية - أي "ليكون للعلمين نذيرا" أنه
 لم يكن رسولا إليهم - انتهى . وهو شهادة نفي كما ترى ، لا ينهض بما
 / ذكرته من النصوص على أن الحلبي لم يقل بذلك إلا لقوله بأن الملائكة
 أفضل من الأنبياء - كما نقله عنه الإمام غفر الدين في كتاب الأربعين
 هـ والشيخ سعد الدين التفازاني في شرح المقاصد وغيرهما ، ولم يوافق على
 ذلك أحد من أهل السنة إلا القاضي أبو بكر الباقلاني ، فكما لم يوافق على
 الأصل لا يوافق على الفرع ، وأما البيهقي فأنما نقله عن الحلبي و سكوته
 عليه لا يوجب القطع برضاه^٣ ، قال الزركشي في شرح جمع الجوامع :
 وهي مسألة وقع النزاع فيها بين فقهاء مصر مع فاضل درس عندهم
 ١٠ وقال لهم : الملائكة ما دخلت^٤ في دعوته ، فقاموا عليه ، وقد ذكر
 الإمام غفر الدين في تفسير سورة الفرقان* الدخول محتجا بقوله تعالى
 "ليكون^٥ للعلمين نذيرا" : والملائكة داخلون في هذا العموم - انتهى .
 وهذا يقدر فيما نقل عنه من نقل الإجماع ، وعلى تقدير صحته فقيه أمور ،
 أما أولا فالإجماع لا يرجع إلا^٦ إلى أهل الاطلاع على المنقولات من
 ١٥ حفاظ الآثار وأقارب السلف فيه^٧ ، وأما ثانيا فانه نقل^٨ "يحتمل التصحيح
 والتضعيف ، لأنه بطرقه احتمال أن يكون نقل^٩ عن لا يعتد به ، أو يكون
 (١) في ظ : بالإجماع (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لرضاه (٤) في ظ : دخلت .
 (٥) من ظ ، وفي الأصل : القرآن (٦) من ظ ، وفي الأصل : اليه (٧-٧) سقط
 ما بين الرقعين من ظ .

أخذه عن أحد مذاكره^١ و أحسن الظن به ، أو حصل له^٢ سهو ، ونحو ذلك ، فلا وثوق إلا بعد معرفة المنقول عنه و سند النقل و الاعتضاد بما يوجب الثقة ليقارم هذه الظواهر^٣ الكثيرة ،^٤ و أما ثالثا^٥ فانه سيأتى عن الإمام تقي الدين السبكي أن بعض المفسرين قال بالإرسال إلى الملائكة ، وقال الإمام ولي الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ زين الدين العراقي ه في شرحه لجمع الجوامع : و أما كونه مبعوثا إلى الخلق أجمعين فالمراد المكلف منهم ، و هذا يتناول الإنس و الجن و الملائكة . فأما الأولان^٦ ، فبالإجماع ، و أما الملائكة فمحل خلاف فأين الإجماع ! هذا على تقدير صحة هذا النقل و أنى لمدعى ذلك به ! فاني راجعت تفسير الإمام للآية المذكورة فلم أجد فيه نقل الإجماع ، و إنما قال : ثم قالوا : هذه الآية تدل على أحكام : ١٠ الأول أن العالم كل ما سوى الله ، فيتناول جميع المكلفين من الجن و الإنس و الملائكة ، لكننا نبثنا أنه عليه السلام لم يكن رسولا إلى الملائكة ، فوجب أن ينفي كونه رسولا إلى الجن^٧ و الإنس^٨ جميعا ، و بطل قول من قال : إنه كان رسولا إلى البعض دون البعض ، الثاني أن لفظ ” العلين ” يتناول جميع المخلوقات ، فتدل الآية على أنه رسول إلى المكلفين إلى ١٥ يوم القيامة ، فوجب أن يكون خاتم الأنبياء و الرسل - هذا لفظه في أكثر النسخ ، و في بعضها : لكننا^٩ أجمعنا - بدل : نبثنا - وهي غير ضريحة في إجماع الأمة كما ترى ، و لم يعين الموضع الذي أحال عليه في النسخ

(١) في ظ : مذاكرة (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٤) من ظ ، وفي الأصل : الإيمان (ه) من ظ ، وفي الأصل : لكن .

الآخري - فليطلب من مظانه و يتأمل^١، وأما النسق فمختصر له - والله
الموفق؛ ثم رأيت في خطبة كتاب^٢ الإصابة في أسماء الصحابة لشيخنا
حافظ عصره أبي الفضل ابن حجر في تعريف الصحابي: وقد نقل
الإمام نجر الدين في أسرار التنزيل الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم
لم يكن مرسلًا إلى الملائكة، ونوزع^٣ في هذا النقل، بل رجح الشيخ
تقي الدين السبكي أنه كان مرسلًا إليهم و احتج بأشياء يطول شرحها -
انتهى . و العجب من الرازي في نقل هذا الذي لا يوجد لغيره مع أنه
قال في أسرار التنزيل في أواخر الفصل الثاني من الباب الثالث في
الاستدلال بخلق الآدمي على وجود الخالق: الوجه الرابع - أي في
١٨٤ / ١٠ تكريم بني آدم - أنه جعل أباهم / رسولًا إلى الملائكة حيث قال "انتهى
باسمائهم" و قد تقرر أن كل كرامة كانت لنبي من الأنبياء فلنينا صلى الله
عليه وسلم [مثلها أو أعظم - °] منها، [وقال في تفسيره الكبير في
"و علم آدم الاسماء" : ولا يبعد أيضا أن يكون مبعوثًا إلى من يوجه
التحذير إليهم من الملائكة، لأن جميعهم و إن كانوا رسلًا فقد يجوز الإرسال
١٥ إلى الرسول لبعثة إبراهيم إلى لوط عليهما السلام - انتهى . و أنت خير
بأمر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء - °]، و الحاصل أن رسالته
صلى الله عليه وسلم إليهم - صلوات الله عليهم - رتبة فاضلة و درجة عالية
(١) من ظ ، وفي الأصل: تعامل - كذا (٢) في ظ : كتابه (٣) من خطبة
كتاب الإصابة ٤/١، وفي الأصل: من راع ، وفي ظ : يوزع - كذا .
(٤) سورة ٢ آية ٣١ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

كاملة جائزة له^١، لائقة بمنصبه، مطابقة لما ورد من القواطع لعموم^٢ رسالته وشمول دعوته، وقد دلت على حيازته لها ظواهر الكتاب والسنة مع أنه لا يلزم من إثباتها^٣ له إشكال في الدين ولا محذور في الاعتقاد، فليس لنا التجرئ^٤ على نفيها إلا بقاطع كما قال إمامنا الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة في آية الأنعام "قل لا أجد فيها أوحى إلى محرما" - هـ الآية، قال: فاحتملت معنيين^٥: أحدهما أن^٦ لا يحرم على طاعم يطعمه^٧ أبدا إلا ما استثنى الله عز وجل، وهذا المعنى الذي إذا ووجه^٨ رجل مخاطبا به كان الذي يسبق إليه أنه لا يحرم [عليه - ^٩] غير^{١٠} ما سمي الله عز وجل محرما، وما كان هكذا فهو الذي يقال له أظهر المعاني وأعمها وأغلبها [والذي - ^{١١}] - لو احتملت الآية معاني سواء - كان^{١٢} هو المعنى الذي يلزم أهل العلم القول به إلا أن تأتي سنة للنبي صلى الله عليه وسلم - بآبي هو وأمي - تدل على معنى غيره مما^{١٣} تحتمله الآية، فنقول^{١٤}: هذا معنى ما أراد الله عز وجل، ولا يقال بخاص في كتاب الله ولا سنة إلا بدلالة فيهما أو في واحد [منهما - ^{١٥}]، ولا يقال

-
- (١) سقط من ظ (٢) في ظ : بعموم (٣) في ظ : اتيانها (٤) في ظ : التجرئ .
 (٥) في ظ : تعيين (٦) في ظ : انه (٧) سقط من الرسالة ٢٩ (٨) في ظ : وجه ،
 وفي الرسالة : واجبه ، وما في الأصل أقرب صوابا (٩) زيد من الرسالة .
 (١٠ - ١١) في ظ : المعنى - كذا (١٢) من الرسالة ، وفي الأصل و ظ : يقول .
 (١٣) من ظ والرسالة ، وفي الأصل : فما (١٤) من الرسالة ، وفي الأصل : مقول ،
 وفي ظ : فيقول - كذا .

بخاص حتى تكون الآية 'تحتمل أن تكون' أريد بها ذلك الخاص،
 فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لا تحتمل^٢ الآية - انتهى .
 وشرحه الإمام أبو محمد ابن حزم في المحلى فقال: ولا يحل لأحد أن
 يقول في آية أو [في -^٢] خبر: هذا منسوخ^٣ أو مخصوص في بعض
 ما يقتضيه ظاهر لفظه، ولا أن لهذا النص تأويلاً غير مقتضى ظاهر لفظه،
 ولا أن هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده^٤ إلا بنص آخر
 وارد بأن هذا النص كما ذكر، أو باجماع متيقن بأنه كما ذكر، أو بضرورة
 حس^٥ موجبة أنه كما ذكر^٦، برهانه: "وما أرسلنا من رسول^٧
 الا ليطاع باذن الله"^٨، "وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
 لهم"^٩، وقال "فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم"^{١٠} فتنة"،
 ومن ادعى أن المراد بالنص بعض ما يقتضيه [في اللغة العربية، لا كل
 ما يقتضيه -^{١٢}] فقد أسقط بيان النص،^{١٣} وأسقط^{١٤} وجوب الطاعة له
 بدعواه الكاذبة، وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاعتصار عليه

(١-١) من الرسالة، وفي الأصل: يحتمل أن يكون، وفي ظ: تحتمل أو يكون -
 كذا (٢) من الرسالة، وفي الأصل وظ: يحتمل (٣) زيد من المحلى ٤٩/١ .
 (٤) من المحلى، وفي الأصل وظ: منصوص (٥) في المحلى: وهذا (٦) من المحلى،
 وفي الأصل وظ: وردوه - كذا (٧) في ظ: خبر (٨) زيد في المحلى: وإلا فهو
 كاذب (٩) العبارة من هنا إلى «من رسول» ساقطة من ظ (١٠) سورة ٤
 آية ٦٤ (١١) سورة ١٤ آية ٤ (١٢) من ظ والمحلى والقرآن الكريم سورة ٢٤
 آية ٦٣، وفي الأصل: يصيبهم (١٣) زيد من ظ والمحلى ٥٠/١ (١٤-١٤) سقط
 ما بين الرقيين من ظ .

من سائر ما يقتضيه - انتهى . و قال أهل الأصول : إن الظاهر [ما -^١]
 دل على المعنى دلالة ظنية أى راجحة ، و التأويل حمل الظاهر على المحتمل
 المرجوح ،^٢ فإن حمل عليه لدليل فصيح^٣ - أو لِمَا نَظَن دليلا و ليس في
 الواقع بدليل - ففاسد^٤ ، أو لا شئ فلعب لا تأويل ، [قال الإمام
 الغزالي في كتاب المحبة من الإحياء في الكلام على أن رؤية الله تعالى في هـ
 الآخرة هل هي بالعين أو بالقلب : و الحق ما ظهر لأهل السنة و الجماعة
 من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ، ليكون لفظ الرؤية و النظر
 و سائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرّى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة
 الظواهر إلا لضرورة - انتهى -^٥] ، و قال الإمام تقي الدين السبكي في جواب
 السؤال عن الرسالة إلى الجن الذي تقدم في أول الكلام على هذه الآية ١٠
 أنى رأيت بخطه^٦ : الآية العاشرة : ” ليكون للعلمين نذيرا^٧ “ قال المفسرون
 كلهم في تفسيرها : للجن و الإنس ، و قال بعضهم : و الملائكة .^٨ الثانية
 عشرة^٩ ” و ما أرسلتك الا كافة للناس^{١٠} “ ، قال المفسرون : معناها^{١١} :
 إلا إرسالاً عاما شاملا لجميع الناس ، أى ليس بخاص ببعض الناس ،
 فقصود الآية نفي^{١٢} الخصوص و إثبات العموم ، و لا مفهوم لها فيما وراء ١٥
 الناس ، بل قوتها في العموم يقتضى عدم^{١٣} الخصوصية فيهم و حيثئذ يشمل

(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : قال أحمل الدليل بصحيح (٣) في ظ : ففاسد .
 (٤) من ظ ، و في الأصل : بخط (٥) سورة ٢٥ آية ١ (٦-٦) في ظ : الثانية .
 (٧) سورة ٢٤ آية ٢٨ (٨) من ظ ، و في الأصل : معناه (٩-٩) تكرر ما بين
 الرقين في الأصل ، و ثبتت صفحة ١٨٥ من الأصل في العبارة المتكررة بعد
 « إثبات العموم » .

الجن، ولو كان مقصود الآية حصر^١ رسالته في الناس لقال: وما أرسلناك إلا إلى الناس، فان كلمة 'إلا' تدخل على ما يقصد الحصر فيه، فلما أدخلها على "كافة" دل على أنه المقصود بالحصر، و يبقى قوله "لناس" لا مفهوم له، أما أولا فلا^٢ نه مفهوم قلب^٣، وأما ثانيا فلا^٤ نه لا يقصد بالكلام، وأما ثالثا فلا^٥ نه قد قيل: إن "الناس" يشمل الإنس والجن، أى على القول بأنه مشتق من النوم، وهو التحرك، وهو على هذا شامل للجانكة أيضا، ومن صرح من أهل اللغة بأن "الناس" يكون^٦ من الإنس ومن الجن* الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي في كتابه ديوان الأدب^٧، قال السبكي: السابعة عشرة^٨ "إن ١٠ هو الا ذكر للعالمين^٩" الثامنة عشرة^{١٠} "إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب^{١١}" ونحوهما كقوله^{١٢} "لتنذر من كان حيا^{١٣}" وكذا قوله "هدى للتقين^{١٤}"، وأما السنة فأحاديث: الأول حديث مسلم^{١٥} عن أبي هريرة رضى الله عنه: "أرسلت إلى الخلق كافة"، إلى الخلق، عام يشمل الجن بلا شك، ولا يرد على هذا أنه ورد في روايات هذا الحديث من طرق أخرى في صحيح البخارى وغيره الناس، موضع الخلق، لأننا نقول: ذلك من رواية جابر، وهذا من رواية أبي هريرة؛ فلعلهما حديثان، وفي رواية الخلق زيادة معنى على الناس، فيجب

(١) في ظ: حضور (٢) في الأصل وظ: لقب - كذا (٣) سقط من ظ .
 (٤) في ظ: يكونون (٥) زيد بعده في ظ: قال (٦) في ظ: عشر (٧) سورة
 ٣٨ آية ٨٧ (٨) سورة ٣٦ آية ١١ (٩) في ظ: لقوله (١٠) سورة ٣٦ آية ٧٠ .
 (١١) من ظ، وفي الأصل: سلمة .

الآخذ به^١ إذ لا تعارض^٢ بينهما، ثم جوز أن يكون من روى «الناس» روى
بالمعنى فلم يوف به، قال : و هذا الحديث يؤيد قول من قال : إنه مرسل إلى
الملائكة ولا يستنكر هذا ، فقد يكون ليلة الإسراء يسمع^٣ من الله كلاما فبلغه
لهم في السماء أو لبعضهم ، وبذلك يصح أنه مرسل إليهم ، ولا يلزم من
كونه مرسلا إليهم من حيث الجملة أن يلزمهم جميعُ الفروع التي تضمنتها هـ
شريعته ، فقد يكون مرسلا إليهم في بعض الأحكام أو في بعض الأشياء
التي ليست بأحكام ، أو يكون يحصل لهم بسماع القرآن زيادةً إيمان ،
ولهذا جاء فيمن قرأ سورة الكهف : فنزلت عليه مثل الظلة ، ثم قال في
أثناء كلام : بخلاف^٤ الملائكة ، لا يلزم أن هذه التكاليف كلها ثابتة
في حقهم إذا قيل بعموم الرسالة لهم ، بل يحتمل ذلك ويحتمل في شيء ١٠
خاص كما أشرنا إليه فيما قبل - انتهى . قلت : ولا ينكر اختصاص الأحكام
بعض المرسل إليهم دون بعض في شرع واحد في الأحرار والعبيد
والنساء والرجال والخطّابين والرعا بالنسبة إلى بعض أعمال الحج وغير
ذلك مما يكثر تعداده - والله الموفق ؛ ومن تجرأ^٥ على نفي الرسالة إليهم
من أهل زماننا بغير نص صريح يضطره إليه ، كان ضعيف العقل^٦ ١٥
مضطرب الإيمان مزلزل اليقين سقيم^٧ الدين ، ولو كان حاكيا لما قيل
(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : لا يعارضه - كذا (٣) في ظ :
سمع (٤) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها (٥) من ظ ،
وفي الأصل : يجره (٦) في ظ : القلب (٧) من ظ ، وفي الأصل : سيعصم .

على وجه الرضى به، 'فاكل' ما بُعِلِمَ يقال، وكفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع، ولعمري! إن الأمر لعلى ما قال صاحب البردة وتلقته^١ الأمة بالقبول، وطرب عليه في المحافل والجموع:

دع ما ادعته النصرى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
٥ ولما أثبت شهادة الله تعالى له^٢ بالتصديق بأنه محق، وكان ذلك

ربما، أوهم أن غير الله تعالى لا يعرف ذلك، لا سيما وقد ادعى كفار قريش أنهم سألوا أهل الكتابين فادعوا^٣ أنهم لا يعرفونه، أتبعه بقوله
/ ١٨٦ على طريق الاستئناف: ﴿الذين اتينهم﴾ أى بما لنا من العظمة / من

اليهود والنصرى ﴿الكذب﴾ أى الجامع لخبرى الدنيا والآخرة،
١٠ وهو التوراة والإنجيل ﴿يعرفونه﴾ أى الحق الذى كذبتم به لما جاءكم

وحصل النزاع بينى وبينكم فيه لما عندهم في كتابهم من وصفى الذى لا يشكون فيه، ولما هم بمثله آتسون بما أثبت به من المعجزات، ولما في

هذا القرآن من التصديق لكتابهم والكشف لما أخفوا من أخبارهم، ولاساليه^٤ اتى لا يرتابون في أنها خارجة من مشكاة كتابهم مع زيادتها

١٥ بالإعجاز^٥، فهم يعرفون هذا الحق ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾^٦ أى من بين الصياني بمجلاهم ونعوتهم معرفة لا يشكون^٧ فيها، وقد وضعتهم موضع

(١-١) فى ظ: فكل (٢) فى ظ: تلقيه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: بما (٥) فى ظ: وادعوا (٦) فى الأصل: لاسالته، وفى ظ: لاساليه - كذا (٧) فى ظ: لاعجاز (٨) من ظ، وفى الأصل: لاسكون.

الوثوق ، وأنزلتموهم منزلة الحكم بسؤالكم لهم عن غير مرة ، وقد آمن
بى جماعة منهم وشهدوا لى ، فالسك لا تابعونهم ! لقد بان الهوى وانكشف
عن ضلالكم الغطاء .

ولما كان أكثرهم يخفون ذلك ولا يشهدون به ، قال جوابا لمن
يسأل عنهم : ﴿ الذين خسروا ﴾ أى منهم ، ولكنه حذفها للتعميم ٥
﴿ انفسهم فهم ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لما سبق لهم من
القضاء بالشقاء الذى خسروا به انفسهم بالعدول عما دعت إليه الفطرة
السليمة والفكرة المستقيمة ، ومن خسر نفسه فهو لا يؤمن فكيف يشهد !
فقد بينت^٢ هذه الجملة أن من لا يشهد منهم فهو فى الحقيقة ميت أو بوات ،
لأن من ماتت نفسه كذلك ، بل هم أشق منه ، فلقد أدام^٣ ذلك^٦ ١٠
الشقاء إلى أن حرفوا كتابهم وأخفوا كثيرا عما يشهد لى بالنبوة ، فكانوا
أظلم الخلق بالكذب فى كتاب الله للكذب لرسول الله .

ولما كان التقدير : خسروا فقاتهم الإيمان ، لأنهم ظللوا بكمائن
الشهادة ، فكان الظلم سبب خسرانهم ، فمن أظلم منهم^١ عطف عليه
ما يؤذن^٤ بأنهم بدلوا كتابهم ، أو نسبوا إليه ما ليس فيه ، فقال واضعا^{١٥}
للظاهر موضع ضميرهم لذلك : ﴿ ومن أظلم من افترى ﴾ أى تعد

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذين (٣) فى ظ : ثبت (٤) من ظ ، وفى
الأصل : أسر - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : هاهم (٦) زيد بعده فى الأصل :
الى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) فى ظ : من (٨-٨) سقط ما بين الرقین
من ظ .

﴿ على الله كذبا ﴾ كهؤلاء الذين حرفوا كتابهم ونسبوا إلى الله ما لم يقوله ،
 زيادة كتبوها بأيديهم لا أصل لها^١ ، إضلالاتهم^٢ لعباده ﴿ أو كذب بآياته ﴾
 أى الآتى بها الرسل كالقرآن وغيره من المعجزات كالمشركين ، لا أحد
 أظلم منهم فهم لا يفلحون ﴿ انه لا يفلح الظالمون ه ﴾ أى^٣ فكيف بالآظلمين !
 ه ولما كان معنى هذا أنهم أكذب الناس ، دل عليه بكذبهم يوم
 الحشر بعد انكشاف الغطاء فقال : ﴿ ويوم ﴾ أى اذكر كذبهم على
 الله^٤ و تكذيبهم فى هذه الدار ، و اذكر أعجب من ذلك ، و هو كذبهم
 فى عالم الشهادة عند كشف الغطاء و ارتفاع الحجب يوم ﴿ نحشرهم ﴾
 أى نجمعهم بما لنا من العظمة و هم كارهون صاغرون ﴿ جميعا ﴾ [أى -^٥]
 ١٠ أهل الكتاب و المشركين و غيرهم و معبوداتهم ، و أشار إلى عظمة ذلك
 اليوم و طوله و مشقته و هوله بقوله بأداة التراخي : ﴿ ثم نقول ﴾ أى
 بما لنا من العظمة التى انكشفت لهم أستارها و تبدت لهم^٦ بحورها و أغوارها^٧
 تويخا و تنديما ﴿ للذين اشركوا ﴾ أى سموا شيئا من دوننا^٨ إلها و عبوده^٩
 بالفعل من الأصنام أو عزيز أو المسيح أو الظلمة أو النور أو غير ذلك ،
 ١٥ [أو -^٤] بالرضى بالشرك ، فان الرضى بالشئ فعل له لا سيما إن انضم
 إليه تكذيب الحق و الشهادة للبطل بأن دينه خير^{١٠} ﴿ اين شركاؤكم ﴾
 أضافهم إلى ضميرهم لتسميتهم^{١١} لهم بذلك ﴿ الذين كنتم تزعمون ه ﴾ أى

(١) فى ظ : لهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : انه (٤) زيد من
 ظ (هـ-ه) فى ظ : بحورها و اعوارها (٦) فى ظ : دونها (٧) من ظ ، وفى الأصل :
 عبودها (٨) فى ظ : خيرا (٩) فى ظ : لتسميتهم .

أنهم شركاؤنا بالعبادة أو الشهادة بما يؤدي إليها، ادعوا اليوم لينقصوكم^١
 بما نريد من ضرركم، / أو يرفعوكم بما نريد من وضعكم، وسؤالهم هذا يجوز ١٨٧/
 أن يكون مع غيبة الشركاء عنهم وأن يكون عند^٢ إحصائهم لهم، فيكون
 الاستفهام عما كانوا يظنون من نفعهم، فكأن غيبته^٣ غيبتهم .

ولما كان إخبارهم بغير الواقع في ذلك اليوم مستبعدا بعد رفع الحجاب ه
 عن الأحوال وإظهار الزلازل والأوجال^٤، أشار إليه بأداة البعد فقال :
 ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ أى عاقبة مخالطتنا لهم بهذا السؤال وأمثاله من
 البلايا التى من شأنها أن يميل^٥ ما خالطته فتيله - [و-^٦] لو أنه جبل -
 عن حاله بما ناله من^٧ قوارعه وزلزاله إلا كذبهم في ذلك الجية ، وهو
 معنى قوله : ﴿ الآن قالوا ﴾ ثباتا منهم فيما هم عريقون فيه من وصف ١٠
 الكذب : ﴿ والله ﴾ فذكروا الاسم الأعظم الذى تدك لعظمته الجبال
 الشم، وتنطق بأمره الأحجار الصم، الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى
 التى ظهر لهم كثير منها فى ذلك اليوم، و أكدوا ذلك بذكر الوصف
 المذكر بتريتهم ودوام الإحسان إليهم فقالوا : ﴿ ربنا ﴾ فلم يقنعوا^٨
 بمجرد الكذب حتى أقسموا ، ولا بمجرد القسم حتى ذكروا الاسم الجامع ١٥
 والوصف المحسن ﴿ ما كنا مشركين ه ﴾ أى إن تكذيبهم لك أوصلهم إلى
 حد يكذبون^٩ فيه فى ذلك اليوم بعد كشف الغطاء تطمعا بما لا ينفعهم ،

(١) فى ظ : لينفعوكم (٢) فى ظ : عنده (٣) فى ظ : عليه (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 الآجال (٥) فى ظ : تمين (٦) زيدت الواوكى تستقيم العبارة (٧) فى ظ : عن .
 (٨) من ظ ، وفى الأصل : همعوا - كذا (٩) فى ظ : يكونون .

كما ترى الحائر المدهوش في الدنيا يفعل مثل ذلك فهو إيثاس^١ من فلاح
الجميع : المشركين و أهل الكتاب ، أو يكون المعنى تنديما لهم و تأسيفا :
أنه لم يكن عاقبة كفرهم الذي اقتنوا به في لزومه و الافتخار به
و القتال عليه - لكونه دين الآباء - إلا جحوده و البراءة منه و الحلف
ه على الانتفاء من التدين به ، و المعنى على قراءتى النصب و الرفع في
'فتنة' على جعلها خبرا أو اسما واحداً ، فعنى قراءة النصب : لم يكن
شيء إلا قولهم - أى غير قولهم الكذب - فتنتهم ، أى لم يكن شيء
فتنتهم إلا هذا القول ، فهذا القول وحده فتنتهم ، ففى عن فتنتهم و سلب
عنها كل شيء غير قولهم هذا ، فالفتنة مقصورة على قولهم الكذب ،
١٠ 'و الكذب' قد يكون ثابتا لغيرها ، أى إنهم يكذبون من غير فتنة ،
بل فى حال الرخاء^٢ ، و هذا بعينه معنى قراءة ابن كثير و ابن عامر و حفص
برفع 'فتنة' ، أى لم تكن فتنتهم شيئا غير كذبهم ، فقد بقيت فتنتهم
عن كل شيء غير الكذب ، فانحصرت فيه ، و يجوز أن يكون ثابتا
فى حال^٣ غيرها - على ما^٤ مر ، و هذا التقدير نفيس عزيز الوجود
١٥ دقيق المسلك - بآنى إن شاء الله تعالى عند "و ما كان صلاتهم عند البيت"^٥
فى الأفعال ما ينفع هنا فراجع .

و لما كان هذا من أعجب العجب ، أشار إليه بقوله : ﴿ انظر ﴾
و بالاستفهام فى قوله : ﴿ كيف كذبوا ﴾ و بالإشارة إلى أنهم فعلوه

(١) من ظ ، و فى الأصل : بائس - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٢) فى ظ : الرجاء (٤) فى ظ : بقيت (٥) سقط من ظ (٦) راجع آية ٣٥ .

مع علمهم بما انكشف لهم من الغطاء أنه لا يجديهم بقوله : ﴿ على أنفسهم ﴾
و هو نحو قوله " فيحلفون له كما يحلفون لكم " - الآية .

و لما كان قولهم هذا مرشدا إلى أن شركاءهم غابوا عنهم ، فلم ينفعهم^٢
بنافعة ، و كان الإعلام بفوات ما أنتم مقبل عليه فرح به ، سارا^٣
لخصمه^٤ جالبا لئمه ، صرح به في قوله : ﴿ و ضل ﴾ أى غاب ﴿ عنهم ﴾ هـ
إما حقيقة أو مجازا ، أو هما بالنظر إلى وقتين ، ليكون إنكار ﴿ ما كانوا
يفترون هـ ﴾ أى يتعمدون الكذب في ادعاء شركته^٥ عنادا لما على ضده
من الدلائل الواضحة .

و لما علم أن هذه الآيات قد ترابطت / حتى كانت آية واحدة ،
و ختم بأن مضمون قوله " فقد كذبوا بالحق لما جاءهم " - الآية ، قد صار ١٠
وصفا لهم ثابتا حتى ظهر في يوم الجمع ، قسم الموسمين^٦ بما كانت
[تلك - ٧] الآية سيالها ، و هو الإعراض عن الآيات المذكور في قوله
" الا كانوا معرضين " ، فكان كأنه قيل : فتنهم من أعرض بسكنته ،
فعطف عليه قوله : ﴿ و منهم من يستمع اليك ع ﴾ أى بصغى بجهده
كما في السيرة عن أبي جهل بن هشام و أبي سفيان بن حرب و الأخنس ١٥
ابن شريق أن كلا منهم جلس عند بيت النبي صلى الله عليه وسلم في الليل
يستمع القرآن . لا يعلم أحد منهم بمجلس صاحبه ، فلما طلع الفجر

(١) سورة ٨ آية ١٨ (٢) في الأصل : فلم ينفعهم و هم ، و في ظ : فلم ينفعهم -
كذا (٣) في الأصل : سارا ، و في ظ : سار - كذا (٤) من ظ ، و في الأصل :
لهمة - كذا (٥) من ظ ، و في الأصل : شر - كذا (٦-٧) في ظ : قم المؤمنين .
(٧) زيد من ظ .

انصرفوا فضمهم الطريق فتلاوموا وقالوا: لو رآكم ضعفاؤكم لسرعوا إليه ، و تعاهدوا على أن لا يعودوا ، ثم عادوا تمام ثلاث ليال . ثم سأل الأخنس أبا سفيان عما سمع فقال : سمعت أشياء عرفتُها وعرفت المراد منها ، وأشياء لم أعرفها ولم أعرف المراد منها ، فقال : وأنا كذلك ، ثم سأل أبا جهل فأجاب بما يعرف منه أنه علم صدقه وترك تصديقه حسدا ٥ وعنادا ، وذلك هو المراد من قوله : ﴿ وجعلنا ﴾ أى والحال أنا قد جعلنا ﴿ على قلوبهم اكنت ﴾ أى أغطية ، جمع كنان أى غطاء ﴿ ان ﴾ أى كراهة إذ ﴿ يفقهوه ﴾ أى القرآن ﴿ وفي اذانهم وقرا ﴾ أى ثقلا يمنع من سماعه حق السمع ، لأنه يمنع من وعيه الذى هو غاية السماع ، ١٠ فهم لا يؤمنون بما يسمع منك لذلك .

ولما ذكر ما يتعلق بالسمع ، ذكر ما يظهر للعين ، معبرا بما يعم السمع وغيره من أسباب العلم فقال : ﴿ وان يروا ﴾ أى بالبصر أو البصيرة ﴿ كل اية ﴾ أى من آياتنا سواء ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ لما عندهم من العناد والنخوة فى تقليد الآباء والأجداد ﴿ حتى ﴾ كانت غابتهم فى هذا الطبع على قلوبهم أنهم مع عدم فقههم ﴿ اذا جاءوك يحادلونك ﴾ أى بالفعل أو بالقوه ، والغاية داخلية ، وكأنه قيل تعجبا : ماذا يقولون فى جدالهم ؟ فقال مظهرها للوصف الذى أدام إلى ذلك : ﴿ يقول الذين كفروا ﴾ أى غطوا لما هو ظاهر لعقولهم وهو معنى الطبع ﴿ ان ﴾ أى ما (١) من ظ ، وفى الأصل : سمع (٢) من ظ ، وفى الأصل : كذلك (٣) فى ظ : فكأنه .

(هذا) أى الذى وصل إلينا (الآ اساطير) جمع سطور و أسطر جمع سطر وهى أيضا جمع إسطار وإسطير بكسرهما و أسطور ، وبالهاء فى الكل (الاولين) وقد قال ذلك النضر بن الحارث ، فصدق قوله إخبار هذه الآية (وهم) حال من فاعل " يستمع " أى يستمعون إليك و الحال أنهم (ينهون عنه) أى عن الاستماع أو عن اتباع القرآن هـ (ويتؤن) أى يبعدون (عنه) أى كما وقع لابى جهل و صاحبه فى المعاهدة على ترك^١ المعاودة للسمع و ما يتبعه (وان) أى و ما (يهلكون) أى بعبادتهم و مكابدتهم (الآ انفسهم) أى و ما هم^٢ بضاريك و لا بضارى^٣ أحد من أتباعك فيما يقدح فى المفهود من إرسالك من إظهار الدين و محو الشرك و إذلال^٤ المفسدين (و ما يشعرون) ١٠ أى و ما لهم نوع شعور بما يؤديهم إليه الحال ، بل هم كالبهائم ، بل هى أصلح حالا منهم .

و لما جعل عدم إيمانهم^٥ فى هذه^٦ بشيء من الآيات موصلا لهم إلى غاية من الجهل عظيمة موثقة من ادعائهم فى هذه الدار ، وهى مجادلتهم له صلى الله عليه وسلم ، و ختم الآية بما رأيت من عظيم التهديد استشرفت ١٥ النفس / إلى معرفة حالهم عند ردهم إلى الله تعالى و الكشف لهم [عما - °] ١٨٩ / هددوا^٦ به ، فأعلم^٧ نبيهم صلى الله عليه وسلم أن حالهم إذ ذاك الإيمان ،

(١) فى ظ : تلك (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : بضائريك و لا بضائرى (م) من ظ ، و فى الأصل : الادلال - كذا (هـ-هـ) سقط ما بين الرقمين من ظ (هـ) زيد من ظ . (٦) فى ظ : عاهدوا (٧) فى ظ : و اعلم .

حيث يسر غاية السرور تصديقهم له ، و تمنىهم متابعتهم^١ لما يركبهم^٢ من
الذل و يحيط بهم من الصغار ، و لا يزيدهم ذلك إلا ضررا و عى
و ندما و حسرة ، فكانه قيل : فلو رأيت حالهم عند كشف الغطاء -
و هو المطلع - لرأيتم يؤمنون : ﴿ و لو ترى آاذ ﴾ أى حين ﴿ و قفوا ﴾
هـ فى الحشر ، [و - ٢] بنى للجهول لأن المشكى^٣ الإيقاف ، لا كونه من
معين ﴿ على النار ﴾ أى عندها ليدخلوها^٤ مشرفين^٥ على كل ما فيها من
أنواع النكال ، ذلك أعظم فى النكاية . أو على الجسر و هو [على - ٢]
الصراط و هى تحتهم ، أو عرفوا حقيقتها و مقدار عذابها من قولك :
أوقفته على كذا - إذا عرفته أياه ﴿ فقالوا ﴾ تمنا للحال^٦ ﴿ يلىتنا رد ﴾
١٠ أى إلى الدنيا .

ولما كان التقدير بشهادة قراءة من نصب الفعلين - جوابا للتمنى -
أو^٧ أحدهما : فنتطع ، عطف على الجملة قوله : ﴿ و لا ﴾ أى و الحال
أنا لا ، أو و نحن لا ﴿ نكذب ﴾ إن^٨ رددنا ﴿ بآيت ربنا ﴾ أى المحسن
إلىنا^٩ ﴿ و نكون من المؤمنين هـ ﴾ أى الراشدين فى الإيمان ، و التقدير
١٥ عند ابن عامر فى نصب الثالث : لىتنا رد ، و لىتنا لا نكذب فنسعد^{١٠}
و أن نكون^{١١} ، و على قراءة حمزة و الكسائى و حفص بنصب الفعلين :
(١) فى ظ : فبايعته (٢) فى ظ : فزانتهم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : المبكى .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : ليدخلها (٦) فى ظ : مردين (٧) فى ظ : للحال .
(٨) من ظ ، و فى الأصل « و » (٩) فى ظ : اى (١٠) سقط من ظ (١١) فى
ظ : فنشهد (١٢) فى ظ : يكون .

ليتنا زد فتسعد، وأن لا نكذب و أن نكون^١، والمعنى: لو رأيت إيقافهم^٢
ووقوفهم في ذلك الذل و الانكسار و الحزى و العار و سؤالهم و جوارهم
لرأيت أمرا هائلا عظيما^٣ منظرا^٤ كريبها شنيعا، ولكنه حذف تفخيما
له لتذهب^٥ النفس فيه كل مذهب^٦، و جاز حذفه للعلم به في الجملة .
و لما أخبروا^٧ - في قراءة الرفع^٨ - عن أنفسهم بما تمنوا لأجله الرد، ه
و تضمنت قراءة النصب الوعد، فانه كما لو قال قائل: ليت الله يرزقني
مالا فأكافئك على صنيعك، فانه ينجر^٩ إلى: إن رزقني الله مالا كافأتك،
فصار لذلك مما يقبل التكذيب، أضرب عنه سبحانه تكذيبا لهم بقوله:
﴿ بل ﴾ أى ليس الامر كما قالوا، لأن هذا التمنى ليس عن حقيقة
ثابتة في أنفسهم من محبة مضمونه و ثمرته، بل ﴿ بدا ﴾ أى ظهر ﴿ لهم ﴾ ١٠
من العذاب الذى لا طاقة لهم به ﴿ ما كانوا يخفون ﴾ أى [من - ^{١١}]
أحوال الآخرة و مرانهم^{١٢} على باطل^{١٣} و لما كان إخفاؤهم ذلك في بعض
الزمان قال: ﴿ من قبل ^{١٤} ﴾ أى يدعون أنه خفى، بل لا حقيقة له،
^{١٥} و يسترون^{١٦} ما تبديه الرسل من دلائله [عنادا منهم مع أنه أوضح
من شمس النهار - ^{١٧}] بما يلبسون من الهية فلذلك تمنوا. ما ذكروا^{١٨} ١٥
﴿ و لو ردوا ﴾ أى إلى الدنيا ﴿ لعادوا لما نهوا عنه ﴾ أى من الكفر

(١) في الأصل و ظ : نكون - كذا (٢) في ظ : اتقاهم (٣) في ظ : منكرا (٤) في
ظ : انتهذب (٥) في ظ : مهذب (٦ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) في
الأصل : تتحد، و في ظ : يتحلل - كذا (٨) زيد من ظ (٩) من ظ، و في
الأصل : زانهم - كذا .

والفضائح التي كانوا عليها وستر ما اتضح لعقولهم من الدلائل
 ﴿وانهم لكذبيون ه﴾ أى فيما أخبروا به عن أنفسهم من مضمون
 تنبيههم أنهم يفعلونه لوردوا، وأكد طبعهم على الكفر بقوله عطفًا على
 قوله "لعادوا": ﴿وقالوا﴾ أى بعد الرد ما كانوا يقولونه قبل الموت
 ه فى إنكار البعث ﴿ان هى﴾ أى ما هذه الحياة التي نحن ملابسوها
 ﴿الا حياتنا الدنيا﴾ أى التي كنا عليها قبل ذلك ﴿وما نحن﴾
 وأغرقوا في النسي فقالوا: ﴿مبعوثين ه﴾ أى بعد أن نموت، وما رؤيتنا
 لما رأينا قبل هذا من البعث إلا سحر لا حقيقة له، ولم ينفعهم مشاهدة
 البعث بل ضررتهم^٢، هذا / محتمل وظاهر، ولكن الأنسب لسياق الآيات
 ١٠ قبل وبعد أن يكون هذا حكاية لقولهم له صلى الله عليه وسلم فى هذه
 الدار عطفًا على قوله "وقالوا لولا أنزل عليه ملك" على الوجه الأول،
 وقوله: ﴿ولو ترى﴾ متصل بذلك، أى قالوا هذا القول لما أخبرتهم
 بالبعث، فسألك ذلك من قولهم والحال أنك لو رأيت اعترافهم به إذا
 سأهم خالفهم لسرك ذلك من ذلهم وما يؤل إليه أمرهم، وعبر بالمضارع
 ١٥ تصويراً لحالهم ذلك، وقوله: ﴿اذ وقفوا على رهم ط﴾ مجازاً عن
 الحبس^٣ فى مقام من مقامات الجلال بما اقتضاه إضافة الرب إليهم،
 أى الذى طال إحسانه إليهم^٤ وحله عنهم، فأظهر لهم ما أظهر فى ذلك

(١) من ظ، وفى الأصل: على (٢) زيد بعده فى ظ: الموت (٣) من ظ، وفى
 الأصل: ضرهم (٤) من ظ، وفى الأصل: تصورا (هـ) سقط ما بين الرقین
 من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل: مجاز (٧) فى ظ: الجنس (٨) من ظ، وفى
 الأصل: عليهم .

المقام من^١ تبكيتهم و تويينهم و تقريرهم ، و أطلعهم بما^٢ يقتضيه أداة الاستعلاء - على ما له سبحانه من صفات العظمة من الكبرياء والانتقام من^٣ الترية إذ^٤ لم يشكروا إحسانه في تربيتهم ، و سباق الآية يقتضى أن يكون الجواب : لرأيتهم قد منعهم الهية و عدم الناصر و شدة الوجل من الكلام ، فكان سائلا قال : المقام يرشد إلى ذلك حتى كأنه مشاهد ، ه فهل يكلمهم الله لما يشعر^٥ به التعبير بوصف الربوبية ؛ قيل : نعم ، لكن كلام إنكار و إخزاء و إذلال (قال اليس هذا) أى الذى أتاكم به رسولى من أمر البعث و غيره مما ترونه الآن من دلائل كبريائى (بالحق^٦) أى الأمر الثابت الكامل فى الحقيقة^٧ الذى لا خيال فيه ولا سحر (قالوا) أى حين إيقافهم عليه ، فكان ما أراد : (بلى) ، ١٠ و زادوا على ما أمروا به فى الدنيا القسم فقالوا^٨ : (و ربنا) أى الذى أحسن إلينا بأنواع الإحسان ، و كأن كلامهم هذا منزل على حالات تنكشف لهم فيها أمور بعد أخرى ، كل أمر أهول مما قبله ، و يوم القيامة - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - ذو^٩ ألوان^٩ : تارة لا يكلمهم^{١٠} الله ، و تارة يكلمهم^{١١} فيكذبون ، و تارة يسألهم عن شئ فينكرون ، فتشهد ١٥

(١) فى ظ : عن (٢) فى ظ : بما (٣) فى ظ : فى (٤) فى ظ : اذا (ه) من ظ ، وفى الأصل : يسعر (٦) فى ظ : الحقيقة (٧) فى ظ : الاول - كذا (٨) من ظ ، وفى الأصل : دل - كذا (٩) فى ظ : الران - كذا (١٠) فى ظ : فلا يكلمهم . (١١) زيد فى ظ : الله .

جوارحهم، وتارة يصدقون كهذا^١ الموقف ويحلفون على الصدق .

ولما أقروا^٢ قهرا بعد كشف الغطاء وفوات الإيمان بالغيب^٣ بما كانوا به يكذبون، تسبب عنه إهانتهم، فلذا قال مستأنفا: ﴿ قال ﴾ أى الله مسيا عن اعترافهم حيث لا ينفع، وتركهم فى الدنيا حيث كان ينفع ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى الذى كنتم به توعدون ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ أى بسبب دوامكم على ستر ما دلتكم عليه عقولكم من صدق رسولكم، ولا شك أن الكلام -^٤ وإن^٥ كان على هذه الصورة - فيه نوع إحسان، لأنه أهون من التعذيب مع الإعراض فى مقام " اخسؤا فيها ولا تكلمون "^٦ ولذلك^٧ [كان ذلك -^٨] آخر المقامات .

ولما أنتج هذا ما تقدم الإخبار به عن خسرانهم لأنفسهم فى القيامة ١٠ توقع السامع ذكره، فقال تحقيقا لذلك، وزاده الحمل فانه من ذوق العذاب: ﴿ قد خسر ﴾ وأظهر موضع الإضمحار تعميا وتنبها على ما أوجب لهم ذلك فقال: ﴿ الذين كذبوا بلىقاء الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله، ولا أمر لأحد معه، [قد -^٩] خسروا كل شيء . يمكن ١٥ إحرازه من الثواب العظيم واستمر تكذيبهم ﴿ حتى اذا جاءتهم الساعة ﴾ أى الحقيقية، وكذا الموت الذى هو مبدأها فان [من -^{١٠}] مات جاءت ساعته، وحذرهم منها بقوله: ﴿ بغته ﴾ أى باغتة، أو ذات / بغته، أو بغتهم^{١١} باتيانها على حين غفلة، لا يمكن أن يشعروا بعين الوقت الذى

/ ١٩١

(١) فى ظ: لهذا (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) سورة ٢٣ آية ٨-١٠ (٤) فى ظ: لذا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: العباد (٧) من ظ، وفى الأصل: بغيتهم .

تجىء فيه نوعا من الشعور ﴿ قالوا يحسرتنا ﴾ أى تعالى احضرنا^١ أيها
الحسرة اللاتقه بنا فى هذا المقام ! فانه لا نديم لنا سواك ، وهو كناية
عن عظمة^٢ الحسرة و تنيه عليه ، لينتهى الإنسان عن أسبابها
﴿ على ما فرطنا ﴾ أى قصرنا ﴿ فيها ﴾ أى بسبب الساعة ، فقاتنا
ما يسعد فيها من تهذيب الاخلاق المهيئة^٣ للسباق^٤ بترك اتباع الرسل^٥ ، ه
وذلك أن الله خلق المكلف و بعث^٦ له النفس الناطقة القدسية منزلا لها
إلى العالم السفلى ، و أفاض عليه نعمة ظاهرة و هى^٧ الحواس الظاهرة
المدركة و الأعضاء و الآلات الجثمانية ، و نعمة باطنة و هى العقل و الفكر
و غيرهما ، ليتوسل باستعمال هذه^٨ القوى و الآلات إلى تحصيل المعارف
الحقيقية^٩ و الاخلاق الفاضلة التى تعظم منافعها بعد الموت ، و بعث الأنبياء^{١٠}
عليهم السلام للهداية و أظهر عليهم المعجزات ليصدقوا ، فأعرضوا
عما دعوا إليه من تزكية النفس ، و أقبلوا على استعمال الآلات و القوى فى
اللذات^{١١} و الشهوات الفانية فقاتت الآلات البدنية التى هى رأس المال^{١٢} ،
و ما ظنوه من اللذات^{١٣} التى عدوها أرباحا فات فققدوا الزاد^{١٤} ، ولم يهتسوا
بالنفوس للاهتمام ، فلا رأس مال و لا ربح ، فصاروا فى غاية الانقطاع^{١٥}
و الغربة ، و لا خسران أعظم من هذا .

(١) فى ظ : احضرنا (٢) فى ظ : عدم (٣) فى ظ : الممتحنة (٤) من ظ ، و فى
الأصل : السابق (٥) فى ظ : المرسل (٦) من ظ ، و فى الأصل : مقت (٧) فى
ظ : هو (٨) من ظ ، و فى الأصل : هذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : الحقيقة
(١٠) فى ظ : الذات (١١) سقط من ظ .

ولما كان هذا أمرا مفضلا، زاد في تفضيله بالإخبار في جملة حالة
 بشدة تعبه في ذلك الموقف و ومن ظهورهم بذنوبهم ، حتى كأن عليهم أحمالا
 ثقالا فقال: ﴿ و هم ﴾ أى و^١ قالوا ذلك و الحال أنهم ﴿ يحملون اوزارهم ﴾
 أى أحمال ذنوبهم التى من شأنها أن يثقل ، و حقق الأمر و صورته
 ب قوله: ﴿ على ظهورهم^٢ ﴾ لاعتقاد الحمل عليه ، كما يقال: ثقل عليك
 كلام فلان ، و يجوز أن يحسد أعمالهم أجسادا ثقالا ، فيكلفوا حملها ؛
 و لما كان ذلك^٣ الحمل أمرا لا يبلغ الوصف الذى يحتمله عقولنا كل
 حقيقة ما هو عليه من البشاعة و الثقل ، أشار^٤ إلى^٥ ذلك بقوله جامعا
 للذام: ﴿ الاساء ما يزدون ه ﴾ .

١٠ فلما تأكد أمر البعث غاية التأكد^٦ ، و لم يبق فيه لذى لب وقفة ،
 صرح بما اقتضاه الحال من أمر هذه الدار ، فقال منبها على خساستها^٧
 معجبا منهم فى قوة رغبتهم فى إثارة لذاتها ، معلما بأنه قد كشف الحال
 عن أن ما ركنوا إليه خيال ، و ما كذبوا به حقيقة ثابتة ليس لها زوال ،
 عكس ما كانوا يقولون: ﴿ و ما الحيوۃ الدنيا ﴾ .

١٥ و لما كان السباق للخسارة^٨ ، و كانت أكثر ما تكون^٩ من اللعب -

و هو فعل ما يزيد سرور النفس على وجه غير مشروع ، و يسرع^{١٠} انقضاؤه -

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشارة (٣) زیده بعده فى الأصل :

ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : التاكيد (٥) فى ظ : حسانتها -

كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٧) فى الأصل : شرع ، و فى

ظ : تشرع .

قدمه فقال: ﴿الالعب ولهو^١﴾ [أى - ^١] للاشقياء، وللحياة الدنيا شر للذين يلعبون، واللهو ما من شأنه أن يعجب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء على وجه لم يؤذن فيه، فيكون سببا للغفلة عما ينفع، [فتأخيره إشارة إلى أن الجهلة كلما قفروا في اللعب وهو اشتغال بالأمور السافلة والشواغل الباطلة بعلو النفوس^٢ أثاروا الشهوات بالملاهي - ^١]، هـ والمعنى أنه تحقق من هذه الآيات زوال الدنيا، فتحققت سرعته، لأن كل آية قريب، فحيث^٣ ما هي^٢ إلا ساعة لعب، يندم الإنسان على ما فرط فيها، كما يندم اللاعب - إن كان له عقل - على تقويت^٤ الأرباح إذا رأى ما حصل أولو الجد وأرباب العزائم.

ولما كان التقدير / بما أرشد إليه المعنى: ° وما ° الدار الآخرة إلا جد ١٠ / ١٩٢

وحضور وبقاء للاشقياء. أتبعه قوله مؤكدا: ﴿و للدار الآخرة خير﴾ و لما كان الكل مآلهم^٦ إلى الآخرة، خصص^٥ فقال: ﴿للذين يتقون^٦﴾ أى يوجدون التقوى، وهى الخوف من الله الذى يحمل على فعل الطاعات وترك المعاصى، ليكون ذلك وقاية لهم من غضب الله، فذكر حال الدنيا وحذف تيجتها لأهلها لدلالة ثمرة الآخرة عليه، ١٥ وحذف ذكر حال الآخرة لدلالة ذكر حال الدنيا عليه، فهو احتباك؛ ولما كان من شأن العقلاء الإقبال على الخير وترك غيره، تسبب عن

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ فأسقطناها لاستقامة العبارة، ويمكن أن يكون جواب «كلما قفروا» سقط من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) فى ظ: تقوية (ه-ه) فى ظ: فاما (٦) فى ظ: لهم - كذا. (٧) فى ظ: خصوص.

إقبالهم على الفانى وتركهم الباقي قوله منكرا : ﴿ افلا يعقلون^٥ ﴾ .

ولما كرر في هذه السورة أمره بمقاولتهم^٢ ، وأطال في الحث على مجادلتهم ، وختم بما يقتضى سلبهم العقل مع تكرير الإخبار بأن المقضى^٣ بخسارته منهم لا يؤمنون لآية^٤ من الآيات ، وكان من المعلوم أنهم حال إسماعهم ما أمر به لا يسكتون لما عندهم من عظيم النخوة و شماخة الكبر وقوة الجراءة . وأنه لا جواب لهم إلا التبعة^٥ والبذاءة كما هو دأب المعاند المغلوب ، وأن ذلك يحزنه^٦ صلى الله عليه وسلم لما جبل عليه من الحياء والشهامة والصيانة والنزاهة^٧ ، كان الحال محتاجا إلى التسلية فقال تعالى : ﴿ قد نعلم ﴾ والمراد بالمضارع وجود العلم من غير نظر إلى زمان ، ١٠ و عدل عن الماضى لثلا يظن الاختصاص به ، فالمراد تحقق التجدد لتعلق العلم بتجدد الأقوال ﴿ انه ليحزنك ﴾ أى يوقع على سبيل التجديد والاستمرار لك الحزن على ما فاتك من حالات الصفاء التى كدرها ﴿ الذى^٨ يقولون ﴾ أى من تكذيبك ، فقد علنا امثالك لأوامرنا فى إسماعهم ما يكرهون^٩ من تنزيها ، وعلنا ردهم عليك بما لا يرضيك ، ١٥ وعلنا أنه يبلغ منك ، فلا تحزن^{١٠} لأن من علم^{١١} أن ربه يرضى المطيع له

(١) هذا على قراءة ابن كثير ، وأما فى مصاحفنا فعلى الخطاب (٢) من ظ ، وفى الأصل : بمقاولتهم (٣) فى ظ : المقتضى (٤) فى ظ : الآية (٥) فى الأصل : السعة ، وفى ظ : السعة - كذا (٦) فى ظ : يخزنه - كذا (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فخذناها (٨) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : الذين (٩) فى ظ : يكون (١٠ - ١١) فى ظ : لمن .

و يحزى عاصيه ، و هو عالم بما ينال^١ المطيع في طاعته لا ينبغي أن يحزن بل يسر ، و هو كقوله تعالى في سورة يس " فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون و ما يعلنون^٢ " و لا شك أن الحزن عند وقوع ما يسوء^٣ من طبع البشر الذى لا يقدر على الانتفاك عنه ، فالهوى عنه إنما [هو -]^٤ نهى عما ينشأ عنه من الاسترسال المؤدى إلى الجزع المؤدى إلى عدم الصبر ه و نسيان ما يعزى ، فهو من النهى عن السبب للبالغة في النهى عن المسبب ، و ما أنسب ذكر ما يحزن بعد تقرير^٥ أن الدنيا لأهلها لعب و لهو و أن الآخرة خير للائقين ، و من المعلوم أنها ضدان ، فلا تنال إحداهما^٦ إلا بضد ما^٧ للآخرى ، فلا تنال^٨ الآخرة إلا بضد ما لأهل الدنيا من اللعب و اللهو ، و ذلك هو الحزن الناشئ عن التقوى الحامل عليها الخوف ١٠ كما روى في حديث قدسى " أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى^٩ " . و لما أخبره سبحانه بعله بذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فانهم ﴾ أى فلا يحزنك ذلك فانهم ﴿ لا يكذبونك ﴾ بل أنت عندهم الأمين ، و ليكن علمنا بما تلقى منهم سيئاً لزوال حزنك ، و كذا إخبارنا لك بعدم تكذيبهم لك ، بل أنت عندهم في نفس الأمر أمين^{١٠} غير متهم^{١١} و لكنهم لشدة عنادهم^{١٢} ١٥ و وقوفهم مع الحظوظ و معجزهم عن جواب يبرء غلظهم^{١٣} و يشقى عليهم^{١٤}

(١) من ظ ، و في الأصل : يقال (٢) راجع آية ٧٦ (٣) في ظ : يسر (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : تقدم - كذا (٦-٧) من ظ ، و في الأصل : فلا يقال احد مى - كذا (٧) سقط من ظ (٨) في الأصل : فلا ما ، و في ظ : فلا ينال - كذا . (٩) من ظ ، و في الأصل : اجل (١٠-١١) من ظ ، و في الأصل : لم نعمهم - كذا . (١١) من ظ ، و في الأصل : فساد (١٢-١٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .

ينكرون آيات الله مع علمهم بحقيتها^١، فليخفف^٢ حزنك لنفسك

ما انتهكوه من حرمة من أرسلك ، و الآية من الاحتباك : حذف من

الجملة الأولى - إظهارا لشرف النبي صلى الله عليه وسلم و أدبا معه - سبب

الحزن ، / ١٩٣ وهو التكذيب لدلالة الثانية عليه ، ومن الثانى النهى عن

ه المسبب لدلالة الأولى عليه ؛ روى الطبرى^٣ فى تفسيره عن السدى أنه

لما كان يوم بدر^٤ قال الأخنس بن شريق لبنى زهرة^٥ : إن محمدا

ابن أختكم ، وأتم أحق من كف عنه ، فانه إن كان نيا لم تقا تلوه^٦

[اليوم -^٨] ، وإن كان كاذبا [كنتم -^٩] أحق من كف عن^{١٠}

ابن أخته ، قفوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم ، فان غلب محمد رجعت سالمين ،

١٠. وإن غلب محمد فان قومكم " لن يصنعوا " بكم شيئا ، فيومئذ سمي

« الأخنس »^{١٢} ، و كان اسمه « أبى » ، فالتقى^{١٣} الأخنس و أبو جهل ،

فخلا الأخنس به فقال : يا أبا الحكم ! أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب ،

فانه ليس ههنا من قريش أحد غيرى و غيرك " يسمع كلامنا ، فقال

أبو جهل : ويحك ! والله إن محمدا لصادق ، و ما كذب محمد قط ، و لكن

(١) فى ظ : بحقيقتها (٢) من ظ ، وفى الأصل : فليخففن - كذا (٣) فى ظ :

الطبرانى (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى ظ : كان (٦) زيد بعده فى الطبرى :

يا بنى زهرة (٧) فى ظ : لم يقاتلوه (٨) زيد من الطبرى (٩) زيد من ظ

و الطبرى (١٠) فى ظ : عنه (١١-١٢) فى ظ : لا يصنعون (١٢) من الخنوس ،

وهو الاقْباض عن الشيء و التأخر عنه (١٣) فى ظ : فالتقى (١٤) من ظ

و الطبرى ، وفى الأصل : غيرى .

إذا ' ذهب بنو قصي ' باللواء و الحجابة و السقاية و النبوة فماذا يكون
 لسائر قريش ! و عن ناجية قال قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه و سلم :
 ما تهملك ' و لكن تههم ' الذي جئت به ، فأنزل الله الآية . و على ذلك
 يدل قوله تعالى : ﴿ و لكن ﴾ ، و قال : ﴿ الظلمين ﴾ في موضع الضمير
 تعميما و تعليقا للحكم بالوصف ، أى الذين كانوا فى مثل الظلام ﴿ بآيت ﴾ أى هـ
 بسبب آيات ﴿ الله ﴾ أى الملك الأكبر الذى له الكمال كله ﴿ يمحذون هـ ﴾
 قال أبو على الفارسي فى أول كتاب الحجة : أى يمحذون ما عرفوه من
 صدقك و أماتك ، و علق به الجر ' بالظالمين كما هى فى قوله " و اتينا
 ثمود الناقة مبصرة فظلوا بها " ، و نحوها ، و قال ابن القطاع ^٦ ، فى كتاب
 الأفعال : جحد الشيء جمدا و جحودا : أنكره و هو عالم به . هذا قصدهم ١٠
 غير أنه لا طريق لهم إلى إنكار ^٧ الآيات إلا ^٨ بالتكذيب ، أو ما يؤل
 إليه ، و أنت تعلم أن الذى أرسلك على كل شيء قدير ، و هو القاهر
 فوق عباده ، هو الحكيم الخبير ، فاقضت قدرته و قهره و انتصاره لأهل
 ولايته و جبره أن يحل بأعدائهم سطوة تجل عن الوصف ، و اقتضت
 حكمته عدم المعالجة بها تشريفا لك و تكثيرا لامتك . ١٥

و لما سلاه ^٩ بوعده النصر المسمية عن علم المرسل القادر ، و بأن

(١ - ١) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : ذهبت بنواقص - كذا (٢) من ظ
 و الطبرى ، و فى الأصل : ما تهملك (٣) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : يتهم .
 (٤) فى ظ : الجزء (٥) سورة ١٧ آية ٥٩ (٦) و هو على بن جعفر بن على السعدي
 - راجع معجم المؤلفين ٥٢/٧ (٧-٧) فى ظ : لا (٨) فى ظ : تلاه .

تكذيبهم إنما هو له سبحانه ، و هو مع ذلك يصبر عليهم و يحلم^١ عنهم ، بل و يحسن إليهم بالرزق و المنافع ، زاده أن ذلك سنة في إخوانه من الرسل فقال : ﴿ و لقد ﴾ و لما كان المنكى هو التكذيب لا كونه من معين ، نبي للفعول قوله : ﴿ كذبت رسل ﴾ .

٥ و لما كان تكذيبهم لم يستغرق الزمان ، [و كان الاشتراك في شيء

يهوته ، و كلما قرب الزمان كان أجدر بذلك -] أدخل الجار فقال :

﴿ من قبلك ﴾ بأن جحد قومهم ما يعرفون من صدقهم و أماتهم كما

فعل بك ﴿ نصبروا ﴾ أى قسب عن تكذيب قومهم لهم أنهم صبروا^٢

﴿ على ما كذبوا و اودوا ﴾ أى نصبروا أيضا على ما أودوا ، ثم أشار

١٠ إلى الوعد بالنصر بشرط الصبر فقال : ﴿ حتى ﴾ أى و امتد صبرهم حتى

﴿ انتههم نصرنا ﴾ أى فليكن لك بهم أسوة ، و فيهم مسلاة ، فاصبر حتى

يأتيك النصر كما أتاهم ، فقد سبقت كلتا لبادنا المرسلين أنهم لهم

المنصورون ، في قولنا " فان حزب الله هم الغالبون " ﴿ و لا مبدل لكلمات الله ﴾

أى لأن له جميع العظمة فلا كفوء له ، و دل سبحانه على صعوبة مقام

١٥ الصبر جدا بالتأكيد فقال : ﴿ و لقد جاءك ﴾ و دل على عظيم ما تحملوا

بقوله : ﴿ من نبأ المرسلين ﴾ أى خبرهم العظيم في صبرهم و احتمالهم

و طاعتهم و امثالهم و رفقهم بمن أرسلوا إليهم و نصرنا / لهم على من بغى^٣

/ ١٩٤

عليهم ، و مجيء نبأهم^٤ تقدم إجمالا و تفصيلا ، أما إجمالا في مثل قوله

(١) من ظ : و في الأصل : يحله (٢) زيد من ظ (٣) في الأصل : صبر ، و سقط

من ظ (٤) زيدت الواو بعده في ظ (٥) سورة ه آية ٦٠ (٦) في ظ : بقى .

(٧) من ظ ، و في الأصل : ياتهم .

"وكان من نبى قتل معه ريون كثير"، "افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى
انفسكم"، واما تفصيلا ففي ذكر موسى^٢ وعيسى^٣ وغيرهما؛ وفي قوله
"فصبروا" أدل؛ دليل على ما تقدم من أن النهي عن^٤ الحزن نهى عن
تابعه المؤدى إلى عدم الصبر، والتعبير بمن التبعية تهويل لما لقوا،
فهو أبلغ في التعزية .

٥

ولما سلاه بما هو في غاية الكفاية في التسلية، أخبره بأنه لا حيلة
له غير الصبر، فقال عاطفا على ما تقديره: قسّل^٦ واصبر كما صبروا،
وليصغر عندك ما تلاقي منهم في جنب الله: ﴿وان كان كبر﴾ أى عظم
جدا ﴿عليك اعراضهم﴾ أى عما يأتهم^٧ به من الآيات الذى قدمنا الإخبار
عنه بقولنا "وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين" ١٠
وأردت أن تنقل - في إخبارنا لك بأنه لا ينضمهم الآيات المقترحات -
من علم اليقين إلى عين اليقين ﴿فان استطعت ان تبغى﴾ أى تطلب
بجهدك وغاية طاقتك ﴿نفقا﴾ أى منفذا ﴿في الارض﴾ تنفذ فيه
إلى ما عساك تقدر على^٨ الانتهاء إليه ﴿او سلا في السماء﴾ أى جهة^٩
العلو لترتقى فيه إلى ما تقدر عليه ﴿فتاتيهم بآية^{١٠}﴾ أى بما اقترحوا عليك ١٥
فافعل لتشاهد أنهم لا يزدادون عند إيتائك بها إلا إعراضا كما^{١١} أخبرناك،

(١) سورة ٣ آية ١٤٦ (٢) سورة ٢ آية ٨٧ (٣ - ٢) سقط ما بين الرقعين من
ظ (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: على (٦) في ظ: فليس (٢) في الأصل: ياتهم،
وفي ظ: تاتيهم (٨) من ظ، وفي الأصل: ينفذ (٩) في ظ: الى (١٠) من ظ،
وفي الأصل: بهذا - كذا (١١) من ظ، وفي الأصل: نباتك (١٢) في ظ: عما.

لأن الله قد شاء ضلال بعضهم، والمراد بهذا يان^١ شدة حرصه
صلى الله عليه وسلم على هدايتهم بأنه لو قدر على^٢ أن يتكلف النزول
إلى تحت الأرض أو فوق السماء فيأتيهم بما يؤمنون به لفعل.

ولما كان هذا السياق ربما أوهم شيئاً^٣ في القدرة، فهاهنا إرشاداً
ه إلى تقدير ما قدرته فقال: ﴿ولو شاء الله﴾ أى الذى له العظمة الباهرة
والقدرة الكاملة القاهرة ﴿لجمعهم على الهدى﴾ أى لأن قدرته شاملة،
وإيمانهم فى حد ذاته ممكن، ولكنه قد شاء إقراقهم باضلال بعضهم؛
ولما كان^٤ صلى الله عليه وسلم - بعد إعلام الله له بما أعلم من حكمه بأن
الآيات لا تنفع من حتم^٥ بكفره - حريصاً على إجابتهم إلى ما يقترحونه
١٠ رجاء جمعهم^٦ على الهدى لما طبع عليه [من - °] مزيد الشفقة^٧ على
الغريب^٨ فضلاً عن القريب، مع ما أوصاه الله به ليلة الإسراء من غير
واسطة - كما أفاده الحرايى - من^٩ إدامة الشفقة على عباده والرحمة لهم
والإحسان إليهم واللين لهم وإدخال السرور عليهم، فتظافر على ذلك
الطبع والإيصاء حتى كان^{١٠} لا يكف عنه إلا^{١١} لأمر جازم^{١٢} أو^{١٣} نهى
١٥ مؤكدا صارم، سبب عن ذلك قوله: ﴿فلا تكونن﴾ فأكد الكلام
سبحانه ليعلم صلى الله عليه وسلم أنه قد حتم بإقراقهم، فيسكن إلى ذلك

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: سبياً (٣) فى ظ: ختم (٤) فى ظ:
جميعهم (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) فى ظ: عن القرب (٧) من ظ، وفى
الأصل: كانا (٨ - ٨) من ظ، وفى الأصل: مرجاز - كذا (٩) فى
ظ «و».

و يخالف ما جبل عليه^١ من شدة الشفقة عليهم ﴿ من الجهلين ه ﴾ أى
إنك أعلم الناس مطلقا ولك الفراسة التامة والبصر الناقد والفكرة^٢
الصادقة بمن لم تعاشره ، فكيف بمن بلوتهم^٣ ناشئا وكهلا و يافعا^٤
فلا تعمل بحجة ما أوصاك^٥ الله به من الصبر والصفح^٥ ، وجلك^٦ عليه
من الأناة والحلم^٧ فى ابتغاء إيمانهم بخلاف^٨ ما يعلم من خسرانهم ، فلا تطمع ه
نفسك فيما لا مطمع فيه ، فان ما شأه لا يكون [غيره - ^٩] ، فهذه
الآية و أمثالها - مما فى ظاهره غلظة - من الدلالة / على عظيم رتبته صلى الله
عليه و سلم و من لطيف أمداح القرآن له - كما بين^{١٠} إن شاء الله تعالى
فى سورة التوبة عند قوله تعالى ” عفا الله عنك “ .

١٩٥ /

ولما أفهم هذا القضاء الحتم أنه قد صار حالهم [حال - ^٩] من ١٠
حتم بالموت ، فلا يمكن إسماعه إلا الله^{١٢} ، ولا يمكن أن يستجيب عادة ،
قال : ﴿ انما يستجيب ﴾ أى فى مجارى عاداتكم ﴿ الذين يسمعون ^١ ﴾
أى فىهم قابلية السمع لأنهم أحياء فيتدبرون حيثذ ما يلقى إليهم
فينتفعون به ، و هؤلاء قد ساروا^{١٣} الموتى فى عدم قابلية السماع للختم
على مشاعرهم ﴿ و الموتى ﴾ أى كلهم حسا و معنى ﴿ يعثهم الله ﴾ أى ١٥

(١) فى الأصل : على ، و سقط من ظ (٢) فى ظ : الفكر (٣-٣) فى ظ : باشيا
و كيلا و ناعلا - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : اوصلك (٥) فى ظ : الصلح .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : حملك (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحكم (٨) من ظ ،
و فى الأصل : بخلا - كذا (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تبين .
(١١) آية ٤٣ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : لله (١٣) من ظ ، و فى الأصل :
ساروا .

الملك المحبط علما و قدرة ، فهو ' قادر على بعثهم بأفاضة الإيمان على الكافر
و إعادة الروح إلى الهالك ' فيسمعون حيثنذ ، فالآية من الاحتباك : حذف
من الأول الحياة لدلالة "الموتى" عليها ، ومن الثاني السماع لدلالة
" يسمعون " عليه .

٥ ولما قرر أن [من - ٢] لا يؤمن كالميت ، حثا ' على الإيمان وترغيا
فيه ، و قدر ' قدرته على البعث ، خوفاً من سطواته بقوله : ﴿ ثم إليه ﴾
أى وحده ﴿ يرجعون ٥ ﴾ أى معنى فى الدنيا فانه قادر على كل ما يشاء
منهم ، لا يخرج شئ من أحوالهم عن ' مراده أصلا و حسا بعد الموت ،
فيساقون قهرا إلى موقف يفصل فيه بين كل مظلوم و ظالمة .

١٠ ولما سلاه صلى الله عليه وسلم فيما أخبرته من أقوالهم بما شرح
صدره و سر خاطره ، وأعلمه تخفيفا عليه أن أمرهم إنما هو بيده ، ذكره
بعض كلامهم الآتلى إلى التكذيب عقب إخباره بالحشر الذى يجازى
فيه كلا بما يفصل ، فقال عطفًا على قوله " وقالوا ان هى الاحيائنا الدنيا "
وقوله " وقالوا لو لا انزل عليه ملك " يعجب منه تعجبا ' آخر :
١٥ ﴿ وقالوا ﴾ أى مغالطة أو عنادا أو مكابرة ﴿ لو لا ﴾ أى هلا ﴿ نزل ﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : فهذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : الهلاك (٣) زيد
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : حقا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ والقرآن
الكریم ، وفى الأصل : ترجعون - كذا ، ولا خلاف فى أنه على الغيبة ، والخلاف
فى أنه بالبناء للمفعول (٧) فى ظ : على (٨) فى ظ : ذكر (٩) فى ظ :
لعجب - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : تعجبا (١١) من ظ والقرآن ،
وفى الأصل : انزل - كذا ، والفعل بالتشديد بلا خلاف .

أى بالتدرج (عليه) أى خاصة (آية) أى واحدة تكون ثابتة بالتدرج لا تنقطع ، وهذا منهم إشارة إلى أنهم لا يعدون القرآن آية و^٢ لا شيئاً مما^٣ رأوه^٤ منه صلى الله عليه وسلم من غير ذلك نحو انشفاق القمر (من ربه^٥) أى المحسن إليه على حسب ما يدعيه لنستدل بها على ما يقول^٦ من التوحيد و البعث .

- و لما كان فى هذا - كما تقدم - إشارة منهم إلى أنه لم يأت بآية على هذه الصفة إما مكابرة وإما مغالطة ، أمره بالجواب بقوله^٧ : (قل ان الله) أى الذى له جميع الأمر^٨ (قادر على أن) وأشار بتشديد الفعل إلى آية القرآن المتكررة عليهم كل حين تدعوهم^٩ إلى المبالغة^{١٠} و تتحداهم^{١١} بالمبالغة و المعاجزة فقال : (ينزل) و قراءة ابن كثير بالنخيب مشيرة إلى أنهم بلغوا فى الوقاحة الغاية ، وأنهم لو قالوا : لو لا أنزل ، أى مرة واحدة ، لكان أخف فى الوقاحة ، [أو إلى أنه أنزل عليهم أى آية ، كانت تلجئهم و تضطرم إليهم فى آن واحد كما قال تعالى : " ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين^{١٢} "] ولكنه لا يسأل ذلك إلا بالتدرج كما يشير إليه -^{١٣} [صيغة التفعيل فى قراءة^{١٤} غيره المذكرة^{١٥}]

- (١) من ظ ، وفى الأصل : يكون (٢) من ظ ، وفى الأصل : يعدلون .
(٣-٢) فى ظ : لا سيما ما - كذا (٤) فى الأصل و ظ : رواه - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : غر - كذا (٦) فى ظ : تقول (٧) من ظ ، وفى الأصل : لقوله .
(٨) زيد بعده فى ظ : كله (٩) من ظ ، وفى الأصل : يدعوه (١٠) فى ظ : المبادرة (١١) من ظ ، وفى الأصل : يتحداهم (١٢) سورة ٢٦ آية (١٣) زيد ما بين الحাজرين من ظ ، وزيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها (١٤-١٤) فى الأصل : غيره مذكرة ، وفى ظ : غير المذكرة .

بأن آية القرآن لا تنقضى^١، بل كلما سمعها أحد منهم أو من غيرهم طول
 الدهر كانت منزلة عليه لكونها واصله إليه، فهو أبلغ من مطلوبهم آية^٢
 ينزل عليه^٣ وحده، والحاصل أنهم طلبوا آية باقية محضة، فلوح لهم
 إلى آية هي - مع كونها خاصة به فيما حصل له من الشرف - عامة
 لكل من بلغته، باقية طول المدى ﴿آية﴾ أى مما اقترحوه ومن غيره،
 لا يعجزه شيء، وفي كل شيء له من الآيات ما يعجز الوصف، وكفى
 بالقرآن العظيم مثالا لذلك ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أى لیس
 فيهم قابلية العلم، فهم لا يتفكرون في شيء من ذلك الذى يحدثه من
 مصنوعاته ليدلهم على^٤ أنه على كل شيء قدير، فلا فائدة^٥ لهم في إنزال
 ما طلبوه، وأما غير^٦ الأكثر فهو^٧ سبحانه يردم بآية القرآن^٨ أو غيرها^٩
 مما لم يقترحوه^{١٠}.

ولما عجب منهم^{١١} في قولهم هذا^{١٢} الذى يقتضى أنهم لم يروا [له -^{١٣}]
 آية قط^{١٤} بعد ما جاءهم من الآيات الخاصة به ما ملأ الأفطار، ورد
 إلى الصم الأسماع، وأثار من^{١٥} العمى الأبصار، ذكرهم بآية غير آية
 القرآن تشتمل^{١٦} على آيات مستكنة كافية لصلاحتهم، رتبها^{١٧} سبحانه

(١) من ظ، وفي الأصل: لا تنقص (٢) في ظ: انه (٣) من ظ، وفي الأصل:
 عليهم (٤) سقط من ظ (٥) في الأصل: فايد، وفي ظ: يدة - كذا (٦) من ظ،
 وفي الأصل: عن (٧) من ظ، وفي الأصل: فهذا (٨ - ٩) من ظ، وفي
 الأصل: لو غيرها - كذا (١٠) من ظ، وفي الأصل: لم يفرحوه (١٠ - ١١) في
 ظ: هو (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ، وفي الأصل: فقط (١٣) في الأصل:
 يشتمل، وفي ظ: يشتمل (١٤) من ظ، وفي الأصل: وبها.

قبل سؤلهم / تفضلا منه عليهم دالة على باهر قدرته على البعث وغيره . ١٩٦/
 من الآيات التي طلبوها وغيرها وعلى تفرده بجميع الامر، إذا تأملوها
 حق تأملها كفتهم^١ في جميع ما يراد منهم فقال تعالى: ﴿ وما ﴾ أى
 قالوا ذلك والحال أنه ما، وهى ناظرة^٢ أتم نظر إلى قوله " هو الذى
 خلقكم من طين " أى فعل ذلك بكم^٣ و ما^٤ ﴿ من دآبة فى الارض ﴾ ٥
 أى تدب أى تنتقل برجل وغير رجل ﴿ ولا ظئر بطير ﴾ وقرر الحقيقة
 بقوله^٤: ﴿ بمحاجيه ﴾ وشمل ذلك جميع الحيوان حتى ما فى البحر، لأن
 سيرها فى الماء إما أن يكون ديبا أو طيرانا مجازا .

ولما كان المراد بالدابة والطار الاستغراق قال: ﴿ الآام ﴾^٥ أى
 يقصد كل منها فى نفسه، ويقصد هو نوعه وينضم إلى شكله ﴿ امثالكم ﴾^٦ ١٠
 أى فى ذلك وفى أنا خلقناهم ولم يكونوا شيئا وحفظنا جميع أحوالهم،
 وقد رنا كل أرزاقهم وآجالهم، وجعلنا لكم^٧ فيهم أحكاما جددناها لكم،
 وجعلنا لكل منهم أجلا للموت لا يتعداه بعد أن فاوتنا بينهم فى الحياة،
 وللكل أجل فى علمنا فى البرزخ مثبت قبل أن نخلقهم، لا يقص ذرة
 ولا يزيد خردلة، وجعلنا فى هذه الحيوانات ما^٨ هو أقوى منكم وما هو ١٥
 أضعف، وجعلناكم أقوى من الجميع بالعقل، ولو شئنا لجعلنا له بين قوة
 البدن والعقل، وربما سلطنا الأضعف^٩ عليكم كالجراد والفأر والدود
 بما تعجز عنه عقولكم، ولو شئنا لسلطنا عليكم من أضعفها خلقا - البعوض -

(١) فى ظ: كثر (٢) زيد بعده فى ظ: الى (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: جعلناكم (٦) فى ظ: بما (٧) تكرر فى ظ .

ما أخذ بأنفاسكم^١ و وضعكم القراو^٢ و أخرجكم^٣ عن حركات
الاختيار إلى أن أهلكم جميعا هلاك نفس واحدة - إلى غير ذلك
من أمور تكل عنها العقول^٤ و تقف دونها نوافذ الفكر، و هذا كله
معنى قوله: ﴿ ما فرطنا ﴾ أى تركنا و أغفلنا لما لنا من السقدوة
الكاملة، و العلم الشامل ﴿ فى الكشب ﴾ أى اللوح المحفوظ و القرآن،
و أعرق فى النفي بقوله: ﴿ من شيء ﴾ أى ليذهب ذكره كما يذهب العقد
الذى ينقطع سلكه فيتفرط، بل ذكرنا جميع أحوال خلقنا من الجن
و الإنس و الملائكة و غيرهم من كل ناطق و صامت، فصارت فى غاية
الضبط حتى أن الحفظة يعرضون ما يحدث من عمل المكلفين و غيره
١٠ آخر النهار على ما كان مثبتا فى أم الكتاب فيجدونه كما هو، لا يزيد
شيئا ولا ينقص، فيزدادون إيمانا، و أثبتنا فى هذا القرآن مجامع الأمور،
فهو تبيان لكل شيء من الأحكام الأصلية و الفرعية [و - ٦]
الدلالات على كل ذلك و أخبار الأولين و الآخرين و كل علم يمكن
أن يحتاجه المخلوق، فن أراد الهداية هداة بدقيق^٥ أسرار، و من
١٥ أعرض أوقعه فى الردى، و عمى حتى عن واضح^٦ أنواره، و الآية
كما قال تعالى " أن فى خلق السموات و الارض - إلى أن قال: و بث
فيها^٧ من كل دابة - لأيت قوم يعقلون^٨ " .

(١) من ظ، و فى الأصل: نانفايسكم - كذا (٢) فى ظ: اخركم (٣) من ظ،
و فى الأصل: القول (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ، و فى الأصل: حر البها
- كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: بتوفيق (٨) من ظ، و فى الأصل: واضح -
(٩) فى ظ: فيها (١٠) - سورة ٢ آية ١٦٤ .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

أفلا يكون لكم في ذلك آيات تغنيكم عن إرسال الرسل فضلا عن أن تتوقفوا^٢ بعد إرسالهم ولا ترضوا^٣ منهم من خوارق العادات إلا بما تقترحونه^٤ .

ولما أشار إلى ما شارك فيه سائر الحيوان للآدميين^٥ من أحوال الحياة وغيرها، نص على الحشر الذي هو محط الحكمة فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد طول الحياة والإقامة في البرزخ ﴿ إلى ربهم ﴾ أى خاصة، [وبنى^٦ للفعل على طريق كلام القادرين قوله - ^٧] : ﴿ يحشرون^٨ ﴾ [أى يجمعون كرها^٩ -] بعد أن يعيدهم كلهم كما بدأهم ، وينصف كل مظلوم منهم من ظالمه ، كل ذلك [عليه - ^٧] هيئ^{١٠} " ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة^{١١} " والكل محفوظون في كتاب مبين^{١٢} على اختلاف أنواعهم^{١٣} و تبين حقائقهم وأشخاصهم وزيادتهم في الجدة على أن يوجه^{١٤} نحوهم العد - سبحانه من أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، إن ذلك على الله يسير ، وهو على كل شيء قدير .

١ / ولما كان التقدير بعد التذكير بهذه الآية التي تنوعت^٢ فيها الآيات ١٥ / ١٩٧

(١) من ظ ، وفي الأصل : تعينكم (٢) في الأصل و ظ : يتوقفوا (٣) من ظ ، وفي الأصل : لا تعرضوا (٤) في الأصل : يفرحونه ، وفي ظ : يقترحونه - كذا . (٥) في ظ : الآدميين (٦) في ظ : بناء - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : حين (٩) سورة ٣١ آية ٢٨ (١٠) من ظ ، وفي الأصل : بين (١١) من ظ ، وفي الأصل : أنواعكم (١٢) من ظ ، وفي الأصل : يوجد (١٣) في ظ : يتوعد - كذا .

و تكررت وتكررت فيها الدلالات: فالذين آمنوا أحياء سامعون لا قوالنا،
 ناطقون بمحمدنا راؤن^١ لأفعالنا، عطف عليه قوله: ﴿و الذين كذبوا﴾
 أى أوقفوا التكذيب ﴿بأيتنا﴾ أى على ما لها من العظمة المقتضية
 لإضافتها إلينا، مرتبة كانت أو^٢ مسموعة، تكذيبا متكررا على عدد
 ٥ الآيات بالفعل أو بالقوة ولو^٣ بالإعراض عنها ﴿صم﴾ أى أموات
 فهم^٤ لا يسمعون ﴿و بكم﴾ لا ينطقون ﴿فى الظلمت^٥﴾ أى عمى
 لا^٦ يصرون، فلذلك^٧ لا يزالون خاطبين^٨ خبط العشواء^٩ ساعين غاية
 السعى إلى الردى^{١٠}، لأن ذلك شأن من فى الظلمة، فكيف بمن هو فى
 جميع الظلمات^{١١} و^{١٢} لعله جمعها إشارة إلى أن المكذب لا ينفع يصير
 ١٠ ولا يبصيرة، وذلك أنهم لما لم يتفعلوا بحياتهم ولا بأسماعهم ولا نطقهم
 ولا أبصارهم ولا عقولهم كان كل ذلك منهم عدما.

و لما بين أن الأصم الأبكم الأعشى لا تمكن^{١٣} هدايته، بين^{١٤} أن
 ذلك إنما هو بالنسبة لغيره سبحانه فطما عن طلب إجابتهم إلى ما يقترحون
 من الآيات، وأما هو سبحانه ففعال^{١٥} لما يريد، فقال فى^{١٦} جواب من
 ١٥ كأنه قال: إنما تمكن هدايتهم: ﴿من يشا الله﴾ أى^{١٧} الذى له الأمر
 كله ولا أمر لأحد معه^{١٨} إضلاله ﴿يضلله^{١٩} و من يشا﴾ هدايته

(١) فى ظ: راوينا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: لا .
 (٤) زيد بعده فى الأصل: صم، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٥) فى ظ:
 فذلك (٦-٧) فى ظ: العشو - كذا (٧) من ظ، وفى الأصل: المراد (٨) فى
 ظ: لا يمكن (٩) فى ظ: فعال (١٠-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(يجعله)^١ وأشار إلى تكمينه بأداة الاستعلاء فقال:^٢ (على صراط مستقيم)
 بأن يخلق الهداية في قلبه - و من يهد^٣ الله فماله من مضل و من يضلل الله^٤
 فماله من هاد ، مع أن الكل عباده و خلقه ، متقلبون في نعمه ، غادون
 رائجون في بره و كرمه - إن في ذلك على وحدانيته و تمام قدرته لآيات
 بينات لقوم يعقلون .

- و لما كانت هذه الآية - بما فيها من التصريح بالكذب - شديدة
 الاعتناق لقوله " و من اظلم ممن اقرى على الله كذبا " و قوله " كذبوا
 بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انبؤا " - الآيتين ، رجع بالذي بعدها إلى
 فذلك^٥ التفاصيل الماضية و واسطة عقدها و فريدة درها^٦ ، و هو التوحيد
 الذي أبانته الأدلة قبل الآيتين ، فقال دالا على اعتقادهم القدرة التي استلزم
 نعمتهم بطلب الآية نفسها^٧ ، و اعتقادهم للتوحيد في الجملة و هم يكذبون به^٨ ،
 يانا لأنهم في الظلمات مقهورون بيد المشيئة لعدم تحاشيهم من التناقض
 معجبا منهم : (قل اريدتكم)^٩ أى أخبروني يا من كذب بالآيات و القدرة^{١٠}
 عنادا^{١١} و شهد^{١٢} أن مع الله آلهة أخرى ، و عدل^{١٣} بالله الذي يعلم السر
 و الجهر ، و هو مع من يدعوه في كل سماء و كل أرض بنياته^{١٤} و نصره .
 و لما كانت حقيقة " اريدتكم " : هل رأيتم أنفسكم ، و كان هذا

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : يهدى (٣) سقط
 من ظ (٤) في ظ : وجع (٥) في ظ : تلك (٦) في الأصل و ظ : ردها -
 كذا (٧) في ظ : معها (٨) من ظ ، و في الأصل : العقدة (٩) في ظ : اشهد .
 (١٠) من ظ ، و في الأصل : غدر - كذا (١١) في الأصل : بغتايه ، و في ظ :
 بغيته - كذا .

لكونه سؤالاً عن معلوم لا يحمله أحد - مشيراً^١ إلى أن السؤال عن غيره بما قد يخفى من أحوال النفس، كان كأنه قيل: عن أى أحوال نفوسنا نُسأل؟ فقليل تنبيها لهم على حالة تلزمهم بالتوحيد أو العناد الذى يصير فى العلم به كالسؤال عن رؤية النفس سواء: ﴿ان اتكم﴾ أى قبل مجيء الساعة كما أتى من قبلكم ﴿عذاب الله﴾ أى المستجمع لمجامع العظمة، فلا يقدر أحد على كشف ما يأتى به ﴿او اتكم الساعة﴾ أى القيامة بما فيها من الأهوال.

ولما عجب منهم بما مضى - كما مضى، قال مجيباً للشرط موبخاً لهم منكراً عليهم عدم استمرارهم على دعائه^٢ ولزوم سؤاله وندائه، ويجوز ١٠ أن يكون جواب الشرط محذوفاً تقديره: من تدعون؟ ثم زادهم تويخاً وتبكيता بقوله - [٣]: ﴿اغير الله﴾ أى الملك الذى له العظمة كلها ﴿تدعون﴾ أى لشدة من تلك الشدائد، ولا تدعون الله مع ذلك الغير ﴿ان كنتم صدقين﴾ أى فى أن غير الله يغنى شيئاً حتى يستحق الإلهية، وجواب الشرط محذوف تقديره: فادعوا ذلك الغير، وهذه حجة ١٥ لا يسعهم، معها غير التسليم، فإن عادتهم كانت مستمرة أنهم إذا اشتد الأمر وضاق الخناق لا يدعون غير الله ولا يوجهون الهمم إلا إليه، فإن سلكوا سبيل الصدق الذى له يتحلون وبه يتفاخرون فقالوا: لا ندعو غيره، فقد لزمهم الحجة فى أنه لا يبدل به شيء ولا شريك له،

١٩٨ /

(١) من ظ، وفى الأصل: مشير (٢) فى ظ: دعايهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ: لا يستفهم - كذا (٥) فى ظ: عدانهم - كذا.

و إن عاندا نطق^١ لسان الحال أنهم على محض الضلال ، وإن سكتوا
أثبت عليك الخطاب^٢ ، وهى مع ذلك - كما ترى - دليل على ما أخبرت
به الآية^٣ قبلها من أن الأمر كله لله ، أى إنكم كلكم مشتركون فى وضوح
الأمر فى أنه لا منصرف إلا إليه^٤ ، وقد افترقم^٥ فصدق بعض^٦ وكذب
آخرون ، فلو أن الأمر موقوف على وضوح الدلالة فقط كان الكل على
نهج واحد ، هذا ونقل أبو حيان عن الفراء أنه قال : للعرب فى 'أرأيت'
لغتان ومعنيان : أحدهما أن تسأل^٧ الرجل : أرأيت زيدا^٨ ، أى بينك ، فهذه
مهموزة ، وثانيهما أن تقول^٩ : أرأيت ، وأنت تريد^{١٠} : أخبرنى ، فههنا^{١١} ترك
الهمزة إن شئت ، وهو أكثر^{١٢} كلام العرب ، وتوى^{١٣} إلى ترك الهمزة للفرق
بين المعنيين ، ثم قال أبو حيان : وكون 'أرأيت' ، و 'أرأيتك' بمعنى ١٠
'أخبرنى' نص عليه سيويه وغيره من أئمة العرب ، وهو تفسير معنى
لا تفسير إعراب ، لأن 'أخبرنى' يتعدى بن ، و 'أرأيت' متعد^{١٤}
لمفعول به صريح وإلى جملة استفهامية هى فى موضع المفعول الثانى ؛ وقال
(١) سقط من ظ (٢) فى الأصل : الحجاب ، وفى ظ : الحقايب - كذا (٣) فى
ظ : العادة (٤-٤) فى ظ : لا يتصرف إلا الله (٥) من ظ ، وفى الأصل :
احترقم - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : بعضهم (٧) من البحر المحيط ١٢٥/٤ ،
وفى الأصل : يسئل ، وفى ظ : اما ان قيل - كذا (٨) فى ظ : زيد (٩) من
البحر ، وفى الأصل وظ : يقول (١٠) فى البحر : تقول - كذا (١١) فى ظ : وههنا .
(١٢) فى ظ : الأكثر (١٣) من ظ والبحر ، وفى الأصل : وقرئ (١٤-١٤) سقط
ما بين الرقین من ظ (١٥-١٥) فى ظ : رايت يتعدى - كذا .

في سورة يونس عليه السلام: تقدم في سورة الأنعام أن العرب تضمن
 'أرأيت' معنى 'أخبرني' وأنها تتعدى^(١) إذ ذاك إلى مفعولين، و^(٢) أن
 المفعول الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام، ينعقد منها وما قبلها مبتدأ
 وخبر، يقول العرب: أرأيت زيدا ما صنع؟ المعنى: أخبرني^(٣) عن زيد
 ما صنع! وقبل دخول^(٤) 'أرأيت' كان الكلام: زيد ما صنع - انتهى.
 قلت: وحقيقة المعنى كما مر: هل رأيت زيدا؟ فلما استفهم عن رأيه -
 والمراد الخبر لا البصر - علم أن السؤال عن بعض أحواله، فكأنه قيل:
 ماله؟ فقيل: ما صنع؟

ولما كان استفهام الإنكار بمعنى النفي، كان كأنه قيل: لا تدعون^(٥)
 ١٠ غيره، فعطف عليه قوله: ﴿بل اياه﴾ أي خاصة ﴿تدعون﴾ أي
 حيثذ، ولما كان يتسبب^(٦) عن دعائهم تارة الإجابة وأخرى^(٧) غيرها قال:
 ﴿فيكشف﴾ أي الله في الدنيا أو^(٨) في الآخرة، فانه لا يجب عليه^(٩) شيء،
 ولا يوجب منه شيء. ﴿ما تدعون اليه﴾ أي إلى كشفه ﴿ان شاء﴾ أي
 ذلك تفضلا عليكم كما هي عادته معكم في وقت شدائدكم، ولكنه لا يشاء
 ١٥ كشفه في الآخرة، لانه لا يبدل القول لديه وإن كان له أن يفعل
 ما يشاء، ولو كان يجيبكم دائما وأتم لا تدعون غيره، لكان ذلك كافيا
 في الدلالة على اعتقادكم أنه لا قادر إلا هو، فكيف وهو يجيبكم في الدنيا

(١) من ظ، وفي الأصل: متعدى (٢) سقط من ظ (٣) تكرر في ظ (٤) في
 ظ: لا يدعون (٥) من ظ، وفي الأصل: تسبب (٦) من ظ، وفي الأصل:
 الأخرى (٧) في ظ «و» (٨) من ظ، وفي الأصل: على.

إذا دعوتهم^١ تارة ويحييكم أخرى ، و^٢ مع ذلك^٣ فلا يردكم عدم إجابته عن
اعتقاد قدرته و دوام الإقبال عليه في مثل تلك الحال لما ركز في العقول^٤
السليمة والفطر^٥ الأولى من أنه الفاعل المختار ، وعلى ذلك دل قوله
عطفا على " تدعون " : (و تنسون) أي تتركون في تلك الاوقات
دائما (ما تشركون ع) أي من معبوداتكم الباطلة لعلكم أنها لا تغني
شيئا ، كما هي عادتكم دائما في أوقات الشدائد رجوعا إلى حال الاستقامة ،
أفلا يكون لكم هذا زاجرا عن الشرك في وقت الرخاء خوفا من
إعادة الضراء !

ولما أقام لهم بهذه الآية على توحيده الدليل حتى استنارت^٦ السبل^٧
في تذكيرهم أن التضرع قد يكشف به البلاء ، أخبرهم أن تركه^٨ يوجب ١٠
/ الشقاء ، ترغيبا في إدامته وترهيبا من^٩ مجانبته فقال : (ولقد ارسلنا^{١٠} /
أي بما لنا من العظمة (إلى أمم) أي أناس يؤم بعضهم بعضا ، وهم
أهل لأن يقصدهم الناس ، لما لهم من الكثرة والعظمة .

ولما كان المراد بعض الأمم . وهم الذين أراد الله إشهادهم^{١١} وقص^{١٢}
أخبارهم ، أدخل الجار فقال : (من قبلك) أي رسلا تغالفوهم ، وحسن ١٥
هذا الحذف^{١٣} كونه مفهوما (فاخذنهم) أي فكان إرسالنا^{١٤} إليهم سببا

(١) في ظ : دعوتكم (٢-٣) في ظ : في ذلك (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : الفكر .
(٥) في ظ : استنار (٦) من ظ ، وفي الأصل : السبل (٧) في ظ : تركهم (٨) في
ظ : في (٩-١٠) في ظ : شهادتهم وخص (١٠) من ظ ، وفي الأصل : الحديث .
(١١) من ظ ، وفي الأصل : ارسلنا .

لأن أخذناهم بعظمتنا، ليزجموا عما زين لهم الشيطان إلى ما تدعوهم^١
إليه الرسل ﴿بالإساءة﴾ من تسليط القتل عليهم ﴿والضراء﴾ بتسليط
الفقر والأوجاع ﴿لعلهم يتضرعون﴾ أي ليكون حالهم حال من
يرجى خضوعه و تذله على وجه بليغ^٢، بما يرشد إليه - مع صيغة
التفعل^٣ - الإظهار، ولأن مقصودها الاستدلال على التوحيد، وعند
الكشف للأصول ينبغي الإبلاغ في العبادة، بخلاف ما يأتي في الأعراف^٤.

ولما لم يقع منهم ما أوجبت الحال رجاءه، تسبب عنه الإنكار
عليهم، فقال معبرا بأداة التخصيص ليفيد مع النفي أنهم ما كان لهم عذر
في ترك التضرع: ﴿فلو لا﴾ أي فهلا ﴿اذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾
١٠ [ولما - °] كان معنى الإنكار أنهم [ما - °] تضرعوا قال:
﴿ولكن قست قلوبهم﴾ أي فلم يذكروا ربهم أصلا ﴿وزين لهم الشيطان﴾
أي بما دخل عليهم به^٥ من باب الشهوات ﴿ما كانوا يعملونه﴾ من
العظائم والمناكر إلى أوجبها النكس بالرد أسفل سافلين
﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي فتسبب^٦ - عن تركهم التذكير^٧ والاختد
١٥ بفائدته التي هي التخشع والتسكن^٨، كما هو اللائق بهم لا سيما في
تلك الحالة - أنا ﴿فتجنا﴾ أي بما يليق بعظمتنا ﴿عليهم ابواب كل شيء﴾
أي من الخيرات والأرزاق والملاذ التي كانت مغلقة عنهم ونقلناهم من

(١) في ظ: يدعوهم (٢) سقط من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٤) راجع آية ١٤ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل: نسب .

(٧) في ظ: التذكر (٨) في ظ: التمسك، وهو مرادف لما في الأصل .

الشدة إلى الرخاء، وذلك استدراجاً لهم، ومددنا زمانه و طولنا أيامه
 ﴿ حتى إذا فرحوا ﴾ أى تنامى بهم الفرح ﴿ بما أوتوا ﴾ أى معرضين
 عن آتائهم هذا الرخاء بعد أن كان ابتلام بذلك، فلم أنهم [فى - ١]
 غابة من الغباوة، لا يرتدعون بالتأديب بـ ^٢ بـسائط ^٣ البلاء، ولا ينتفعون ببسائط
 المنة و الرخاء، بل ظنوا أن البلاء عادة الزمان، و الرخاء باستحقاقهم
 الامتنان، فلم أن قلوبهم لا يرجى لها ابتاه بحار ولا بارد ولا رطب
 ولا يابس ﴿ اخذتهم ﴾ بمظمتنا، وإنما أخذناهم فى حال الرخاء ليكون
 أشد لتحسرم ﴿ بقتة ﴾ فلم نمكنهم ^٤ من التضرع عند خفوق الأمر،
 ولا أمهلناهم أصلاً بل نزل عليهم من أثقال العذاب، و أباح بهم من
 أحمال الشدائد و صروف البلايا ما أذهلهم و شغلهم عن كل شىء حتى ١٠
 بهتوا ﴿ فاذا هم مبلسون ه ﴾ أى تسبب عن ذلك البغت أن فاجأوا
 السكوت على ما فى أنفسهم و اليأس تحسراً و تحيراً ^٦، واستمروا
 بعد أن سكتوا إلى أن همدوا و خفتوا ^٧، ففى نقي ^٨ التضرع عن المتقدمين
 بعد أن أثبتة لمشركى ^٩ هذه الامة استعطاف لطيف، و ^{١٠} فى ذكر استدراج
 أولئك بالنعم عند نسيان ما ذكروا به إلى ما أخذهم بقتة من قواصم ^{١٥}
 النقم غاية التحذير .

(١) زيد من ظ (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى ظ : فلم يمكنهم .
 (٤) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : فاذا (٥) زيد فى ظ : او (٦) فى
 ظ : تحسيرا (٧) فى ظ : احقنوا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفى
 الأصل : لمشرك (١٠) فى ظ : قواصم .

ولما كان من عادة الغالب من^١ أهل الدنيا أن يفوته آخر الجيوش
وُشْدَابِهِمْ^٢ لملل أصحابه من الطلب وضجرهم^٣ من النصب والتعب وقصورهم
عن الإحاطة بجميع الأرب ، أخبر تعالى أن أخذه على غير^٤ ذلك ، وأن
نيله للآخر^٥ كنيته للأول على حد سواء ، فقال مسبيا عن الأخذ
الموصوف مشيرا بالبناء^٦ للفعول إلى تمام القدرة ، و بالدابر إلى الاستئصال :

(فقطّع دابر) أى آخر (القوم الذين ظلموا) أى بوضع الشيء فى
غير موضعه دأب^٧ الماشى فى الظلام ، وضعوا لقسوة موضع الرقة / الى / ٢٠٠

تدعو إليها الشدة ، ووضعوا الفرح بالنعمة موضع الخشية من الرد إلى
الشدة ، كما ظلمتم أنتم بدعاء الأصنام وقت الرخاء و كان ذلك^٨ موضع
١٠ دعاء من أفاض تلك النعم ، ودعوتهم الله وقت الشدة وكان ذلك موضع

دعاء^٩ من عبدتموه وقت الرخاء ، لئلا تقعوا^{١٠} فيما جرت عادتكم بالذم به .
وإذا^{١١} تكون كربة^{١٢} ادعى لها وإذا يحاس الحيس^{١٣} يدعى جذب

ولما كان استئصالهم من أجل النعم على من عادوهم فيه من الرسل
عليهم السلام و أتباعهم رضى الله عنهم ، نبه على ذلك بالجملة^{١٤} مع ما يشير

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سداتهم - كذا (٣) من ظ ، وفى الأصل :
مخبرهم (٤) فى ظ : البناء (هـ) فى ظ : ذات (و) فى ظ : كل (٧) من ظ ،
وفى الأصل : ذكر (٨) زيد بعده فى الأصل : أفاض ، ولم تكن الزيادة فى
ظ فخذناها (٩) من ظ ، وفى الأصل : لئلا تقعوا (١٠ - ١١) من اللسان ، وفى
الأصل : يكون كربة ، وفى ظ : يكون كربة - كذا ، والبيت لهنى بن أحر
الكتانى ، وقيل : هو لزرافة الباهلى (١١) من ظ واللسان ، وفى الأصل :
الحسين - كذا (١٢) من ظ ، وفى الأصل : بالحد .

إليه من ظهور الاستغناء المطلق فقال: ﴿ والحمد ﴾ أى قطع أمرهم كله و الحال أن الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ المتفرد بنعوت الجلال و الجمال ﴿ رب العالمين ﴾ الموجد لهم أجمعين ، أى له ذلك كله بعد فناء الخلق على أى صفة كانوا من إيمان أو كفر ، كما كان له ذلك قبل وجودهم و عند خلقهم على كل من حالتهم - كما أشير إليه بأول السورة ، ه فكأنه قيل : الكمال لله الذى خلق السموات و الأرض و جعل الظلمات و النور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، فقطع دابرهم ، و الكمال له لم يتغير ، لأنه لا يزيده وجود موجود ، و لا ينقصه فقد مفقود ، فهو محمود حال الإعدام و المحق كما كان محمودا حال الإيجاد و الخلق ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فانه لا يخرج شئ عن إيمانهم^{١٠} و لا كفرانهم^{١٠} عن إرادته سبحانه ، فلا عليك منهم اقترحوا الآيات أولا . فانه ليس عليك إلا البلاغ .

ولما قدم التنبيه باتيان مطلق العذاب فى مطلق الأحوال ، و كان الإتيان بالكاف ثم مشيرا مع إفادة التأكيد إلى أن ثم نوع مهلة ، و أتبعه أن أخذ الأمم كان بغته ، أعقبه التنبيه بعذاب خاص تصور شناعته بهذا^{١٥} الأركان و يقطع الكبر و يملأ الجنان ، فانه لا أشنع حالا من أصم أعمى مجنون ، فقال مشيرا - باسقاط كاف الخطاب مع التعبير بالأخذ الذى عهد أنه للبغت بالسطوة و القهر - إلى غاية التحذير من سرعة أى^١

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لهم (٣-٢) من ظ ، و فى الأصل : بين من (٤) فى ظ : اجترحوا (ه) لى يقطع قطعاً سريراً .

الآخذ^١ : ﴿ قل أرأيتم ﴾ فكانت حقيقة المقترن بالكاف : هل رأيتم أنفسكم ،
 و هذا مل رأيتم مطلق رؤية ، لما تقدمت الإشارة إليه من الإيماء إلى طلب
 الإسراع بالجواب خوف المفاجأة بالعذاب وإن كان المراد في الموضعين :
 أخبروني ﴿ ان اخذ الله ﴾ أى القادر على كل شيء العالم بكل شيء ﴿ سمعكم ﴾
 ٥ و أفرد^٢ لقلة المفاوطة^٣ فيه ، لأنه^٤ أعظم الطرق لإدراك القلب الذى
 لا أعظم من المفاوطة فيه حتى للانسان الواحد بالنسبة إلى الاحول
 المختلفة ، ليكون ذلك أدل على الفعل بالاختيار ﴿ و ابصاركم ﴾ أى فأصمكم
 و أعماكم عمى و صمما ظاهرين و باطنين بسلب المنفعة ﴿ و ختم على قلوبكم ﴾
 فجعلها لا تعى أصلا أو لا ينتفع بالوعى ﴿ من اله ﴾ أى معبود بحق ،
 ١٠ لأن له^٥ إحاطة العلم و القدرة ؛ ثم وصف هذا الخبر بقوله : ﴿ غير الله ﴾
 أى الذى له جميع العظمة ﴿ ياتيكم به^٦ ﴾ أى بذلك الذى هو أشرف معانى
 أشرف أعضائكم ، أو بشيء منه .

ولما بلغت هذه الآيات - من الإبلاغ فى البيان فى وحدانيته
 و بطلان كل معبود سواه - أعلى المقامات ، به على أنه^٧ على ذلك ، بالامر
 ١٥ بالنظر فيها و فى حالهم بعدها ، دالا على^٨ ما تقدم^٩ من أن المقترحات لا تنفع^{١٠}
 من أراد سبحانه شقاوته فقال : ﴿ انظر كيف نصرف ﴾ [أى - ٩]
 بما لنا من العظمة ﴿ الأيت ﴾ أى نوحيا لهم و لغيرهم فى كل وجه

(١) من ظ ، و فى الأصل : لآخذ (٢) من ظ ، و فى الأصل : افرد .
 (٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و و .
 (٦) تكررت فى ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : قدم (٨) فى ظ : لا ينتفع (٩) ريد
 من ظ .

من وجوه البيان بالغ من الإحسان ما يأخذ بالعقول و يدهش الألباب ،
و يكون كافيا في الإيصال إلى المطلوب ؛ و لما كان / الإعراض عن مثل
هذا في غاية البعد ، عبر بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم هم ﴾ أى بعد هذا البيان
بصميم ضمائرهم ﴿ يصدفونه ﴾ أى يعرضون إعراضا لازما لهم لزوم الصفة^١.

و لما قرن الأخذ بالغت تارة صريحا و تارة إشارة باسقاط الكاف ؛ هـ

كان ربما وقع في وهم السؤال عن حالة الجهر ، أتبع ذلك ذكره مفصلا
لما أجمل من الأحوال في الآيتين قبل فقال : ﴿ قل اربيتكم ﴾ و لما كان
المعنى : أخبروني ، و كان كأنه قيل : عما ذا ؟ قيل : ﴿ ان انتم عذاب الله ﴾
أى الذى له جميع صفات الكمال فلا يعجزه شيء ﴿ بغتة ﴾^٢ أى بحيث
لا يرى إلا ملتبسا بكم من غير أن يشعر به و يظهر شيء من أماراته^٣ ، ١٠
﴿ اوجهرة^٤ ﴾ أى بحيث ترونه مقبلا إليكم مقدما عليكم ﴿ هل ﴾ .

و لما كان المخوف بالذات هو الهلاك من غير نظر إلى تعيين الفاعل ،
بنى للفعول قوله : ﴿ يهلك ﴾ أى فى واحدة من الحالتين هلاكا هو الهلاك ،
^٢ و هو هلاك السخط^٥ ﴿ الا القوم ﴾ أى الذين لهم قوة المدافعة و شدة
المقاتلة فى زعمكم و المقاومة ﴿ الظالمون ه ﴾ أى بوضع الأشياء فى غير مواضعها ١٥
من إعطاء الشيء^٦ لمن لا يستحقه و منع المستحق ما له ، و أما المصلح
فانه ناج^٧ إما فى الدارين و إما فى الآخرة التى من فاز فيها^٨ فلا توى

(١) من ظ ، و فى الأصل : تصميم (٢) فى ظ : الصعد - كذا (٣-٢) سقط

ما بين الرقيين من ظ (٤-٤) تأخر ما بين الرقيين فى ظ عن « مقدما عليكم » .

(٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : باح - كذا (٧-٧) فى ظ :

فاوتها - كذا .

عليه ؛ وذكر أبو حيان [أنه - ١] لما كان مطلق العذاب صالحا لكل ما يعلم من تفاصيل أهواله . ما لا يعلم ، كان التوعد به أهول^٢ ، فلذلك أكد فيه في الآيتين الخطاب بالضمير بحرف الخطاب ، والتوعد بأخذ السمع وما معه من جملة الأنواع التي اشتمل عليها ذلك المطلق^٣ فأعزى ه من حرف الخطاب .

ولما كان ذلك كله في منازلة من كذب الرسل ، وأعرض عما أرسلهم به ربهم من الآيات التي ما^٤ منها إلا^٥ ما آمن على مثله البشر ، وطلبه منهم ؛ ما لا يقدر عليه إلا مرسلهم من الإتيان بغير ما أتوا به من الآيات ؛ بين لهم حقيقة الرسالة إشارة إلى ظلمهم في طلبهم من الرسل ما لا يطلب إلا من الإله ، فقال عاطفا على " ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك " . ﴿ وما أرسل ﴾ أي^٦ بما لنا من العظمة ﴿ المرسلين ﴾ أي نوجد هذا الأمر في هذا الزمان . وكل زمان من الماضي وغيره ﴿ إلا مبشرين ﴾ لمن أطاع ﴿ ومنذرين ﴾ لمن عصى ، عريقين في كل من الوصفين ، لا مجيبين^٧ إلى ما يقترح الأمم ، ولا معذيين لمن يعاندهم ؛ ه ثم سبب عن ذلك غاية الرسالة من^٨ النفع والضرر^٩ فقال :

﴿ فمن آمن واصلح ﴾ أي تصديقا لإيمانه ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أي في الدنيا ولا في الآخرة ، أما في الآخرة فواضح ، وأما في الدنيا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ . وفي الأصل : أهون (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : منه (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل : محسنين . (٧ - ٧) من ظ ، وفي الأصل : الضر والنفع .

القانية فلأن خوفهم فيها^١ يزيد أمنهم في الآخرة الباقية ، فهو إلى فناء
ثم إلى سرور دائم ، فهو عدم ﴿ ولا هم يحزنون ه ﴾ أى حزنا بضراً^٢
بجائتهم^٣ الأبدية .

- ولما بين حال المصلحين ، أتبعه حال المفسدين فقال : ﴿ والذين كذبوا
بآياتنا ﴾ أى على^٤ ما لها بنسبتها إلينا من العظمة ﴿ يمسهم العذاب ﴾ أى الدائم ه
المتجدد^٥ ، وكفى عن قربه^٦ بأن جعل له قوة المس ، كأنه حيي مريد^٧
فقال : ﴿ بما كانوا ﴾ أى^٨ جبلة وطبعاً ﴿ يفسقون ه ﴾ أى يديمون
الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه من الإيمان وما يقتضيه ، وأما الفسق
العارض فإن صاحبه يصدر التوبة منه فيعفى عنه .

ولما بين وظيفة الرسل ، وقسم المرسل إليهم ، أمره بنفى ما يتسبب^٩ ١٠
عنه قولهم من أن البشر لا يكون رسولا ، واقتراحهم عليه الآيات من
ظن قدرته على ما يريد^{١١} ، أو أن كل ما يقدر عليه يديه لهم^{١٢} ، أو إلزامه
بذلك^{١٣} ، منها لهم على وجه ظلمهم بغلظهم أو عنادهم فقال : ﴿ قل ﴾
[أى - ١٠] فى جواب قولهم ” لو لا أنزل عليه آية “ ونحوه .

ولما [لم - ١٠] يكن لهم عهد بأن بشرا يكون عنده الخزان ، ١٥

يتصرف فيها بما يريد ، وكان يأتيهم من الآيات من انشقاق القمر / ٢٠٢ /

(١) سقط من ظ (٢) من ظ . وفى الأصل : يصير (٣) فى ظ : بجائتهم - كذا .
(٤) فى ظ : التجرد (هـ) من ظ ، وفى الأصل : قوته (٦-٦) من ظ ، وفى
الأصل : مريد حتى (٧) فى ظ : ينسب (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) زيد
بعده فى ظ : منها (١٠) زيد من ظ .

ومشى الشجر و كلام الضب والجبر ونبع الماء والحراسة بشواطئ
النار وغل الجبال ونحو ذلك مما هو معلوم في دلالات النبوة بما ربما
أوقع^١ في ظنهم أن لازمه دعواه لأنه يملك الخزائن، فكانوا يقترحون
عليه الآيات الدالة [إلزاما له - ٢] بذلك^٢ لقصد التكذيب. نفى ما ظنوا
٥ أنه يلزمه دعواه فقال: ﴿ لَأَقُولَ لَكُمْ ﴾ أى الآن ولا فيما يستقبل
من الزمان، ولما كان تعالى قد أعطاه مفاتيح خزائن الأرض، فأباهما^٣
تواضعا لله سبحانه، قيد بقوله "لكم" إيهاما لما يخبر به المؤمنين من ذلك
ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، وأما الكفرة فان إخبارهم بذلك مما يفريهم
على الاقترحات استهزاء فلا فائدة له ﴿ عندى خزائن الله ﴾ أى الملك
١٠ الأعظم الذى له الغنى المطلق والعزة البالغة، فلا كفوء له أى^٤ فأتيتكم
ما تقترحون^٥ من الآيات وما تشتهونه^٦ من الكنوز وما^٧ تستهزون به^٨
من العذاب، وإنما الخزائن بيده، يفعل فيها ما يشاء.

ولما كانوا يعهدون أن بعض البشر من الكهان يخبرون بشيء من
المغيبات، وكان الكهان يخلطون الصدق بالكذب، وكان النبي صلى الله
١٥ عليه وسلم يخبرهم بمغيبات كثيرة فيكون كما قال دائما لا خلف في شيء
منها ولا زيادة ولا نقص، فصاروا يظنون أنه يعلم الغيب، ولكنهم

(١) فى ظ: وقع (٢) زيد من ظ (٣) - ققط من ظ (٤) فى ظ: واباهما (٥) فى
ظ: يقترحون (٦) فى ظ: يشتهونه (٧-٧) فى الأصل: يشتهون به، وفى ظ:
يستهزونه - كذا.

يظنونه من آيات الكهان حتى أطلقوا عليه أنه كاهن ، فكانوا يسألونه
 عن وقت العذاب الذي يتوعدهم به وعن غيره ، لهم ^٢ 'يظفرون عليه'
 بشيء مما يقوله الكهان ولا يكون ، فيعدونه عليه ؛ نفي ما ظنوه غيره
 على هذا المقام أن ينسب ^٣ إلى غير مالكة الذي لا يجوز أن يكون
 لغيره ، فقال نفيًا له من أصله ، لا للقول فقط كما في سابقه ولاحقه ، ه
 عاطفا على " لا ، اقول " لا على " عندى " : ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾
 أى فأخبركم بوقت الفصل بيني وبينكم من مطلق العذاب أو قيام
 الساعة ، فان هاتين الحالتين - ملك الخزان وعلم الغيب - ليستا ^٤
 إلا لمرتبة ^٥ الألوهية ، وإنما لم أدع الأول كما ألزمتوني به ، ولا اتصفت
 بالثاني بما ظنتم .

١٠

و لما كانوا يظنون أن الرسول لا يكون إلا ملكا ، فكانوا يلزمونه
 بدعواه الرسالة دعوى الملائكة ليلزموه بذلك ادعاء ما هو ظاهر البطلان ،
 قال : ﴿ ولا اقول ﴾ أى بدعوى الرسالة ؛ و لما كان صلى الله عليه وسلم
 أعلى الأنبياء صفاء ، أنورهم قلبا وأندهم ^٦ فى كل هدى إضاءة وأنقاهم
 من نقائص البشر ، و كان هذا أمرا من الله له ، قيد بقوله : ﴿ لكم ﴾ ١٥
 إلهاما لأنه " لا يمتنع " عليه أن يقول ذلك ، بل لو قاله كان صادقا ،

(١) فى الأصل : بابه ، وفى ظ : آياته - كذا (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل :
 يظفرون عليهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : يسب - كذا (٤) سقط من ظ ،
 (٥) فى ظ « و » (٦) فى ظ : ليسا (٧) فى ظ : لرتبة (٨) فى ظ : على (٩) من
 ظ ، وفى الأصل : اندهم (١٠-١٠) فى ظ : يمتنع .

و مثله كثير في مجازاتهم و مجارى عاداتهم^١ [في محاوراتهم -^٢] ، و أما إسقاط " لكم " في قصة نوح من^٣ سورة هود^٤ عليها السلام فتواضعا منه لكونه من قوله ، من غير تصريح بأستناد الأمر فيه إلى الله تعالى (أنى ملك^٥) فأقوى على الأفعال التى تقوى^٦ عليها الملائكة من التحرز^٧ عن المأكل و المشرب و غيرها من أفعال الملائكة .

فلما اتقى عنه ما ألزمه به و [ما -^٨] ظنوه فيه من كونه إلها أو ملكا ، انحصر الأمر فى أنه رسول واقف عند ما حده له مرسله ، فقال على وجه النتيجة : (ان) أى ما (اتبع) أى بغاية جهدى (الا ما يوحى^٩ الى^{١٠}) أى ما رتبى إلا امتثال ما يأمرنى به ربى فى هذا القرآن الذى ١٠ - بعجزكم عن معارضته - أعظم شاهد لى ، و لم يوح إلى فيه أن أقول شيئا مما تقدم فيه ، و أوحى إلى لآندركم به خصوصا ، و أنذر به كل من بلغه عموما ، و ذلك / غير منكرفى^{١١} العقل و لا مستبعد^{١٢} بل قد وقع الإرسال لكثير من البشر ، و قد قام على ثبوته لى^{١٣} واضح الدلائل و ثابت الحجة و قاطع البراهين ، فان كان فيه الإذن لى^{١٤} بابرار خارق ١٥ أبرزته ، و ان كان فيه الإعلام بمغيب أبعده . و إلا اقتضت على الإبلاغ

(١) من ظ ، و فى الأصل : عاداتهم (٢) زيد من ظ غير أن فيه : مجاوزاتهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : فى (٤) راجع آية ٣١ (٥) من ظ ، و فى الأصل : نول (٦) فى ظ : التجرد (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : مستبعدا (١٠) فى ظ : الى .

مع التحدى ، و هو مخبر بأن الله - الذى ' ثبت بعجزكم عن معارضته أنه قوله - شاهد لى بصحة الرسالة و صدق المقالة .

ولما ' ثبت بهذا أنهم عمى الأبصار و البصائر ، لا يهتدون إلى ما ينفعهم ، و لا يقدرُونَ على إخماد خصم و لا التنصى عن وهم و لا وصم ، بل هم كالسالك بين المهالك ، يتبين بادئ بدئه فى دعواه الحكمة زوره ٥ و كذبه و فجوره لا تباع الهوى الذى هو أدرا [أدواء - ٢] ، و أنه ٢ صلى الله عليه و سلم أبصر البصراء و أحكم الحكماء لا تباعه علام الغيوب ، و كان موضع أن يقال : ما يوحى إليك فى هذا المقام ؟ قال على وجه انبكيك لهم : ﴿ قل ﴾ أى لكل من يسمع ٣ قولك بعد هذا البيان الفات لقوى الإنسان ﴿ هل يستوى ﴾ أى يكون سواء من غير مرة ١٠ ﴿ الاعمى و البصير ﴾ فان قالوا : نعم ، كابروا الحس ، و لم قالوا : لا ، قيل : فمن تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير ، و من أعرض عنها فهو العمى ، و من سوى بين الخالق و بين شيء من خلقه فهو أعمى العمى ، ثم أمره بعد الإنكار للتسوية بينهما بأن ينكر عليهم فساد نظرهم و عمى فكرهم بقوله : ﴿ افلا تفكرون ٤ ﴾ أى فيردكم فكركم ٤ عن هذه الضلالات ٥ . ١٥ و لما أمره ٦ بتوبيخهم ، أمره - عاطفا على قوله " قل " - بالإندار ٧ على وجه مخز لهم أيضا فقال : ﴿ و انذر به ﴾ أى بما يوحى إليك ، و ليس المراد تخصيص الإندار بالخائف ، بل الإشارة إلى جلاقتهم و عظيم بلادتهم

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ : به (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الضلالة (٦) فى ظ : امرهم (٧) فى ظ : بالانكار .

و كثافتهم في عدم تجويز الجائز الذي هو أهل لأن يخافه كل واحد^١
بقوله: ﴿الذين يخافون﴾ أى تجويزاً للجائز عقلاً و عادة .

و لما كان المرهوب الحشر نفسه ، لا بقيد كونه من^٢ معين ؛
بنى للفعول قوله: ﴿ان يحشروا﴾ أى يجمعوا و هم كارهون ﴿الى ربهم﴾
ه أى^٣ المحسن إليهم بالإيجاد و الترية مع التقصير في الشكر ، حال كونهم
﴿ليس لهم﴾ و أشار إلى تحقير ما سواه و سفولة بالجار فقال :
﴿من دونه﴾ أى من المنزلة التى هى تحت منزلته ، و من المعلوم أن
كل شئ تحت^٤ قهر عظمتة و متضائل^٥ عن رتبته ، ليس لهم^٦ ذلك ،
أى^٧ على وجه الانفراد أو^٨ التوسل ﴿ولى﴾ بتولى أمورهم فينقذهم
١٠ قهراً مما يخافون ﴿ولا شفيع﴾ ينقذهم بحسن سفارته^٩ و عظيم رتبته
و ترتيبه ﴿لهم يتقون ه﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى أن يجعل
بينه و بين عذاب الله وقاية .

و لما أمره بدعاء من أعرض عنه و نجاهرتة ، أمره بحفظ من تبعه
و ملاطفته ، فقال: ﴿ولا تطرد الذين يدعون﴾ و هم الفقراء من
١٥ المسلمين ﴿ربهم﴾ أى المحسن إليهم عكس ما عليه الكفار في دعاء
من لا يملك لهم ضراً و لا نفعاً ؛ ثم بين من حالهم من الملازمة ما يقتضى
الإخلاص فقال: ﴿بالغدوة و العشى﴾ أى في طرفى النهار مطلقاً

(١) في ظ : احد (٢) سقط من ظ (٣) أى متقاصر ، وفي الأصل : متصايل ،
و في ظ : مصال - كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل : بهم (٥) في ظ : ه و ه .
(٦) في الأصل : مفاربه ، و في ظ : شعارته - كذا .

أو بصلايتها أ. يكون كناية عن الدوام ؛ ثم أتبع ذلك نتيجة^١ فقال
معبرا عن الذات بالوجه ، لأنه أشرف - على ما تتعارفه^٢ - و تذكره
يوجب التعظيم و يورث التحجل من التقصير : ﴿ يريدون وجهه^٣ ﴾ أى^٤
لأنه لو كان رياء^٥ لاضمحل على طول الزمان و تناوب الحدثنان
باختلاف الشأن .

٥

و لما كان أكابر المشركين و أغنياؤهم قد وعدوه صلى الله عليه و سلم
الاتباع إن طرد من تبعه ممن يأنفون^٦ من مجالستهم^٧ ، و زهدوه فيهم
بفقرهم و بأنهم غير مخلصين في اتباعه ، إمام دعاهم إلى ذلك الحاجة ؛
بين له تعالى أنه لا حظ له في طردهم و لا في اتباع أولئك بهذا الطريق

١ / إلا من جهة الدنيا التي هو^٨ مبعوث للتفجير عنها ، فقال معللاً لما مضى ١٠ / ٢٠٤

أو مستأنفا : ﴿ ما عليك ﴾ قدم الأهم عنده و هو تحمله ﴿ من حسابهم ﴾
و أغرق في النفي فقال^٩ : ﴿ من شيء ﴾ أى ليس لك إلا ظاهريهم ،
و ليس عليك شيء من حسابهم ، حتى تعاملهم بما يستحقون في الباطن
من الطرد إن كانوا غير مخلصين ﴿ و ما من حسابك ﴾ قدم أهم ما إليه
أيضا ﴿ عليهم من شيء ﴾ أى و ليس عليهم شيء من حسابك فتخشى ١٥
أن يحيفوا^{١٠} عليك فيه على^{١١} تقدير غشهم^{١٢} ، أو ليس عليك^{١٣} من رزقهم

(١) من ظ ، و في الأصل : ملجية - كذا (٢) في ظ : يتعارفه (م) - سقط من ظ .

(٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من ظ (ه) في ظ : ماعون - كذا (٦) من ظ ،

و في الأصل : لستهم - كذا (٧) في ظ : هي (٨) من ظ ، و في الأصل : صار .

(٩) من ظ ، و في الأصل : يخففوا (١٠) من ظ ، و في الأصل : عتهم - كذا .

(١١) من ظ ، و في الأصل : لك .

شئ فيثقلوا به عليك ، وما من رزقك عليهم من شئ فيضعفوا عنه
لفقرهم ، بل الرازق لك^١ ولهم الله ؛ ثم أجاب النبي مسيئا عنه فقال :
﴿ فطردهم ﴾ أى فتسبب عن أحد الشئين^٢ طردك لهم ليقبل عليك
الأغنياء فلا يكلفوك ما كان أولئك يكلفونك^٣ ، وإن كلفتهم ما كان
ه أولئك عاجزين عنه أطاقوه ؛ والحاصل أنه يجوز أن يكون معنى جملى
" ما عليك من حسابهم " - إلى آخرهما راجعا إلى آية الكهف " ولا تعد
عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا " فيكون المعنى ناظرا إلى الرزق ،
يعنى أن دعاءك إلى الله إنما مداره الأمر الآخرى ، فليس شئ من
رزق هؤلاء عليك حتى تستغفر^٤ بهم وترغب في الأغنياء ، ولا شئ
١٠ من رزقك عليهم فيعجزوا^٥ عنه ، وفى اللفظ من كلام أهل اللغة
ما يقبل هذا المعنى ؛ قال [صاحب -^٦] القاموس وغيره : الحساب : الكافى .
ومنه " عطاء حسابا " وحسب فلان فلانا : أطعمه و سقاه حتى شبع
وروى : ^٧ قال أبو عبيد الهروى : يقال : أعطيته فأحسبته ، أى أعطيته
الكفاية حتى قال : حسى^٨ ، وقوله " يرزق من يشاء " بغير حساب
١٥ أى بغير " تقدير و تضيق " ، وفى حديث سماك : ما حسبوا ضيفهم ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : ذلك (٢) من ظ ، وفى الأصل : السن - كذا .
(٣) فى ظ : يكلفونك (٤) آية ٢٨ (٥) فى ظ : يستثقل - كذا (٦) من ظ ،
وفى الأصل : فتعجزوا (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : حسنى .
(١٠) من ظ . وفى الأصل : رزق من نشاء ، وقد ورد فى عدة مواضع
من القرآن بالنسبة (١١ - ١١) من ظ ، وفى الأصل : تعبر و لصق - كذا .

أى ما أكرموه، وقال ابن فارس فى المجلد : وأحسبته : أعطيته ما يرضيه ،
و حسبته أيضا ، وأحسبى الشيء : كفى .
ولما نهاه عن طردهم مبينا أنه ضرر لغيره فائدة ، سبب عن هذا
النهى قوله : ﴿ فتكون من الظالمين ٥ ﴾ أى بوضعك الشيء فى غير محله ،
فإن طردك هؤلاء ليس سببا للإيمان أولئك ، وليس هدايتهم إلينا ، ٥
وقد طلبوا منا فىك لما قتناهم بتخصيصك بالرسالة ما لم يخف عليك من
قولهم ” لو لا انزل عليه ملك “ ونحوه مما أرادوا به الصرف عنك ، فكما
لم يقبلهم^٢ فىك فلا تقبلهم أنت فى أولياتنا ، فانا قتناهم بك حتى سألوا
[فىك ما سألوا - ٣] و تمنوا [ما تمنوا - ٢] ﴿ وكذلك ﴾ أى ، ومثل
ما قتناهم بارسالك ﴿ قتنا ﴾ أى فعلنا فعل المخبر قسرا بما لنا من العظمة ١٠
﴿ بعضهم يعرض ﴾ بالتخصيص بالإيمان والفسنى والفقر ونحو ذلك
﴿ ليقولوا ﴾ أى إنكارا^٤ لأن تفضل غيرهم عليهم احتقاراهم واستصغارا
﴿ هؤلاء ﴾ أى الذين لا يساؤوننا بل لا يقاربوننا فى خصلة^٦ من
خصال الدنيا ﴿ من الله ﴾ أى على جلاله^٧ وعظمه ﴿ عليهم ﴾ أى
وفقههم لإصابة الحق وما يسعدهم عنده وهم فيما نرى من الحقايرة ١٥
﴿ من يننا^٨ ﴾ فالآية^٨ ناظرة إلى ما يأتى فى هذه السورة من قوله تعالى
” حتى توتى مثل ما أوتى رسل الله “ .

(١) فى ظ : بغير (٢) فى ظ : لم يقبلهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
انكار (٥) فى الأصل : الذ ، وفى ظ : الذى - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل :
حصة (٧) فى ظ : جلا - كذا (٨) سقط من ظ .

ولما كان الإنكار لا يسوغ إلا مع نهاية العلم بمراتب المفضلين ،
وأن المفضل لا يستحق التفضيل من الوجه المفضل به ، أنكر إنكارهم
بقوله : ﴿ اليس الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر ، فلا اعتراض عليه
﴿ باعلم بالشكرين ٥ ﴾ أى الذين يستحقون أن يفضلوا لشكرهم على
٥ غيرهم لكفرهم .

ولما نهى صلى الله عليه وسلم عن طردهم ، علمه كيف يلاطفهم فقال
[عاطفا على ما تقديره : وإذا جاءك الذين يحتقرون الضعفاء من عبادى
فلا تحفل^٢ بهم - ٢] : ﴿ وإذا جاءك ﴾ وأظهر موضع الإضمار دلالة
على الوصف الموجب لإكرامهم / وتعميما لغيرهم فقال : ﴿ الذين يؤمنون ﴾ / ٢٠٥
١٠ أى هم أو غيرهم أغنياء كانوا أو فقراء ، وأشار بمظهر العظمة إلى أنهم
آمنوا بما هو جدير بالإيمان به فقال : ﴿ بآيتنا ﴾ على ما لها من العظمة
بالنسبة إلينا ﴿ فقل ﴾ أى لهم بادئا بالسلام إكراما لهم و تطيبيا لحواطمهم
﴿ سلم عليكم ﴾ أى سلامة منى ومن الله ، ونكره لما يلحقهم فى الدنيا
من المصائب^٣ : ثم علل ذلك بقوله : ﴿ كتب ربكم ﴾ أى المحسن إليكم
١٥ ﴿ على نفسه الرحمة لا ﴾ ثم علل ذلك [بقوله - ٢] و^٤ استأنف بما حاصله
أنه علم من الإنسان النقصان ، لأنه طبعه على طبائع الخسران إلا من جعله
موضع الامتنان^٥ فقال : ﴿ انه من عمل منكم سوءا ﴾ أى أى سوء كان

(١) فى ظ : الفصلين - كذا (٢) فى ظ : فلا تحفل - كذا (٣) زيد ما بين
الماجزين من ظ (٤) - قط من ظ (٥) فى ظ : لنا (٦-٦) - قط ما بين الرغمين
من ظ (٧) فى ظ : او (٨) فى ظ : الامتحان .

ملتبسا ﴿ بجهالة ﴾ أى بسفه أو بخفة و حركة أخرجه عن الحق و العلم
حتى كان كأنه لا يعلم شيئا ﴿ ثم تاب ﴾ أى رجع بالندم والإقلاع وإن
طال الزمان ، ولذا^١ أدخل الجار فقال^٢ : ﴿ من بعده ﴾ أى بعد ذلك
العمل ﴿ واصلح ﴾ بالاستمرار على الخير ﴿ فانه ﴾ أى ربكم بسبب
هذه التوبة يغفر له لانه دائما ﴿ غفور ﴾ أى بالغ السر و المحو لما كان ه
من ذلك ﴿ رحيم^٥ ﴾ يكرم من تاب هذه التوبة بأن يجعله كمن أحسن
بعد أن جعله بالغفر كمن لم يذنب ، و من أصر و أفسد فانه يعاقبه ، لانه
عزيز حكيم ، وربما كانت الآية ناظرة^٦ إلى [ما - ٦] قذفهم به المشركون
من عدم الإخلاص ، و يكون حيثذمر شحا لأن المراد بالحساب المحاسبة
على الذنوب .

١٠

و لما أتى فى هذه السورة و ما قبلها بما أتى من عجائب التفاصيل
لجميع الأحوال متضمنة واضح الدلالات و باهر الآيات البينات ، قال
عاطفا على " و كذلك فتنا " عاطفا للضد على ضده ، فان فى الاختبار
نوع خفاء : ﴿ وكذلك ﴾ أى^٧ و مثل^٨ ذلك الفتن بإيراد بعض ما فيه دقة
و خفاء من بعض الوجوه لنضل^٩ من نشاء ، فيتميز الضال من المهتدى ١٥
﴿ تفصل الأيت ﴾ التى زيد بيانها ليتضح سبيل المصلحين فيتبع ﴿ ولتستبين ﴾
أى تظهر ظهورا بينا ﴿ سبيل المجرمين ﴾ فتجتنب ، و خص هذا بالذكر
وإن كان يلزم منه بيان الأول ، لأن دفع المفاسد أهم .

(١) فى ظ : كذلك (٢) فى ظ : و قوله (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) سقط
من ظ (٥) فى ظ : ظاهرة (٦) زيد من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٨) فى ظ : بفضل .

ولما كان محط حالهم في السؤال طرد الضعفاء قصد اتباع أهوائهم ،
 أمره تعالى بأن يخبرهم أنه مباين لهم - لما^١ بين له بالبيان الواضح من
 سوء عاقبة سيلهم - مباينة لا يمكن معها^٢ اتباع أهوائهم ، وهي المباينة
 في الدين فقال^٣ : ﴿ قل انى نهيت ﴾ أى ممن له الأمر كله ﴿ ان
 ٥ اعبد الذين تدعون ﴾ أى تعبدون بناء منكم على^٤ محض الهوى و التقليد في
 أعظم أصول الدين ، و [حقر أمرهم و -] ^٥ [بين سفول^٦ رتبهم بقوله^٦ :
 ﴿ من دون الله^٧ ﴾ أى الذى لا أعظم منه ، فقد وقعتم في ترك الاعظم
 و لزوم الدون^٨ الذى هو دونكم في^٩ أعظم الجهل المؤذن بمعنى القلب
 مع الكفر بالحسن ، فبايتى مبناها على المقاطعة^٩ ، فكيف تطمع^٩ في^٩
 ١٠ متابعة اثم أكد ذلك بأمر آخر دال على أنه لا شبهة لهم في عبادتهم
 فقال : ﴿ قل لا اتبع أهواءكم^{١٠} ﴾ أى عوضا عما أنا عليه من الحكمة البالغة
 المؤيدة^{١١} بالبراهين الساطعة و الأدلة القاطعة .

ولما كان من المعلوم أن الهوى لا يدعو إلى هدى ، بل إلى غاية
 الردى ، حقق ما أفهمته هذه الجملة بقوله : ﴿ قد ضللت اذا ﴾ أى إذا
 ١٥ اتبعت أهواءكم ؛ ولما كان الضال قد يرجع^{١٢} ، بين أن هذا ليس كذلك ،
 لعراقتهم في الضلال ، فقال معبرا بالجملة الاسمية^{١٣} الدالة على الثبات :
 (١) في ظ : ما (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : من (٤) زيد من ظ (٥-٥) في ظ :
 بسفول (٦) في ظ : فقال (٧) في ظ : الدين (٨) من ظ ، وفي الأصل : المعاطفة .
 (٩) من ظ ، وفي الأصل : لطمع (١٠) في ظ : المودية - كذا (١١) في ظ :
 رجع (١٢) زيد بعده في ظ : ضالة .

(و ما انا) أى إذ ذاك على شىء من الهداية لأعد (من المهتدين *) .

٢٠٦ /

و لما كان طلبهم للآيات - أى / العلامات ^١ الدالة على الصدق تارة بالرحمة فى إنزال الأنهار و الصكنوز و ^٢ إراحة الحياة ^٣ ، و تارة بالعذاب من إيقاع السماء عليهم كسفا و نحو ذلك - ليس فى يده و لا عنده تعين وقت نزوله ، و أمره هنا أن يصرح لهم بالمباينة ^٤ و يؤسهم من ^٥ الملاينة ما داموا على المداهنة ، أمره ^٥ بأن يخبرهم بما هو متمكن فيه من النور و ما هم فيه من العمى بقوله : (قل انى) و أثمار إلى تمكّنه فى الأدلة الظاهرة و الخجج القاهرة بحرف الاستعلاء فقال : (على بينة) أى إن ^٦ العدو إنما يصانع عدوه إما لعدم الثقة بالنصرة عليه و تعذيه بدائوته ، [و - ^٧] إما لعدم وثوقه بأنه على الحق ، و أما أنا فوائق بكلا ^{١٠} الأمرين (من ربي) أى المحسن إلى بارسالى بعد الكشف التام لى عن سر ^٨ الملك و الملكوت (و) الحال أنكم (كذبتُم به ^٩) أى ربي حيث رددتم رسالته فهو منتقم منكم لا محالة .

و لما قيل ذلك ، فرض أن لسان حالهم قال : فائقنا بهذه البينة ١

فقال : إن ربي تام القدرة ، فلا يخاف القوت فلا يعجل ، و أما أنا ^{١٥} فعبء (ما عندى) أى [فى - ^{١٦}] قدرتى و إمكاني (ما تستعجلون به ^{١٧}) أى فى قولكم " امطر علينا حجارة من السماء " و نحوه حتى أحكم فيكم بما يقتضيه

(١) فى ظ : العاملات (٢-٢) فى ظ : إراحة الجبال - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : المباينة (٤) فى ظ : امرهم (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : بانا نخبرهم . (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : شرك .

طبع البشر من العجلة^١ ﴿ان﴾ أى ما ﴿الحكم﴾ فى شىء من الأشياء
 هذا وغيره ﴿الا لله^٢﴾ أى الذى له الامر كله فلا كفوء له ، ثم استأنف
 قوله مبينا أنه سبحانه يأتى بالامر فى الوقت الذى حده^٣ له على
 ما هو الالىق به من غير قدرة لاحد غيره على تقديم ولا تأخير
 ٥ فقال : ﴿يقض^٤﴾ أى يفصل و ينفذ بالتقديم والتأخير ، وهو
 معنى قراءة الحرمين وعاصم " يقص " أى يقطع القضاء أو القصص
 ﴿الحق﴾ و يظهره يفصله من الباطل و يوضحه ، ليتبعه من قضى بسعادته ،
 و يتنكب عنه من حكم بشقاوته ﴿وهو خير الفصلين^٥﴾ لأنه إذا أراد
 ذلك لم يدع لبسا لمن يريد هدايته ، و جعل فى ذلك الظاهر سببا لمن
 ١٠ يريد ضلاله ؛ ثم أكد ذلك لمن زاد قلبه فى الجلافة مبينا ما فى غيره
 من^٦ : رخم العاقبة فقال : ﴿قل لو ان عندى﴾ أى على سبيل الفرض^٧
 ﴿ما تستعجلون به﴾ أى من العذاب ﴿لقضى﴾ و بناء للمفعول لأن
 المخوف إنما هو الإهلاك^٨ ، لا كونه من معين ﴿الامر بينى و بينكم^٩﴾
 أى فكنت أهلك [من -^{١٠}] خالفنى^{١١} غضبا لربى بما^{١٢} ظهر لى منه من التكبر
 ١٥ عليه ، وقد يكون فيهم مَن كُتِبَ فى ديوان السعداء ، لكنه لم يكن الامر

(١) زيد بعده فى الأصل : ما عندى ما تستعجلون به أى حتى احكم فيكم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ لحذفها (٢) فى ظ : حد (٣) فى ظ : يقضى - كذا باثبات الياء
 و الصواب ما فى الأصل ، و قال فى روح المعانى ٢ / ٤٨٩ : و حذفت الياء فى
 الخط تبعاً لحذفها فى اللفظ لالتقاء الساكنين (٤) فى ظ : شبها (٥) يسقط من ظ .
 (٦) فى ظ : الهلاك (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : خالفين .
 (٩) فى ظ : لا .

إِلَّا لِأَن لاَ أَعْلَمُ الظَّالِمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِهِ ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ،
لَا أَنَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُنْصِفِينَ فَيُنْجِيهِمْ (وَ اللَّهِ) أَيْ الَّذِي لَهُ الْكَمَالُ كُلُّهُ
(اَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) أَيْ الْمَكْتُوبِينَ فِي دِيْوَانِ الظُّلَّةِ فِيهِلِكُهُمْ .

وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مُثَبَّتَةً لِحَزَنَاتٍ مِنْ عِلْمِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ ، وَكَانَ
خَتَامُهَا الْعِلْمُ بِالظَّالِمِ وَغَيْرِهِ ، أَتْبَعَهَا الْإِخْتِصَاصَ بِمَا هُوَ أَعْمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ هـ
عِلْمُ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ حَازَهَا ، إِذْ لَا يُطْلَعُ عَلَى
الْحَزَائِنِ إِلَّا مَنْ فَتَحَهَا ، لَا يَفْتَحُهَا إِلَّا مَنْ حَازَ مَفَاتِيحَهَا وَاعْلَمْ كَيْفَ
يَفْتَحُ بِهَا ، فَاقْبَلْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْأَسْلُوبِ مِنْ بَابِ التَّرْقِيَةِ فِي مَرَاتِقِ
الْإِعْتِقَادِ مِنْ دَرَجَةٍ كَامِلَةٍ إِلَى أُكْمَلِ مِنْهَا ، فَقَالَ عَاطِفًا عَلَى مَعْنَى مَا سَبَقَ ،
وَهُوَ : فَعِنْدَهُ خَاصَّةٌ جَمِيعُ ذَلِكَ : (وَ عِنْدَهُ) أَيْ وَحْدَهُ (مَفَاتِحُ الْغَيْبِ) ١٠
[أَيْ - ٢] أَلَيْ ٢ لَا يَدْرِكُ الْغَيْبَ إِلَّا مَنْ عَلِمَهَا .

وَلَمَّا كَانَ مَعْنَى ذَلِكَ الْإِخْتِصَاصُ ، صَرَحَ بِهِ فِي قَوْلِهِ :
(لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) وَتَخْصِيصُهَا بِالنَّبِيِّ دُونَ الْحَزَائِنِ دَالٌّ عَلَى مَا فَهَمْتُهُ
مِنْ أَنَّ التَّقْيِيدَ [فِيهَا - ٢] بِـ " لَكُمْ " يَفْهَمُ أَنَّهُ يَحْمُوزُ / أَنْ تَقُولَ : ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ . ٢٠٧ /

وَلَمَّا ذَكَرَ عِلْمَ الْغَيْبِ ، أَتْبَعَهُ عِلْمَ الشَّهَادَةِ ، لِأَنَّ الْقَضَايَا الْعَقْلِيَّةَ ١٥
الْمَحْضَةَ يَصْعَبُ تَحْصِيلُ الْعِلْمِ ٦ بِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّمَامِ إِلَّا لِلْكُتَلِّ مِنَ الْأَنَامِ

(١) فِي ظ : حَاصِلُهُ (٢) زَيْدٌ مِنْ ظ (٣) فِي ظ : الَّذِي (٤) فِي ظ : يَقُولُ (هـ) زَيْدٌ
بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : مَا يَعْمُ الثَّابِتُ وَالْمُنْتَقِلُ ، خَصَّ الْمُنْتَقِلَ تَنْصِيصًا عَلَى الْحَزَنَاتِ
وَتَعْظِيمًا لِلْعِلْمِ بِتَعْظِيمِ الْمَعْلُومَاتِ ، وَلَمْ تَكُنِ الزِّيَادَةُ فِي ظ لِحَذَرِهَا ، وَسَتَأْتِي فِي
مَوْضِعِهَا الْأَلْيَقِ بِهَا (٦) سَقَطَ مِنْ ظ .

الذين^١ تجردوا فتعودوا^٢ استحضار المعقولات المجردة ، و القرآن إنما أنزل
لنفع^٣ جميع الخلق : الذكي منهم و الغبي^٤ ، فكان ذكر المحسوسات الداخلة
تحت القضية العقلية الكلية معينا على تصور ذلك المعقول و رسوخه في
القلب ، فقال مؤكدا لهذا المعقول الكلي المجرد بمثال^٥ داخل تحته^٦ يجرى
٥ مجرى المحسوس ، و عطفه بالواو عطف الخاص على العام إشارة إلى
تعظيمه فقال : ﴿ و يعلم ما في البر ﴾ و قدمه لأن الإنسان أكثر ملازمة
له بما فيه من القرى و المدن و المفاوز و الجبال و التلال و كثرة ما بها
من الحيوان^٧ و النبات^٨ النجم^٩ و ذى الساق و المعادن ﴿ و البحر ﴾
و آخره لأن إحاطة العقل بأحواله أقل و إن كان الحس يدل على أن
١٠ عجائبها أكثر ، و طولها و عرضها أعظم ، و ما فيها من الحيوانات
و أجناس المخلوقات أعجب ، فكان هذا الأمر المحسوس مقويا لعظمة
ذلك الأمر المعقول .

ولما ذكر ما يعم الثابت و المتقل : خص المتقل تنصيحا على
الجزئيات و تعظيما للعلم بتعظيم المعلومات فقال : ﴿ و ما تسقط ﴾ و أغرق في
١٥ النفي بقوله : ﴿ من ورقة ﴾ و نكرها إتماما للتعظيم ﴿ الا يعلمها ﴾ و لما كان
هذا مع عظمه ظاهرا ، ذكر ما هو أدق منه فقال : ﴿ و لا ﴾ أى

(١) في ظ : الذى (٢) في الأصل : فيعودوا ، وفي ظ : فتعود (٣) من ظ ،
وفي الأصل : النفع (٤) في ظ : الغبي (٥) من ظ ، وفي الأصل : لمثال (٦) في
ظ : تحت (٧=٨) سقط ما بين الرفعين من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل :
الحم ، والنجم من النبات ما لا ساق له .

وما من (حبة) و دل على أن الأرض ليس لها من نفسها نور
تنبيها على ما أودع هذا الآدمي المكون منها من الغرائب بقوله :
(في ظلمت الأرض) أى ولو كان في أقصى بطنها ، فكيف بما هو
في النور وهو أكبر^٢ من الحبة .

ولما خص ، رجع إلى التعميم ردا للآخر على الأول فقال : ه
(ولا رطب ولا يابس) أى وجد أو لم يوجد أو^٣ سيوجد
(إلا في كتب مينة) أى موضح لأحواله وأعيانه و كل أموره
وأحيانه ، ثبت أنه فاعل لجميع العالم بجواهره وأعراضه على سبيل
الإحكام والإتقان ، لأنه وحده عالم بجميع المعلومات ، ومن اختص بعلم
جميع المعلومات كان مختصا بصنع جميع المصنوعات وقادرا على ١٠
جميع المقدورات .

ولما كان من مفاتيح الغيب الموت والبعث الذى ينكرونه ، و كان
من أدلته العظيمة النوم والإيقاظ منه مع ما فيه من الإحسان المتكرر ،
و كان فيه مع ذلك تقرير لكمال القدرة بعد تقريره لكمال العلم ، أتبع
ذلك قوله : (وهو) أى وحده (الذى يتوفنكم) أى يقبض أرواحكم ١٥
كاملة بحيث لا يبقى عندكم شعور أصلا ، فيمنعكم التصرف بالنوم
كما يمنعكم بالموت ، وذكر الأصل فى ذلك فقال : (بالليل و يعلم) أى
والحال أنه يعلم (ما جرحتم) أى كسبتم (بالنهار) أى الذى
(١) فى ظ : لا (٢) من ظ ، وفى الأصل : اكرم (٣) فى الأصل وظ « و » .
(٤) فى ظ : اختانه (هـ) فى ظ : الكمال .

تعقبه^١ النوم، من الذنوب الموجبة للاهلاك، ويعاملكم فيها بالحلم بعد العلم ولا يعجل عليكم، وهو معنى ﴿ثم يبعثكم﴾ أى يوقظكم بعد ذلك النوم المستغرق، فيصرفكم فيما يشاء ﴿فيه﴾ أى فى النهار الذى تعقبه^٢ ذلك النوم^٣ بعد استحقاقكم للانتقام ﴿ليقضى﴾ أى يتم ﴿اجل مسمى^٤﴾
هـ كتبه للموتة الكبرى .

١ ولما تمهد بهذا النشر بعد ذاك الطي فى الموتة الصغرى القدرة على مثل ذلك فى الموتة الكبرى^٥، وكان فيه تقريب عظيم [له - °]
قال: ﴿ثم﴾ يبعثكم من تلك الموتة كما بعثكم من هذه، ويكون^٦ ﴿إليه﴾ أى وحده^٧ ﴿مرجعكم﴾ أى حسابا^٨ بالحشر إلى دار الجزاء، / ١٠ ومعنى / بانقطاع الأسباب على ما عهد فى الدنيا ﴿ثم﴾ بعد تلك^٩
المواقف الطوال والزلازل والأهوال، [ويمكن أن تشير أداة التراخي إلى عظمة العلم بذلك، نوليه يرشد أكثر ما قبله من السياق - °]
﴿ينبئكم﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما جليلا مستقصى ﴿بما كنتم تعملون^{١٠}﴾
أى فيجازيكم عليه، ولعله عبر بالعمل لأن الحساب يكون على المكلفين
١٥ الذين لهم أهلية العلم، فتقرر - مع كمال قدرته سبحانه على اختراع هذه الأشياء والعلم بها - استقلاله^{١١} بحفظها فى^{١٢} كل حال وتديرها^{١٣} على

(١) فى ظ : يعقبه (٢) فى ظ : يعقب (٣) فى ظ : اليوم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) تأخر ما بين الرقين فى ظ عن «إليه» (٧) فى ظ : حليلا (٨) فى ظ : ذاك (٩) من ظ، وفى الأصل : استقلالا له - كذا (١٠) من ظ، وفى الأصل : من (١١) من ظ، وفى الأصل : يديرها .

أحسن وجه .

ولما أخبر بتمام العلم والقدرة، أخبر بنال سلطته وعظيم جبروته
وأن أفعاله هذه على سبيل القهر لا يستطيع مخالفتها، فلو بالغ أحد في
الاجتهاد في أن ينام في غير وقته ما قدر، أو أن يقوم وقت النوم
لعجز، أو أن يحج وقت الموت لم يستطع إلى غير ذلك فقال : هـ
(وهو) أى يفعل ذلك والحال أنه وحده بماله من غيب الغيب
وحجب الكبرياء^١ (القاهر) وصور ذلك بقوله : (فوق عباده)
أى في الإحاطة بالعلم والفعل، أما قهره للعدم^٢ فبالتكوين^٣ والإيجاد،
وأما قهره للوجود^٤ فبالإفناء والإفساد بنقل الممكن من العدم إلى الوجود
تارة و^٥ من الوجود إلى العدم أخرى، فيقهر النور بالظلمة والظلمة
بالنور، والنهار بالليل والليل بالنهار - إلى غير ذلك من ضروب الكائنات
وصروف^٦ الممكنات (ويرسل) ورجع إلى الخطاب لأنه أصرح
فقال : (عليكم) من ملائكته (حفظة^٧) أى يحفظون عليكم كل حركة
وسكون لتستحيوا منهم وتخافوا^٨ عاقبة كتابتهم . ويقوم عليكم بشهادتهم
الحجة على مجارى عاداتكم ، وإلا فهو سبحانه غني عنهم ، لأنه العالم القادر
فيحفظونكم على حسب مراده فيكم (حتى إذا جاء) .

(١) من ظ ، وفي الأصل : الكبر (٢) في ظ : بالعدم (٣) من ظ ، وفي الأصل :

فبالسكون (٤) من ظ ، وفي الأصل : بوجود (٥) تقدمت في ظ على تارة . .

(٦) في ظ : صنوف (٧) من ظ ، وفي الأصل : يخافوا .

ولما كان تقديم المفعول أخوف قال : ﴿ احدثكم الموت ﴾ أى الذى لا يحيد له عنه ولا محيص ﴿ توفته ﴾ أى أخذت روحه كاملة ﴿ رسلنا ﴾ من ملك الموت وأعوانه على ما لهم من العظمة بالإضافة إلينا ﴿ وهم لا يفرطونه ﴾ فى نفس واحد ولا ما دونه ولا ما فوقه ه بالتوائى عنه ليتقدم ذلك عن وقته أو يتأخر ؛ ولما أشار سبحانه إلى قوته بالجنود التى تفوت الحصر - وإن كان عنهم غنيا بصفة [القهر ^٢] -
 به ^٢ بصيغة المجهول إلى استحضر عظمته وشامل جبروته وقدرته فقال : ﴿ ثم ﴾ أى بعد حبسهم فى قيد البرزخ ﴿ ردوا ﴾ أى ردهم راد^٤ منه لا يستطيعون دفاعه أصلا ﴿ الى الله ﴾ أى الذى لا تحد عظمته ١٠ ولا تعد جنوده وخدمته ﴿ مولتهم ﴾ أى مبدعهم ومدير أمورهم^٥ كلها ﴿ الحق ^٦ ﴾ أى الثابت الولاية ، وكل ولاية غير ولايته من الحفظه وغيرهم عدم ، لأن الحفظه لا يعلمون إلا ما ظهر لهم ، وهو سبحانه يعلم السر وأخفى .

ولما استحضر المخاطب عزته وقهره ، وتصور جبروته وكبره ، ١٥ فأنهل^١ قلبه وسمعه لما يلقى إليه وبتلى عليه ، قال : ﴿ الا له ﴾ أى وحده [حقا - ^٢] ﴿ الحكم ﴾ ولما كان الانفراد بالحكم بين جميع الخلق أمرا يحير الفكر ، ولا يكاد يدخل تحت الوهم ، قال محقرا فى جنب قدرته :

(١) فى ظ : منه (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل و ظ : منه - كذا (٤) من ظ ، وفى الأصل : رادا (٥) من ظ ، وفى الأصل : امرهم (٦) فى ظ : فتأمل .

(وهو) أى وحده (أسرع الحسين) يفصل بين الخلائق كلهم
 فى أسرع من الملح كما أنه يقسم أرزاقهم فى الدنيا فى مثل ذلك ،
 لا يقدر أحد^٢ أن ينفك عن عقابه بمطاوله^٣ فى الحساب ولا مغالطة^٤
 فى ثواب ولا عقاب ، لأنه سبحانه لا يحتاج إلى فكر وروية ولا عقد
 و [لا - ٥] كتابة ، فلا يشغله حساب^٦ عن حساب^٦ ولا شئ عن شئ . ٥
 ولما تعرف بأفعاله وشؤنه حتى اتضحت وحدانيته وثبتت فردانيته ،
 ذكرهم أحوالهم فى إقرار توحيده^٧ وقت الشدائد والرجوع عن ذلك
 عند الإنجاء منها ، فكانوا كمن طلب من شخص شيئاً وأكد له الميثاق
 / على الشكر ، فلما أحسن إليه باعطائه سؤله نقض عهده وبالغ فى الكفر^٨ ،
 ٢٠٩ / وذلك عندهم فى غيبة من القبائح لا توصف^٩ فقال : (قل) أى ١٠
 هؤلاء الذين يدعون محاسن الأعمال (من ينجيكم) أى كثيراً وعظيماً
 (من ظلمت البر والبحر) أى حيث لا هداية لكم بنجم ولا جبل
 ولا غيرهما ، أو عبر بالظلمات عن الكروب^{١١} التى بلغت شدتها [إلى أن
 صاحبها يكون كأنه فى أشد ظلام ، فهو بجيت - ١٢] أنه لا يهتدى فيها إلى وجه
 حيلة بنوع وسيلة (تدعونه) أى على وجه الإخلاص له والتوحيد ١٥
 والإعراض عن كل شرك^{١٢} وشريك لزوال الحظوظ عند إحاطة الرعب
 (١) من ظ ، وفى الأصل : نقل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : مطاولة (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : مغالطة (٥) زيد من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٧-٧) فى ظ : الأفراد بتوحيده (٨) فى ظ : الفكر (٩) فى ظ : لا يوصف (١٠) من
 ظ ، وفى الأصل : الكروب (١١) من ظ ، وفى الأصل : شريك .

واستيلائه على مجامع القلب ، فلا يبقى إلا الفطرة السليمة ؛ قال الإمام عبد الحق الإشبيلي في كتابه الواعى : ﴿ تضرعا ﴾ أى مظهرين الضراعة ، وهى شدة الفقر ، وحقيقته ' الخشوع ' ﴿ و ﴾ قوله : ﴿ خفية ٤ ﴾ أى تخفون فى أنفسكم مثل ما تظهرون ؛ قال شمر ٢ : يقال : ضرع له وضرع ه و تضرع أى تخشع ٣ و ذل ؛ ثم قال : و ضرع الرجل يضرع ضرعا - إذا استكان و ذل ، وهو ضارع بين الضراعة ، وهؤلاء قوم ضرع ، أى إذلاء ، وهم ضرعة أى متضرعون ، والتضرع إلى الله : التخشع إليه والتذلل ، وإذا كان الرجل محتال الجسم قلت : إنه لضرع الجسم بين الضروع ، وفى الذل بين الضراعة - انتهى .

١٠ ولما بين وصفهم وقت الدعاء ، بين قولهم إذا ذاك فقال ٥ :

﴿ لن انجيتنا من هذه ﴾ فأكدوا وخصوا وبينوا غاية البيان

﴿ لنكونن من الشكرين ه ﴾ أى العريقين فى الشكر ؛ ولما كانوا مقرين

بأن فاعل ذلك هو الله ، ولكنهم يكفرون نعمته ، عدوا منكبين ،

فأمره بالجواب غير منتظر لجوابهم بقوله : ﴿ قل الله ﴾ أى الذى له جميع

١٥ العظمة ﴿ بنجيكم منها ﴾ أى [من - ٧] تلك الشدة ﴿ ومن كل كرب ﴾

(١) فى ظ : حقيقة (٢) فى ظ : حمر - كذا ، والصواب ما فى الأصل ، وهو

شمر بن حمدويه الهروى - راجع معجم المؤلفين ٤ / ٣٠٦ (٣) من ظ ، وفى

الأصل : يخشع (٤) فى ظ : صفتهم (٥) سقط من ظ (٦) وقرأ أهل الكوفة :

أنجانا - بلفظ النية مراعاة لبدعونه دون حكاية خطابهم فى حالة الدعاء - راجع

روح المعانى ٢ / ٤٩٦ (٧) زيد من ظ .

أى وقتم فيه ، وما أعظم موقع قوله : ﴿ ثم اتم ﴾ مع التزام الإخلاص فى وقت الكرب و مع التزام الشكر ﴿ تشركون ^١ ﴾ مشيرا إلى استبعاد نقضهم بأداة التراخى مع ما فيه من الجنس لما كان ينبغى لهم من أنهم يشكرون ^٢ .

و لما كانوا بأشراكهم ^٣ كأنهم ^٤ يظنون أن الشدة زالت عنهم زوالا ه لا يعود ، و كان اللائق بهم دوام التذلل إما وفاء و إما خوفا ، أخبرهم ترهيبا لهم من سطوته و تحذيرا من بالغ قدرته أن ^٥ شدتهم تلك التى ^٦ أذلهم لم تزل فى الحقيقة ، فان قدرة الملك عليها حالة ^٧ الرخاء كقدرته عليها فى وقتها سواء ، فانه ^٨ خالق الحالتين و أسبابهما و ما فيها ، و لكنهم عمى الأبصار ^٩ أجلاف الطبايع فقال : ﴿ قل هو ﴾ أى وحده ﴿ القادر ﴾ ^{١٠} [و لم يصغه صيغة مبالغة لأنهم لم يكونوا ينكرون قدرته إنما كانوا يدعون المشاركة ^{١١} التى نقاها ^{١٢} بالتخصيص ، على أن التعريف يفيد به المبالغة -]
﴿ على أن يبعث ﴾ أى فى أى ^{١٣} وقت يريد ^{١٤} ﴿ عليكم ﴾ أى فى كل حالة ﴿ عذابا من فوقكم ﴾ باسقاط السماء قطعا أو شىء منها كالحجارة التى حصب ^{١٥} بها قوم لوط و أصحاب القيل أو ^{١٦} بتسليط أكابرهم

- (١) من ظ و القرآن الكريم . وفى الأصل : تشكرون (٢) فى ظ : يشركون .
(٣) فى ظ : بأشراكهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : كانوا (٥) فى ظ : الى .
(٦) فى ظ الذى (٧) فى ظ : حال (٨) من ظ ، وفى الأصل : فان (٩) فى الأصل :
الابصار ، وفى ظ : البصائر (١٠ - ١١) فى ظ : الذى نقاه (١١) زيد ما بين
الحاجزين من ظ (١٢) فى ظ : كل (١٣) من ظ ، وفى الأصل : يريد (١٤) فى ظ :
خست (١٥) من ظ ، وفى الأصل : و .

(او من تحت ارجلكم) أى بالخسف أو إثارة الحيات أو غيرها^١ من الأرض كما وقع لبعض من سلف، أو بتسليط سفلكم و عبيدكم [عليكم -^٢]
 (او بلبسكم) أى يخطط بينكم حال كونكم (شيعا) أى متفرقين، كل شيعة على هوى، فيكون ذلك سببا للسيف (و يذيق بعضكم) أى بعض تلك الشيع (باس بعض^٣) فيسارى في ذلك بين الحرم وغيره،
 و يهير التخطف بالنهب و الغارات عاما، و سوق هذا الكلام هكذا يفهم إيقاعه في وقت ما للناس ما، لأن كلام الملوك يصان عن أن لا يكون له صورة توجد و إن كان على سبيل الشرط و نحوه، فكيف بملك الملوك علام الغيوب^٤ و للتدريب على مثل هذا الفهم في كلام الله تعالى
 ١٠ قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى في التفسير عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: أما إنها كاتنة. ولم يأت تأويلها بعد. و قال:
 حسن غريب، / و سيأتى لهذا مزيد بسط و تحقيق في قوله تعالى في الفرقان
 / ٢١٠ "تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك"^٥ - الآية.

ولما كان هذا يانا عظيما، أشار إلى عظمه بقوله: (انظر)
 ١٥ و عظمه تعظيما آخر بالاستفهام فقال (كيف نصرف^٦ الأيت) أى أى نكررها^٧ موجهة في جميع [الوجوه -^٨] البديعة النافعة البليغة (لعلهم يفقهون^٩) أى ليكون حالهم حال من يرجى فهمه و انتفاعه به، كان هذا (و) الحال أنه (كذب به) أى هذا العذاب

(١) في ظ: اشارة (٢) من ظ، و في الأصل: غيرهما (٣) زيد من ظ (٤) آية. ١٠ -

(٥) في ظ: يصرف (٦) في ظ: يكررها.

أو القرآن المشتغل على الوعد والوعيد والأسباب المينة للخلق جميع ما ينفعهم ليلزموه^١ وما يضرهم ليحذروه^٢ (قومك) أى الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمرك ويسروا بسيادتك ، فإن القيلة إذا ساد أحدها عزت به ، فإن عزه عزها وشرفه شرفها ، ولا سيما إذا كان^٣ من بيت الشرف ومعدن السيادة ، وإذا سفل أحدها اهتمت به غاية الاهتمام وسترته عيوبه مهما أمكنها^٤ فإن عاره لاحق بها ، فهو من عظيم التوبيخ لهم^٥ ودقيق التقريع ، وزاد ذلك بقوله : (وهو) أى والحال أنه (الحق^٦) أى الثابت الذى لا يضره التكذيب به ولا يمكن زواله . ولما كان الإنسان ربما حصل له اللوم بسبب قومه ، كان صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام بمعرض أن يخاف عاقبة ذلك ويقول : فماذا^٧ ١٠ أصنع بهم ؟ فقال تعالى معلما أنه ليس عليه بأس من تكذيبهم : (قل لست) وقدم الجار والمجرور للاهتمام به معبرا بالأداة الدالة على القهر والغلبة فقال^٨ : (عليكم بوكيل^٩) أى حفيظ ورقيب لأفهركم على الرد عما أنتم فيه .

ولما كانوا بصدد أن يقولوا تهكما : كن كذلك ، فلا علينا^{١٠} منك^{١١} ١٥ قال مهددا : (لكل) وأشار إلى جلالة خبره بقوله : (نبا) [أى خبر أخبرتكم به من هذه الأخبار العظيمة -] ، ومعنى (مستقرز) (١) فى ظ : فيلزموه (٢) من ظ ، وفى الأصل : ليحذرون (٣) فى ظ : كاتب - كذا (٤) فى ظ : امهلها (٥) فى ظ : بهم (٦) فى ظ : فما (٧) سقط من ظ . (٨) فى ظ : عليك (٩) زيد ما بين الحاذرين من ظ .

موضع ' وقت ' قرار من صدق أو كذب ، أى لا بد أن [يحط -] الخبر
على واحد منهما ، لا ينفك خبر من الأخبار عن ذلك (وسوف تعلمون .)
أى محط خبره العظيم بوعده صادق ، لا خلف فيه وإن
تأخر وقوعه .

٥ . ولما أمره بما يقول جوابا لتكذيبهم ، تقدم إليه فيما يفعل وقت
خوضهم فى التكذيب فقال : (وإذا رايت) خاطب النبى صلى الله
عليه وسلم والمراد غيره ليكون أردع (الذين يخوضون) أى يتكلمون
(فى البتة) أى بغير تأمل ولا بصيرة بل طوع الهوى ، كما يفعل
خائض الماء فى وضعه لرجله على غير بصيرة لستر مواضع الحُطَا
١٥ . وبغير تمام الاختيار الغلبة الماء (فاغرض عنهم) ترك المجالسة
أو ما يقوم مقامها ؛ ولما كان الخوض فى الآيات دالا على قلة العقل
قال : (حتى يخوضوا فى حديث غيره) لحكم على حديثهم فيما سوى
ذلك أيضا بالخوض ، لأن فيه الغث والسمين ، لأنه غير مقيد
بنظام الشرع .

١٥ . ولما كان الله تعالى - وله الحمد - قد رفع حكم النسيان عن هذه الأمة ،
قال مؤكدا : (وأما يفتنك الشيطان) أى إنساء عظيمها إشارة إلى أن
مثل هذا الأمر جدير بأن لا ينسى (فلا تقعد بعد الذكرى) أى

(١) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجرين من ظ (٣) من ظ ،
وفى الأصل : منها (٤) - سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لسند .
(٦) فى ظ : تغير (٧) من ظ ، وفى الأصل : اغسله - كذا .

التذكر لهذا النهى (مع القوم الظلمين هـ) أظهر موضع الإضمار تعميما
و دلالة على الوصف الذى هو سبب الخوض ، و هو الكون فى الظلام .
و لما كانت هذه الآية ^١ مكية ، و كانوا إذ ذاك عاجزين عن ^٢ الإنكار
بغير القلب ، قال : (و ما على الذين يتقون) أى يخافون الله فلا يكذبون
بآياته [فى مجالة الكفرة - ^٣] (من حسابهم) أى الخائضين إذا كانوا هـ
أقوى منهم (من شيء) و ما نهينا عن المجالة لأن عليهم فيها - و الحالة
هذه - إنما (ولكن) نهينا لتسكون المفارقة إظهارا للكرهية (ذكرى)
للخائضين لاستحيائهم من أذى الجليس * (لعلمهم يتقون هـ) أى ليكون
حالمهم بذلك حال من يرجى منه التقوى ، فيجتنب الخوض فى الآيات
/ إكراما للجليس .

١٠ / ٢١١

و لما أبرز هذا الأمر فى صيغة النهى ، أعاده بصيغة الأمر
اهتماما به ^١ و تأكيد له ، و أظهر لهم وصفا آخر هو غاية الوصف الأول
مع ما ضم إليه من الإرشاد إلى الإنقاذ من المعاطب ^٢ فقال : (و خذ)
أى اترك ^٣ أى ترك كان ^٤ و لو كان على أدنى الوجوه (الذين اتخذوا)
أى كفوا أنفسهم فى اتباع الهوى بمخالفة العقل المستقيم و الطبع الفطرى ^٥
السليم بأن أخذوا (دينهم) على نمط الاستخفاف من دنياهم ؛ [و لما كان

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) زيد من ظ (٤) من
ظ ، و فى الأصل : لكرهية (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحس (٦) فى ظ :
المخاطب (٧ - ٧) موضعه فى ظ : و ما يقيمه من البحار و السوايب و نحو ذلك
فلا تبال بهم ولا يشغل قلبك أمرهم - كذا ، و هذه العبارة جئنا بفرق يسير .

الدين ملكة راسخة في النفس، ' ولا شيء ' من كفيات النفس أرسخ منها
ولا أثبت، وهو أشرف ما عند الإنسان، وكان اللعب ضده لا شيء
أسرع من انقضائه ولا أوهى من بنائه، قال ذامًا^٢ لهم بأنهم بدلوا مقصود
هذه السورة - الذي هو من الاستدلال على التوحيد الذي لا أشرف منه
مطلقا ولا أعلى ولا أنفس بوجه ولا أحلى - بما لا أدنى منه ولا أوهى
ولا أحق للروءة ولا أدهى^٣ : ﴿ لعبا ﴾ [ولما كان ربما قيل :
إنهم إذا انقضى اللعب عادوا إلى الاشتغال بالدين، أتبعه الباعث عليه
إشارة إلى أنه كلما ملوا اللعب بعثوا النفوس إليه باللهو كما ترى الراقص
كلما فتر في رقصه بعثوه عليه بتقوية اللهو أو الانتقال من فن إلى آخر
١٠ من فنونه و شأن بديع من شؤنه^٤ فقال -^٢] : ﴿ وهوا ﴾ [أى -^٣]
في الاستهزاء بالدين الحق * بالمكاهم والتصدية وبالبحائر والسواحب وغير
ذلك، فلا تبال بهم ولا يشغل قلبك بهم * ﴿ وغرتهم ﴾ أى خدعتهم
﴿ الحيوء الدنيا ﴾ التى هم من أعرف الناس بزوالها، وأن كل من بها
هالك، فشتيهم النعم التى من عليهم سبحانه بها فيما لا ينالونه من السعادة
١٥ إلا باتباع أوامره واجتناب نواهيه :

ولما كان ربما أفهم ذلك تركهم في كل حالة، ففاه بقوله :
﴿ وذكر به ﴾ أى تحديث^٥ الآيات، وهى القرآن المتجدد إزاله،

(١-١) في ظ : الاسى - كذا (٢) في ظ : اذا ما - كذا (٣) زيد ما بين
الحاجزين من ظ (٤) في ظ : شانه (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٦) من ظ ، وفي الأصل : تحذير .

والضمير في الحقيقة للآيات ، أى دعهم^١ يفعلوا ما أرادوا ، لا تبال بشيء^٢ من ذلك ، ولا ترك^٣ وعظهم بهذا القرآن ، أى ما عليك إلا البلاغ ، لم تكلفك^٤ في هذه الحالة أكثر^٥ منه (ان تبسل) قال في المجمل : البسل : التخل^٦ ، وأبسلته : أسلته للهلكة^٧ ، فالمنى : كراهة أن تخل وتسلم (نفس بما) أى بسبب ما (كسبت^٨) فى دنياها كائنه (ليس لها من ه دون الله) أى المفرد بالعظمة (ولى) أى يتولى^٩ نصرها (ولا شفيع ج) ينقذها بشفاعته .

ولما كان الفداء من أسباب الخلاص قال : (و ان تعدل) أى تلك النفس لأجل التوصل إلى الفكك (كل عدل) أى كل شيء يظن أنه يعدلها ولو كان أنفـس^{١٠} شيء ؛ "ولما" كان الضار عدم الأخذ ، لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : (لا يؤخذ منها^{١١}) ولما أتبع ذلك قطعاً أن من هذا حاله هالك ، قال : (أولئك) أى الذين عملوا^{١٢} هذه الأعمال البعيدة عن الخير (الذين اسلوا) أى أسلوا (بما كسبوا^{١٣}) ثم استأنف قوله^{١٤} : (لهم شراب من حميم) أى هو فى غاية الحر يصهر به

(١) من ظ ، وفى الأصل : دعاهم (٢) من ظ ، وفى الأصل : شيء (٣) فى الأصل و ظ : لا يترك (٤) فى ظ : لم تكلف (٥) من ظ ، وفى الأصل : لاكثر (٦) فى ظ : المحل (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : متول (٩) فى ظ : لما (١٠) فى ظ : الشيء (١١ - ١٢) سقط ما بين الرقين من ظ (١٣) زيد بعده فى ظ : من (١٤) من ظ ، وفى الأصل : عهدوا (١٥) من ظ ، وفى الأصل : بقوله .

ما في بطونهم ، بما اعتقدوا في الآيات ما ظهر على ألسنتهم ﴿ وعذاب اليم ﴾
 أي يعم دائماً ظواهرهم وبواطنهم بما ظهر عليهم من ذلك بعد ما بطن
 ﴿ بما ﴾ أي سبب ما ﴿ كانوا يكفرون ﴾ أي يجددون^١ من تغطية الآيات .
 ولما تقرر أن غير الله لا يمنع من الله بنوع^٢ ، لا آلهتهم التي زعموا أنها^٣
 ٥ شفعائهم ولا غيرها ، ثبت أنهم على غاية اليقظة من أن كل ما سواه لا ينفع
 شيئاً ولا يضر ، فكان في غاية التبكيت لهم قوله : ﴿ قل ﴾ أي بعد
 ما أقمت^٤ من الأدلة على أنه ليس لأحد مع الله أمر ، منكراً عليهم
 موضحاً لهم ﴿ ائندعوا ﴾ أي دعاء عبادة ، وبين حقارة معبوداتهم فقال :
 ﴿ من دون الله ﴾ أي المنفرد بجميع الأمر .
 ١٠ ولما كان السياق لتعداد النعم " الذي خلق السموات والارض "
 " خلقكم من طين " ، " يطعم ولا يطعم " ، " ويرسل عليكم حفظة " ،
 " من ينجيكم من ظلمات البر والبحر " ، " الله ينجيكم منها ومن كل
 كرب " قدم النفع في قوله : ﴿ ما لا ينفعنا ولا يضرنا ﴾ أي لا يقدر
 على شيء من ذلك ، ليكونوا على غاية اليأس من^٥ " اتباع حزب^٦ الله
 ١٥ لهم ، وهذا كالتعليل لقوله " إني نهيت أن اعبد الذين تدعون من
 دون الله " :

ولما ذكر عدم المنفعة في دعائهم ، أشار إلى وجود الخسارة في

(١) من ظ ، وفي الأصل : يجدون (٢) زيد بعده في ظ : منهم (٣) زيد بعده
 في ظ : زعموا (٤) سقط من ظ (٥) في ط : انهمت (٦) من ظ ، وفي الأصل :
 عن (٧-٧) في ظ : ايقاع الحرب .

رجائهم فقال: ﴿ و نرد ﴾ أى يرجوننا إلى الشرك، [و بناء للمفعول لأن
 المنكر الرد نفسه من أى راد كان - ٢] ﴿ على أعقابنا ﴾ أى فنأخذ^٢
 في الوجه المخالف لقصدنا فنصير كل وقت في خسارة بالبعد عن المقصود
 ﴿ بعد اذ هدانا الله ﴾ أى الذى لا خير إلا وهو عنده ولا ضرر إلا وهو
 قادر عليه، إلى التوجه^٣ نحو المقصد، و وقفنا له و أنقذنا من الشرك . ه
 و لما صور حالهم، مثله فقال: ﴿ كالذى ﴾ أى نرد من علو القرب^٤
 إلى المقصود إلى سقول البعد / عنه ردا كرد الذى ﴿ استهوته ﴾ أى طلبت
 ٢١٢ / نزوله [عن درجته - ٥] ﴿ الشيطان ﴾ فأنزله عن أفق مقصده إلى
 حضيض مقطبه، شبه حاله بحال من سقط من عال في مهوأة مظلمة^٦
 فهو في حال هوية^٧ في غابة الاضطراب و تحقق التلاف و العنى عن ١٠
 الخلاص ﴿ في الأرض ﴾ حال^٨ كونه ﴿ حيران ﴾ ثائها ضالا، لا يهتدى
 لتوجهه ولا يدرى كيف يسلك، ثم استأنف قوله: ﴿ له ﴾ أى هذا
 الذى هو^٩ ﴿ اصحب ﴾ أى عدة، ولكنه تمكن الحيرة منه لا يقبل
 ﴿ يدعونه الى الهدى ﴾ و بين دعاءهم بقوله: ﴿ اتقنا ﴾ و هو قد اعتسف
 المهمة تابعا للشياطين، لا يجيبهم ولا يأتيهم لأنه قد غلب على نفسه، ١٥
 و حيل^{١٠} بينه و^{١١} بين العبر و النزوان .

- (١) من ظ ، و في الأصل : رجوعنا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل :
 فياخذ (٤) من ظ ، و في الأصل : امر (٥) من ظ ، و في الأصل : التوجه .
 (٦) في ظ : القرآن (٨) زيد من ظ (٩ - ٩) من ظ ، و في الأصل : مهول
 مظلمه (١٠) في ظ : مهوأة - كذا (١١) في ظ : حالة (١٢) في ظ : هو .
 (١٣ - ١٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .

ولما كان هذا مما يعرفونه و شاهدوه مرارا ، و كانوا عالمين بأن دعاء أصحابه له ^١ في غاية النصيحة و الخير ، و أنه إن تبعهم نجا ، و إلا هلك هلاكا لا تدارك له ، فكان جوابهم : إن دعاء أصحابه له ^١ لهدى ، بين أنه مضمحل تافه جدا بحيث ^٢ أنه يجوز أن يقال : ليس هدى بالنسبة إلى هـ هذا الذي يدعوم إليه ، بقوله : ﴿ قل ان هدى الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ الهدى ^٣ ﴾ أى لا غيره كدعاء أصحاب المستهوى ، بل ذاك الهدى مع إنقاذه من الهلاك [إلى - ^٢] جنب هذا الهدى كلا شيء ، لأن الشيء هو الموصل إلى سعادة الأبد .

ولما كان التقدير : فقد أمرنا أن نلزمه و نترك كل ^٤ ما عداه ، عطف عليه أمرا عاما فقال : ﴿ و امرنا لنسلم ﴾ أى ورد علينا الأمر بمن لا أمر لغيره بكل ما يرضيه لأن نسلم بأن نوقع الإسلام و هو الانقياد التام فتتخلى عن كل هوى ، و أن نقيم الصلاة بأن نوقعها بجميع حدودها الظاهرة و الباطنة فتتخلى ^٥ بفعلها أشرف حلى ﴿ رب العالمين ^٦ ﴾ أى لإحسانه إلى كل أحد بكل شيء خلقه ؛ ثم فسر المأمور به ، فكأنه ^٧ قال : أن أسلموا ﴿ و ان اقيموا الصلوة ﴾ لوجهه ﴿ و اتقوه ^٨ ﴾ مع ذلك ، أى افعلوها لا على وجه الهزء و اللعب ، بل على وجه التقوى و المراقبة ليدل ^٩ ما ظهر منها على ما بطن من الإسلام للحسن .

ولما كان التقدير : فهو الذى ابتداء خلقكم من طين فاذا أنتم بشر مصورون ^{١٠} ، و جعلكم أحياء فيقدرته على مدى الأيام تنتشرون ^{١١} ، عطف

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، و فی الأصل : تحسب - كذا .

(٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فی الأصل : فيحلى ، و فی ظ : فيتحل .

(٦) زيد بعده فی ظ : على (٧) فی ظ : تنتشرون (٨) من ظ ، و فی الأصل : تنتشرون .

عليه قوله: ﴿ وهو الذي إليه ﴾ أى لا إلى غيره بعد بعثكم من الموت
 ﴿ تحشرونه ﴾ فأتى بالبعث الذى هم له منكرون لكثرة ما أقام من
 الأدلة على تمام القدرة فى سياق دال على أنه بما لا مجال للخلاف
 [فيه -^١] ، و أن النظر إنما هو فيما وراء ذلك ، وهو أن عملهم للباطل
 سوغ تنزيلهم منزلة من ^٢ يعتقد أنه يحشر إلى غيره سبحانه عن لا قدرة ه
 له على جزائهم ، فأخبرهم أن الحشر إليه لا إلى غيره ، لأنه ^٣ لا كلام
 هناك لسواه ، فلا علق بين المحشورين ولا تناصر كما فى الدنيا ، والجملة
 مع ذلك كالتعليل للامر بالتقوى ، وقد بان أن الآية من الاحتباك ، فانه
 حذف الصلاة أولا لدلالة ذكرها ثانيا ، والإسلام ثانيا لدلالة ذكره أولا .
 ولما كانوا بعبادة غيره تعالى - مع إقرارهم بأنه [هو -^١] خالق ١٠
 السموات و الأرض - فى حال من يعتقد أن ذلك الذى يعبدونه من
 دونه هو الذى خلقهما ، أو شاركا فيها . فلا قدرة لغيره على حشر من
 فى مملكته ، قال تعالى منها لهم من غفلتهم وموقظا من رقبتهم معيدا
 الدليل الذى ذكره ^٢ أول السورة على وجه آخر: ﴿ وهو ﴾ أى وحده
 ﴿ الذى خلق ﴾ أى أوجد و اخترع و قدر ﴿ السموات و الأرض ﴾ ١٥
 [أى -^١] على عظمهما وفوت ما فيها من الحكم والمنافع الحصر
 ﴿ بالحق ﴾ أى بسبب إقامة الحق ، وأتم ترون أنه غير قائم فى هذه
 الدار ولا هو قريب من القيام ، فوجب على كل من يعلم أن الله حكيم
 (١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل:
 ذكر (٤) سقط من ظ .

خير أن يعتقد أنه لا بد من بعثه العباد [بعد - '] موتهم - كما وعد بذلك -
ليظهر العدل بينهم ، فيبطل كل باطل ' ويحق كل حق ، ويظهر الحكم ' لجميع ' الخلق .

/ ٢١٣

ولما قرر أن / إقامة الحق هي المراد ، قرر قدرته عليها بقوله :
٥ (و يوم يقول) أي للخلق ' ولكل ' شيء يريد في هذه الدار وتلك
الدار (كن فيكون ط) أي فهو ' يكون لا يتخلف ' أصلا .

ولما قرر أنه لا يتخلف شيء عن أمره . علله فقال : (قوله الحق ط)
أي لا ' قول غيره ' ، لأن أكثر قول غيره باطل ، لأنه يقول شيئا
فلا يكون ما أراد ؛ ولما كان في مقام الترهيب من سطوته ، قال مكررا
١٠ لقوله " وهو الذي إليه تحشرون " : (وله) أي وحده بحسب الظاهر
والباطن (الملك يوم) ولما كان المقصود تعظيم النفخة ، بنى للفعول
قوله : (ينفخ في الصور ط) لا نقطاع ' العلائق بين الخلائق ، لا كما
ترون في هذه الدار من تواصل الأسباب ، وقوله - : (علم الغيب) وهو
ما غاب عن كل ما سواه سبحانه (والشهادة ط) وهو ما ' صار بحيث
١٥ يطلع عليه " الخلق - مع كونه علة لما قبله من تمام القدرة كما سيأتي
إن شاء الله تعالى [في ظه - '] من تمام الترهيب ، أي أنه لا يخفى عليه شيء

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : بما بطل (٣) في ظ : الحكمة (٤) من ظ ، وفي الأصل :
الجميع (٥) من ظ ، وفي الأصل : لا يحق (٦) في ظ : كل (٧) سقط من ظ .
(٨) في ظ : فلا يتخلف (٩-٩) من ظ ، وفي الأصل : غير قوله (١٠) في ظ :
العلائق (١١) من ظ ، وفي الأصل : على .

من أحوالكم، فاحذروا جزاءه يوم تنقطع^١ الأسباب، و يذهب التعاضد والتعاون، وهو على عادته سبحانه في أنه [ما - ٢] ذكر أحوال البعث إلا قرر فيه أصلين: القدرة على جميع الممكنات، والعلم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات، لأنه لا يقدر على البعث إلا من جمع الوصفين (وهو) أى وحده (الحكيم) أى التام الحكمة، فلا يضع شيئاً في غير محله ولا على غير إحكام، فلا معقب لأمره، فلا بد من البعث (الخبير) بجميع الموارد والمصادر، فلا خفاء لشيء^٢ من أفعال أحد من الخلق عليه في ظاهره ولا باطن ليهملهم عن الحساب.

ولما كان مضمون هذه الآيات [مضمون الآيات - ٢] الثلاث

المفتتح بها السورة الهادمة^٣ لمذهب الثنوية، وهم أهل فارس قوم إبراهيم عليه السلام، وكان إبراهيم عليه السلام يعرف بفضل جميع الطوائف، لأن أكثرهم من نسله كاليهود والنصارى والمشركين من العرب، والمسلمون لما يعلمون من إخلاصه لله تعالى وانتصابه لمحاكمة من أشرك به واحتمال الأذى فيه سبحانه، تلاها بمحاجته^٤ لهم بما^٥ أبطل مذهبهم وأدحض حججهم^٦ فقال: (واذ) أى اذكر ذلك المتقدم كله لهم^٧ في الدلائل على اختصاصنا بالخلق وتمام القدرة، ما أعظمه وما أجله وأضخمه! وتفكر في عجائبه وتدبر في دقائقه^٨ وغرائب^٩ تجمد ما لا يقدر على مثله إلا الله، واذكر إذ (قال إبراهيم) أى اذكر قوله، وحكمة

(١) من ظ، وفي الأصل: ينقطع (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: شيء (٤) من ظ، وفي الأصل: الهادية - كذا (٥ - ٥) في ظ: بما (٦) في ظ: حجته (٧ - ٧) سقط ما بين الرقین من ظ .

التذكير بوقته التنبؤ على أن هذا لم يزل ثابتا مقررا على السنة جميع^١
 الإنبياء في جميع الدهور، وكان في هذه الحاجة التصريح بما لوح إليه
 [أول - ٢] هذه السورة من إبطال هذا المذهب، و انطف هذا على
 ذلك أى انطفاف^٢ و صار كأنه قيل : ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
 ٥ الأصنام، النجوم و النور و الظلمة، فنبههم يا رسول الله على ذلك بأنه
 لا متصرف غيرنا، اذكر لهم أى أنا الذى خلقتهم^٣ و خلقت جميع
 ما يشاهدون من الجواهر و الأعراض، فان تنبهوا فهو حظهم^٤
 و إلا فاذكرهم لهم حاجة خليلنا إبراهيم عليه السلام [إذ قال - ٢]
 ﴿ لا إله إلا الله ﴾ ثم بينه في قراءة الجر^٥ بقوله : ﴿ ازر ﴾ و ناداه في قراءة
 ١٠ يعقوب بالضم؛ قال البخارى في تاريخه الكبير : إبراهيم [بن - ٢]
 آزر، و هو في التوراة : تارح^٦ - انتهى . و قد مضى ذلك عن التوراة
 في البقرة، فلعل أحدهما لقب، و كان أهل تلك البلاد و هم الكلدانيون،
 و يقال لهم أيضا الكسديون - بالمهملة موضع اللام - يعتقدون إلهية
 النجوم في السماء و الأصنام في الأرض و يجعلون لكل نجم صنما،
 ١٥ إذا أرادوا التقرب إلى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم ليشفع لهم -
 [كما - ٢] زعموا - إلى النجم، فقال عليه السلام لأبيه منكرا عليه
 منها له على ظهور فساد ما هو مرتكبه : ﴿ اتخذ ﴾ أى أتكلف نفسك
 / ٢١٤

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و في
 الأصل : خلقهم (٥) من ظ، و في الأصل : قادر (٦) من ظ، و في الأصل :
 الخبز (٧) زيد من ظ و التاريخ الكبير ١/١٠٨ (٨) و في تاريخ يعقوبى ١/٢٣ :
 تاريخ .

إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى بأن تجعل^١ (أصناما الهة ج)
 أى تعبدها وتخضع لها ولا تقع فيها ولا ضرر، فنبه^٢ بهذا الإنكار
 على أن معرفة بطلان ما هو متدين به لا يحتاج إلى كثير^٣ تأمل، بل هو
 أمر بديهي^٤ أو قريب منه، فأنهم يباشرون أمرها بجميع جوانبهم^٥ و يعلمون
 أنها مصنوعة وليست بصانعة، وكثرتها تدل على بطلان إلهيتها بما أشار^٥
 إليه قوله تعالى " لو كان فيها الهة إلا الله لفسدنا^٦ " .

ولما خص بالنصيحة أقرب الخلق إليه، عم بقية أقاربه فقال :
 (أنى أرنك وقومك) أى فى اتفاقكم على هذا (فى ضلل) أى بعد
 عن الطريق^٧ المستقيم (مبين) أى ظاهر جدا يديه العقل مع مخالفته
 لكل نبي نبأه الله تعالى من آدم عليه السلام فن بعده، فهو مع ظهوره^{١٠}
 فى نفسه مظهر للحق من أن الإله لا يكون إلا كافيا لمن يعبد، وإلا
 كان فقيرا إلى تأله من يكفيه .

ولما كان كأنه قيل : بصرنا^٨ إبراهيم عليه السلام هذا التبصير^٩ فى
 هذا الأمر الجرىء من بطلان الأصنام، قال عاطفا عليه : (وكذلك)
 أى ومثل هذا التبصير^{١١} العظيم الشأن، وحكى الحال الماضية بقوله : (نرى)^{١٥}
 أى بالبصر والبصيرة على مر الزمان وكر الشهور والأعوام إلى ما لا

(١) من ظ، وفى الأصل : يجعل (٢) من ظ، وفى الأصل : تدل (٣) فى ظ :
 كبير (٤) فى ظ : بديه (٥) من ظ، وفى الأصل : حواسهم - كذا (٦) سورة ٢١
 آية ٢٢ (٧) فى ظ : الصراط (٨) فى ظ : نصرنا (٩) فى ظ : التنصير (١٠) فى
 ظ : التنصير - كذا .

آخر له [بنفسه والصلحاء من أولاده - ١] ﴿ ابراهيم ملكوت ﴾ أى باطن ملك ﴿ السموات^١ والارض ﴾ أى ملكهما العظيم أجمع وما فيه من الحكم، ليرسخ فى أمر التوحيد فيعلم^٢ أن كل من عبد غير الله من صنم وغيره من قومه وغيرهم فى ضلال، كما علم ذلك فى قومه فى الأصنام ﴿ وليكون من الموقنين^٣ ﴾ أى الراضين فى وصف الإيقان فى أمر التوحيد كله بالنسبة إلى جميع الجزئيات لما أريناه يصره وبصيرته، فتأمل فيه حتى وقع [فيه - ٤] بعد علم اليقين على عين^٥ اليقين بل حق اليقين .

- ولما كانت الأمور السماوية مشاهدة لجميع الخلق : دانيهم وقاصيهم ،
 ١٠ وهى أشرف من الأرضية ، فاذا بطلت صلاحيتها للالهية بطلت الأرضية من باب الأولى : نصب لهم الحجاج فى أمرها ، فقال مسييا عن الإراءة المذكورة : ﴿ فلما جن ﴾ [أى - ١] ستر وأظلم ، وقصره^٦ - وإن كان متعديا - دلالة على شدة ظلام تلك الليلة ، ولذلك عداه بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليه^٧ الليل ﴾ أى وقع^٨ الستر عليه ، فحجب ملكوت الأرض فشرع
 ١٥ ينظر فى ملكوت السماء ﴿ را^٩ كوكبا ﴾ أى^{١٠} قد بزغ ، فكانه قيل : فاذا^{١١}
 (١) زيد من ظ (٢) تقدم فى الأصل على « أى باطن » والترتيب من ظ .
 (٣) من ظ ، وفى الأصل : فنعلم (٤) فى ظ : او (٥) فى الأصل و ظ : غير -
 كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : قصر (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : اوقع .
 (٩) من ظ ، وفى الأصل : بماذا .

فعل ؛ فقيل : ﴿ قال هذا ربى ٤ ﴾ فكأنه ١ من بَصْرِهِ ٢ أن أتى بهذا الكلام الصالح لأن يكون خبراً واستفهاماً ، ليوهمهم ٣ أنه مخبر ، فيكون ذلك أنفى ٤ للعرض وأنهى من الشعب ، فيكون أشد استجلاباً لهم إلى إنعام النظر و تنبيها على موضع الغلط و قبول الحجة ، و لمثل ذلك ختم الآية بقوله : ﴿ فلماً افل ٥ ﴾ أى غاب بعد ذلك الظهور الذى كان آية ٥ ه سلطان ﴿ قال لا احب الأفلين ٥ ﴾ [لأن - ٦] الأفل حركة ، و الحركة تدل على حدوث المتحرك و إمكانه ، [و لا نطن أن يطن به أنه قال ما قاله أولاً عن اعتقاد ربوية الكواكب ، لأن الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالإخبار بأنه أراه ملكوت الخافقين و جعله موقناً - ٦] ، فأستند الأمر إلى نفسه تنبيها لهم ٥ و استدل بالأفول ٦ لأن دلالة لزوال ١٠ سلطانه وحقارة ٨ شأنه أتم ، و لم يستدل ٩ بالظلوع لأنه - و إن كان حركة دالة على الحدوث ١٠ و النقصان - شرف فى الجملة و سلطان ، فالخواص يفهمون من الأفول الإمكان ، و الممكن لا بد له من موجد واجب الوجود ، يكون منتهى الآمال و محط الرجال ١١ " و ان الى ربك المنتهى " و الأوساط يفهمون منه الحدوث للحركة ، فلا بد من الاستناد إلى قديم ، ١٥

(١) فى ظ : و كان (٢) من ظ ، و فى الأصل : نصره (٣) فى ظ : ليفهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : الذنى (٥) فى ظ : له به - كذا (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالاقوال (٨) من ظ ، و فى الأصل : خفاً - كذا (٩) فى ظ : لما استدل (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الحدث (١١) من ظ ، و فى الأصل : الرجال .

و العوام يفهمون أن الغارب كالمغزول لزوال نوره و سلطانه ، و أن ما كان كذلك لا يصلح للالهية ، و خص الاول أيضا لآب قومه الفرس كانوا منجمين ، و مذهبههم أن الكوكب إذا كان صاعدا من المشرق^١ إلى وسط السماء كان قويا عظيما التأثير ، فإذا كان نازلا إلى المغرب^٢ كان ضعيفا الاثر ، و الإله / هو من لا يتغير ، وهذا الاستدلال ٢١٥ / ٥
برهان في [أن - ٢] أصل الدين مبنى على الحجة دون التقليد^٣ .

ولما بهرهم قصور صغير الكواكب ، وقي النظر إلى أكبر منه ، فسبب عن الإعراض عن الكواكب لقصوره قوله : ﴿ فلما رأ القمر بازغا ﴾ أى طالعا أول طلوعه ؛ قال الأزهري : كأنه مأخوذ من البزغ الذى ١٠ هو الشق ، كأنه بنوره يشق الظلمة شقا ﴿ قال هذا ربى ٥ ﴾ دأبه فى الأولى .

ولما كان تأمل أن الكوكب محل الحوادث^٤ بالافول قد طرق أسماعهم فخالج صدورهم ، قال : ﴿ فلما اقل قال ﴾ مؤكدا غاية التأكيد ﴿ لن لم يهدنى ربى إلا ﴾ أى الذى قدر على الإحسان إلى بالإيجاد و الترية ١٥ لمكونه لا يتغير ولا شريك له بخلق الهداية فى قلبى ، فدل ذلك على أن الهداية ليست إلى غيره ، ولا تحمل^٥ على نصب الأدلة ، لأنها منصوبة قبل ذلك ، ولا على معرفة^٦ الاستدلال فانه عارف [به - ٢]

(١) فى ظ ، الشرق (٢) فى ظ : الغرب (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٤) زيد بعده فى الأصل : فاحسد الأمر ، ولم تكن الزيادة فى ظ لغذافها (هـ) فى ظ :
للحوادث (٦) فى ظ : قال (٧) من ظ ، وفى الأصل : لا يحمل (٨) سقط من ظ .
لا كون (٤٠) ١٦٠

﴿ لا كون ﴾ أى بعبادة غيره ﴿ من القوم الضالين ٥ ﴾ فكانت هذه أشد من الأولى وأقرب إلى التصريح بنفى الربوبية عن الكواكب وإثبات أن الرب غيرها ، مع الملاطفة وإبعاد الخصم عما يوجب عناده .
ولما كان قد نفى عن الأجرام السماوية ما ربما يضل به الخصم قال :
﴿ فلما را ﴾ أى بعينه ﴿ الشمس بازغة ﴾ أى عند طلوع النهار وإشراق ٥
النور الذى ادعوا فيه ما ادعوا ﴿ قال ﴾ مبينا لقصور ما هو أكبر من النور وهو ما عنه النور ٢ ﴿ هذا ﴾ مذكرا لإشارته لوجود المسوغ ، وهو تذكير الخبر إظهارا لتعظيمها ٣ إبعادا عن التهمة ، وتنبها من أول الأمر على أن المؤنث لا يصلح للربوبية ﴿ ربى ﴾ - ٥ [كما قال فيها مضى ؛ ثم علل ذلك بيانا للوجه الذى فارق فيه ما مضى فأورث شبهة ، فقال : ١٠
﴿ هذا أكبر ﴾ أى مما ٦ تقدم ﴿ فلما اقلت ﴾ أى غربت غفنى ظهورها وغلب نورها وهزمه جيش الظلام بقدره الملك العلام ﴿ قال يقوم ﴾ فصرح بأن الكلام لهم أجمعين ، ونادى على رؤس الأشهاد .
ولما كانت القلوب قد فرغت بما ألقى من هذا الكلام المعجب للحجة ، وتهيأت لقبول الحق ، ختم الآية بقوله : ﴿ انى برىء مما تشركون ٥ ﴾ ١٥
أى من هذا وغيره من باب الأولى ، فصرح بالمقصود لأنه لم يبق فى المحسوس من العالم العلوى كوكب أكبر من الشمس ولا أنور . فلما أبطل

(١) فى ظ : فتل - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : قال (٣) من ظ ، وفى الأصل :
لتعظيم بها (٤) من ظ ، وفى الأصل : المرتب (٥) زيد من ظ وفى القرآن الكريم .
(٦) من ظ ، وفى الأصل : بما .

بذلك جميع مذهبهم أظهر التوجه^١ إلى الإله الحق ، وأنه قد انكشف له الصواب بهذا النظر ، والمراد^٢ ، ولكن^٣ سوجه على هذا الوجه أدعى لقبولهم إياه ، فقال مستنتجا عما دل عليه الدليل العقلي في الملكوت^٤ :

(أنى وجهت وجهى) أى أخلصت قصدى غير معرج على شيء أصلا ، فعبّر بذلك [عن - ٤] الانقياد التام ، لأن من انقاد لشيء أقبل عليه^٥ بوجهه ، ودل على كماله وتفرد به بالكمال مبدعاً^٦ ، وعبر باللام دون ' إلى ' لثلاث يومهم الحيز ، فقال : (الذى فطر) أى لاجل عبودية [من - ٤] شق وأخرج (السموات والارض) فغنى الدليل بما افتتحت به السورة من قوله " الذى خلق السموات والارض " وأدل ١٠ دليل على ما تقدم - أنى فسرت الحنف به من أنه الميل مع الدليل سهولة ولطافة^٧ على ما هو دأب الفطرة الأولى التى فطر الله الناس عليها - قوله بعد نصب هذا الدليل : (حنيفا) أى سهلا هينا لينا لطيفا مبالا^٨ مع الدليل غير كثر جاف جامد على التقليد دأب الغليظ^٩ البليد ، وأكد البراءة منهم بقوله : (وما أنا من المشركين^{١٠}) أى منكم ، ولكنه ١٥ أظهر الوصف المقتضى للبراءة والتعظيم . أى لا أعد فى عدادكم بشيء أقاربكم به^{١١} .

(١) من ظ ، وفى الأصل : التوحيد (٢) فى ظ : لاث (٣) من ظ ، وفى الأصل : المكتوب (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : على (٦) فى ظ : بمبدعاته (٧) من ظ ، وفى الأصل : اطاقة (٨) من ظ ، وفى الأصل : مثالا (٩) من ظ ، وفى الأصل : الغلط (١٠) سقط من ظ ،

ولما أبدى هذه الأدلة في إبطال الضلال بالكواكب^١ و الشمس^٢ التي هي^٣ أوضح من الشمس ، عطف عليها الإخبار بأنهم لم يرجعوا إليه^٤ بل حاجوه ، فقال : ﴿ و حاجه قومه^٥ ﴾ بأنهم لا ينفكون عن عبادتها لأنهم^٦ وجدوا آباءهم كذلك ، و أنه [إن - °] لم يرجع عن الكلام فيها أصابته ببعض النوازل ، و ذلك من أعظم التسلية لهذا النبي ه العربي الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم .

و لما كان من المعلوم أن محتجتهم - بعد هذه الأدلة الواضحة في غاية من السقوط - سفلت عن الحضيض ، نزه المقام عن ذكرها ، إشارة إلى أنها بحيث لا يستحق الذكر ، و بين جوابه لما فيه من الفوائد الجملة^٧ بقوله : ﴿ قال ﴾ أى بقول^٨ منكر عليهم موخا لهم : ﴿ اتحاجوني ﴾ و صرح^٩ باسم الرب العلم الأعظم في قوله : ﴿ في الله ﴾ أى شئ^{١٠} مما يختص به المستجمع لصفات الكمال لا سيما التوحيد ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ هدن^{١١} ﴾ [أى - °] أرشدني بالدليل القطعي إلى معرفة كل ما ثبت^{١٢} له و ينفي عنه ، أى لأنه قادر ، فبين أنه تعالى قد أحسن إليه ، فهو يرجوه لمثل ذلك الإحسان ، و يخافه من^{١٣} عواقب العصيان ، لأن^{١٤} من رُجى خيره خيف ضيره ، و من كان يده^{١٥} النفع و الضر^{١٦} و الهداية و الإضلال فهو من وضوح الأمر و ظهور الشأن بحيث لا توجه نحوه

(١) في ظ : الكواكب (٢-٣) في ظ : الذى هو (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : لا (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : الجملة (٧) في ظ : ينسب (٨) من ظ ، و في الأصل : عن (٩-١٠) في ظ : الضر و النفع .

المحاجة ، و أتبعه بيان أن معبوداتهم مسلوب عنها ما يوجه إليه الهمم .
 فقال عاطفا على ما تقديره : فأننا أرجوه ، أخافه لأنه قادر : ﴿ و لا أخاف
 ما تشركون به ﴾ و لا أرجوه لهداية و لا إضلال [و لا غيرهما لأنه
 عاجز ، فأثبت لله القدرة بالهداية لأنها أشرف ، و طوى الإضلال - ١]
 ٥ لدلالاتها و دلالة ما نقي في جانب الشركاء عليه ، و أثبت لآلهتهم العجز
 بنفي الخوف المستلزم لنفي القدرة على الضر . و ذلك دال على أن الله
 تعالى أهل لأن يخاف منه . كل ذلك تلويحا لهم بأن العاقل لا ينبغي له
 أن يخالف إلا من [يأمن - ١] ضره ، فهم في مخالفتهم لله في غاية من
 الخطر ، لا يرتكبها عاقل ، و الآية من الاحتباك .

١٠ و لما نقي عن نفسه خوف آلهتهم أبدا في الحال و الاستقبال ،
 و كان من الأمر البين في الدين الحق أنه لا يصبح لإيمان إلا مع الإقرار
 بخفاء العواقب ، على العباد و إثبات العلم بها لله ٢ تسليما لمفاتيح الغيب
 إليه ، و قصرها عليه ؛ قال مستثنيا من سبب ٣ النقي ، و هو أنها لا تقدر
 على شيء : ﴿ إلا ان يشأ ربى ﴾ المحسن إلى في حال الضر كما هو محسن
 ١٥ في حال النفع ﴿ شيئا ٤ ﴾ أى من تسليطها بأنفسها أو باتباعها ، لأنه قادر
 على ما يريد ، فان أراد أنطق ٥ الجماد و أقدره ، و أخرس الناطق
 الفصيح و أعجزه ، فأننا لا أخاف في الحقيقة غيره .

(١) زيد ما بين الحازرين من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : العواقب ، وزيد
 بعده في ظ : على العواقب - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل :
 مسبب (٥) من ظ ، وفي الأصل : لا يقدر (٦) في ظ : نطق .

ولما كان هذا في صورة التعليق ، [وكان التعليق - ١] وما شابهه من شأنه أن لا يصدر إلا من متردد^٢ ، فيكون موضع إطاع الخصم فيه ، علله بما أزال هذا الخيال فقال : (وسع ربى كل شيء علما^٣) أى فأحاط بكل شيء قدرة ، فهو إذا أراد إقدار العاجز أزال عنه كل مانع من القدرة ، وأثبت^٤ له كل مقتضى لها ، وذلك ثمرة شمول العلم - كما هـ
سيأتى برهانه إن شاء الله تعالى في سورة طه^٥ ، فالمراد أنى ما تركت الجزم لشك عندى ، وإنما تركته لعدم على بالعواقب إعلاما بأن تلك رتبة لا تصلح إلا لله الذى وسع عليه كل شيء ، وأدل دليل على هذا اتباعه له بانكاره عليهم عدم [الإبلاغ فى - ٢] التذكر^٦ بقوله مظهرا تاء الفعل إشارة إلى أن فى جبلاتهم أصل التذكر^٦ الصاد^٦ عن الشرك : (افلا تذكرون هـ) ١٠
أى يقع منكم تذكر ، فتميزوا بين الحق والباطل بأن تذكروا ما لكم من أنفسكم^٧ بأن من^٨ غاب عن مربوبه فسد أو كاد ، وأنت هذه^٩ الجمادات لا تنفع ولا تضر ، وأنها مصنوعكم ، وتعجب^{١٠} منهم فى ظنهم خوفه^{١١} من / معبوداتهم بقوله^{١٢} منكرا : (وكيف اخاف ما أشركتم) ٢١٧/
أى من دون الله من الأصنام وغيرها مع أنها لا تقدر^{١٣} على شيء ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : مردد (٣-٢) فى ظ : فائت .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : التذكير (هـ) فى ظ : الذكر (٦) فى ظ : الصاد (٧) من القرآن الكريم ، وفى الأصل وظ : افلا تذكرون ، والآية باظهار التامين بلا خلاف (٨-٨) من ظ ، وفى الأصل : من ان (٩-٩) من ظ ، وفى الأصل : اوهدها - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : تعجبه (١١) فى ظ : عره (١٢) فى ظ : فقال (١٣) من ظ ، وفى الأصل : لا يقدر .

﴿ ولا ﴾ أى والحال أنكم أتم لا ﴿ تخافون انكم اشركنم بالله ﴾
 أى [المستجمع - ^١] لصفات العظمة و القدرة على العذاب و النعمة .
 و لما كان له سبحانه أن يفعل ما يشاء قال : ﴿ ما لم ينزل به ﴾ أى
 بإشراكه ؛ و لما كان المقام صعبا لأنه أصل الدين ، أثبت الجار و المجرور
 ه و قدمه فقال : ﴿ عليكم سلطنا ^٢ ﴾ أى حجة تكون مانعة من إنزاله
 الغضب بكم ^٣ ، و الحاصل أنه عليه السلام أوقع الأمن فى موضعه و هم
 أوقعوه فى موضع الخوف ، فعجب منهم لذلك ^٤ ، فبان أن هذا قول
 شعيب عليه السلام فى الأعراف ” و ما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
 يشاء الله ربنا “ - الآية ، و قوله تعالى فى الكهف ” و لا تقولن لشيء إني
 ١٠ فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله “ ^٥ من مشكاة واحدة ؛ و لما كان المحذور
 المنفى هنا إنما هو خوف الضرر من آلهتهم . و كان حصول الضرر لمخالفها
 بواسطة أتباعها أو غيرهم من - بن الله الجارية فى عبادته ، اقتصر الخليل
 عليه السلام على صفة الربوبية المقتضية للرأفة و الرحمة و الكفاية و الحماية ،
 و قد وقع فى قصته الأمران : إمكانهم من أسباب ^٦ ضرره بإيقاد النار
 ١٥ و إلقائهم له فيها ، و رحمته بجعلها عليه بردا و سلاما ؛ و لما كان المحذور
 فى قصة شعيب عليه السلام العود فى ملتهم ، زاد الإتيان بالاسم الأعظم
 الجامع لجميع الكمالات المنزهة عن جميع النقائص المقتضى لاستحضار
 الجلال و العظمة و التفرد و الكبر المانع من ^٧ دنو ساحات الكفر ^٨
 (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : النعمة (٣) فى ظ : عليكم (٤) العبارة من هنا إلى (٥) فى
 الكهف سقطت من ظ (٥) آية ٨٩ (٦) آية ٢٤ (٧-٧) فى ظ : ضررهم بإيقاد -
 كذا (٨-٨) فى ظ : دنوسات الله - كذا .

- والله الموفق .

ولما بان كالشمس بما أقام من الدليل أنه أحق بالأمن منهم ، قال مسيبا عما مضى تقريراً لهم : ﴿ فأتى الفريقين ﴾ أى حزب الله و حزب ما أشركتم به ، ولم يقل : فأتينا ، تعميماً للمعنى ﴿ أحق بالأمن ٤ ﴾ و ألزمهم بالجواب حتماً بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ٥ ﴾ أى إن كان لكم علم ٥ فآخبروني عما سألتكم ٢ عنه ؛ ثم وصل بذلك دلالة على أنه لا علم لهم أصلاً ليخبروا عما سئلوا عنه [قوله - ٤] مستأنفاً : ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الفعل ﴿ ولم ﴾ أى و صدقوا دعواهم بأنهم لم ﴿ يلبسوا إيمانهم ﴾ أى يخالطوه و يشوبوه ﴿ بظلم ﴾ .

ولما كان المعنى : أحق بالأمن ، عدل عنه إلى قوله مثيراً إليهم ١٠ بأداة البعد تنديها على [علو - ٤] رتبته : ﴿ أولئك لهم ﴾ أى خاصة ﴿ الأمن ﴾ أى لما تقدم من وصفهم ﴿ وهم مهتدون ٦ ﴾ أى و أنتم ضالون ، فأنتم هالكون لإشراككم على المهالك ، و تفسير النبی صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان ٧ و الترمذی و النسائي عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه لهذا الظلم المطلق فى قوله تعالى ” بظلم “ بالشرك ١٥ الذى هو ظلم موصوف بالعظم فى قوله تعالى ” ان الشرك لظلم عظيم “ تنبيه للصحابه رضوان الله عليهم على أن هذا التوین للتعظيم ، و لأنهم أهل اللسان المطبوعون فيه صفوا بذلك و اطمأنوا إليه ، و لا شك أن السياق كله فى التنفير عن الشرك . و أنه دال على ٧ الحث على التبرئ ٧

(١) فى ظ : فاتما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : سالم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : البخارى (٦) سورة ٣١ آية ١٣ (٧-٧) من ظ . و فى الأصل : النهى عن التنزه - كذا .

عن قليل الشرك و كثيره ، قال الأمر إلى أن المراد : و لم يلبسوا
إيمانهم بشيء من الشرك ، فالتنوين جئذ للتحقير كما هو للتعظيم ، فهو من
استعمال الشيء في حقيقته و مجازه أو في معنيه المشترك فيهما لفظه معا -
و الله أعلم .

هـ و لما كان إبراهيم عليه السلام قد انتصب لإظهار حجة^١ الله في
التوحيد و الذب عنها ، و كان التقدير تنيها للسامع على حسن ما مضى
ندبا لتدبره : هذه مقابلة^٢ إبراهيم عليه السلام لآيه و قومه ، عطف عليه
قوله معددا وجوه نعمه عليه و إحسانه^٣ إليه ، دالا على إثبات النبوة
بعد إثبات الوحدانية : ﴿ و تلك ﴾ أى و^٤ هذه الحجة العظيمة / الشأن
١٠ التى تلوناها عليكم ، و هى ما حاج إبراهيم عليه السلام^٥ به قومه ،
[و - °] عظمه بتعظيمها فقال^٦ : ﴿ حجتنا ﴾ أى التى يحق^٧ لها بما فيها
من الجلالة أن تضاف إلينا ، لأنها من أشرف النعم و أجل العطايا
﴿ آتينها ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ إبراهيم ﴾ و أوقفناه على حقيقتها
و بصرناه بها ، و نبه على ارتفاع شأنها بأداة الاستعلاء مضمنا لآتينها
١٥ أقنا ، فقال : ﴿ على قومه^٨ ﴾ أى مستغلبا^٩ عليهم غالبا^{١٠} لهم قائمة عليهم
الحجة التى نصبها ، ثم زاد فى الإعلام بفضله بقوله مستأنفا : ﴿ زرفع ﴾
أى بعظمتنا ﴿ درجت من نشأ^{١١} ﴾ بما لنا من القدرة على ذلك كما رفعنا

(١) من ظ ، و فى الأصل : صحة (٢) فى ظ : مقالة (٣) فى ظ : إحسانا .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يحقها (٧) من
ظ ، و فى الأصل : مستغلبا (٨) فى ظ غالبا .

درجة إبراهيم عليه السلام على جميع أهل ذلك العصر .
 ولما كانت حاجته لهم على قانون الحكمة بالعالم العلوى الذى نسبوا
 الخلق والتدبير بالنور والظلمة إليه ، وكان فى ختام^١ حاجته لهم أن الجارى
 على قانون الحكمة أن الملك الحق لا يهين جنده^٢ فلا خوف عليهم ، وكان
 قبل ذلك فى الاستدلال على البعث الذى هو محط الحكمة ؛ كان الأنسب ه
 أن يقدم^٣ فى ختم الآية وصف الحكمة فقال : (ان ربك)
 [أى - ٤] خاصا لئليه صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة باسم الإحسان تنيها
 على أن حجب^٥ الدليل عن يشاء ليحكم^٦ أرادها سبحانه ، فقيه تسلية له
 صلى الله عليه وسلم (حكيم) أى فلا يفعل^٧ بحزبه إلا ما ظنه به خليه
 صلى الله عليه وسلم بما يقر أعينهم^٨ ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وإما ١٠
 فيهما (علم ه) فلا يلتبس عليه أحد من غيرهم ، فيفعل به ما يحل
 بالحكمة .

ولما أشار إلى رفعة بأنه بصره بالحجة^٩ حتى كان على بصيرة من
 أمره ، وأنه علا^{١٠} على المخالفين برفع الدرجات ، أتبع ذلك ما دل عليها
 وعلى حكمته بعلمه بالعواقب ، فقال معلما بأنه جعله عزيزا فى الدنيا لأن^{١١} ١٥

(١) من ظ ، وفى الأصل : ختامه (٢) فى ظ : عبده (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 تقدم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : حجته (٦) زيد بعده فى ظ : به (٧) فى ظ :
 عينهم (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : علاه (١٠) من ظ ، وفى الأصل :
 لأنه .

أشرف الناس الأنبياء والرسل ، وهم من نسله وذريته ، ورفع ذكره
أبدا لأجل قيامه بالذب عن توحيده : ﴿ ووهبنا له ﴾ أى لخليلنا^١
عليه السلام بما لنا من العظمة ﴿ استحق ﴾ ولداً^٢ له على الكبر حيث لا يولد
مثلثه ولا مثل زوجته ﴿ ويعقوب^٣ ﴾ أى ولد ولد ، وابتدأ سبحانه بهما
ه لأن السياق للامتنان على الخليل عليه السلام ، وهو أشد سرورا بابنه^٤
الذى متع^٥ به ولم يؤمر^٦ بفراقه وابن ابنه^٧ الذى أكثر^٨ الأنبياء
الداعين إلى الله من نسله ومن خواصه ، وهو الموجب الأعظم
للبداءة أن أبناءه طهروا الأرض المقدسة التى هى مهاجر إبراهيم
عليه السلام ومختاره للسكنى بنفسه ونسله ، بل مختار الله له ولهم بعده
١٠ بمدد طهورها^٩ من الشرك وعبادة الأوثان ، ودعوا إلى الله ونوروا
الأرض بعبادته^{١٠} .

ولما كانت النعمة لا تتم إلا بالهداية ، قال مستأنفا مقدما للفعل ليشمل
الكلام إياهما^{١١} : ﴿ كلا ﴾ أى منهما ومن أيهما^{١٢} ﴿ هدينا ج ﴾ ثم أتبع
ذلك المهتدين قديما وحديثا تأكيدا لأن هذا المذهب لم يزل^{١٣} "خلص العباد"
١٥ دعاة إليه فى قديم الزمان وجديده ، فكانه يقول : إن كنتم تلزمون دينكم لأنه

(١) من ظ ، وفى الأصل : لاجله (٢) فى ظ : خليلنا (٣) من ظ ، وفى الأصل :
اولدا (٤) فى ظ : ياتيه (٥) فى ظ : يقع (٦) فى ظ : لم ياص (٧) فى ظ : ابيه .
(٨) من ظ ، وفى الأصل : الاكثر (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) فى
ظ : اباهما (١١) من ظ ، وفى الأصل : انها (١٢) فى ظ : لم تزل (١٣) فى
ظ : العبادة .

عندكم حق ، فقد تبين [لكم - '] بطلانه ، وأن الحق إنما هو التوحيد ،
و إن كنتم تلزمونہ ليقدمہ فهذا الدين - [الذى - '] دعاكم إليه رسول
مع وضوح الدلالة على حقيقته - هو القديم الذى دعاكم إليه نوح و من
تلاه من خلص ذريته إلى إبراهيم^٢ أيكم الأعظم [و - '] من بعده من
خلص ذريته إلى عيسى ، ثم إلى هذا الرسول الذى هو دعوة إبراهيم^٥
و بشارة عيسى - على الكل أبلغ الصلاة و آتم التسليم ، فهو أحق بالاتباع
من جهة الحقيقة^٢ و الأقدمية ، و إن كنتم تلزمونہ لمجرد اتباع الآباء فليس
في آباءكم / مثل إبراهيم عليه السلام ، و قد تلوت عليكم في كلامى الذى
٢١٩ / أقمت الدليل القطعى بعجزكم عنه على صحة نسبته إلى ما حاج به أباه و قومه
في إبطال الأوثان التى أضلّتكم ، فهو أولى آباءكم أن تعتدوا به - ١٠
و الله الموفق .

و لما كان ربما وقع في وهم أن هداية كل من إسحاق و ابنه بترية
[أيه - '] ، ذكر العاشر من آباء الخليل و هو نوح عليهما السلام لدفع
ذلك ، و لأن السياق لإنكار الأوثان ، و هو أول من نهى عن عبادتها ،
و هو أجلّ آباء الخليل عليه السلام فقال : (و نوحا هدينا) أى بما لنا ١٥
من العظمة من بين ذلك الجيل الأعوج .

و لما كانت لم تتجاوز منه ، و كان زمنه بعض الزمن المتقدم ، أثبت
الجار و قطعه عن الإضافة لتراخى زمانهم كثيرا عن زمانه فقال :

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده في ظ : هو (٣) في ظ : الحقيقة (٤) من ظ ،
و في الأصل : يعتدوا .

(من قبل) أى ولم تكن هدايته إلا بنا فى زمان كان أهله من شدة الضلال و لزوم الظلم فى مثل استقبال الليل ، كلما امتد حلولك ظلامه واشتد ، وطالما دعاهم إلى الله و ربّاهم فلم يرجع منهم كثيرا ^١ [أحد - ^٢] حتى لقد خالفه زوجه و بعض ولده ، و ^٣ لمثل ذلك ^٤ فصل بين إسماعيل و أبيه و يوسف و أبيه عليهم السلام إشارة إلى فراق كل منهما لأبيه فى الحياة ، و أنه ما حفظ كلا منهما على سنن الهدى طول المدى إلا الله ^٥ ؛ ثم ابتدأ المذكورين ^٦ بعدُ بمن بنى على يده و يد ابنه مسجدا هو بعد المسجد الذى بناه إبراهيم و ولده إسماعيل عليهما السلام فقال : (و من ذريته) .

١٠. و لما كان السياق كله لمدح الخليل ، و كان المذكورون - إلا لوطا - من نسله ، و كان التغليب مستعملا ^٧ شائعا فى لسان العرب ، لا سيما و لوط ابن أخيه و مثل ولده ؛ حكم بأن الضمير لإبراهيم عليه السلام ، و قول من قال : إن يونس عليه السلام ليس من نسله ، غير صحيح . بل هو من بنى إسرائيل ، و هو أحد من ذكر فى سفر الأنبياء ، و سيأتى ١٥ خبره من ^٨ السفر المذكور فى سورة " و الصّفت " إن شاء الله تعالى ، و قد صرح أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائى فى قصص الأنبياء أنه من ذرية إبراهيم ، و اقتضى ^٩ كلامه أنه من بنى إسرائيل ، كما اقتضى ذلك

(١) فى ظ : كثير (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : لذلك (٤) من ظ ، وفى الأصل : لا (٥) من ظ ، وفى الأصل : أبيه - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : المذكورون (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : فى (٩) من ظ ، وفى الأصل : اقتص .

كلام البغوى فى سورة الانبياء عليهم السلام ، و أما أيوب فروى^١ :
من نسل [عيص بن -^٢] إسحاق عليهم السلام (داود) أى هديناه
(وسليمن) أى اللذين بنيا بيت المقدس بأمر الله^٣ : داود بخطه
و تأسيسه ، و سليمان باكمال و تشيده .

ولما كانا مع ذلك ملكين ، تلاهما بمن شابههما فى الملك أو الحكم ه
على الملوك فقال : (و أيوب) و قدمه لمناسبة ما بينه و بين سليمان^٤ فى أن^٥
كلا منهما ابتلى بأخذ كل ما فى يده ثم رد^٦ الله إليه (و يوسف) و كل
من هؤلاء الاربعة ابتلى فصر ، و اغتنى^٧ فشكر ، و أيوب إن لم يكن ملكا
فقد كانت ثروته غير مقصورة^٨ [عن -^٩] ثروة الملوك ، على أن بعض
بعض الطلبة أخبرنى عن تفسير الهكارى^{١٠} - فيما أظن - أنه صرح بأنه ملك ، ١٠
و أيضا^{١١} فالاثنتان^{١٢} الاولان كانا سبب إصلاح بنى إسرائيل بعد الفساد
و استنقاذهم من ذل^{١٣} الفلسطينيين ، و الاثنان^{١٤} الباقيان كل منهما^{١٥} ابتلى
بفراق أهله ثم ردوا عليه : أيوب بعد أن ماتوا ، و يوسف قبل الموت ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : فرد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اله .

(٤) فى ظ : كان (ه-ه) من ظ ، و فى الأصل : بان (٦) كذا فى الأصل ، و فى ظ :

رده (٧) من ظ ، و فى الأصل : اغنى - كذا (٨) من ظ و فى الأصل : مقصورة .

(٩) من ظ ، و فى الأصل : الهكارى ، و المنسوب إلى هذه النسبة ثلاثة - راجع

معجم المؤلفين (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ (١١) من ظ ، و فى الأصل :

الامان (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ذى - كذا (١٣) من ظ ، و فى الأصل : الامان .

(١٤) فى ظ : منهم .

وأيضا فداود عليه السلام شارك إبراهيم عليه السلام في أنه كان سبب سلامته من ملك زمانه الاختفاء في غار ، وذلك أن نمرود بن الكنعان كان ادعى الإلهية و أطمع فيها ، وقال له منجموه: يولد في بلدك هذا العام غلام يغير دين أهل الأرض ، ويكون هلاكك على يده ، فأمر بذيبح كل غلام في^١ ناحيته في تلك السنة ، وأمر بعزل الرجال عن النساء ، وحملت أم إبراهيم عليه السلام به^٢ في تلك السنة ، فلما وجدت الطلق خرجت ليلا إلى غار قريب منها فولدت فيه إبراهيم / وأصلحت من شأنه^٣ ، ثم سدت فم الغار ورجعت ، ثم كانت تطالعه فتجده يمتص^٤ إبهامه ، وكان يشب في اليوم كالشهر وفي^٥ الشهر كالسنة ؛ وأما داود عليه السلام فانه لما قتل جالوت^٥ وزوجه طالوت ابنته ، و ناصفه ملكه - على ما كان شرط لمن قتل جالوت^٥ - مال إليه الناس وأحبوه ، فحسده فأراد قتله ، فطلبه فهرب منه ، فدخل غارا فنسجت^٦ عليه العنكبوت ، فقال طالوت: لو دخل هنا لخرق بناء العنكبوت ، فأنبأه الله منه ؛ و تلاه سليمان^٧ لأنه مع كونه من أهل الملك و البلاء شارك إبراهيم عليهما السلام في إبطال عبادة الشمس في قصة بلقيس رضي الله عنها ؛ وقصة يوسف عليه السلام في إبطال عبادة الأوثان شهيرة في قوله تعالى ” يصاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار^٨ “ .

(١) في ظ : من (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : شأنها (٤) في ظ : يمتص (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) في ظ : نسجت (٧) من ظ ، وفي الأصل : سليمان (٨) - سورة ١٢ آية ٣٩ .

ولما كان يوسف عليه السلام من أعلى الله كلمته [على كلمة - ^١]
 ملك مصر وأعز [ملكها و - ^٢] أهلها^١ وأحيام به، أتبعه من أعلى الله
 كلمتهما على كلمة ملك مصر وأهلها وأهلكهم بهما، فكان بعض قصصهم^٢
 وفاق، وبعضها تقابل وطباق، فقال: ﴿وموسى وهرون^٣﴾ ولما كان
 التقدير: هديناهم جزاء لإحسانهم باهتدائهم في أنفسهم و دعائهم لغيرهم إلى ه
 الهدى، لم يشغل^٤ أحدا منهم منحة السراء ولا محنة الضراء، عطف عليه
 قوله: ﴿وكذلك﴾ أى ومثل ما جزيناهم ﴿ينجزى المحسنين﴾ أى
 كلهم، ففى ذلك إشارة إلى علو مقامهم من هذه الجهة، وهى أنهم من
 أهل السراء^٥ المطفئة^٦ والضراء المسنية^٧، ومع ذلك فقد أحسنوا
 ولم يفتروا^٨ ولم ينوا^٩.

ولما كان المذكوران قبله من سلطهما على الملوك، أتبعهما من
 سلط الملوك عليهما بالقتل فقال: ﴿وزكريا ويحيى﴾ ثم أتبعهما من
 عاندهما الملوك ولم يسلطوا عليهما، وأدام الله سبحانه حياتهما إلى أن
 يريد سبحانه فقال: ﴿وعيسى والياس^{١٠}﴾ ولما كان هؤلاء الأربعة من
 الصابرين، قال مادحاً لهم على وجه يعم من قبلهم: ﴿كل﴾ أى من ١٥
 المذكورين ﴿من الصالحين﴾ ثم أتبعهم^{١١} من لم يكن بينهما وبين الملوك

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: أهلكهم، ولم تكن الزيادة فى ظ
 لحذفها، والعبارة من هنا إلى «أهلكهم بهما» ساقطة منه (٣-٣) من ظ، وفى
 الأصل: بين أصتهم (٤) فى ظ: لم يشغل (٥) فى ظ: منحة (٦) من ظ، وفى
 الأصل: السر (٧) فى ظ: الطيبة (٨) فى ظ: المهبة - كذا (٩) من ظ، وفى
 الأصل: لم يفتروا (١٠) فى ظ: أتبعهما.

أمر، وهدى بهما من كان بين ظهرائيه فقال: ﴿واسمعيلى واليسع﴾
 هذا إن كان اليسع هو ابن أخطوب^١ بن العجوز خليفة إلياس، كما ذكر
 البغوى^٢ فى سورة الصافات^٣ أن الله تعالى أرسل إلى إلياس - وهو من
 سبط لاوى من نسل هارون عليه السلام - فرسا من نار فركبه فرفعه الله^٤
 ٥ وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، فكان إنسيا ملكيا
 أرضيا سماويا^٥، وسلط الله^٦ على آجب^٧ - يعنى الملك الذى سلط على إلياس -
 عدوا فقتله ونبا^٨ الله اليسع وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل، وأيده فأمنت
 به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وإن كان اليسع هو يوشع بن نون -
 كما قال زيد بن أسلم - فالمناسبة بينه وبين إسماعيل عليها السلام أن
 ١٠ كلا منهما كان صادق الوعد، لأن يوشع أحد النقيين اللذين وفيما لموسى
 عليه السلام حين بعثهم يحسون بلاد بيت المقدس [كما أشير إليه فى قوله
 تعالى "ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل -^٩] وبعثنا منهم اثنى عشر نقييا^٩،
^{١٠} وقوله^{١٠} "وقال رجلن من الذين يخافون انعم الله عليهما" - الآية،
 وأيضا فكل منهما كان سبب عمارة بلد الله الأعظم بالتوحيد، فإسماعيل
 ١٥ سبب عمارة مكة المشرفة، ويوشع سبب عمارة البلدة المقدسة - كما سيأتى^{١١}

(١) من معالم التنزيل للبغوى ٦/٢٩، وفى الأصل: اخطوب، وفى ظ: حطوب.

(٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ والمعال، وفى الأصل: ابنه.

(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: صحايا - كذا (٦) من المعال، وفى الأصل و ظ:

احب (٧) فى ظ: نبا (٨) إز يد ما بين الحاجزين من ظ (٩) سورة آية ١٢.

(١١) سورة آية ٢٣ (١٢) من ظ، وفى الأصل: باقى.

في سورة يونس إن شاء الله تعالى .

ولما كان إسماعيل و اليسع من هدى الله بهما قومهما من غير عذاب ،
 أتبعهما من هدى الله قومه بالعذاب وأنجاهم بعد 'إتيان محاياله' فقال :
 (و يونس) أى هديناه ؛ ولما انقضت / ذرية إبراهيم عليه السلام ، ختم / ٢٢١
 بابن أخيه الذى ضل قومه فهلكوا بقتة ، فين قصتي هذين الآخرين طباق ٥
 من جهة الهلاك والنجاة ، ووافق من حيث أن كلا منهما أرسل إلى غير
 قومه فقال : (ولوطا) ثم وصفهم بما يعم من قبلهم فقال : (وكلا)
 أى ممن ذكرنا (فضلنا) أى بما لنا من العظمة بتام العلم^٢ و شمول القدرة
 (على الغلبين) فكل هؤلاء الأنبياء ممن هداه الله بهداه وجاهد في الله
 حق جهاده ، و بدأهم تعالى بإبراهيم عليه السلام و ختمهم بابن أخيه لوط ١٠
 عليه السلام على هذه المناسبة الحسنة ؛ وقيل : إن الله تعالى أهلك قوم
 إبراهيم - نمرود و جنوده - بعد هجرته . فان صح ذلك تمت المناسبة في
 هلاك كل من قومه و قوم [ابن أخيه - ٢] لوط بعد خروج نبيهم عنهم ،
 فيكون بينهما وفاق كما كان بين قصته و قصة يونس عليه السلام
 طباق . ١ ومن لطائف ترتيبهم هكذا أيضا أن إسماعيل عليه السلام يوازي ١٥
 نوحا عليه السلام ، فانه رابع في العد لهذا العقد إذا عدته من آخره ،
 كما أن نوحا عليه السلام رابع إذا عدته من أوله ، و المناسبة بينهما أن
 (١-١) في ظ : بيان محاياله - كذا (٢) زيد بعده في الأصل : من قبلهم ، ولم تكن
 الزيادة في ظ لخذفها (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : ثم (٥-٥) سقط ما بين الرقین
 من ظ (٦-٦) في ظ : سر - كذا .

نوحا عليه السلام نشر^١ الله منه الآدميين حتى كان منهم إبراهيم عليه السلام
 "الذى جعله الله أباً للأنبياء والمرسلين، وإسماعيل عليه السلام" نشر^٢ الله
 منه العرب الذين هم خلاصة الخلق^٣ حتى كان منهم محمد^٤ صلى الله عليه وسلم
 الذى جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين، فهذا^٥ كان بداية وهذا^٦ كان نهاية،
 • وأن المذكورين قبل ذرية إبراهيم عليه السلام وبعدها - وهما نوح ولوط عليهما
 السلام - أهلك الله قوم كل منهما عامة، وغيب هؤلاء في جامد الأرض
 كما أغرق أولئك في مائع الماء، وأشقى^٧ بكل منهما زوجته، يانا لأن الرسل
 كما يكونون لناس رحمة يكونون على قوم نقمة، وأنه لا نجاة بهم ولا انتفاع
 إلا بحسن الاتباع، وأن ابن عمران اشترك^٨ مع إبراهيم عليهم السلام في
 ١٠ أن كلا من ملكي زمانهم أمر بقتل الغلمان خوفاً من يغير دينه ويسلبه
 ملكه^٩، وكما أن الله تعالى أنجى إبراهيم عليه السلام وابن أخيه لوطاً^{١٠}
 عليه السلام من ملك زمانهما المدعى للالهية "فكذلك أنجى موسى وأخاه
 هارون عليهما السلام من ملك زمانهما المدعى للالهية"^{١١}، وأنجى ذرية إبراهيم
 بهما، فإذا جعلت إبراهيم وابن أخيه لوطاً - لكونه تابعا [له - ١٢] - واحداً،
 ١٥ و موسى وأخاه هارون واحداً لمثل ذلك، ونظمت أسماء جميع هذه

(١) من ظ، وفي الأصل: بشر (٢-٢) تكرر ما بين الرقین فی ظ (٣) فی ظ:
 الحق (٤) فی ظ: هذا (٥) فی ظ: هذا (٦) من ظ، وفي الأصل: لهذا (٧) فی
 ظ: انتهى (٨) فی الأصل وظ: اشترك (٩) من ظ، وفي الأصل: ملك (١٠) فی
 الأصل وظ: لوط (١١-١١) سقط ما بين الرقین من ظ (١٢) زيد من ظ .

الأنبياء في سلك النقي^١: لوط مع إبراهيم كعيسى مع هارون، و كان
الأربعة واسطة عقدة^٢، فبين إبراهيم و موسى حيثئذ سبعة كما أن بين هارون
و لوط سبعة، و إذا ضمنت إليهم المقصود بالذات المخاطب بهذه الآيات
المأمور بقوله "فبهذههم اقتده" كان منزله في السلك بين ابن عمه لوط
و أبيه إبراهيم، و^٣ يكون من بين يديه تسعة، و من خلفه تسعة، فمن^٤ ه
إبراهيم إلى موسى تسعة، و من لوط إلى هارون كذلك، فكان
[رسول الله -^٥] صلى الله عليه وسلم واسط العقد و مكمل العقد، فانه
العاشر من كل جانب، فبه تكمل الهدى و إيجاب^٦ الردى، و ذلك طبق
قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان و غيرها عن أبي هريرة
رضي الله عنه: مثلي و مثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه^٧
و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به
و يعجبون له و يقولون: هلا وضعت هذه اللبنة،^٨ فأنا اللبنة^٩ و أنا خاتم
النبيين. و للبخاري نحوه عن جابر، هذا مع اقترانه بأقرب أولى العزم
رتبة و نسبا صاحب القصة إبراهيم عليه السلام، و إن / جعلت^{١٠} موسى
و هارون عليهما السلام كشيء واحد كانا واسطة من الجانب الآخر، فان^{١١}
عددت من جهة إبراهيم عليه السلام كان بينه و بينهما ثمانية، و إن عددت
(١) في الأصل و ظ: النقي - كذا بالقاه (٢) من ظ، و في الأصل: عقده (٣) في
ظ: فمن (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و في الأصل: انجاب.
(٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ، و في الأصل: جعل.

من جهة لوط عليه السلام كان كذلك .

ولما نص سبحانه على هؤلاء ، وختم بتفضيل كل على العالمين ،
أتبعه على سبيل الإجمال أن غيرهم كان مهديا ، وأن فضل هؤلاء علة^١
النص لهم^٢ على أسمائهم ، فقال ترغيبا في سلوك هذا السبيل بكثرة
هـ سالكيه وحثا على منافستهم في حسن الاستقامة عليه و السلوك فيه :

(ومن) أي و هدينا أو و فضلنا من (آبائهم) أي أصولهم
(و ذريتهم) أي من فروعهم^٣ [من -^٤] الرجال * و النساء *
(و اخوانهم) أي فروع أصولهم * ، و عطف على العامل المقدر
قوله^٥ : (و اجتبيئهم) أي و اخترناهم^٦ ، ثم عطف عليه يان^٧ ما هدوا
١٠ إليه حثا لنا^٨ على شكره على ما زادنا من فضله فقال : (و هديئهم) أي
بما تقدم من الهداية (إلى صراط مستقيم) و أما الصراط المستقيم
فخصصناكم به و أقمناكم عليه ، فاعرفوا نعمتنا عليكم و اذكروا^٩ تفضيلنا لكم .

و لما كان ربما أرم تنكيره نقضا فيه ، قال مستأنفا يانا لكمال
و تعظيما لفضله و افضاله : (ذلك) أي الهدى العظيم الرتبة (هدى الله)
١٥ أي^١ المستجمع لصفات الكمال (يهدي) أي يخلق الهداية (به)
أي بواسطة الإقامة عليه (من يشاء من عباده^٢) أي سواء كان له أب

(١) من ظ ، و في الأصل : علية (٢) سقط من ظ (٣) في الأصل : فرعهم ، وفي
ظ : فروع أصولهم (٤) زيد من ظ (هـ - هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٦) من ظ ، و في الأصل : اخبرناهم (٧ - ٧) في ظ : عقبه ببيان (٨) من ظ ،
و في الأصل : اذكر (٩) من ظ ، و في الأصل : انما .

يعلمه أو كان له من يحمله على الضلال أو لا ؛ [ولما - ١] بين فضل الهدى
ونص على رؤس أهله ، تهديد من تركه كائنا من كان ، فقال مظهرها لعز^٢
الإلهية بالغنى المطلق منزها نفسه عما لوحظ فيه غيره ولو بأدنى لحظ :
﴿ ولو أشركوا ﴾ - أى هؤلاء الذين ذكرنا من مدحهم ما سمعت و [بيتا - ١]
من اختصاصنا لهم ما علمت - شيئا من شرك وقد أعادهم الله من ذلك ، ه
وأقام بهم معوج المسالك ، وأثار بهم ظلام الأرض بطولها والعرض
﴿ لحبط عنهم ﴾ أى فسد وسقط ﴿ ما كانوا يعملون ه ﴾ أى وإن كان^٢
في غاية الإتيان بقوانين العلم ، وزاد في الترهيب من التواني في السير
والزيغ عن سوء القصد بقوله : ﴿ أولئك ﴾ أى العالو الرتبة الذين^٢
قدما ذكرهم وأخبرنا أنهم لو أشركوا سقطت أعمالهم ﴿ الذين اتينهم ﴾ ١٠
أى بعظمتنا ﴿ الكشب ﴾ أى الجامع لكل خير ، فمن ملك ما فيه من
العلوم والمعارف حكم على البواطن ، وذلك لأن الناس يجونه فينقادون
له^٢ يواطنهم ﴿ والحكم ﴾ أى العمل المثقن بالعلم ، ومنه نفوذ الكلمة
على الظواهر بالسلطنة وإن كرهت البواطن ﴿ والنبوة ع ﴾ أى العلم
المزين بالحكم وهى^٢ وضع^٢ كل شىء^٢ فى أحق مواضعه ، فهى جامعة ١٥
للرتبتين الماضيتين ، فلذلك كان الانبياء يحكمون على البواطن بما عندهم
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لغير (٣) فى ظ : كا (٤) من ظ ، وفى الأصل :
الاتفاق (٥) من ظ ، وفى الأصل : الذى (٦) فى ظ : ان (٧) فى ظ : اليه .
(٨) فى ظ : الحكمة (٩) زيد بعده فى الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة فى ظ
لحذفناها (١٠-١٠٠) فى ظ : الشىء .

من العلم ، وعلى الظواهر بما يظهر^١ من المعجزات ؛ ثم سبب عن تعظيمها
 [بذلك تعظيمها - ٢] بأنها لا تبور ، فقال تسلياً عن المصيبة بطعن^٣
 الطاعنين فيها وإعراض الجاهلين عنها وترجيّة عند ما يوجب اليأس من
 نفرة أكثر المدعويين : ﴿ فان يكفر بها ﴾ أى هذه الأشياء العظيمة
 هـ ﴿ هؤلاء ﴾ أى أهل مكة الذين أنت بين أظهرهم ، وقد جوناهم بها على
 أتم وجه وأكمله وأعلاه وأجمله ، وأنت ؛ تدعوهم إلى أن يكونوا
 سعداء بما اشتملت عليه من الهدى وهم عنه معرضون ، ولعل الإشارة^٤
 على هذا الوجه لتحقيرهم ﴿ فقد وكلنا ﴾^٥ أى لما لنا من العظمة فى الماضى
 والحال والاستقبال ﴿ بها قوماً ﴾^٦ أى ذوى قوة على القيام بالأمور
 ١٠ [بالإيمان بها والحفظ لحقوقها - ٢] ﴿ ليسوا ﴾^٧ وقدم الجار اهتماماً
 فقال : ﴿ بها بكافرين هـ ﴾ أى بساتين الشيء مما ظهر من شمس أدلتها ،
 وهم الأنبياء / [ومن - ٢] تبعهم ، وقد صدق الله - ومن أصدق من
 الله حديثاً ! فقد جاء فى هذه الأمة من العلماء الأخيار والراشخين
 الأخبار من^٨ لا يحصيهم إلا الله .

/ ٢٢٣

١٥ ولما كان المراد بسوقهم هكذا - والله أعلم - أن كلا منهم بادر بعد
 الهداية إلى الدعاء إلى الله والغيرة على جلاله من الإشراك ، لم يُشغِل
 (١) فى ظ : يظهرون (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بمطعن (٤) فى ظ : ان.
 (٥) زيد بعده فى الأصل : وقدم الجار اهتماماً فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ نحو لناها
 إلى موضعها اللائق بها (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ (٧) زيد من ظ والقرآن
 الكريم (٨) فى ظ : ممن .

أحدا منهم عن ذلك سراء ولا ضراء بمثلك ولا غيره من ملك أو غيره بل
لازموا الهدى^١ والدعاء إليه على كل حال ؛ قال مستأنفا لتكرار^٢ أمداحهم
بما يحمل على التحلى بأوصافهم . مؤكدا لإثبات^٣ الرسالة : ﴿ أوَلَيْسَ ﴾ أى
العالو المراتب ﴿ الذين هدى الله ﴾ أى الملك الحائز لرتب الكمال ، الهدى
الكامل ، ولذلك سبب عن مدحهم قوله : ﴿ فبهدهم ﴾ أى خاصة فى ٥
واجبات الإرسال وغيرها ﴿ اقتده^٤ ﴾ وأشار بهاء السكت التى هى أمانة
الوقوف - وهى ثابتة فى جميع المصاحف - إلى أن الاقتداء بهم كان
غير محتاج إلى شيء ؛ ثم فسر الهدى بمعظم أسبابه فقال : ﴿ قل ﴾ أى
لمن تدعوهم كما كانوا يقولون بما يبنى التهمة و يمحى النصيحة فيوجب
الاتباع إلا من شق ﴿ لا استلکم ﴾ أى أيها المدعون ﴿ عليه ﴾ أى على ١٠
الدعاء ﴿ اجرا^٥ ﴾ فان الدواعى تتوفر بسبب ذلك على الإقبال إلى
الداعى ؛ والاستجابة للرشد ؛ ثم استأنف قوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو ﴾
أى هذا الدعاء الذى أدعوكم به ﴿ الا ذكرى ﴾ أى تذكير بليغ من كل^٦
ما يحتاج إليه فى المعاش والمعاد ﴿ للعلين^٧ ﴾ أى الجن والإنس والملائكة
دائما ، [لا - ٦] ينقضى دعاؤه ولا ينقطع نداؤه ، وفى التعبير بالاقتداء ١٥
إيماء إلى تبكيت كفار العرب حيث اقتدوا بمن لا يصلح للقدوة من آبائهم ،
وتركوا من يجب الاقتداء به . ولما حصر^٨ الدعاء فى الذكرى ، و كان
ذلك نفعا لهم و رفقا بهم ، لا تزيد^٩ طاعتهم فى ملك الله شيئا ولا ينقص
(١) من ظ ، و فى الأصل : الهداية (٢) فى ظ : لتكرير (٣) فى ظ : باثبات .
(٤) فى ظ : الداعين (٥) فى ظ : قل - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : خص .
(٨) فى ظ : تعا (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا تزيد .

إعراضهم من عظمت شيئا، لأن كل ذلك بإرادته؛ بنى حالا منهم، قال
 تأكيداً لأمر الرسالة بالإنكار على من يجدها وإلزاماً لهم^١ بما هم معترفون
 به، أما أهل الكتاب فعلى قطعياً، وأما العرب فتقليداً لهم ولأنهم سلبوا لهم
 العلم وجعلهم محط سؤا لهم عن محمد صلى الله عليه وسلم: (وما) أى
 ٥ قلنا ذلك لهم خاصة والحال أنهم ما (قدروا) أى عظموا (الله)
 أى المستجمع لصفات الكمال (حق قدرة) أى تعظيمه في جحدهم
 لذكراهم وصددهم عن بشراهم ومقابلتهم للشكر عليه بالكفر له؛ قال
 الواحدى: يقال قدر^٢ الشيء - إذا سبره وحزره وأراد أن يعلم مقداره -
 يقدره - بالضم - قدرا، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: فان غم عليكم فاقدروا
 ١٠ [له -^٢]، أى فاطلبوا^٣ أن تعرفوه - هذا أصله في اللغة، ثم قيل لمن
 عرف شيئا: هو يقدر قدره، وإذا لم يعرفه بصفاته^٤: إنه [لا -^٢] يقدر
 قدره (اذ) أى حين (قالوا) أى اليهود، والآية مدنية وقريش^٥
 في قبولهم لقولهم، ويمكن أن تكون مكية، ويكون قولهم هذا حين أرسلت
 إليهم قريش تسألهم عنه صلى الله عليه وسلم في أمر رسالته واحتجاجة
 ١٥ عليهم بأرسال موسى عليه السلام وإنزال التوراة عليه (ما أنزل الله)
 أى^٦ ناسين ما^٧ له من صفات الكمال^٨ (على بشر من شيء^٩) لأن^١

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في الأصل: على، ولم تكن الزيادة في ظ
 وروح المعاني ٢/ ٢٥٠ حيث نقل قول الواحدى، فحذفناها (٣) زيد من ظ
 والروح (٤) من الروح، وفي الأصل وظ: فاطلبوه (٥) من ظ والروح،
 وفي الأصل: لصفاته (٦) من ظ، وفي الأصل: قدس - كذا (٧-٧) من ظ،
 وفي الأصل: ناسين ما (٨) زيد بعده في الأصل: الذين هم، ولم تكن الزيادة
 في ظ فحذفناها (٩) في ظ: لا - كذا.

من نسب^١ ملكا تام الملك إلى أنه لم يُثبِتْ أوامره في^٢ رعيته بما يرضيه
 ليفعلوه وما يسخطه ليجنبوه، فقد نسبته إلى نقص عظيم، فكيف إذا كانت
 تلك النسبة كذبا^٣ وهذا وإن كان ما قاله إلا بعض العالمين بل بعض
 أهل الكتاب الذين هم بعض العالمين، أسند إلى الكل، لأنهم لم يردوا
 على قائله ولم يعاجلوه بالأخذ تفضيلا^٤ للشأن وتهويلا للامر، ويانا ه
 لأنه يجب على كل من سمع بآية من آيات الله أن يسعى إليها ويتعرف
 أمرها، فاذا^٥ تحققه فن طعن فيها أخذ على يده بما يصل^٦ إليه قدرته،
 / كما أنه كذلك كان يفعل لو كان ذلك ناشئا عن أيه أو أحد من يكون / ٢٢٤
 فخره^٧ به من أبناء الدنيا، وفي ذلك أتم إشارة إلى أن الامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر عماد الأمور كلها، من فرط فيه هلك وأهلك^٨ ؛ ١٠
 روى الواحدى في أسباب النزول بغير سند عن ابن عباس رضى الله عنهما
 ومحمد بن كعب القرظى أن اليهود قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء،
 فأنزل الله تعالى - يعنى هذه الآية، فقال مشيرا إلى أن اليهود قائلو ذلك،
 وملزما بالاعتراف بالكذب أو المساواة للاميين في التمسك بالهوى
 دون كتاب، موبخا لهم ناعيا عليهم سوء جهلهم^٩ وعظيم بهتهم وشدة ١٥
 وقاحتهم وعدم حيائهم : ﴿ قل ﴾ أى هؤلاء السفهاء الذين تجرؤا على
 هذه المقالة غير ناظرين في عاقبتها وما يلزم منها تويخا لهم وتوقيفا على
 (١) من ظ، وفي الأصل : تسبب (٢) من ظ، وفي الأصل : من (٣) في ظ :
 في ظ : تعطيل (٤) وإذا (٥) في ظ : تصل (٦) في ظ : نحوه (٧) من ظ،
 وفي الأصل : جهتهم .

موضع جهلهم (من انزل الكتب) أى الجامع للأحكام والمواظ
وخيرى الدنيا والآخرة (الذي جاء به موسى) أى الذى أتمّ تزعمون
التمسك بشرعه، حال كون ذلك الكتاب (نورا) أى ذا نور يمكن
الآخذ به من وضع الشيء^١ فى حاقّ موضعه (وهدى للناس) أى
هـ ذا هدى لهم كلهم، أما فى [ذلك - ٢] الزمان فبالثبوت به، وأما عند إنزال
الإنجيل فبالآخذ بما أرشد إليه من اتباعه، وكذا عند إنزال القرآن،
فقد بان أنه هدى فى كل زمان تارة بالدعاء إلى ما فيه وتارة بالدعاء إلى
غيره؛ ثم بين أنهم أخفوا منه ما هو نص وصريح فى الدعاء إلى غيره^٢
اتباعا منهم للهوى ولزوما للعمى فقال: (تجعلونه) أى أيها اليهود
١٠ (قراطيس) أى أوراقا مفرقة؛ لتتمكنوا^٣ بها من إخفاء ما أردتم
(تبدونها) أى تظهرونها للناس (وتخفون كثيرا) أى منها ما يريدون
به تبديل الدين - هذا على قراءة الجماعة بالفوقانية، وعلى قراءة ابن كثير
وأبى عمرو بالغنية هو التفتات مؤذن بشدة الغضب مشيرة إلى أن ما قالوه
حقيق بأن يستحي من ذكره فكيف بفعله^٤ ثم التفت إليهم للزيادة
١٥ فى تبكيتهم إعلاما بأنهم متساوون لبقية الإنسان فى أصل الفطرة، بل
العرب أزكى منهم وأصح أفهاما، فلولا ما أتاهم به موسى عليه السلام
ما فاقوهم بفهم، ولا زادوا عليهم فى علم، فقال: (وعلمتم) أى أيها
اليهود بالكتاب الذى أنزل على موسى (ما لم تعلموا أتم) [أى - ٢]

(١) فى ظ: كل شيء (٢) زيد من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن
فى ظ لحذفنا ما (٤) فى ظ: معرفة (هـ) فى الأصل و ظ: لينمكنوا (٦) فى ظ:
مشيرا.

أيها اليهود من أهل هذا الزمان ﴿و [لَا - ١] 'أَبَاؤُكُمْ'﴾ أى الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم .

ولما كانوا قد وصلوا فى هذه المقالة إلى حد من الجهل عظيم ، قال مشيرا إلى عنادهم : ﴿قل﴾ أى أنت فى الجواب عن هذا السؤال ^٢غير منتظر^٢ لجوابهم فانهم أجلف الناس وأعتاهم ﴿الله ٣﴾ أى الذى ه أنزل ذلك الكتاب ﴿ثم﴾ بعد ^٢أن تقول^٢ ذلك لا تسمع لهم شيئا بل ﴿ذرهم فى خوضهم﴾ أى قولهم وفعلهم المثبتين^٤ على الجهل المبين على أنهم^٥ فى ظلام الضلال كالحائض فى الماء يعملون ما لا يعلمون ﴿يلعبون ٦﴾ أى يفعلون [فعل - ٦] اللعب ، وهو ما لا يحجر لهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا مع تضييع الزمان . ١٠

ولما أثبت سبحانه أنه الذى أنزل التوراة [والإنجيل - ٦] تكميلا لإثبات الرسالة بدليل علم اليهود دون من لا كتاب لهم ، عطف على ذلك قوله تأكيدا لإثباتها وتقريراً : ﴿ وهذا ﴾ أى القرآن الذى هو حاضر الآن فى جميع الأذهان ﴿ كتب ﴾ أى جامع لخيرى^٧ الدارين ، وكان السياق لأن يقال : أنزل الله ، ولكنه أتى بنون العظمة ، لأنها ١٥ أدل على تعظيمه فقال : ﴿ أنزلته ﴾ أى وليس من عند محمد صلى الله

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢ - ٢) فى ظ : منتظرا (٣ - ٣) من ظ ، وفى الأصل : انه يقول (٤) من ظ ، وفى الأصل : التبين (٥) من ظ ، وفى الأصل : انتم (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : لخير (٨) سقطت الواو من ظ .

عليه وسلم من نفسه ، وإنما هو بانزالنا إياه إليه وإرسالنا [له - ١]
 به (مبرك) أى كثير الخير ثابت الأمر . لا يقدر أحد من الخلق
 على إنكاره لإعجازه ، لتعلم أهل الكتاب خصوصا حقيقته بتصديقه
 لكتابتهم لأنه (مصدق الذى بين يديه) أى كله من كتبهم وغيرها ،
 ٢٢٥ / ٥ فيكون أجدر لإيمانهم به ، / وتعلم جميع أهل الأرض عموما ذلك بذلك
 وباعجازه (ولتندر) أى به (أم القرى) أى مكة لأنها أعظم
 المدن بما لها من الفضائل (ومن حولها) من ' لا يؤمن ' بالآخرة فهو
 لا يؤمن به من أهل الأرض كلها من جميع البلدان والقرى ، لأنها
 أم الكل ، وهم فى ضلالتهم ' مفراطون ' (والذين يؤمنون بالآخرة)
 ١٠ أى فيهم قابلية الإيمان بها على ما هى عليه ، من أهل أم القرى ومن
 حولها ' بكل خير ينشرون ' (يؤمنون به) أى بالكتاب بالفعل
 لأن الإيمان بها داع إلى كل خير بالخوف والرجاء ، والكفر بها
 حامل على كل بشر .

ولما تكرر وصف المنافقين بالتكاسل عن الصلاة جعل المحافظة
 ١٥ عليها علما على الإيمان فقال : (وهم على صلاتهم يحافظون ه) أى
 يحفظونها غاية الحفظ ، فالآية من عجيب فن الاحتباك : ذكر الإنذار
 والام أولا دالا^١ على حذفها ثانيا^٢ ، وإثبات الإيمان والصلاة ثانيا دليل
 على نفيها^٣ أولا .

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : يؤمن (٢) فى ظ : حيث (٤) فى ظ : ضلالم .
 (ه - ه) فى ظ : مبشرون (٦) من ظ ، وفى الأصل : داله (٧) فى الأصل : باقيا ،
 وفى ظ : ثابتا - كذا (٨) من ظ ، وفى الأصل : نعتها .

ولا كان في قولهم " ما أنزل الله على بشر من شيء " صريح^١
 الكذب و تضمن^٢ تكذيبه - وحاشاه صلى الله عليه وسلم ! أما من اليهود
 فبالفعل ، و أما من قريش فالرضى ، و كان بعض الكفرة قد ادعى الإجماع
 إلى نفسه إرادة اللطعن في القرآن ؛ قال تعالى مهولاً لأمر^٣ الكذب لا سيما
 عليه لا سيما في أمر الوحي ، عاطفاً على مقول " قل ' من أنزل " مبطلاً ه
 للتنبؤ بعد تصحيح أمر الرسالة و إثباتها إثباتاً لا مرية فيه ، فكانت براهين
 إثباتها أدلة على إبطال التنبؤ و كذب مدعيه : (و من اظلم ممن اقترى)
 أى بالفعل كاليهود و الرضى كقريش * (على الله كذباً) أى أى كذب
 كان ، فضلاً عن إنكار الإنزال على البشر * (ار قال اوحى الى و لم) أى
 و الحال أنه لم (يوح اليه شيء) فهذا^٦ تهديد على سبيل الإجمال كعادة ١٠
 القرآن المجيد^٧ ، يدخل فيه كل من اتصف بشيء من ذلك كسيلة
 و الأسود^٨ العنسى و غيرها ، ثم رأيت في كتاب ' غاية المقصود في
 الرد على النصارى و اليهود ' للسمول^٩ بن يحيى المغربي الذي كان من أجل
 علمائهم في حدود سنة ستين و خمسمائة ، ثم هداه الله للإسلام ، و كانت
 له يد طويلة في الحساب^{١٠} و الهندسة^{١١} و الطب و غير ذلك من العلوم ، فأظهر ١٥

- (١) في ظ : صرح (٢) من ظ ، و في الأصل : يضمن (٣) من ظ ، و في الأصل :
 لا - كذا (٤) زيد بعده في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفناها .
 (٥-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : بهذا - كذا .
 (٧) في ظ : الجليل (٨) زيدت الواو بعده في ظ (٩) من طبقات الأطباء ٢/٢٠ ،
 و في الأصل : للسل ، و في ظ : للسمول - كذا .

بعد إسلامه فضائحهم أن الربانيين منهم زعموا أن الله كان يوحى إلى جميعهم في كل يوم مرات، ثم قال [بعد - ١] أن قسمهم إلى قرآئين وربانيين^٢ : إن الربانيين أكثرهم عددا، وقال : وهم الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصواب، قال : وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم ﴿ ومن قال سائزل ﴾ أى بوعد^٣ لا خلف فيه^٤ ﴿ مثل ما أنزل الله^٥ ﴾ كالنضر بن الحارث ونحوه .

ولما كان الجواب قطعاً من كل منصف : لا أحد أظلم منه ، بل هم أظلم الظالمين ، كان كأنه قيل : فلو رأيتهم وقد حاق بهم جزاء هذا الظلم كرد^٦ وجوههم مسودة وهم يسحبون في السلاسل على وجوههم ، ١٠ [وجهم - ١] تكاد تتميز عليهم غيظاً ، وهم قد هدم^٧ الندم والحسرة ، وقطع بهم الأسف والحيرة لرأيت أمرا يهول منظره^٨ ، فكيف يكون مذاقه [و - ١] مخبره^٩ ! فغطف عليه ما هو أقرب^{١٠} منه ، فقال كالمفصل لإجمال ذلك التهديد مبرزا بديل ضميرهم الوصف الذى أدام إلى ذلك : ﴿ ولو ترى ﴾ أى يكون منك رؤية فيما هو دون ذلك ﴿ اذ الظالمون ﴾ أى لأجل ١٥ مطلق الظلم فكيف بما ذكر منه ١ واللام للجنس الداخلة فيه هؤلاء دخولا أوليا ﴿ فى غمرت الموت ﴾ أى شدائده التى قد غمرتهم كما يغمر البحر الخضم^{١١} من يغرق^{١٢} فيه ، فهو يرفعه ويخفضه^{١٣} و يبتلعه و يلفظه ، لا بد له

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ثم قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها . (٣-٢) من ظ ، وفى الأصل : لا بد منه (٤) من ظ ، وفى الأصل : حد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : هدمهم (٧) من ظ ، وفى الأصل : بنظره (٨) زيد بعده فى ظ : فكيف (٩) أى العظيم ، وفى ظ : الخضر (١٠) فى ظ : يعرف (١١) من ظ ، وفى الأصل : يحفظه - كذا .

منه ﴿وَالْمُشْكَّة﴾ أى الذين طلبوا جهلا منهم إنزال بعضهم على وجه
الظهور لهم ، وأخبرناهم [أنهم - ١] لا ينزلون إلا لفصل الأمور وإنجاز
المقدور^٢ / ﴿بِأَسْطُورَايَدِيهِمْ ٣﴾ أى إليهم بالمكره لزع أرواحهم و سلها
واقية من أشباحهم كما يسئل السفود^٤ المشعب^٥ من الحديد من الصوف
المشبتك المبلول^٦ ، لا يعسر عليهم تمييزها من الجسد ، ولا يخفى عليهم شيء^٧
منها فى شيء منه ، قائلين^٨ ترويعا لهم و تصويرا للعنف و الشدة فى السياق
و الإلحاح و التشديد فى الإزهاق من غير تنفيس و إمهال ، و أنهم يفعلون
بهم فعل الغريم المسلط الملازم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ٩﴾ فكأنهم قالوا : لما ذا
يارسل ربنا ؟ فقالوا : ﴿اليوم﴾ أى هذه الساعة ، و كأنهم عبروا به لتصوير
طول العذاب ﴿تَجْزُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أى العذاب الجامع بين الإيلام^{١٠}
العظيم و الهوان الشديد و الحزى المديد بالنزع و سكرات الموت و ما بعده
فى البرزخ - إلى ما لا نهاية له ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ أى تجددون^{١١} القول
دائما ﴿على الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿غير الحق﴾ أى غير
القول المتمكن غاية التمكّن فى درجات الثبات ، ولو قال بدله : باطلا ،
لم يؤد هذا المعنى ، ولو قال : الباطل ، لقصر عن المعنى أكثر ، و قد مضى^{١٥}
فى المائدة ما ينفع هنا ، و إذا نظرت إلى أن^{١٢} السياق لأصول الدين ازداد
المراد وضوحا ﴿وكنتم﴾ أى و بما كنتم ﴿عن آيئته تستكبرون ١٣﴾
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : القدور (٣) من ظ ، وفى الأصل : النفود - كذا .
(٤) فى ظ : المتشعب (هـ-هـ) فى ظ : المتشبتك العلول (٦) زيدت الواو بعده فى
ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : تجددون (٨) سقط من ظ .

أى تطلبون الكبر للجائزة عنها، ومن استكبر عن آية واحدة كان مستكبرا عن الكل، أى لو رأيت ذلك لرأيت أمرا فظيما^١ وحالا هائلا شنيعا، وغير بالمضارع تصويرا لحالهم .

و لما كانوا ينكرون أن يحس الميت شيئا بعد [الموت - ٢] أو يفهم كلاما ، وكان التقدير كما دل عليه السياق : فتوفاهم الملائكة ، لا يقدر أحد على منعهم ، فيقول لهم : قد رأيتم ملائكتنا الذين أخبرناكم أول السورة أنهم إذا أبصروا كان القضاء الفصل والأمر البت الحتم الذى ليس^٢ فيه مهل ، عطف عليه قوله مشيرا إلى ما كان سبب استكبارهم من الاجتماع على الضلال والتقوى بالأموال : ﴿ ولقد جئتمونا ﴾ ١٠ أى لما لنا من العظمة بالموت الذى هو دال على شمول علمنا وتمام قدرتنا قطعا ، ودل على تمام العظمة وأن المراد بجيئهم بالموت^٣ قوله : ﴿ فرادى ﴾ أى متفرقين ، [ليس - ٢] أحد منكم مع أحد ، ومنفردين^٤ على كل شئ صدكم عن اتباع رسلنا ﴿ كما خلقنكم ﴾ أى بتلك العظمة التى^٥ أمتاكم بها بعينها ﴿ أول مرة ﴾ فى الانفراد والضعف ١٥ والفقر، فأين جمعكم الذى كنتم به تستكبرون ! ﴿ وتركتم ما خولنكم ﴾ أى ملكناكم^٦ من المال ومكانكم^٧ من إصلاحه نعمة عليكم لتوصلوا^٨ به إلى رضانا، فظننتم أنه لكم بالأصالة، وأعرضتم عنا [و - ٢] بدلتم ما دل

(١) فى ظ : قطعيا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : الموت (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ : متفرقين (٧) فى ظ : الذى (٨) من ظ ، وفى الأصل : ملكناكم (٩) فى ظ : ملكناكم (١٠) من ظ ، وفى الأصل : ليتوصلوا .

عليه من عظمتنا بضد ذلك من الاستهانة بأوامرنا^١ ﴿ وراء ظهوركم ج ﴾
فما أغنى عنكم ما كنتم منه تستكبرون .

و لما كانوا يعدون الأصنام آلهة ، ويرجون شفاعتها ، إما استهزاء ،
و إما في الدنيا ، و إما في الآخرة - على تقدير التسليم لصحة البحث ،
قال تهكما بهم و استهزاء بشأنهم^٢ : ﴿ و ما نرى معكم شفعاءكم ﴾ أى ه
التي كنتم تقولون فيها ما تقولون ﴿ الذين زعمتم ﴾ أى كذبا و جراءة^٣
و لجورا ﴿ انهم فيكم شركوا^٤ ﴾ أى أن لهم فيكم نصيبا مع الله حتى
كنتم تعبدونهم في وقت الرخاء و تدعونهم في وقت الشدة ، أروناهم لعلهم
سترهم عنا سائر أو حجبنا عنهم حاجب ؛ ثم دل على بهتهم في جواب هذا
الكلام الهائل المرعب^٥ حيرة و عجزا و دهشا و ذلا بقوله : ﴿ لقد تقطع ﴾ ١٠
أى تقطعا كثيرا .

و لما كان ذكر البين في شيء يدل على قربه^٦ في الجملة و حضوره
ولو في الذهن ، لأنه يقال : بينى و بين كذا كذا ، و كان فلان بيننا ،
و نحو ذلك مما يدل على الحضور ؛ قال منبها على زوال ذلك حتى بالمرور
بالبال و الخطور^٧ في الذهن^٨ لشدة الاشتغال ﴿ بينكم ﴾ فأسند ١٥

القطع المبالغ فيه^٩ إلى البين ، و إذا / انقطع البين تقطع ما كان فيه
من الأسباب التي كانت تسبب^{١٠} الاتصال ، فلم يبق لأحد منهم اتصال

(١) في ظ : ما فيه امرنا - كذا (٢) في ظ : لشانكم (٣) من ظ ، وفي الأصل :
جراه (٤) في ظ : الموعب (٥) من ظ ، وفي الأصل : قوته (٦) في ظ : الحضور .
(٧) من ظ ، وفي الأصل : النصر (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : سبب .

بالآخرة^١، لأن ما بينهما صار كالخندق بانقطاع نفس البين، فلا يتأتى معه الوصول، هذا على قراءة الجماعة بالرفع، وهذا المثال^٢ معنى قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على الظرفية؛ ولما رجع المعنى إلى^٣ تقطع الوصل، بين سبب ذلك، وهو زوال المستند الذى كانوا يستندون إليه فقال: ﴿ وضل عنكم ﴾ أى ذهب و بطل ﴿ ما كنتم تزعمون ﴾ أى من تلك الأباطيل كلها.

ولما ثبتت^٤ الوحداية والنبوة والرسالة وتقاريع من تقاريعها، وانتهى الكلام هنا إلى ما تجلى^٥ به مقام العظمة، وانكشف له قناع الحكمة [و-٦] تمثل نفوذ الكلمة، فتهياً السامع لتأمله، وتفرغ فهمه لتدبره؛ قال دالا عليه مشيراً إليه، معلماً أن ما مضى أتجه وأظهره لا بد وأبرزه، مذكراً بآياته^٦ ”والذين يؤمنون بالآخرة“ وبم حاجة إبراهيم عليه السلام، مصرفاً ما مضى أول السورة من دلائل الوحداية على أوجه^٧ أخرى، إعلاماً بأن دلائل الجلال تفوق عدد الرمال، وتنبها على أن القصد بالذات معرفة الله تعالى بذاته وصفاته: ﴿ان الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال، فهو^٨ قادر على كل ما يريد ﴿فألق الحب﴾ أى فاطره وشافه عن الزروع^٩ والنبات، وعبر بذلك لأن الشئ قبل وجوده كان معدوماً، والعقل يتوهم ويتخيل من العدم ظلمة متصلة.

(١) من ظ، وفى الأصل: بالآخرى (٢) من ظ، وفى الأصل: المساك - كذا.

(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: ثبت (٥) من ظ، وفى الأصل: بجلى - كذا.

(٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: ياتيه (٨) فى ظ: وجه (٩) فى ظ: وهو (١٠) فى

ظ: الزرع.

فاذا خرج من العدم المحض و الفناء للصرف فكأنه بحسب التخيل و التوهم شق^١
 ذلك العدم (و التوى^٢) أى و هو ما يكون داخل الثمار المأكولة كالتمر،
 ولا يكون مقصودا لذاته بفلقها عن الأشجار، و فى ذلك حكم و أسرار
 تدق عن^٣ الأفكار، و تدل على كمال الواحد المختار^٤؛ قال الإمام الرازى
 ما حاصله: إن النواة و الحبة تكون فى الأرض الرطبة مدة، فيظهر الله فيها
 شقا فى أعلاها و آخر فى أسفلها، و تخرج الشجرة من الأعلى فتعلو و تهبط
 من الأسفل شجرة أخرى فى أعماق الأرض، هى العروق، و تلك الحبة أو
 النواة سبب [و - °] أصل بين الشجرتين: الصاعدة و الهابطة. فيشهد^٥ الحس
 و العقل بأن طبع الصاعدة و الهابطة متعاكس، و ليس ذلك قطعا بمقتضى
 الطبع و الخاصية. بل بالإيجاد و الاختراع و التكوين^٦ و الإبداع، و لا شك^{١٠}
 أن العروق الهابطة فى غاية اللطافة و الرقة^{١١} بحيث لو دلكت باليد بأدنى قوة
 صارت كالماء. و هى مع ذلك تقوى على النفوذ فى الأرض الصلبة التى لا ينفذ
 فيها المسئلة و السكين الحادة إلا باكره عظيم، فحصل هذا النفوذ لهذه^{١٢}
 الأجرام اللطيفة لا يكون قطعا إلا لقوة^{١٣} الفاعل المختار، لا سيما إذا تأملت
 ظهور^{١٤} شجرة من نواة صغيرة، [ثم - °] تجمع الشجرة طبائع مختلفة فى ١٥
 قشرها ثم فيما تحته من جرم الخشبة، و فى وسط تدوير الخشبة جرم ضعيف
 كالعين المنفوش، ثم يتولد من ساقها أغصانها، و من الأغصان أوراقها
 (١) فى ظ: الشق (٢) فى ظ: على (٣) فى ظ: انقهار (٤) فى ظ: و (٥) زيد
 ما بين الحاجزين من ظ (٦) فى ظ: يشهد (٧) من ظ، و فى الأصل: السكون.
 (٨) فى ظ: الدقة (٩) من ظ، و فى الأصل: لهذا (١٠) فى ظ: بقوة (١١) من
 ظ، و فى الأصل: ظهوره.

أولا ثم أنوارها وأزهارها ثانيا، ثم [الفاكهة ثالثا، ثم قد يحصل - ']
 للفاكهة أربعة أنواع من القشور، مثل الجوز واللوز قشره الأعلى ذلك
 الجرم الأخضر، وتحت القشر الذى كالخشب، وتحت القشر الذى كالغطاء
 الرقيق المحيط باللب، وتحت اللب المشتمل على جرم^٢ كثيف هو أيضا
 ٥ كالقشرة، وعلى جرم^٣ لطيف هو الزهر^٤، وهو المقصود بالذات، فتولد هذه
 الأجسام المختلفة طبعاً و صفة ولونا وشكلاً وطعماً مع تساوى تأثيرات
 الطبائع والنجوم والعناصر والفصول الأربعة دالاً على القادر المختار بتلوه
 فى الفرحة، وقد تجتمع [' - الطبائع الأربعة فى الفاكهة الواحدة كالأترج
 قشره حار يابس ونوره حار يابس، وكذلك العنب قشره وعجمه يابس
 ١٠ حار رطب مع أنك تجد أحوالها مختلفة، بعضها له فى داخله وقشره فى
 خارجه كالجوز واللوز، وبعضها^٥ يكون المطلوب منه فى الخارج وخشبه
 فى الداخل كالخوخ والمشمش، وبعضه لابل لنواه كالتمر، وبعضه
 يكون كله مطلوباً كالتين، واختلاف هذه الطبائع والأحوال المتضادة
 والخواص المتنافرة حتى فى الحبة الواحدة لا يكون عن طبيعة، بل عن
 ١٥ الواحد المختار، والحبوب مختلفة الألوان والأشكال والصور، فشكل
 الحنطة كأنه^٦ نصف مخروط، وشكل الشعير كأنه مخروطان اتصالاً بقاعدتيهما
 وشكل الحنظل على وجه آخر، وأودع سبحانه فى كل نوع منها
 خاصية ومنفعة غير ما فى الآخر، وقد تكون الثمرة غذاء^٧ للحيوان

(١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : حزم (٣) فى
 ظ : تبرم - كذا (٤) من ظ ، وفى الأصل : الدهن (٥) فى ظ : طمعا (٦) فى
 ظ : بعضه (٧) فى ظ : فانه (٨) فى ظ : عد - كذا .

وسمّا لحيوان آخر، فهذا الاختلاف مع اتحاد الطبايع وتأثيرات الكواكب
دالّ على أنها إنما حصلت بالفاعل المختار، ثم إنك تجد في ورقة الشجرة
خطاً في وسطها مستقيماً نسبته لتلك الورقة نسبة النخاع إلى بدن الإنسان،
ينفصل عنه خيوط مختلفة، وعن كل واحد منها خيوط أخرى أدق
من الأولى، ولا يزال على هذا النهج حتى تخرج الخيوط عن المحس ٥
والبصر، كما أن النخاع يتفصل منه أعصاب كثيرة يمتد ويسر في البدن،
ثم لا يزال يتفصل عن كل شعبة شعب أخرى، ولا يزال يستدق حتى
تلتطف عن المحس، فعل سبحانه ذلك في الورقة لتقوى القوى المذكورة
في جرم تلك الورقة على جذب الأجزاء اللطيفة الأرضية في تلك المجارى
الضيقة، فهذا يعلمك أن عنايته سبحانه في اتخاذ جملة تلك الشجرة أكمل، ١٠
فعنايته في تكوين جملة النبات أكمل، وهو إنما خلق جملة النبات لمصلحة
الحيوان فعنايته في تخليق الحيوان أكمل، والمقصود من تخليق جملة
الحيوان هو الإنسان فعنايته في تخليقه أكمل، وهو سبحانه إنما خلق الحيوان
والنبات في هذا العالم ليكون غذاء ودواء للإنسان بحسب جسده،
والمقصود من جسده حفظ تركيبه لأجل المعرفة والمحبة والعبودية، ١٥
فسيالك أن تنظر في ورقة الشجرة وتتأمل في تلك الأوتار ثم تترقى
منها إلى أوج تخليق الشجرة ثم إلى ما فوقها رتبة رتبة لتعلم أن المقصود
الآخر منها حصول المعرفة والمحبة في الأرواح البشرية، وحيث يفتح^٢
لك باب من المكاشفات لا آخر له، ويظهر لك أن نعم الله في خلقك
غير متناهية "وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها"^٣ - والله الهادي . ٢٠

(١) في ظ: اتحاد (٢) في ظ: ينفع (٣) سورة ١٤ آية ٣٤ .

ولما كان فلقهما^١ عن النبات من جنس الإحياء لما فيه من
النمو [فسر معنى الفلق و بينه إشارة إلى الاعتناء به وقتا بعد وقت
بقوله : ﴿ يخرج ﴾ أى على سبيل التجدد والاستمرار / تثبيتا لأمر البعث
﴿ الحى ﴾ أى كالنجم و الشجر و الطير و الدواب ﴿ من الميت ﴾
٥ من الحب و النوى و البيض^٢ و النطف^٣ فكيف تنكرون^٤ قدرته على
البعث ؛ ولما انكشف معناه و بان مغزاه باخراج الأشياء من أضدادها
ثلاثا يتوهم - لو كان [لا - ء] يخرج عن شيء إلا مثله - أن الفاعل^٥
الطبيعة و الخاصة ، عطف على ” فالتق ” زيادة فى اليان قوله معبرا
باسم الفاعل الدال على الثبات لأنه لا منازعة لهم فيه ، فلم تدع حاجة
١٠ إلى التعبير بالفعل الدال على التجدد : ﴿ و يخرج الميت ﴾ أى من الحب
و ما معه ﴿ من الحى^٦ ﴾ أى من النجم و ما معه .

ولما تقرر له سبحانه هذه الأوصاف التى لا قدرة أصلا لأحد
غيره على شيء منها ، قال منبها لهم على غلطهم فى إشراكهم ، إعلاما
بأن كل شريك يقبض أن يساوى شريكه فى شيء ما من الأمر المشترك^٧
١٥ فيه ، و لا مكافئ له سبحانه [و تعالى - ء] فى شيء من الأشياء فلا شريك له
بوجه : ﴿ ذلكم ﴾ أى العالى المراتب المنيع المراقى هو^٨ ﴿ الله ﴾ أى
المستجمع لصفات الكمال وحده فلا يحق الإلهية إلا له ؛ و لما^٩ كان هذا^{١٠}

(١) فى ظ : قاعهما (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : من الفطرة - كذا (٣) فى
ظ : ينكر (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى
ظ لحذفها (٦) فى ظ : المشترك (٧) سقط من ظ (٨-٨) من ظ ، و فى
الأصل : هذا كان .

معنى الكلام، سبب عنه قوله: ﴿ فَأَنَّى ﴾ أى فكيف ومن أى وجه
 ﴿ توفكونه ﴾ أى تصرفون وتقلبون عما ينبغي اعتقاده .
 ولما وصف سبحانه [و تعالى - ١] نفسه المقدسة من فلق الجواهر
 بما اقتضى حتما اتصافه بصفات الكمال، وقدمه لكونه من أظهر أدلة
 القدرة على البعث الذى هذا أسلوبه، مع الإلalf له بقربه ومعالجته، أتبعه ه
 ما هو مثله فى الدلالة على الإحياء لسكنته فى المعانى وهو سماوى، شارحا^١
 لما أشار إليه الخليل عليه السلام فى حاجة قومه من إبطال إلهية كل من
 النور والظلمة والكواكب التى هى منشأ^٢ ذلك، فقال ترقية من العالم
 السفلى إلى [العالم - ١] العلوى: ﴿ فالى الاصباح ج ﴾ أى موجد، وحقيقته:
 فالى ظلمة الليل عن الصباح، لكنه لما كثرت استعماله وأمن اللبس فيه أسند^{١٠}
 الفعل إلى الصبح، كما يقال: انفجر الصبح، وانفجر عنه الليل، ويمكن
 أن يراد بالفلق الكشف، لأنه يكشف من المفلوق ما كان خفيا،
 فعبر عن المسبب الذى هو الإظهار بالسبب الذى هو الفلق، وعبر عن
 الصباح بهذه الصيغة التى يقال للدخول فى الصباح لتصلح لإرادة فلق
 السكون بالنور^{١١} أو غيره عن التصرف بالحركة المترتبة على الدخول^{١٥}
 فى الصبح، فدلنا ذلك على وجاعل الإصباح حركة وسادل الليل
 ﴿ وجاعل^{١٢} اليل ﴾ بما يكون من إظلامه ﴿ سكنا ﴾ يسكن الناس فيه وإليه
 ويستريحون فيه، فالآية من الاحتباك: حذف من الأول الحركة ودل
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: شارح (٣) من ظ، وفى الأصل:
 منشأة (٤) من ظ، وفى الأصل: المفلق (٥) فى ظ: بالندم (٦) وقراءة حفص:
 جعل - كما فى مصاحفنا .

عليها بالسكن ، وحذف من الثاني السدل و دل عليه بالفلق ، وهذا الفلق
من أعظم الدلائل على قدرته سبحانه ، وفيه دلائل لان ' الإصباح يشمل^٢
الفجر الكاذب و الصادق ، و الأول أقوى دلالة لان مركز الشمس إذا
وصل إلى دائرة نصف الليل فالموضع - الذي تكون^٣ تلك الدائرة أفقا
له - تطلع الشمس من مشرقه ، فيضئ في ذلك الموضع نصف كرة الأرض ،
فيحصل الضوء في الربع الشرقي من بلدتك ، ويكون ذلك الضوء منتشرا
مستطيرا في جميع الجو ، ويجب أن يقوى ' لحظة فلحظة ' ، فلو كان الأول^٤
من قرص الشمس لامتنع أن يكون خطا مستطيلا ، بل كان يجب
أن يكون مستطيرا في الأفق منتشرا متزايدا لحظة فلحظة ، لكن ليس
١٠ هو كذلك ، فانه يبدو كالحبيط الأبيض الصاعد حتى شبهته العرب بذب
السرحان ثم يحصل عقبه ظلة خالصة ، ثم يكون الثاني الصادق المستطير
فكان^٥ الأول أدل على القدرة ، لأنه بتخليق الله ابتداء تنبيها على أن
الأنوار ليس لها وجود إلا بآداعه ، و الظلمات ليس لها ثبات^٦ إلا بتقديره .
ولما ذكر الضياء والظلمة ، ذكر منشأهما و ضم إليه قرينه فقال

٢٢٩ / ١٥ عاطفا على محل " اليل " / لأن ' جاءلا ' ليس بمعنى المضى فقط لتكون^٧

الإضافة حقيقية ، بل المراد استمراره في الأزمنة كلها : (و الشمس)

أى التى ينشأ^٨ عنها كل منهما ، هذا عن غروبها و هذا عن شروقها

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : لشمس (٣) من ظ ، وفي الأصل : يكون .

(٤-٤) من ظ ، وفي الأصل : محط فلحط - كذا (٥) في ظ : لكان (٦) في

ظ : اثبات (٧) من ظ ، وفي الأصل : ليكون (٨) من ظ ، وفي الأصل : نشأ .

(و القمر) أى الذى هو آية الليل (حسانا) أى ذوى حساب وعلمين عليه، لأن الحساب يعلم بدورهما وسيرهما، وبسبب ذلك نظم سبحانه مصالح العالم فى الفصول الأربعة، فيكون عن ذلك ما يحتاج إليه من نضج الثمار وحصول الغلات، وعبر عنها بالمصدر المبنى على هذه الصيغة البليغة إشارة إلى أن الحساب بهما أمر عظيم كبير النفع كثير الدخول، مع ما له من الدنيا فى أبواب الدين فهو جل نفعهما الذى وقع التكليف به، فكأنه لما كان الأمر كذلك، كان حقيقتهما التى يعبر عنها بهما، وأما غير ذلك من منافعهما فلا مدخل للعباد فيه.

ولما كان هذا أمرا باهرا و^٨ وصفا قاهرا، أشار إليه بأداة البدل فقال: (ذلك) أى التقدير العظيم الذى تقدم من الفلق وما بعده ١٠ (تقدير العزيز) أى الذى لا يغالب فهو الذى قهرهما على ما سيرهما فيه، وغلب العباد على ما در من أمرهم بهما، فلو أراد أحد أن يجعل ما جعله من النوم يقظة و^٩ اليقظة نوما، أو يجعل محل السكن للحركة أو بالعكس أو غير ذلك مما أشارت إليه الآية لأعياء ذلك (العليم) أى الذى جعل ذلك بعلمه على منهاج لا يتغير وميزان قويم^{١١} لا يزيف. ١٥
ولما ذكر ذلك، أتبعه منفعة أخرى تعمها مع غيرهما مبينا ما أذن

(١) فى ظ : علما (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : على ان (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : كثير (٥) فى ظ : فى (٦) من ظ ، وفى الأصل : الدنيا (٧) فى ظ : بهما (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفى الأصل : قهره (١٠) من ظ ، وفى الأصل : يشيرهما - كذا (١١) من ظ ، وفى الأصل : او . (١٢) فى ظ : لقريم - كذا .

فيه من علم النجوم و منافعها فقال : ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى جعل ﴾
ولما كانت العناية [بنا - ١] أعظم ، قدم قوله : ﴿ لكم النجوم ﴾ أى
كلها سائرهما وثابتهما وإن كان علمكم يقصر عنها كلها كما يقصر عن
الرسوخ والبلوغ فى علم السير^٢ للسيارة منها ﴿ انتهتوا ﴾ أى لتكفروا
أنفسكم علم الهداية ﴿ بها ﴾ لتعلموا القبلة وأوقات الصلوات^٣ والصيام
وغير ذلك من منافعكم دنيا ودينا .

ولما كانت الأرض والماء ليس لهما من نفسها إلا الظلة ، وانضمت
إلى ذلك ظلة الليل ، قال : ﴿ فى ظلّمت البر ﴾ أى الذى لا علّم فيه ، وإن
كانت له أعلام فانها قد تخفى ﴿ والبحر ﴾ فانه لا علّم به ، والإضافة
١٠ إليهما لللباسة أو تشبيه الملبّس من الطرق وغيرها بالظلة ؛ روى الحافظ
أبو بكر الخطيب البغدادي فى جزءه جمعه فى النجوم من طريق أحمد بن
سهل الأشناني عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تعلموا من النجوم
ما تهتدون^٤ فى البر والبحر ثم انتهوا ، وتعلموا من الأنساب ما تصلون
به^٥ أرحامكم وتعرفون ما يحل لكم^٦ ويحرم عليكم من النساء ثم انتهوا .
١٥ وفيه من طريق عبد الله بن الإمام أحمد فى زياداته على المسند عن على
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا على ! أسبغ
الوضوء وإن شق عليك ، ولا تأكل الصدقة ولا تنزه^٧ الخمر على

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التيسر (٣) من ظ ، وفى الأصل : الصلاة (٤) من
ظ وروح المعاني ٢ / ٥٣٧ ، وفى الأصل : يهتدون (٥) فى ظ : الأسباب .
(٦) فى ظ : اليه (٧) سقط من ظ (٨) من مسند الإمام أحمد ١ / ٧٨ ، وفى
الأصل : لا تثر ، وفى ظ : لا سر - كذا .

الخليل^١، ولا تجالس أصحاب النجوم . وفيه عن أبي ذر رضى الله عنه عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تسألوا عن النجوم ، ولا تفسروا القرآن برأيكم ، ولا تسبوا أصحابي ، فإن ذلك الإيمان المحض . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النظر في النجوم - رواه من طرق كثيرة ؛^٢ وعن عائشة ه رضى الله تعالى عنها مثله سواء ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا - رواه من طرق وأسند عن قتادة قوله تعالى "وانهزوا سبلًا"^٣ قال : طرقاً "وعلمت"^٤ قال : هي النجوم ، قال : إن الله عز وجل إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : ١٠

جعلها زينة للسماء ، و جعلها يهتدى بها ، و جعلها / رجوما للشياطين ، فن تعاطى فيها [شيئاً - °] غير ذلك فقد أخطأ : حظه وقال رأبه وأضاع نصيبه و تكلف ما لا علم له^١ به - في كلام طويل حسن ، [وهذا الأثر الذى عن قتادة أخرجه عنه البخارى^٢ في صحيحه - °] ، وقال^٣

صاحب كنز اليواقيت في استيعاب^٤ المواقيت في مقدمة الكتاب : ١٥
واعلم أن العلم منه محمود ، ومنه مذموم لا يذم لعينه ، إنما يذم في حق العباد لأسباب ثلاثة : أولها أن يكون مؤدياً إلى ضرر كعلم السحر

(١) من ظ و المسند ، وفي الأصل : الخليل (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٦ ، آية ١٠٥ .
(٤) سورة ١٦ ، آية ١٦ (٥) زيد تامين الحاجزين من ظ (٦) من ظ و صحيح البخارى -
بدء الخلق ، وفي الأصل : لنا (٧) زيد بعده في ظ : عنه ، ولا يناسب السياق لحذفناه .
(٨-٨) من ظ ، وفي الأصل : قال (٩) من ظ ، وفي الأصل : التبعات - كذا .

والطلسات وهو حق^١ إذ شهد القرآن به وأنه سبب للفرقة بين
 الزوجين ، و سحر النبي صلى الله عليه وسلم و مرض بسية ، حتى أخبره^٢
 جبرئيل عليه السلام و أخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر - كما ورد
 في الحديث الصحيح ؛ و معرفة ذلك من حيث أنه معرفة ليس مذموما ،
 ٥ أو من حيث أنه لا يصلح إلا لإضرار بالخلق يكون مذموما^٣ . و الوسيلة
 إلى الشر شر ؛ الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كالقسم
 الثاني من علم النجوم الأحكامي المستدل [به -^٤] على الحوادث بالأسباب
 كاستدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض ، و هو معرفة
 مجارى سنة الله و عادته في خلقه ، و لكنه ذمه الشرع و زجر عنه لثلاثة
 ١٠ أوجه : أحدها أنه^٥ يضر بأكثر الناس فانه إذا قيل : هذا الأمر لسبب
 سير الكواكب ،^٦ وقر في نفس الضعيف^٧ العقل أنه مؤثر ، فينمحي
 ذكر الله عن قلبه ، فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط بخلاف العالم
 الراجح ، فانه يطلع على [أن -^٨] الشمس و القمر و النجوم مسخرات ،
 و فرق كبير بين من يقف مع الأسباب و بين من يترقى إلى مسبب
 ١٥ الأسباب ، ثم^٩ ذكر ما^{١٠} حاصله أن السبب الثاني في النهي عنه أنه
 تخمين^{١١} . لا يصل إلى القطع ؛ و الثالث أنه لا فائدة فيه . فهو خوض في

(١) في ظ : احق (٢) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لخذفها .

(٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من

ظ ، وفي الأصل : ان (٦-٦) في ظ : وقع الضعف - كذا (٧-٧) من

ظ ، وفي الأصل : ذكره (٨) من ظ ، وفي الأصل : تحقيق - كذا .

فضول ، و أن السبب الثالث مما يذم^١ به ما يذم^٢ من العلوم أنه بما لا تبلغه^٣ عقول أكثر الناس ولا يستقل به ، ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الأشخاص كما يضر لحم الطير بالرضيع - انتهى . و روى أبو داود و ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر^٥ زاد ما زاد . [٢ -] و قال صاحب كتاب الزينة في آخر كتابه بعد أن ذكر العياقة و الزجر ونحوهما ، و يأتي أكثره عنه في سورة الصُّفَّت : و روى عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال : إياكم و النجوم ! فإنه تدعو إلى الكهانة ، قال : هذه الأشياء كلها لها أصل صحيح ، فمنها ما كانت من علوم الأنبياء مثل النجوم و الخط و غير ذلك ، و لو لا الأنبياء الذين^{١٠} أدركوا علم النجوم و عرفوا مجازى الكواكب في البروج ، و ما لها من السير في استقامتها و رجوعها ، و ما قد ثبت و صح من الحساب في ذلك بما لا ارتياب فيه ، لما قدر الناس على إدراكه ، و ذلك كله بوحى من الله عز و جل إلى أنبيائهم عليهم السلام ، و قد روى أن إدريس عليه السلام أول من علم النجوم ، و روى في الخط أنه كان علم نبي من الأنبياء ،^{١٥} و لو لا ذلك لما أدرك الناس هذه اللطائف و لا عرفوها .

و لما كانت هذه الآيات قد بلغت في البيان حدا^٥ علا عن

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : لا يتلفه - كذا .

(٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) في ظ : البرزخ - كذا (٥) زیدت الواو

بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفناها .

طوق الإنسان و الملائكة و الجان لكونها صفة الرحمن ، فكانت نفرا يتوقع فيه التنبيه عليه [فقال - ١] : ﴿ قد فصلنا ﴾ أى بينا بيانا شافيا على ما لنا من العظمة ﴿ الأيت ﴾ واحدة فى إثر واحدة على هذا الأسلوب المنيع و المثال الرفيع ؛ و لما كانت من الوضوح فى حد لا يحتاج إلى كثير ٢ تأمل قال : ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى لهم قيام فيما إليهم ، و لهم قابلية العلم ليستدلوا بها بالشاهد على الغائب .

و لما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الأرضى و السماوى ، أتبعه - كما مضى فى أول السورة - الخلق المفرد الجامع لجميع الملكوت ، و هو الإنسان ، دالا على كمال القدرة على كل ما يريد ، مبطلا بمقاوثة ١٠ أول الإبداع و آخر الآجال ما اعتقدوا فى النور و الظلمة و الشمس و القمر و غيرهما ، لأن واحدا ٢ منها لا اختيار له فى شئ . يصدر ٣ عنه ، بل هو مسخر و مقهور - كما هو محسوس و مشهور ، فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى انشأكم ﴾ أى و أتم فى غاية التفاوت فى الطول و القد و اللون و الشكل و غير ذلك من الأعراض التى دبرها سبحانه ١٥ على ما اقتضته حكمته ﴿ من نفس واحدة ﴾ ثم اقتطع منها زوجها ثم فرعكم منها .

و لما كان أغلب الناس فى الحياة [الدنيا - ١] يعمل عمل من لا يحول و لا يزول ، لا يكون على شرف الزوال ما دامت ٤ فيه بقية

(١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) فى ظ : كبير (٣) من ظ ، و فى الأصل : احد (٤) فى ظ : يصد (ه) فى ظ : ما دام .

[من - ١] حياة ، [قال - ١] : (فستقر) أى فسيب عن ذلك أنه

منكم / مستقر على الأرض - هذا على قراءة ابن كثير وابن عمرو بكسر
القاف اسم فاعل ، والمعنى فى قراءة الباقي^٢ بفتحها اسم مكان " ولکم
فى الأرض مستقر ومتاع الى حين^٣ " .

ولما كان من فى البرزخ قد كشف [عنهم - ١] الغطاء فهم
موقوفون بالساعة غير^٤ عاملين على ضد ذلك ، وكذا من فى الصلب والرحم ،
عبر بما^٥ يدل على عدم الاستقرار فقال : (ومستودع^٦) أى فى
الأصلاب أو الأرحام أو فى بطن الأرض ، [فذلك المفاوطة من كل
منهما - مع أن الكل من نفس واحدة - على القادر المختار - ١] ، لا يقدر
غيره أن^٧ يعكس شيئاً من ذلك ، وكل ذلك مضمون الآيتين فى أول
السورة ؛ وقدم الإصباح والليل ومتعلقهما لتقدمهما فى الخلق ، ثم تلاه بخلق
الإنسان على حسب ما مرّ أول السورة ، وذكر [هنا أنه جعل ذلك
الطين نفساً واحدة فرّع الإنس كلهم منها مع تفاوتهم فيما - ١] هناك
وفى غيره .

ولما ذكر هذا المفرد^٨ الجامع ، وفصله على هذه الوجوه المعجبة ، ١٥
كان محلاً لتوقع التنبيه عليه فقال : (قد فصلنا) أى بعظمتنا (لايت)
أى أكثرنا بيانها فى هذا المفرد^٩ الجامع فى أطوار الخلقة وأدوار الصنعة^{١٠} ،
تارة بأن يكون من التراب بشر ، وأخرى بأن يخرج الآتى من الذكر ،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الباقي (٣) سورة ٢ آية ٢٩ (٤) من
ظ ، وفى الأصل : ثم (٥) من ظ ، وفى الأصل : لما (٦) فى ظ : لان (٧) فى
ظ : الفرد (٨) فى ظ : الصنيعة .

و تارة بأن يفرع من الذكر والآتى ما لا يحيط به العدد ولا يجمعه الخبر
من النطفة إلى الولادة إلى الكبر .

و لما كان إنشاء الناس من نفس واحدة و تصرفهم على تلك الوجوه
المختلفة جدا أطف و أدق صنعة^١ ، فكان ذلك محتاجا^٢ إلى تدبر
و استعمال فطنة و تدقيق نظر^٣ ، قال : ﴿ لقوم يفقهون هـ ﴾ أى لهم أهلية
الفقه و الفطنة .

و لما ذكر وجوه الإبداع التفريعي^٤ من هذين الكونين و أسباب
البقاء له بما ينشأ [عنه - ٦] الفصول^٥ و غيرها ، أتبعه سببه القريب ،
و هو الماء الذى جعل منه كل شىء ، حتى ، فقال مفصلا ما أجمله فى الحب
١٠ و النبوى ، سائقا له مساق الإحسان لما^٦ قبله من الدلائل ، فان الدليل
إذا كان على وجه الإحسان و مذكرا بالإنعام كان تأثيره فى القلب عظيما ،
فينبغى للشتغل بدعوة الخلق أن يسلك هذا المسلك [ليكون للقلوب
أملك - ٦] : ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى أنزل ﴾ أى بقدرته
و عليه و حكمته ﴿ من السماء ﴾ أى الحقيقية التى تعرفونها كما دل عليه
١٥ صريح^٧ العبارة و ما أشبهها من ذكور الحيوان المنبه عليه بطريق الإشارة
﴿ ماء ج ﴾ أى منهمرا و دافقا .

و لما كان تفريع الخلق من الماء بمكان من العظمة لا يوصل إليه ، نبه
عليه بالانتقال إلى التكلم فى^٨ مظهر العظمة فقال : ﴿ فاخرجنا ﴾ أى على

(١) فى ظ : العدد (٢) فى ظ : صنعة (٣) من ظ ، وفى الأصل : محتاج (٤) فى
ظ : خبر (٥) فى ظ : التفريعي (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : كما .
(٨) من ظ ، وفى الأصل : صرح (٩) فى ظ " و " .

ما لنا من العظمة التي لا يدانيها أحد (به) أى الماء (نبات كل شيء)
 مختلفة طعمومه وألوانه وروائح وطبائعه ومنافعه وهو بماء واحد ، فالسبب
 واحد والمسببات كثيرة منفعة^٢ ، سواء كان ذلك النبات حقيقيا من النجم
 والشجر ، أو مجازيا من الآتى والذكر ؛ ثم سبب عن الحقيقى
 لظهوره قوله دالا على العظمة : (فآخرجنا منه) أى النبات (خضرا) أى ه
 شيئا أخضر غضا طريا ، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من
 الحبة ؛ ثم زاد فى بيان عظمته بقوله : (نخرج) أى حال كوننا مقدرين
 أن نخرج (منه) أى من ذلك الخضر (جبا متراكبا) أى فى السنبيل
 يركب بعضه بعضا [ويحرسه من أن يلتقطه الطير بعد ستره بالقش بمحسك
 طويل لطيف جدا كالإبر خشن - ٣] ، بعد أن كان أصله حبة واحدة ١٠
 على صورتها ، أو منفثة فى التراب بعد أن طوره سبحانه فى عدة أطوار ،
 إن فاعل ذلك لقادر مختار .

ولما كان نسبة الإخراج والإبداع إليه سبحانه وحده فى مظهر
 العظمة خصوصا وعموما ، فلم أن الكل منه ، و صار الحال فى حد من
 الوضوح جدير بأن يؤمن من نسبة شيء إلى غيره لا سيما الذى هم ١٥
 له معالجون ، وبالعجز عن إبداعه عالمون ، وبدأ بما بدأ به أولا فى آية
 الفلق من الحب ؛ تى بما من النوى ، فقال معبرا لذلك الأسلوب :
 (ومن النخل) و تقديم الحب عليه هنا و فيما قبل يدل على أن الزرع
 أفضل منه ، فانه قوت فى أكثر البلاد ولأغلب الحيوانات [والغذاء

(١) من ظ ، وفى الأصل : مختلفا (٢) فى ظ : متفتة (٣) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ .

مقدم على الفاكهة - [١] ؛ فانها خلقت من طينة آدم^٢؛ ثم أبدل بما أجمل
 من ذلك / قوله مينا : (من طلعا) أى النخل ، وهو أول ما يخرج منها
 [فى - ١] أكامه (قنوان) جمع قنو ، وهو العذق بالكسر للشمراخ وهو
 الكباسة ، و العرجون عوده الذى يكون فيه البسر (دانية) أى قرية
 ٥ التناول و إن طال أصلها بما عليكم و سهل لكم من صنعة^٣ الوصول إليها .
 و لما لم يكن لهم من معالجة الاعناب و غيرها ما لهم من معالجة النخيل ،
 عطف على " نبات " منها لهم على أنها - كالنخيل - هو سبحانه المتفرد
 بابداعها [كما تقدم - فقال : (و جنت) أى بساتين (من اعناب)
 و جمعها لكثرة أنواعها - [١] ، و بدأ بهاتين الشجرتين لفضلها^٤ كما تقدم
 ١٠ على غيرهما ، لأن ثمرهما فاكهة و قوت ، و قدم الأول لأنهم له أكثر
 ملاسة^٥ ،^٦ و إن كان العنب أشرف أنواع الفواكه ، فإنه يتفجع به
 من أول ظهوره لأنه [أولا - ١] يكون له خيوط [خضر - ٢]
 دقيقة حامضة لذيدة ، ثم تكون الحصرم ، و هو طعام شريف للأصحاء
 و المرضى ، و قد يتخذ^٧ منه رُب الحصرم و أشربة لطيفة المذاق نافعة
 ١٥ لأصحاب الصفراء ، و يطبخ منه ألد الاطعمة الحامضة ، و هو عنب ألد
 الفواكه و أشهاها ، و يدخر عنباً قريبا من سنة ، و يكون زيبه غذاء ،
 و يكون منه دبس و الخل و غير ذلك ، و أحسن ما فيه عجمه ،
 و هو يتخذ منه جوارشات عظيمة النفع للعدة^٨ الضعيفة الرطبة
 (١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى ظ : صنعية .
 (٤) العبارة من هنا « الضعيفة الرطبة » تأخرت فى ظ عن « الرمان » .
 (٥) فى ظ : يتحذر (٦) من ظ ، وفى الأصل : للعة .

[و قدم النخيل لأنها قوت للعرب ، وبينها وبين الإنسان مشابة في خواص كثيرة لا توجد في النبات ، ولذا جاء في الحديث « أكرموا عمتكم النخلة » ، فإنها خلقت من طينة آدم عليه السلام ، وليس من الشجر يلقح غيرها - رواه أبو يعلى و أبو نعيم في الحلية و أبو الشيخ عن علي رضى الله عنه - ^١] ؛ و أتبعهما ما يليهما في الفضيلة فقال : ﴿ والزيتون ﴾ [و - ^١] .
قدمه لكثرة نفعه ، و يفصل منه دهن عظيم النفع في الأكل و الضياء و سائر وجوه الاستعمال ﴿ و الرمان ﴾ ^٢ ختم به لحسنه و عظيم نفعه ، و هو مركب من أربعة أشياء : قشره و شحمه و عجمه و مائه ، فالثلاثة الأول باردة يابسة أرضية كثيفة غصية فائضة جدا ، و الماء يصددها و هو ألد الأشربة و ألطفها و أقربها إلى الاعتدال و أشدها مناسبة للطبع المعتدل ، و في ذلك تقوية للزجاج الضعيف ، و هو غذاء من وجه و دواء ^٣ من وجه .

ولما ذكر الأقوات من الثمار و الحبوب و الأدهان و أشرف الفواكه و أعمها ، و كانت أشبه شيء بالآدمي في نشته و بعته و اتفاقه و اختلافه ، و كان اشتباه بعضها و اختلاف بعضها - مع كونها تسقى ^٤ بماء واحد و في أرض واحدة - دالا على القدرة و الاختيار ، و كان السياق لإثبات الوحدة و نفى الشريك بإثبات كمال القدرة التي هي منفية عن غيره ، فلا يصح أن يكون له شريك ، لأنه لا يكون إلا مشابها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « من وجه » ساقطة من ظ (٣) في الأصل و ظ : داء - كذا (٤) من ظ ، و في الأصل : يسقى .

لشريكه كمال المشابهة فيما وقعت الشركة فيه، وللبعث فكان المراد التفكير في ظواهرها وتقلباتها من العدم إلى الوجود وبعد الوجود، ولحاجة أهل الكتاب 'الموسومين بالعلم' المنسوين إلى حدة الأذهان وغيرهم من الفرق، وكان افعل يأتي للتعريف^٢، وهو المبالغة في إثبات أصل الفعل والاجتهاد في تحصيله والاعتماد، فكان حصوله إذا حصل أكمل^٣، قال^٤ بانيا حالا^٥ من كل ما تقدم: (مشتبها) أى في غاية الشبه بعضه لبعض حتى لا يكاد يتميز، فلو قطع ثمرتا شجرتين منه لم يتميز ثمرة هذه^٦ من ثمرة هذه^٧، فلا يقابله حينئذ نفي التفاعل، فانه مجرد مشاركة أمرين أو أكثر في أصل الفعل، فلم أن التقدير: وغير ١٠. مشتبه ومتشابهها، ثم لما كان ربما تمسك القائل بالطباع بهذه العبارة، نفي ما ربما ظن من أن لهذه الأشياء عملا في اشتباه بعضها ببعض فقال: (وغير متشابه^٨) أى غير طالب للاشتباه مع أنه لا بد من شبه [ما - ٩]، فالآية من الاحتباك: أثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده، و[هو - ٩] عدم التشابه^{١٠}، و"لأجل أن الاشتباه أبلغ من التشابه، علق الأمر بالنظر الذي هو أثبت الحواس، ودلالة على أن

١٥

(١) في ظ: بمحاجة (٢-٢) في ظ: المومتين (٣) في ظ: للتعرف (٤) من ظ، وفي الأصل: فيه كان (٥) من ظ، وفي الأصل: السكر - كذا (٦) في ظ: حال (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) زيد من ظ. (١٠) زدناه لاستقامة العبارة (١١) والعبارة من "قلاية" إلى هنا ساقطة من ظ (١٢) في ظ: او.

المراد إنما هو ظاهر ذلك ، لأنه كان في الدلالة على البعث و التوحيد الذي هذا سياقه قال : (انظروا الى ثمرة) وهذا بخلاف الحرف الثاني ، فانه في سياق الرد على العرب فيما يحملون من خلقه لاصنامهم التي لا قدرة لها على شيء أصلا ، و لذلك ختم الآية^٢ بالإذن لهم في الاكل منه لالتهاء عما كانوا يحرمونه^٣ منه على أنفسهم ، و بالامر بالتصدق على من أمر بالصدقة عليه ، ه
و أما الباطن الذي هو الأكل فسيأتي ؛ ثم نبه على تعميم النظر / في جميع حالاته بقوله : (اذا أثمر) أى حين يبدو من كمامه ضعيفا قليل النفع أو عديمه (و ينعه^٤) أى و انظروا إلى إدراكه إذ أدرك و حان قطافه ، و يعلم من ذلك النظر فيما بين ذلك ، لأنه يلزم من مراقبة الاول و الآخر ، فيعلم استحالة ألوانه و مقاديره و طعومه و أشكاله و غير ذلك من شؤنه و أحواله ، و يلزم من ذلك أيضا [النظر - °] إلى أشجاره ليعلم تفاوت بعضها و اشتباه البعض الآخر في الطول و القصر و الصغر و الكبر و غير ذلك من سائر الأحوال ، كما أن ذلك موجود في التمر ، فاستناد هذه التبدلات و التغيرات ليس إلا إلى الفاعل المختار ، لأن نسبه إلى الطائعين و الفصول على حد^٥ سواء ، فلو استندت إليها لم تتغير . ١٥

ولما كان اتخاذ هذه المذكورات أولا و المخالفة بين أشكالها و مقاديرها و ألوانها ثانيا دالا على كمال القدرة المستلزم للوحدانية ، دل على عظمته بقوله^٦ مستأنفا مشيرا^٧ بأداة البعد و ميم الجمع : (ان في ذلكم)

- (١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في ظ : بقوله (٣) من ظ ، وفي الأصل : يحرمون .
(٤) زيد بعده في الأصل : من ذلك للنظر فيما بين ، ولم تكن الزيادة في ظ لغذافها (٥) زيد من ظ (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لغذافها (٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : مشيرا مستأنفا .

أى الامر العظيم الشأن العالى الرتبة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أى علامات على قدرة الصانع واختياره .

ولما كانت الآيات لا تغنى^١ عن أريدت شقاوته قال: ﴿لَقَوْمٌ يُؤْمِنُونَ﴾
أنى حكم بأنهم - يحذفهم ونشاطهم وقوتهم^٢ على ما يحاولونه - يمتدّدون
الإيمان كلما تأملوا فى مصنوعات الله [سبحانه وتعالى - ^٣] الذّالة عليه
المشيّة بكل لسان إليه .

ولما كان المشركون على أصناف : منهم عبدة أصنام ، شركوا فى^٤
العبودية لا فى الخلق ، ومنهم آزر [الذى حابه إبراهيم عليه السلام - ^٥]
ومنهم عبدة الكواكب وهم فريقان : منهم من قال : هى^٦ واجبة الوجود ،
١٠ ومنهم من قال : ممكنة ، خلقها الله وفوض إليها تدبير هذا العالم الأسفل ،
وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالأفول ، ومنهم من قال : لهذا
العالم كله إلهان : فاعل خير ، وفاعل شر ، وقالوا : إن الله وإبليس أخوان ،
فإنه خالق الناس^٧ والدواب والأنعام^٨ ، وإبليس خالق السباع والحيات
والعقارب والشرور^٩ ، ويلقبون الزنادقة وهم المجوس ، لأن الكتاب
١٥ الذى زعم زردشت^{١٠} أنه نزل من عند الله سمي بالزند^{١١} ، فالمنسوب
إليه زندي^{١٢} ، ثم عذب فقيلا^{١٣} : زنديق ، وكان هذا كله فى قوله

(١) من ظ ، وفى الأصل : لا يفتى (٢) من ظ ، وفى الأصل : قولهم (٣) زيد
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : من (٥) سقط من ظ (٦-٧) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٧) من ظ والبدء والتاريخ م / ٧ ، وفى الأصل : رادشت -
كذا (٨) فى ظ : بالزبد (٩) فى ظ : زبدى (١٠) فى ظ : فالمنسوب اليه - كذا :
(١١) من ظ ، وفى الأصل : من .

”فالتى الاصباح“ شرحا لآية ”ان الله فائق الحب [والنوى -]“
 دلالة على تمام القدرة الدالة^٢ على الوجدانية للدلالة على البعث ؛ حسن^١
 كل الحسن^٢ العود إلى تقييح حال المشركين^٣ بالتعجيب منهم في جملة
 حائلة من الضمير في ”فائق“ أو غيرهما مما تقدم ، فقال تعالى شاء ما
 أمر هذا الصف ، لأن أمر غيرهم تقدم ؛ وقال ابن عباس رضى الله
 عنهما : إن هذه الآية [نزلت -] في الزنادقة : ﴿ وجعلوا ﴾ أى
 هو سبحانه فعل هذا الذى لا بدع لبسا في تمام علمه وقدرته وكمال حكمته
 ووجدانيته والحال أن الذى فعل ذلك لأجلهم قد جعلوا^٤ وغير بالاسم
 الأعظم وقدمه استعظاما لأن يعدل به شيئا ﴿ الله ﴾ أى الذى له
 جميع الأمر .

١٠

ولما كان الشرك في غاية الفظاعة والشناعة ، قدمه فقال : ﴿ شركاء ﴾
 [يعنى وما كان ينبغي أن يكون له شريك مطلقا ، لأن الصفة إذا ذكرت
 مجردة غير مجرأة على شيء كان ما يتعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز
 أن يكون له الصفة ، وحكم الإنكار حكم النفي . ولما اهتز السامع من
 هذا التقديم لزيادة المعنى من غير زيادة اللفظ ، تشوف إلى معرفة النوع ١٥
 الذى كان منه الشركاء -]^١ فيبينهم^٢ بقوله : ﴿ الجن ﴾ أى الذين هم [أجرا -]^٣
 (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : الدال (٣-٣) تكرر
 ما بين الرقيين في الأصل (٤) في ظ ه وه (٥) زيد من روح المعاني ٥٤١/٢ .
 (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : ثم بينهم .

الموجودات عليهم و أعدام^١ لهم ، فاطاعوهم كما 'بطاع الإله' فكان
عبادة لهم و تشريكا ، [وقد رأيت ما للبيان بعد الانتهاء مما يحسن
لناظرين - ٢] (و خلقهم)^٢ ، أى و الحال أنهم قد علوا أن الله خلقهم^٣
[أى قدرهم بعلم و تدبير ، فلذلك كان خلقه لهم محكما - ٢] (و خرقوا)
هـ أى العابدون (له بنين) أى كعزير و المسيح (و بنت) أى من
الملائكة ، فجمعوا لذلك جهالات هى غاية فى الضلالات : وصف
الملائكة بالأنوثة و الاجترأ^٤ على مقام الربوبية بالحاجة ، و تخصيصه بعد
ذلك بما لا يرضونه لأنفسهم بوجه ؛ و مادة 'خرق' تدور على النفوذ
و الاتساع و الإطلاق [و التقدير بغير علم و لا معرفة ليحدث عنه
١. الفساد ، و لذلك قيل لمن لا يحسن العمل : خرق ؛ وللرأى : خرقاء - ٢] ،
يعنى أنهم كذبوا و اختلفوا و اتسعوا فى هذا / القول الكذب^٥ ، و أبعدوا^٦
به فى هذه^٧ المجاوزة عن حقيقته ، اتساع من سار فى خرق أى برية
واسعة بهما و سوقة جوفاء^٨ متباعدة الأرجاء إلى حيث لم يسبقه إليه
بشر ، فضل عن الجادة ضلالا لا ترجى معه هدايته إلا على بعد شديد ،
١٥ فصار جدرا بالهلاك . و إلى ذلك يرجع معنى ما قرئ فى الشاذ :
و حرفوا - بالمهملة و الفاء .

و لما لم يكن لقولهم أصلا حقيقة و لا شبهة^٩ ، [و كان الخرق التقدير

(١) فى ظ : اعدامهم (٢-٢) فى ظ : يطيعوا الالهة (٣) زيد ما بين الحاذرين
من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقيين فى ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الاختيارات .
(٦-٦) فى ظ : فابعدوا (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : شهد - كذاه .

بغير علم -^١]، دل على ذلك [مصرحا بما أفهمه محققا له -^٢] تنبيها على الدليل القطعى فى اجتياح^٣ قولهم من أصله^٤ ، وذلك أنه قول لا حجة له ، و مسائل أصول الدين لا يصار إلى شيء منها إلا بقاطع^٥ ، وذلك بنكرة فى سياق النفي فقال : (بغير علم^٦) ثم نزه نفسه المقدسة تنبيها على ما يجب قوله على كل من سمع ذلك ، فقال : (سبّخته) أى أصبحه سبحانه ه يلىق بجلاله^٧ أن يضاف إليه ؛ ولما كان معنى التسييح الإبعاد عن النقص ، و كان المقام يقتضى كونه فى العلو^٨ ، صرح به فقال : (وتعالى) أى تباعد أمر علوه إلى حد لا حد له ولا انتهاء (عما يصفون^٩) .

ولما ختم بالتنزيه عما قالوا من الشريك والولد ، استدل على ذلك التنزيه بأن السكل خلقه ، محيط بهم عليه ، ولن يكون المصنوع كالصانع ، ١٠ فقال : (بديع السموات والارض^{١١}) أى مبدعها ، وله صفة الإبداع ، أى القدرة على الاختراع ثابتة ، ومن كان كذلك فهو غنى عن التوليد ، فلذا حسن التعجب فى قوله : (أنى) أى كيف ومن أنى وجه (يكون له ولد) وزاد فى التعجب بقوله : (ولم) أى والحال أنه لم (يكن^{١٢} له صاحبة^{١٣} و) الحال أنه (خلق كل شيء^{١٤} ج) أى مقدور ١٥ ممكن من كل صاحبة تفرض^{١٦} ، و كل ولد يتوهم ، و كل شريك يدعى فكيف يكون المبدع محتاجا إلى شيء من ذلك على وجه التوليد^{١٧} أو غيره .

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل و ظ : احتياج (٣) فى ظ : اضنه (٤) من ظ ، وفى الأصل : بقطع (٥) فى ظ : بحاله (٦) فى ظ : العلوم (٧) هذه قراءة إبراهيم النخعى ، وقرأ الباقون بالتأنيث ، وفى ظ : لم يكن - كذا (٨) فى الأصل : تعريض ، وفى ظ : يفرض (٩) فى ظ : التولد .

ولما كانت القدرة لا تتم إلا بشمول العلم قال: ﴿وهو﴾ ولم يضر تنيها على أن 'عموم العلم' لا تخصيص فيه كالخلق فقال: ﴿بكل شيء عليمه﴾ أى فهو على كل شيء قدير، لأن شمول العلم يلزمه تمام القدرة - كما يأتى برهانه إن شاء الله فى ظه، و من كان له ولد لم يكن محيط العلم ٥ ولا القدرة، بل يكون محتاجا إلى التوليد .

ولما ثبت أنه لا كفوء له بما ذكر من صفاته وأفعاله، وبين فساد أقوال المشركين، وفصل مذاهبهم على أحسن الوجوه، وبين فساد كل واحد منها بآمتن الحجج، فثبت بذلك ما افتتح السورة به من إحاطته بصفات الكمال، قال مشيرا إلى ذلك كله بمبتدأ خبر^٢ بعده^٢ أخبار: ١٠ ﴿ذلكم﴾ أى العالى الأوصاف جدا الذى لا حاجة له إلى شيء، وكل شيء محتاج إليه ﴿الله﴾ أى الذى له كل كمال ﴿ربكم﴾ أى الموجد لكم والمحسن بجميع أنواع الإحسان، فهى فذلك ما قبلها وممرته، لأن من اتصف بذلك كان هو رب الكل وحده [والخالق للجميع واستحق العبادة وحده -^٤] فلذا أتبع ذلك قوله: ﴿لا إله الا هو﴾ لأن المقام للتوحيد اللازم ١٥ للاحاطة بأوصاف الكمال التى هى معنى الحمد المفتوح به السورة، وساق قوله: ﴿خالق كل شيء﴾ الذى هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا على ذلك، (١-١) من ظ، وفى الأصل: العموم (٢) من ظ، وفى الأصل: اخبر، وزيد فيه بعده: عنه، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ، وفى الأصل: بعد. (٤) زيد من ظ .

فلما أقام الدليل سبب عنه الأمر بالعبادة^١ فقال: ﴿ فاعبدوه ج ﴾ أى وحده، لأن من أشرك به لم يعبد، لأنه الغنى المطلق، ومن كان له الغنى المطلق^٢ لا يحسن أن يقبل شركاً^٣، وختم الآية بقوله: ﴿ وهو ﴾ ولما كان المقام لنفى احتياجه إلى شيء، قدم قوله: ﴿ على كل شيء وكيله ﴾ إشارة إلى أن الولد أو الشريك إنما يحتاجه العاجز المقتصر، وأما هو فهو القادر، ومن سواه عاجز، وهو الغنى ومن سواه فقير، فكيف يحتاج^٤ القدير [الغنى - ٧] إلى العاجز الفقير، هذا ما لا يكون، ولا ينبغي أن يتخيله الظنون، وفيه إشارة إلى أن^٥ العابد ينبغي أن يتفرغ / لعبادته / ٢٣٥ / ويقطع أموره عن غير^٦ وكالته، فانه يكفيه بفضل عمن سواه.

ولما كان كل والد وكل شريك لا بد أن يكون مجانسا لولده ١٠
وشريكه بوجه، وصل بذلك من وصفه ما اقتضاه المقام من تنزيهه^١، فقال: ﴿ لا تدركه ﴾ أى حق الإدراك بالإحاطة ﴿ الابصار ﴾ أى أن^٢ من جعلتموه ولده أو شريكه هو مدرك بأبصاركم كعيسى وعزير عليها السلام والأوثان والنجوم والظلمة والنور، وأما الملائكة والجن فان كان حكمكم عليهم بذلك عن مشاهدة فهم كمن تقدمهم^٣، وإن كان ١٥

(١) في ظ: لعبادة (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) في ظ: مشتركا.
(٤) تقدم في الأصل على « ولما كان » والترتيب من ظ (٥) زيد بعده في الأصل: الذى هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها.
(٦) زيد بعده في الأصل: الفقراء، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، وفي الأصل: غيره (١٠) في ظ: سرتبه - كذا (١١) من ظ، وفي الأصل: نفرضهم.

عن إخبار فهو عن الأنبياء ليس غير، و كل منهم مخبر بأنهم عباد الله
كغيرهم، وأنه منزّه عن شريك و ولد، وهذه كتبهم و صحاح أخبارهم
شاهدة بذلك، [و - '] وراه ذلك كله أنهم بحيث يدركون بالابصار
في الجملة، ليس إدراكهم مستجيلاً، و أما هذا الإله العزيز فهو غير
مدرك لكم بالبصر كما يدرك غيره إدراكاً تاماً، فيتأمله ناظره فيزنه^٢
و ينقده بالخبرة بما فيه من رضى و غضب و غيرها، بما أبدته الفراسة
و أوضحه التوسم، لأنه سبحانه متعال عن أن يحاط به، هذا على أنه
من عموم السلب، و إن كان من سلب العموم فالعنى أنه عزيز لا يراه
كل أحد، بل يراه الخواص إذا أراد فكشف لهم الحجاب و أوجد لهم
١٠. الأسباب (و هو) مع ذلك يدرككم، بل و (يدرك) ما لا تدركونه
من أنفسكم (الابصار) و هى القوى المودعة فى عصبة العين لتدرك بها
المبصرات (و هو اللطيف) عن أن يحيط^٣ به الابصار، لأنه يمنع
الأسباب عن أن ينشأ^٤ عنها مسياتها، و يوجد أدق الأسباب و أغربها،
فلا يستغرب عليه إدراك المعاني لأنه الذى أوجدها " لا يعلم من
١٥ خلق " و أصل اللطف دقة النظر فى الأشياء (الخير) أى المحيط
بالابصار، فاحاطته بأصحابها أجدر، و يتحقق^٥ معنى الاسمين لتحقيق^٦
المعنى، قال الحرالى فى شرح الأسماء: اللطف إخفاء التوصل إلى الشيء
بإظهار ما يضاده، و لا يتم إلا بخبرة، و لذلك نظم باسمه " الخير "

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فيرمه (٣) فى ظ : تحيط (٤) فى ظ : تنشأ .
(٥) سورة ٦٧ آية ١٤ (٦) من ظ، و فى الأصل : بتحقيقه (٧) فى ظ : بتحقيقه .

لأنه أخفى حكته^١ في ظام بضادها، فاللطف مخبرة^٢ في حكمة^٣،
وباسمه تعالى اللطيف أقام^٤ أمر حكته^٥ ما بين الدنيا والآخرة، وبذلك^٦
أقام أمر أهل ولايته في الدنيا لما جمع لهم من أمره فيها، فيبدو عزم
من وراء ذل، ويترامى ذلمهم ومن دونه [عز - °]، فيسبق عزمهم إلى
القلوب مع تذللهم في الخواص، ويؤل محوسهم إلى عز في عفي الدنيا، ه
ومبادرة الآخرة مع تأنس القلوب بهم، "ان ربي لطيف لما يشاء"^٧
لما أراد أن يملكه مصر [و - °] جعل وسيلة ذلك استعباده بها، وبحصول
معناه بتمام الخبرة والحكمة - وتلك إبداء الشيء في ضده - يتضح
اختصاصه بالحق، فهو الذي أطعم من جوع وآمن من خوف، الذي جعل
لكم من الشجر الأخضر نارا، فهو تعالى اللطيف الذي لا لطيف إلا هو، ١٠
ثم قال: الخبرة إدراك خبايا الأشياء وخفاياها بحيث لا يبدو منه
خيئة أمر^٨ إلا كان إدراك الخير سابقا^٩ لدروها، وذلك لا يتم
إلا لمبديها^{١٠} الذي هو يخرج خباها^{١١}، وهو الذي يخرج الحبة في السهوات
والأرض، ومخبرة الخلق لا بد فيها^{١٢} من إظهار باد ينبئ^{١٣} عن الحبة
بمقتضى التجربة^{١٤}، وإلا لم يصح لهم الخبرة، كما قيل: مخبرة المرء فيما يبدو ١٥

(١) قد ظ: حكمه (٢) في ظ: مخبر (٣) في الأصل وظ: العام - كذا (٤) في
ظ: كذلك (٥) زيد من ظ (٦) سورة ١٢ آية ١٠٠ (٧) سقط من ظ و
(٨) في ظ: سائت (٩) من ظ، وفي الأصل: بمبديها (١٠) في ظ: خيئتها (١١) في
ظ: تبنى (١٢) من ظ. وفي الأصل: التجريد.

من نطقه و ما يظهره اليوم و الليلة من عمله ، و الخير الحق خير بالشيء
دون باد^١ يرى الظاهر خبيثة أمره ، [فهو - ^٢] بالحقيقة الذى لا خير
إلا هو - [انتهى - ^٣] .

و لما أكثر لهم^٤ من إقامة الأدلة على وحدانيته ، و ختمها بهذا الدليل
ه المحسوس الذى معناه أن [كل شريك . كل إن يدرك شريكه و أباه ، وهو
متناه عن أن يدركه ، أى يحيط به - ^٥] أحد . فاسب أن يعظهم و يمدح
الأدلة حشاً على تدبرها^٦ . و جعل ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم
إشارة إلى أنه - لنور قلبه و كمال عقله و صفاء لبه و غزارة علمه و شريف
أخلاقه و استقامة غرائزه و بُعد مدى همته عن أن ينسب إلى تجور أو^٧
٢٣٦ / ١٠ / يرى^٨ بعناد - حقيق بأن يقول بعد إقامتها من غير تلغيم^٩ تقريراً لأمر
دعوته بعد تقرير المطالب العالية الإلهية : (قد جاءكم) .

و لما كانت الآيات - لقوتها^{١٠} و جلالها التى أشار إليها تذكير الفعل -
توجب المعرفة فتكون سبباً لانكشاف الحقائق الذى هو كالنور فى
جلاء المحسوسات ، قال : (بصائر) أى أنوار هى لقلوبكم بمنزلة الضياء
١٥ المحسوس لعيونكم (من ربكم ج) أى المحسن إليكم بكل إحسان ، فلا
إحسان أصلاً لغيره عندكم ، فاصعدوا عن النظر بالأبصار إلى الاعتبار

(١) لى ظ : جاد (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
حقا (٥) من ظ ، وفى الأصل : تدبرها (٦-٧) من ظ ، وفى الأصل : جوار و -
كذا (٧) فى ظ : يرضى (٨) من ظ ، وفى الأصل : تلغيم - كذا (٩) من ظ ،
وفى الأصل : لقدرتها .

بالبصار ، ولا تهبطوا في حضيض التقليد إلى أن تصلوا إلى حد لا تفهمون^١
 معه إلا ما يحس بالأبصار بل ترقوا في أوج المعرفة إلى سماوات الاجتهاد
 و جردوا لقطاع الطريق صوارم البصار ، فانكم إن رضيتم بالدون^٢ لم تضروا
 إلا أنفسكم . وإن نافستم في المعالي فايها تفعم . ولذلك سبب عن هذا
 النور الباهر والسر الظاهر قوله : ﴿ فن ابصر ﴾ أى عمل بالأدلة ه
 ﴿ فلنفسه ج ﴾ أى خاصة بإبصاره لأنه خلاصها من الضلال المؤدى إلى
 الهلاك ﴿ ومن عمى ﴾ أى لم يهتد بالأدلة ﴿ فليها ﴾ أى خاصة عماء
 لأنه يضل فيعطب .

ولما كان المعنى أنه ليس لى ولا لغيرى من إبصاره شيء ينقصه
 شيئا ، ولا على ولا لغيرى شيء من عماء ، كان التقدير : فانما أنا بشير ١٠
 ونذير ، عطف عليه قوله ﴿ وما أنا ﴾ وأشار إلى أن حق آدمى التواضع
 وإسلام الجبروت : القهر لله بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليكم ﴾ وأغرق
 في النقي بقوله : ﴿ بحفيظ ه ﴾ أى أقودكم ، قسرا إلى ما ينجيكم ، وأمنعكم
 فيها مما يردىكم .

ولما كان التقدير التفاتا إلى مقام العظمة إعلاما بأنه المتصل كله ١٥
 بيده لئلا يظن نقص في نفوذ الكلمة : فانظروا ما صرفنا لكم في هذه
 السورة من الآيات وأوضحنا بها من شريف الدلالات ، لقد أتينا فيها
 بمجائب التصاريف وكشفنا عن غرائب التعاريف ، عطب عليه قوله :

(١) في الأصل : لا يفهمون ، وفي ظ : لا تقومون (٢) - قط من ظ (٣) من
 ظ ، وفي الأصل : افردكم .

(وكذلك) أى ومثل هذا التصريف العظيم (نصرف) أى تنقل
 جميع (الآيت) من حال إلى حال فى المعاني المتنوعة سالكين من
 وجوه البراهين ما يفوت القوى ويعجز القدر لتحير ألباب المارقين
 وتطلس^١ أفكار المانعين، علما منهم بأنهم عجزوا عن الإتيان بما يدانيها
 ٥ [فلزمهم الحجة -^٢] (وليقولوا) اعتداء لا عن ظهور عجزهم (دارست^٣)
 أى غيرك من أهل الكتاب أو غيرهم فى هذا حتى انتظم لك هذا الانتظام
 وتم لك هذا التمام، فأتوا يبهتان بين عواره ظاهرة أسرارها، مهتوكة
 أستارها، فيكونوا كأنهم قالوا: إنك آيت به عن علم ونحن جاهلون
 لانظم شيئا، فيعلم كل موفق أنهم ما رضوه لأنفسهم مع ادعاء الصدق
 ١٠ والمنافسة فى البعد عن أوصاف الكذب إلا لفرط الخيرة وتناهى الدهشة
 وإعواز القادح^٤، [و -^٥] الحاصل أنه أتى به على هذا المنهاج الغريب
 والأسلوب العجيب ليعمى ناس^٥ عن بينة^٦ ويصروا آخرون، وهم المرادون
 بقوله: (ولنبينه) أى القرآن لأنه المراد بالآيات المسموعة (لقوم يعلمون)
 أى أن المراد من^٧ الإبلاغ فى البيان أن يزداد الجهلة به جهلا، وينتهى
 ١٥ من كان للعلم أهلا، فلا يقولون: "دارست" بل يقولون: إنه من
 عند الله، فالآية من الاحتباك: إثبات ادعاء المدرسة أولا يدان على نفيها
 (١-أ) من ظ، وفى الأصل: المارقين وبتطلس^٢ زيد من ظ (٣) هذا على
 قراءة ابن كثير وأبى عمرو، وأما فى مصاحف بلادنا فثبتت «درست» (٤) فى
 ظ: القادح (٥) من ظ، وفى الأصل: الناس (٦) فى ظ: تبعه - كذا (٧) فى
 ظ: فى.

ثانياً، وإثبات العلم ثانياً يدل على عدمه أولاً، وهى من معنى "يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً" .

ولما انكشف بهذا فى أثناء الأدلة و تضاعف البراهين أن القرآن كنز لا يلقي مثله كنز، و عز لا يدانيه عز، وأنه فى الذروة التى تضاهلت دونها سواج الأفكار، و كلفت عن التماعها نواقذ الأبصار، و ختم بأن ه المراد بالبيان العلماء، ناسب [له - ٢] أن ينبه على ذلك لئلا يفتر عنه طعنهم / بقولهم " دارست " ونحوه، فقال مخصّصه صلى الله عليه وسلم ٢٣٧ / بالخطاب إعلاماً بأنه العالم على الحقيقة : (اتبع) أى أنت و من تبعك (ما أرحى اليك) أى ٢ فالزم العمل به ؛ ثم أكد مدحه بقوله : (من ربك ج) أى المحسن إليك بهذا البيان ؛ ثم ٣ علل ذلك ١٠ بقوله : (لا اله الا هو) أى فلا يستحق غيره أن يتبع له أمر، و لا يلتفت إليه فى نفع و لا ضرر (و اعرض عن المشركين ه) أى بغير التبليغ، فانه ما عليك غيره، و مزيد حرصك على إيمانهم لا يزيد من أريدت؛ شقوته إلا تمادياً فى إشراكه و ارتباكاً فى قيود أشراكه .

و لما كان الحبيب أسر شئ بما يزيده حبيبه، قال مسلياً له ١٥

صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به و ردهم لقوله، عاطفاً ١٥

(١) سورة ٢ آية ٢٦ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى

الأصل : ارتدت (ه) من ظ، وفى الأصل : اساك - كذا (٦) فى ط : ساليا .

(٧) يدز بعده فى ظ : رسول الله (٨) فى ظ : عطفاً .

ما تقديره : فلو شاء الله ما خالفوك ولا [تكلموا فيك - ^١] ينث
شفة ^٢ : ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا ^٣ ﴾ أى ما وقع منهم إشراك أصلا ،
قد أراد لك من الوقوع فيك ما أراد له نفسه ، فليكن لك في
ذلك مسلاة .

٥ ولما كان التقدير : فانه سبحانه حفظ عليهم ، عطف عليه قوله :
﴿ وما جعلناك ﴾ أى بعظمتنا ، وأشار إلى أن العلو ليس بغير الله
سبحانه فقال : ﴿ عليهم حفيظا ج ﴾ أى تحفظ ^٤ أعمالهم لئلا يكون منها
ما لا يرضينا فتردهم ، عنه فسرا ﴿ وما أنت ﴾ * و قدم * ما هو أعم من
نفي التحقق ^٥ بالعلو المحيط القاهر الذى هو خاص بالإله ^٦ فقال :
١٠ ﴿ عليهم بوكيل ه ﴾ أى ^٧ فتأخذ ^٨ الحق منهم قهرا ، و تعاملهم بما يستحقونه
خيرا أو شرا ، إنما أنت مبلغ عنا ، ثم الأمر في هدايتهم وإصلاحهم إلينا .

ولما طال التنفير عما اتخذ من دونه من الأنداد والبنات ^٩ ، لأنها
أقل من ذلك وأحقر ، كان ذلك ربما كان داعية إلى سبها ، فنهى
عنه لمفسدة يجرها السب كبيرة جدا ، فقال عاطفا على قوله " و اعرض
١٥ عن المشركين " غير مواجه له وحده صلى الله عليه وسلم إكراما له :
﴿ ولا تسبوا ﴾ ولما كانت الأصنام لا تعقل ، و ^{١٠} كان ^{١١} المشركون

(١) زيد من ظ (٢) يقال : ما كلمته ينث شفة ، أى بكلمة ، والعبارة من هنا
إلى « أراد له نفسه » سقطت من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : يحفظ (٤) من
ظ ، وفى الأصل : فيردهم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) فى ظ :
التحقيق (٧) من ظ ، وفى الأصل : بالا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) فى
الأصل : فيأخذ ، وفى ظ : ليأخذ (١٠) فى ظ : البيان (١١) من ظ ، وفى
الأصل : من .

يزعمون بها العقل و العلم ، و يسندون إليها الأفعال ' ، أجرى الكلام على زعمهم لأنه في الكف عنها فقال : ﴿ الذين يدعون ﴾ أى دعاء عبادة من الأصنام أو غيرهم بذكر ما فيهم من النقص ' ، ثم بين دفعا لتوهم إكرامهم أنهم في سفول بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له عدلا ، يعلم ' منكم بما لهم ' من المعاييب ' ، بل أعرضوا عن غير دعائهم إلى الله حتى [عن - '] ه سب آلهتهم بما تستحقه ' ، فانا زينا لهم أعمالهم ففرقوا ' مع غزارة عقولهم فيما لا ' يرتضيه عاقل ، وكذبوا بجميع الآيات الموجبة للإيمان ، فربما جرم سبكم لها - لما عندهم من حمية الجاهلية - إلى ما لا يليق ﴿ فیسبوا ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن يسبوا ﴿ الله ﴾ أى الذى تدعونه . وله الإحاطة بصفات الكمال ، وأظهر تصريحاً بالمقصود وإعظاماً لهذا الأمر و تهويلا ١٠ له و تنفيرا ' منه .

ولما كان الخنو يوجب الإسراع ، أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ عدوا ﴾ أى جريا إلى السب ؛ ولما كان العدو قد يكون مع علم ، قال مبينا لأنه يراد به مع الإسراع أنه مجاوز للحد : ﴿ بغير علم ' ﴾ لأننا زينا لهم عملهم ، فالطاعة إذا استلزمت وجود منكر عظيم احتريز منه ١٥ ولو أدى الحال إلى تركها وقتما ، لتحصل القوة على دفع ذلك المنكر ، فحكم الآية باق وليس بمسوخ .

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : البغض (٣) فى ظ : يعلم (٤ - ٥) فى ظ : له من الغايب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : سبب (٧) فى ظ : يستحقه (٨) فى الأصل : ففرقوا ، وفى ظ : ففرقوا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : تنفيرو ؟

ولما كان ذلك شديدا على النفس ضائقا به^١ الصدر ، اقتضى الحال
 أن يقال : هل هذا التزين^٢ 'مخصص بهؤلاء'^٣ المجرمين أم كان لغيرهم من
 الأمم مثله ؟ قيل : (كذلك) أى بل^٤ كان لغيرهم ، فانا مثل ذلك
 التزين الذى زيننا لهؤلاء (زيننا لكل أمة) أى طائفة عظيمة مقصودة
 (عملهم) أى القبيح الذى أقدموا عليه بغير علم بما تخلقه^٥ فى قلوبهم
 من المحبة^٦ له ، ردا منا لهم بعد العقل الرصين أسفل سافلين ، حتى رأوا
 حسنا ما ليس بالحسن لتبين قدرتنا ؛ فكان فى ذلك أعظم تسلية وتأسية
 وتعزية ، والآية من الاحتباك : إثبات " بغير علم " / أولا دال على حذفه
 ثانيا ، وإثبات التزين ثانيا دليل على حذفه أولا .

/ ٢٣٨

١٠ ولما كان سبحانه طويل الأناة عظيم الحلم ، وكان الإمهال ربما
 كان من^٧ جهل بعمل العاصي ، نفى ذلك بقوله : (ثم) أى بعد طول
 الإمهال (الى ربهم) أى المحسن إليهم بالحلم عنهم وهم يتقون بنعمه
 على معاصيه ، لا إلى غيره (مرجعهم) أى بالحشر الأعظم (فينبئهم)
 أى يخبرهم إخبارا عظيما بليغا (بما) أى بجميع [ما -^٨] (كانوا يعملون)
 ١٥ أى على سبيل^٩ التجدد والاستمرار بما فى جبلاتهم من الداعية إليه
 [وإن ادعوا أنهم عاملون على مقتضى العلم -^{١٠}] .

(١) من ظ ، وفى الأصل : بداء (٢-٢) فى ظ : الذى زيننا لهؤلاء - كذا (٣) زيد
 بعده فى الأصل : لقبيح ، ولم تكن الزيادة فى ظ لغذفتاها (٤) فى ظ : تخلقه .
 (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : عن (٧) زيد لاستقامة العبارة (٨-٨) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (٩) زيد من ظ .

ولما نصب سبحانه هذه الدلالات في هذه الآيات الينيات حتى
ختمها بما علم منهم من الإسراع إلى سب من أحسن إليهم بأن أوجدتم
وأوجد لهم كل ما في الكون، وما من^١ نعمة عليهم إلا وهي منه،
عجب منهم في الوعد بالإيمان على وجه التأكيد بما يأتيهم من مقترحاتهم
إعلاماً بأن ذلك مما زين لهم من عملهم، وهي أمنية^٢ كاذبة ويمين حاتمة ه
فقال عاطفاً على "وجعلوا لله شركاء الجن" : (واقسموا) أى
المشركون (بالله) أى الذى لا أعظم منه (جهد إيمانهم) أى باذلين فيها
جهدهم حتى كأنها هي جاهدة، ووطأاً للقسم فقال : (لئن جاءتهم آية) (أى
من مقترحاتهم، وتلقى القسم بقوله : (ليؤمنن بها^٣) .

ولما كانوا بهذا ظالمين من^٤ أجل أنهم طلبوا من الرسول ما ليس
إليه بعد إتيانه من المعجزات بما أزال معاذيرهم، وأوجب^٥ عليهم الاتباع،
نه على ذلك بقوله مستأنفاً : (قل) [أى رداً لتعتهم -^٥] (إنما الأيت) (أى
هذا الجنس) (عند الله) أى الحائز لجميع صفات الكمال، وليس
إلى ولا إلى غيرى شيء من هذا الجنس ليفيد الاقتراح شيئاً غير إغضابه^٦.

ولما كان العبد لعجزه لا قدرة له على شيء أصلاً، فلا يصح له ١٥
أن يحكم [على -^٥] آت أصلاً لا من^٧ أفعاله ولا من^٨ أفعال غيره،
قال منكراً عليهم ملتفتاً إلى خطابهم إشارة إلى أنهم حقيقون بالمواجهة
بالتبكي : (وما) (أى وأى شيء) (يشعركم لا) (أى أدنى شعور بما

(١) سقط من ظ (٢) فى الأصل : امسه، وفى ظ : امنعة (٣) من ظ، وفى
الأصل : منه (٤) من ظ، وفى الأصل : واجب (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) من
ظ، وفى الأصل : سباً عن اعتقابه - كذا (٧ - ٧) - سقط ما بين الرقيين من ظ .

أقسم عليه من الإيمان عند مجيئها حتى يوهوه أدنى توهم فضلا عن
الظن فكيف بالجزم ولا سيما على هذا الوجه^١ ثم علل الاستفهام بقوله
ميتنا أنه لا فائدة في الإتيان بالآية المقترحة : ﴿ انها ﴾ بالفتح في قراءة
نافع وابن عامر وشعبة في رواية عنه وحفص وحزرة والكسائي ، فكان
هـ كأنه قيل : أنكرت عليكم^٢ لأنها ﴿ اذا جاءت لا تؤمنون^٣ ٥ ﴾ بالخطاب
في قراءة ابن عامر وحزرة ، والاتفات إلى الغيبة في قراءة غيرهم للاعلام
بأنهم بعيدون من الإيمان فهم أهل للاعراض عنهم لما استحقوا من
الغضب ، والتعليل عند من كسر " انها " واضح .

ولما كان التقدير : فانا نطبع على قلوبهم ، و نزين لهم سوء أعمالهم ،
١٠ عطف عليه^٤ قوله : ﴿ و نقلب ﴾ [أى بما لنا من العظمة -^٥] ﴿ اقتدتهم ﴾
أى قلوبهم حتى لا يهتدوا بها ﴿ و ابصارهم ﴾ حتى لا ينفعهم " الإصدار بها " ،
فلا يعتبرون فلا يؤمنون ﴿ كما لم يؤمنوا به ﴾ أى بمثل ذلك ﴿ اول مرة ﴾
أى عند إتيان الآيات التى قبل تلك [﴿ و نذرهم ﴾ أى تركهم -^٦]
﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود ﴿ يعمهون^٧ ٤ ﴾ أى يديمون التحير
١٥ على أن الحال لما فيه من الدلالة لا يقتضى حيرة بوجه . ولما أخبر
أنهم لا يؤمنون عند آية مقترحة عمم^٨ على وجه مفصل لإجمال ما قبله فقال :

(١) من ظ ، وفى الأصل : عليهم (٢) فى الأصل و ظ : لا يؤمنون ، وما أثبتناه
أولى (٣) من ظ ، وفى الأصل : عليهم (٤) زيد من ظ (٥-٥) سقط ما بين
الرقين من ظ (٦-٦) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن " ما قبله " والترتيب
من ظ .

(ولو اتنا) أى على عظمتنا البالغة بما أشار إليه جمع التونات
 (نزلنا^١) أى على وجه يليق بعظمتنا (اليهم^٢ الملائكة) أى كلهم
 فرأوهم عيانا (وكلهم الموتى^٣) أى كذلك (وحشرنا عليهم) أى
 [بما -^٤] لنا من العظمة (كل شيء قبلا) جمع قبيل جمع قبيلة [فى
 قراءة من ضم القاف والباء كـ رَغِيف ورَغَف -^٤] ، أى جاءهم ذلك هـ
 المحشور كله قبيلة [قبيلة -^٤] ترى ومواجهة (ما كانوا يؤمنوا) أى
 على حال من الأحوال (ألا ان يشاء الله) أى إلا حال مشيئة لإيمانهم
 لأنه الملك الأعلى الذى لا أمر لاحد معه ، فاذن لآخرة إلا بمشيئته ،
 فالآية دامغة لأهل^٥ / القدرة^٦ ، ولا مدخل لآية ولا غيرها فى ذلك ،
 ٢٣٩ /

فلا يطمع أحد فى إيمانهم بغير ذلك ، ويقرب عندى - وإن بُعد
 المدى - أن يكون " واقسموا " معطوفا على قوله تعالى " وقالوا لو لا
 أنزل عليه آية من ربه " وهذا من المعارف فى كلام البلغاء أن يحكى
 الإنسان جملة من كلام خصمه ، ثم يشرع فى توهينها ، أو يخرج إلى أمور -
 يجرها المقام - كثيرة الأنواع طويلة الذبول جدا ، ثم يحكى جملة أخرى
 فيقول معجبا منه : وقال كذا وكذا ، ثم يشرع فيما يتعلق بذلك من النقد^٧ ١٥
 والرد ، وبما يؤيد ذلك توحيد ختمها ، فتم الأولى " ولكن أكثرهم
 لا يعلمون^٨ " وختم هذه (ولكن أكثرهم يجهلون هـ) أى أهل جهل

(١) فى ظ : اليهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و القرآن الكريم ، وموضعه فى
 الأصل يماض (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : بجميع (٦) من ظ ، وفى الأصل : القدرة .
 (٧) من ظ ، وفى الأصل : البعد (٨) راجع آية ٢٧ .

مطبوعون. فيه ، يقسمون على الإيمان عند مجيء آية مقترحة ولا يشعرون
أن المانع لهم من الإيمان إنما هو المشيئة وإلا لآمنوا بما جاءهم من الآيات ،
فانه كفاية في المبادرة إلى الإيمان ، والآيات كلها متساوية الأقدام في الدلالة
على صدق الداعي بخرق العادة^١ والعجز عن الإتيان بمثلها .

٥. ولما كان مضمون ما تقدم إثبات عداوة الكفار للنبي صلى الله
عليه وسلم ، كان كأنه قيل تسلية له وثبتا لفؤاده : فقد جعلناهم^٢ أعداء لك
لأنك عالم ، والجاهلون لأهل العلم أعداء (وكذلك) أى ومثل ما جعلنا
لك أعداء من كفار الإنس والجن (جعلنا لكل نبي) أى عن كان قبلك ،
وعبر عن الجمع بالمفرد - والمراد به الجنس - إشارة إلى أنهم يد واحد
١٠. في العداوة فقال : (عدوا) وبين أن المراد به الجنس ، وأنهم أهل الشر
فقال مبديا : (شيطين) أى أشرار (الإنس والجن) المتمردين
منهم ، وربما استعان شيطان الجن شيطان الإنس لقرب قلبه منه ، أم^٣
يكون نوعه إليه أميل ، وأشار إلى هوان أمرهم وسوء عاقبتهم بقوله :
(يوحى بعضهم) أى الشياطين من النوعين (إلى بعض) أى يكلمه
١٥. في خفاء (زخرف القول) أى مزينه ومنمقه .

ولما كان هذا يدل على أنه - لكونه لا حقيقة له - لو لا الزخرفة
ما قيل ، زاده يانا بقوله : (غرورا^٤) أى لأجل أن يغروهم بذلك ،
أى يخدعهم فيصيروا لقبولهم كلامهم كالعافلين الذين شأنهم عدم التحفظ ،
(١) في ظ : الآية (٢) في ظ : جعلنا (٣) سقطت الواو من ظ (٤) من ظ ،
وفي الأصل : شرار (٥) في ظ : ثم .

و الغرور هو الذى يعتقد^١ فيه النفع و ليس بنافع .
 و لما كان أول الآية معلما أن هذا كان^٢ بمشيئة الله و جعله ، أيد
 ذلك و ممكنه فى آخرها بأنه لو شاء ما كان ، و كل ذلك غير^٣ على
 مقام الإلهية و تنزيها لصفة الربوبية أن يخرج شئ عنها فيدل على الوهن ،
 و يجر قطعاً إلى اعتقاد العجز ، فقال : ﴿ ولو شاء ﴾ و لما كان فى بيان^٥
 أعدائه صلى الله عليه و سلم و المسلمين عليه ، أشار^٤ إلى أن ذلك لإكرامه
 و اعزازه ، لا لهوانه ، فقال : ﴿ ربك ﴾ أى بما له إليك من حسن التربية
 و غزير الإحسان مع ما له من تمام العلم و شمول القدرة ، أن لا يفعلوه
 ﴿ ما فعلوه ﴾ أى هذا الذى أنبأتك به من عداوتهم و ما تفرع عليها^٥ .
 و لما قرر أن هذا من باب التربية فعاقبته إلى خير ، سبب^٦ عنه^{١٠}
 قطعاً قوله : ﴿ فذرهم ﴾ أى اتركهم على أى حالة اتفقت ﴿ و ما يفكرون ﴾
 أى يتعمدون^٧ كذبه و اختلافه ، و اذكر ما لربك عليك من العاطفة لتعلم
 أن الذى سلطهم على هذا فى غاية الرأفة بك و الرحمة لك و حسن
 التربية كما [لا - ^٨] يخفى عليك ، فثق به و اعلم أن له فى هذا لطيف
 سريرة تدق عن الأفكار ، بخلاف الآيات الآتية التى عبر فيها باسم الجلالة ،
 فانها^٩ فى عظيم تجروم على مقام الإلهية .

و لما كان التقدير : ذرم لتعرض عنهم قلوب الذين يؤمنون بالآخرة

(١) فى ظ : يتفند (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عبرة (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 إشارة (٥) فى ظ : عليهم (٦) فى ظ : تسبب (٧) فى ظ : يتعمد (٨) زيد من ظ .
 (٩) فى ظ : فانه .

وليسخطوه ، وليعلموا ما هم له مبصرون [و - ١] به عارفون ، قترفع
بذلك درجاتهم ، عطف عليه قوله : ﴿ ولتصغى ﴾ أى تميل ميلا قويا
تعرض^٢ به ﴿ البه ﴾ أى كذبهم وما فى حيزه ﴿ اقنعة ﴾ أى قلوب
﴿ الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أى ليس فى طبعهم الإيمان بها لأنها غيب ،
وهم لبلادتهم واقفون مع الوهم ، / ولذلك استولت عليهم الدنيا التى هى
أصل الغرور ﴿ وليرضوه ﴾ أى بما تمكن من ميلهم إليه ﴿ وليقتربوا ﴾
أى يفعلوا بمجهودهم ﴿ ما هم مقتربون ه ﴾ وهذه الجملة^٣ - كما نبه عليه أبوحيان -
على غاية الفصاحة . لانه أولا يكون الخداع ؛ فيكون الميل فيكون
الرضى فيكون فعل الاقتراف^٤ ، فكأن كل واحد مسبب^٥ عما قبله .

١٠ ولما كان فيما تقدم الإخبار عن مغيب ، وهو أنهم لا يؤمنون
عند مجيء الآيات المقترحة ، وكانت عادة العرب دعاء الأعداء والمخالفين
إلى حاكم يفصل بينهم ، وكانوا إنما يفرعون فى الأمور المغيبة إلى الكهان
لما كانوا يكشفون لهم بما يقذف اليهم إخوانهم من الجان بما يسترقونه
من السمع ، فيزيدونه كذبا كثيرا ، ثم لا يضرهم ذلك عندم لذلك القليل
١٥ الذى يصدقون فيه - كما ابتلينا به فى هذا الزمان من الاقتان بمن يفعل
مثل ذلك من المجانين والمتشبهين^٦ بهم ، وكانت الآيات التى فرغ منها

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : تعوص (٣) من ظ ، وفى الأصل
الجملة (٤) من البحر المحيط ٢/٨ ، وفى الأصل و ظ : الخداع (ه) فى ظ :
الافتراق (٦) من البحر ، وفى الأصل : مسببا ، وفى ظ : سببا - كذا (٧) من
ظ ، وفى الأصل : المشبهين .

قد^١ أثبت أن اتخاذهم غرور، سبب^٢ عن ذلك و جوب نفي اتخاذهم^٣
غير الله لما اتصف به من إحياء ما خالف إحياءهم، فقات القوى^٤ في إخباره^٥
عن حقائق الأمور مفصلة أحسن تفصيل في أساليب قصرت دونها سوابق
الافكار، وكتمت عنها نوافذ الأفهام، فثبت به^٦ نبوته و وضحت رسالته،
فكان اقتراحهم ظاهرا في كونه تعتنا لأنهم كذبوا بأعظم الآيات: القرآن، ه
ولم يؤمنوا به، و طعنوا فيه بما^٧ زادهم فضائح، فثبت أنه لا فائدة في
إجابتهم^٨ إلى مقترحاتهم^٩، فكان الجواب - عما اقتضاه لسان حالهم من
طلب التحاكم إلى أوليائهم يبلغ^{١٠} الإنكار عليهم [بقوله -^{١١}]: ﴿أفغير الله﴾
أى الملك الأعظم - على غاية من البلاغة لا تدرك، و الفاء فيه^{١٢}
للسبب، وإنما تقدمت عليها همزة الإنكار لاقتضاها الصدر ﴿ابتنى﴾ ١٠
أى أطلب حال كون ذلك الغير ﴿حكما﴾ أى يحكم بينى وبينكم ويفصل
نزاعنا، ثم استدل على هذا الإنكار بتفصيل الكتاب هذا التفصيل المعجز
فقال: ﴿وهو﴾^{١٣} أى والحال أنه لا غيره ﴿الذى أنزل اليكم﴾^{١٤} أى
خاصة نعمة على^{١٥} بالقصد الأول [وعليكم بالقصد الثانى -^{١٦}]: ﴿الكتب﴾
أى الأكمل المعجز^{١٧}، وهو هذا القرآن الذى هو^{١٨} تبيان لكل شىء ١٥

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تسبب (٣) فى ظ : اتخاذ (٤) من ظ ، وفى
الأصل : العرى (٥) فى ظ : احقاؤه - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : لما .
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) فى ظ : ببليغ (٩) زيد من ظ :
(١٠ - ١٠) فى ظ : والعاقبة (١١) من ظ ، وفى الأصل : إلى (١٢) فى ظ :
المعجب .

(مفصلاً) أى يميزا فيه الحلال والحرام، وغير ذلك من جميع الأحكام، مع ما تفيد فواصل الآيات من اللطائف والمعارف الكاشفة لحقائق البدايات والنهايات. ولقد اشدت^١ الاعتناء في هذه السورة بالتنبيه^٢ على التفصيل لوقوع العلم من أرباب البصائر في الصنائع بأن من لا يحسن التفصيل لا يتقن التركيب.

ولما كان التقدير: فأتم وجميع أرباب البلاغة تعلمون^٣ حقيقة بتفصيله والعجز عن مثله^٤، عطف عليه قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ ويجوز أن يكون جملة حالية ﴿اتَّبِعْتَهُمْ﴾ أى بعظمتنا التى يعرفونها ويعرفون بها الحق من الباطل ﴿الْكُتُبِ﴾ أى المعهود إنزاله [من - °] التوراة والإنجيل ١٠ و الزبور ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أى لما لهم من سوابق الأنس بالكتب الإلهية ﴿أَنَّهُ مُنْزَلٌ﴾.

ولما تقدم ذكر الجلالة الشريفة في حاق موضعه في سياق الحكم الذى لا يكون الا مع التفرد بالكمال، وكان هذا المقام بسياق الإنزال^٦ يقتضى الإحسان، لم يضمربل قال: ﴿مَنْ رَبِّكَ﴾ أى المحسن إليك ١٥ بما خصك به في هذا الكتاب من أنواع الفضائل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أى الأكل لما عندهم به من البشائر في كتبهم ولما له^٧ من موافقتها في ذكر الأحكام المحمكة والمواظظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه ترقق القلوب

(١) من ظ ، وفي الأصل : استدل (٢) من ظ ، وفي الأصل : بالينة (٣) في ظ : يعلمون (٤) من ظ ، وفي الأصل : مثله (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : الازل (٧) في ظ : لهم (٨) في ظ : موافقها .

و تفيض الدموع و تصدع الصدور ، مع ما يزيد به على كتبهم من التفصيل بما يفهم معارف الإلهية و المقامات الصوفية في ضمن الأحكام السياسية و الإعجاز بكل آية .

و لما كان أهل الكتاب يخفون ما عندهم من العلم ، و يقولون

للشركين : إنهم أهدى سبيلا ، بما قد يوم أنهم / يعتقدون بطلانه ، أو أن ه / ٢٤١

الامر ملبس^١ عليهم ، سيب عن^٢ إخباره سبحانه قوله على طريق التهيج

و الإلهاب : (فلا تكون) [أى اتق تقيا مؤكدا جدا أن تكون في

وقت ما - ٣ -] (من الممتريه) أى العاملين عمل الشاك فيما أخبرناك به

و ان زاد إخفاؤهم له و إظهارهم لما يوم خلافه ، و إذا حاربتهم في ذلك

و أنت أظن الناس و أعرفهم بما يظهره المجاوزات من خفايا الأسرار - ١٠

تحقق ما قلناه و إن اجتهدوا في الكتمان ، كما كشفت عنه قصة المناشدة

في أمر الزائين و غيرها ؛ و قال أبو حيان : قال مشركو قريش لرسول الله

صلى الله عليه و سلم : اجعل بيننا و بينك حكما من أخبار اليهود ، و إن

شئت من أساقفة النصارى ، ليخبرنا عنك بما في كتبهم من أمرك فنزلت .

و لما دل على كونه حقا من عند الله بعلم أهل الكتاب صريحا ١٥

و أهل اللسان^١ تلويحا ، دل عليه بوجه آخر شهودى ، و هو أنه لما قال

شيئا إلا كان على وفق ما قال ، و أنه لم يستطيع - ولا يستطيع أحد -

منع شيء مما أخبر به ولا تعويقه ساعة من نهار - ولا أقل - ولا أكثر

(١) فحظ : ملبس (٢) من ظ . وفي الأصل : على (٣) زيد من ظ (٤) من

ظ ، وفي الأصل : الكسان - كذا (٥) سقط بن ظ

بقوله تعالى مظهرا في موضع الإضمار ، لتذكيره صلى الله عليه وسلم بما له سبحانه من الإحسان ، والتنيه على ما يريد به من التشريف والإكرام :
 ﴿ وتمت ﴾ أى نفذت وتحققتم ﴿ كلتمت^١ ربك ﴾ أى المحسن إليك
 المدبر لأمرك حال كونها ﴿ صدقا ﴾ أى لا^٢ يقدر أحد أن يبدى فى شيء
 منها حديثا^٣ يتخلف ما عن مطابقة الواقع .

ولما كان الصدق غير مناف للجور ، قال : ﴿ وعدلا^٤ ﴾ ولما
 كان الصدق العدل قد لا يتم معه مراد القاتل ، ولا ينفذ فيه كلام الأمر
 لمنع من هو أقوى منه ، أخبر أنه لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ،
 تصريحاً بما أفهم مطلع الآية من التمام ، وأظهر موضع الإضمار تعميماً
 ١٠ و تبركا وتليذا فقال : ﴿ لا مبدل لكلمته ج ﴾ أى من حيث أنها كلماته
 مطلقا من غير تخصيص بنوع ما ، بل كل ما أخبرت به فهو كأن لا محالة ،
 رضى من رضى و سخط من سخط .

ولما كان المغير لشيء إنما يتم له ما يريد من التغير بكون المغير عليه
 لا يعلم الأسباب المنجحة لما أراد ليحكمها^٥ ، والموانع العائقة ليلطلها ، قال
 ١٥ عاطفا على ما تقديره : فهو العزيز الحكيم : ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره
 ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع لجميع ما يمكن سماعه من الأقوال والأفعال
 ﴿ العليم^٥ ﴾ أى البالغ العلم بجميع ذلك ، فهو إذن الكامل القدرة النافذ
 الأمر فى جميع الأسباب والموانع ، فلا يدع أحدا يغير شيئا منها وإن

(١) وفى مصاحفنا : كلمة (٢) من ظ ، وفى الأصل : (٣) فى ظ : خدشا .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : هوى (٥) من ظ ، وفى الأصل : لتعلمها - كذا .

دلس أو شبه .

ولما أجاب عن شبهات الكفار ، وبين صحة نبوته^٢ عليه السلام ،
 شرع في الحث على الإعراض عن جهل الجاهل ، والإقبال على ذى^٣
 الجلال ، فكان التقدير : فان أطلعت فيما أمرك به ، اهتديت إلى صراط
 الله الذى يتم لك بسلوكة^٤ جميع ما وعدك به ، عطف عليه قوله : هـ
 ﴿ وان تطع ﴾ ولما كانت^٥ أكثر الأنفس متقدمة بالأكثر ، أشار إلى
 أن ذلك لا يفعله إلا جاهل مخلد إلى التقليد فقال : ﴿ أكثر من فى الارض ﴾
 أى توجد طاعتك لهم فى شئ من الأوقات بعد أن علمت أن أكثرهم
 إما يتبع الهوى ، وأن أكثرهم فاسقون لا يعلمون لا يشكرون ﴿ يضلوك
 عن سبيل الله^٦ ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ؛ ثم علل ذلك بقوله : ١٠
 ﴿ ان ﴾ أى لأنهم ما ﴿ يتبعون ﴾ فى أمورهم ﴿ الا الظن ﴾ [أى - ٧]
 كما يظن هؤلاء جهلا أن آباءهم كانوا على الحق .

ولما كان أكثر كلام من يحزم بالأمور بما دعاه إليه ظنه كذبا ،
 وكان الحارص يقال على الكاذب والمخمن الحازر ، قال : ﴿ وان هم ﴾
 أى بصميم ضمائرهم ﴿ الا يخرصون^٧ ﴾ أى يحزمون بالأمور بحسب ١٥
 ما يقدرون ، فيكشف الأمر عن أنها كذب^٨ ، فيعرف الفرق بينك وبينهم
 فى تمام [الكلام - ٧] ونقوده نقوذ السهام ، أو تخلفه عن التمام ونكوصه

(١) من ظ ، وفى الأصل « و » (٢) من ظ ، وفى الأصل : نبوة (٣) فى ظ :
 دين (٤ - ٤) فى ظ : سلوكة (هـ - هـ) من ظ ، وفى الأصل : انفس الاكثر .
 (٦) فى ظ : مقيدة (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : اكذب .

كالسيف الكهيم، فلا يبق شبهة في أمر الحق والمبطل .

و لما كان المقام للعلم الكاشف للحقائق المبين لما يتبع وما / يحتجب ،
قال معللاً لهذا الإخبار : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذا
الكتاب الكاشف للارتباب الهادى إلى الصواب ﴿ هو ﴾ أى وحده
ه ﴿ اعلم ﴾ و لكون^٢ الحال^٣ شديد الاقتضاء^٤ للعلم ، قطعه عما بعده
ليسبق إلى الفهم أنه أعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقاً ثم قال :
﴿ من ﴾ أى يعلم من ﴿ يضل ﴾ أى يقع منه ضلال يوماً ما
﴿ عن سبيله ﴾ أى الذى بينه بعلمه ﴿ وهو ﴾ أى وحده
﴿ أعلم بالمهتدين ﴾ كما أنه أعلم بالضالين ، فمن أمركم باتباعه فاتبعوه ، و من
نهاكم عنه فاجتنبوه ، فمن ضل أرواه^٥ ، و من اهتدى أنجاه ، فاستمسكوه
بأسبابه حذراً [من^٦] وبل عقيه يوم حسابه .

و لما قدم سبحانه بما مضى من السوائب و ما معها : فى المائة
ما يدين به أهل الجاهلية فى أكل الحيوان الذى جرت^٧ إليه الشراك ،
و أتبعه بيان أنه لا ضرر على أهل الإيمان من دين أهل الضلال . إذا
١٥ اهتدوا ، و أتبع ذلك ما لأمه ، و انتظم فى سلكه و لوجه ، حتى ظهر
أتى ظهور أن الكل^٨ ملكه و ملأه ، و أنه لا شريك له ، فوجب شكره
وحده ، و كانوا مع ذلك قد كفروا نعمه تعالى فاتخذوا معه شركاء ،
و لم ينكفهم ذلك حتى جعلوا لها مما ذرأ من الحبرث و الأنعام نصيباً ،

(١) يسقط من ظ (٢) فى ظ : يكون (٣-٢) تكرر ما بين الرقيين فى ظ .

--- (٤) فى ظ : اراده (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : جرى (٧) فى ظ : لكل .

فكانوا 'بذلك المانعين' الحق عن أهله ، و مانحين ما خولهم فيه مَنْ له الملك لما لا يملك ضرا ولا نفعا ، و تاركين بعض ما أنعم عليهم به صاحب الحق رعاية لمن لا حق له ولا حرمة ، و كانت سنة الله تعالى قد جرت بأنه يذكر نفسه الشريفة بالوحدانية . و يستدل على ذلك بخلق السموات و الأرض و ما أودع فيها لنا من المنافع و ما أبدع من المرافق و المصانع ، ثم يعجب بمن أشرك به . ثم يأمر^٢ بالآكل مما خلق تذكيرا بالنعمة ، ليكون ذلك داعية لكل ذى لب إلى شكره ، كما قال^٣ تعالى في النقرة عقب " و الهكم اله واحد " : " ان في خلق السموات و الارض " ثم قال " و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا " ، ثم قال^٤ " يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا " ؛ أجرى هذه السنة الجليلة في هذه السورة ١٠ أيضا ، فقال : " ان الله فائق الحب و النوى " بعد " انى وجهت وجهى [للذى فطر - ٧] " ثم^٥ " و جعلوا الله شركاء الجن " و دل على أنه لا شريك له فى ملكه ولا ملئكه ، و ختم بأنه لا حكم^٦ سواه ينازعه فى حكمه أو^٧ يباريه فى شئ من أمره ، و بين^٨ أن من [أيها - ٩] الهداية التى جعلها شرطا لعدم ضرر بلحق من دين أهل الشرك ؛ فسبب عن جميع ما ذكرت ١٥ قوله : (فكلوا مما ذكر) أى وقت الذبح (اسم الله) أى الملك الذى له

(١-١) فى ظ : لذلك المانعين (٢) فى ظ : باهم - كذا (٣) سقط من ظ . (٤) آية ١٦٤ (٥) آية ١٦٥ (٦) آية ١٦٨ (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨) زيد فى ظ بعده : بعد (٩) من ظ ، و فى الأصل : حكيم (١٠) فى ظ د و . (١١) من ظ ، و فى الأصل : يبين (١٢) زيد من ظ .

الإحاطة الكاملة فله كل شئ. ﴿عليه﴾ أى 'كأن قاتلا لذلك سواء ذكر بالفعل أ. لا، و عدل عن التعبير بما جعلته المراد ليفهم أن الذكر بالفعل مندوب إليه، و لا يكونوا بمن بنى دينه على اتاع الأهوية و الظنون الكاذبة، فكأنه قيل: اتبعوا من يعرف الحق لآلهه فانه مهتد غير معرجين على غيره فانه ضال، و الله أعلم بالطريقين، فكونوا من المهتدين. فكلوا مما خلق الله لكم حلالا شاكرين لنعمته، و إنما أطل هنا دون البقرة ما بين الجمل الكلام تقريرا لمضامينها و ما يستتبعه و احتججا على جميع ذلك لأنها سورة التفصيل، و^٢ أتى بالذكر^٣ و المراد قبول المأكول له، أى كلوا مما يقبل أن يسمى عليه على مقتضى ما شرعه. و ذلك هو الذى أحله من الحيوان و غيره سواء ١٠. كان مما جعلوه لأوثانهم أو لا. دون ما مات من الحيوان حنف الله، أو ذكر عليه اسم غير الله أو كان مما حرم أكله وإن ذبح و ذكر عليه اسم الله. فانه لا يقبل التحليل بالتسمية، فالتسمية فى غير موضعها، لورود النصوص بالتحريم، و لا تتبعوا المشركين فى منعهم أنفسهم من خير مما خلق الله لهم من الحرث و الأنعام بتسميتهم / إباد لآلهتهم التى لا غناء ١٠ عندها، و يكون [ذلك - ^٤] حثا على التسمية على جميع المأكول الحلال، فتكون الآية كآية البقرة [بزيادة - ^٤].

/ ٢٤٣

و لما كان هذا الأمر لا يقبله الا من زال دين الشرك و جميع توابعه من قلبه؛ قال: ﴿ان كنتم ح آى بما لكم من الجبل الصالحة﴾ (بأينته)

(١) فى ظ: ان (٢) فى ظ: يصرف - كذا (٣ - ٣) من ظ، و فى الأصل: انها يذكر (٤) ريد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: امر.

أى عامة التى منها آيات التحليل والتحريم ﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين
 فى وصف الإيمان، وقد لاح بذلك حسن انتظام قوله: ﴿ وما لكم ﴾
 أى أى شئ يكون لكم فى ﴿ الا تاكلوا مما ذكر ﴾ أى يقبل أن يذكر
 ﴿ اسم الله ﴾ أى الذى له كل شئ ﴿ عليه ﴾ فان التسمية قائمة مقام
 إذنه ﴿ وقد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ فصل لكم ﴾ أى من قبل ذلك ه
 و الخلق خلقه و الأمر أمره ﴿ ما حرم عليكم ﴾ أى مما لم يحرم تفصيلا
 واضح البيان ظاهر البرهان ﴿ الا ما اضطررتم اليه ﴾ أى فان الضرورة
 تزيل التفصيل^١ عنه برده إلى ما كان عليه قبل التفصيل ؛ فيصير الكل حلالا
 [لا -^٢] تفصيل فيه ، و المراد فى هذه الآية مختلف باختلاف المخاطبين ،
 فأما من خوطب بها وقت الإنزال فالمراد بالتفصيل الذى آتاه الآية الآتية ١٠
 أخير هذه فانها نزلت جملة ، وكذا كل ما شاكلها مما أنزل بمكة قبل هذه
 السورة، وكذا ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فى وحى متلو^٣ إذ ذاك ، ولعله
 نسخت تلاوته وبقى حكمه . أو وحى غير متلو من جميع الأحاديث التى
 تقدمت على هذه السورة ، وأما من خوطب بها بعد ترتيبه على هذا الوجه
 فالمراد فى حقه - [كما -^٢] فى البقرة و المائدة وغيرهما من السور الماضية - ١٠
 من الحلال والحرام .

ولما كان التقدير : من عمل بهذه الأوامر اهتدى بما نال^٤ من العلم
 وهم قليل ، عطف عليه قوله : ﴿ وان كثيرا ﴾ أى من الناس ﴿ ليضلون ﴾

(١) فى ظ : التفصيل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : نتلوا (٤) فى ظ : اتال .
 (ه) سقط من ظ .

أى يقع منهم الضلال فيوقعون^١ غيرهم فيه ينكوبهم^٢ عما دعت إليه أوامر الله
 وهدى إليه يانه ، فيكونون بمعرض العطب (باهوآتهم) أى بسبب
 اتباعهم للهوى ؛ ولما كان الهوى - وهو ميل النفس - ربما كان موافقا
 لما أدى إليه العلم بصحيح الفكر و صريح العقل قال^٣ : (بغير علم^٤)
 ه أى دعا^٥ إلى ذلك [بمن له العلم - ^٦] من شريعة ماضية بمن^٧
 له الأمر .

ولما كانوا ينكرون هذا . أثبت لنفسه الشريعة ما هو مسلم عند كل
 أحد و قال دليلا على صحة ما أخبر به : (ان ربك) أى المحسن إليك
 بانزال هذا الكتاب شاهدا لك باعجازه بالتصديق (هو) أى وحده
 ١٠ (اعلم) وكان الموضع للاضمار فأظهر للتعميم والتنبيه على الوصف الذى
 أوجب لهم ذلك فقال : (بالمعتدين ه) أى الذين يتجاوزون الحدود
 مجتهدين فى ذلك .

ولما كان مما يقبل فى نفسه فى الجملة أن يذكر اسم الله عليه ما يحرم^٨
 لكونه ملوكا للغير أو فيه شبهة . نهى عنه على وجه يعم غيره ، فقال
 ه عطفًا على " فكلوا^٩ " : (وذروا^{١٠}) أى اتركوا على أى حالة اتفقت
 وإن كنتم تظنونها غير صالحة (ظاهر الاثم) أى المعلوم الحرمة من
 هذا وغيره (وباطنه^{١١}) من كل ما فيه شبهة من الأقوال والأفعال
 والعقائد ، فان^{١٢} الله جعل له فى القلب علامة ، وهو أن يضطرب عنده

(١) فى ظ : فيقعون (٢) فى ظ : ينكوبهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ادعاء .
 (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : بمن (٧) من ظ ، وفى الأصل : حرم .
 (٨) فى ظ : عملوا - كذا (٩) فى ظ : وان .

ولا يسكن كما قال صلى الله عليه وسلم : والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر - أخرجه مسلم عن النّوّاس بن سميان رضى الله عنه ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الذين يكسبون الإثم ﴾ أى ولو بأخفى أنواع الكسب ، بما دل عليه تجريد الفعل ، وهو الاعتقاد ^٢ للاسم الشريف ^١ .

[ولما كان العاقل من خاف من مطلق الجزاء بنى للفعل قوله - ^٢] : ٥

﴿ سيجزون ﴾ أى بوعده لا خلف فيه ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ^٢ ﴿ كانوا ﴾ بفساد جبلاتهم ﴿ يقترفون ه ﴾ أى يكتسبون اكتساباً يوجب الفرق وهو أشد الخوف ويزيل الرفق ، وصيغة الافتعال للدلالة على أن أفعال الشر إنما تكون بمعالجة من النفس للفطرة الأولى السليمة .

[ولما - ^٢] أمرهم بالأكل مما ينفعهم ويهينهم على شكره محذراً ١٠

من أكل ^٥ ما يعيش ^١ مرأى بصائرهم ، أتبعه نهيم نهياً / جازماً خاصاً عن ٢٤٤ /
الأكل مما يضرهم في أبدانهم وأخلاقهم ، وهو ما ضاد الأول في خلوه
[عن الاسم الشريف - ٣] فقال : ﴿ ولا تاكلوا مما لم يذكر ﴾ أى مما لا يقبل أن يذكر ﴿ اسم الله ﴾ أى الذى لا يؤخذ شئ ^٦ إلا منه ، لأن له الكمال كله فله الإحاطة الكاملة ، وأشار بأداة الاستعلاء إلى الإخلاص ١٥
ونفى الإشراك فقال : ﴿ عليه ﴾ أى ليكون الله قد حرمه فصار نجس العين أو المعنى ، فصار محبثاً ^٤ للبدن والنفس مما ذكر عليه غير اسمه سبحانه

(١) فى ظ : اخفى (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : يكون (ه) من ظ ، وفى الأصل : كل .
(٦) من ظ ، وفى الأصل : يقبس (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : محمداً .

بما دل عليه [من - ^١] تسميته فسقا ، وتفسير الفسق في آية أخرى بما
أهل به لغير الله و^٢ كذا ما كان في معناه بما مات أو كان حراما بغير ذلك ،
واسمه تعالى مزه عن أن يذكر على غير الحلال ، فان ذكر عليه كان
ملاعبا فلم يظهروه^٣ ، وأما ما كان حلالا ولم يذكر عليه [اسم الله
٥ و^٤ لا غيره - ^١] فهو حلال - كما في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها
قالت : قالوا : يا رسول الله ! إن هنا أقواما حديث عهد بشرك يأتوننا
بلحمان لا ندرى يذكرن اسم الله عليها أم لا ! قال : اذكروا أنتم
اسم الله وكلوا . قال البغوى : ولو كانت التسمية شرطا لا باحة لكان^٥
الشك في وجودها مانعا من أكلها كالشك في أصل الذبح - انتهى .

١٠ ولما كان التقدير : فانه خبيث في نفسه محبث ، عطف عليه قوله :
(وانه) أى الأكل منه أو هو نفسه لكونه السبب (لفسق ^٦) فجعله
نفس الفسق - وهو الخروج عما ينبغى إلى ما لا ينبغى - لانه عريق جدا
في كونه سيئه لما تأصل عندهم من أمره^٦ وانتشر من شره ، وهذا دليل
على ما أولت^٧ به لأن النسيان [ليس - ^١] بسبب الفسق ، والذي تركت
١٥ التسمية عليه نسيانا ليس بفسق . والناسى ليس بفاسق - كما قاله البخارى ،
وإلى ذلك الإشارة^٨ بما رواه عن عائشة رضى الله عنها^٩ أن قوما قالوا

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في الأصل : فلم يظهر ، وفي ظ :
فلم يظهروه (٤) في ظ : أو (٥) من معالم التنزيل - راجع هامش الخازن ١٤٧/٢ ،
وفي الأصل و ظ : كان - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : امرهم (٧) في ظ :
اوصلت (٨-٨) في ظ : بحديث (٩) زيد بعده في ظ : الماضى ، و لعبارة من
بعده إلى « انتهى » ساقطة منه .

لنبي صلى الله عليه وسلم : إن قوماً يأتوننا باللحم ، لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال : سموا عليه أتم و كلوه ، قالت : و كانوا حديثي عهد بالكفر^١ - انتهى . فهذا كله يدل على أن المراد إنما هو كونه بما يحل ذبحته ، وليس المراد اشتراط التسمية بالفعل .

و لما كانت الشبهة ربما زلزلت ثابت العقائد ، قال محذرا منها : هـ
 ﴿ و ان الشيطان^٢ ﴾ أى أحابث^٣ المردة من الجن و الإنس البعيدين من الخير المهيئين^٤ للشر المحترقين باللعنة^٥ من مردة^٦ الجن و الإنس^٧ ﴿ ليوحون ﴾ أى يوسوسون و سوسة بالغة سريعة ﴿ الى اوليائهم ﴾ أى المقاربين لهم فى الطباع المهيئين لقبول كلامهم ﴿ ليجادلوكم ج ﴾ أى ليفتلوكم عما أمركم^٨ به بأن يقولوا لكم : ما قتله^٩ الله أحق بالأكل [بما - ٩] قتلتموه أتم ١٠ و جوارحكم - و نحو ذلك ، و أهل الحرم لا ينبغي أن يقفوا فى غيره ، و الغرب لا ينبغي أن يساويهم فى الطوف فى ثيابه ، و النذر للأصنام كالتذر للكبوة ، و نحو هذا من خرافاتهم التى بنوا أمرهم فيها على الهوى الذى هم معترفون بأنه مضل مضر ، و مبالغون فى الذم باتباعه و الميل إليه ، و يكفى فى هدم جميع شبههم إجمالا أن صاحب الدين و مالك ١٤ الملك منع منها .

(١) من صحيح البخارى - الذبايح ، و فى الأصل و ظ : بكفر (٢) من ظ و القرآن الكريم . و فى الأصل : الشيطان (٣) فى الأصل : احابث ، و فى ظ : اجابث - كذا (٤) فى ظ : المعين - كذا (٥) فى ظ : من اللعنة . (٦ - ٦) فى ظ : الانس و الجن (٧) فى ظ : امر الله (٨) فى الأصل و ظ : قبله . (٩) زيد من ظ .

و لما كان التقدير : فان أطعموهم تركتم الهدى و تبغتم الهوى ،
و كان من المعلوم أن الهوى يعود إلى الشرك . عطف على هذا قوله :
﴿ و ان اطعموهم ﴾ أى المشركين تدبنا بما بقولونه فى ترك الأكل
بما ذكر اسم الله عليه و الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه . أو فى شيء
د مما جادلوكم فيه ﴿ انكم لمشركون ٤ ﴾ أى فأنتم و هم فى الإشراك سواء
كما إذا سميت غير الله [على - ١] ذباحكم على وجه العبادة ، لأن من اتبع
أمر غير الله فقد أشركه ٢ بالله كما قال صلى الله عليه و سلم فى حديث عدى
ابن حاتم رضى الله عنه فى قوله تعالى ” اتخذوا احياءهم و رهبانهم اربابا
من دىن الله ٣ “ من أن عبادتهم لهم ٤ تحليلهم ٥ ما أحلوا و تحريمهم ما حرموا ،
٢٤٥ / ١٠ فبه صلى الله عليه و سلم / بذلك على أن الأسماء تتبع المعانى ؛ قال شيخ
الإسلام محيى الدين النووى الشافعى فى باب الضحايا من كتاب الروضة :
حكى فى الشامل ٦ و غيره عن نص الشافعى أنه لو كان لأهل الكتاب
ذبيحة يذبحونها باسم غير الله كالمسيح لم تحل ؛ و فى كتاب القاضى
ابن كسج ٧ أن اليهودى لو ذبح لموسى و النصرانى لعيسى عليهما السلام
١٥ أو ٨ للصليب حرمت ذبيحته ، و أن المسلم لو ذبح للكعبة أو لرسول الله
صلى الله عليه و سلم فينبغى أن يقال : تحرم ، لأنه ذبح لغير الله تعالى ، قال :
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشرك (٣) سورة ٩ آية ٣١ .
(٤) - قط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تحليلهم (٦) من ظ ، و هو الشامل
فى فروع الشافعية لابن الصباغ ، و فى الأصل : التامل (٧) هو يوسف بن أحمد
ابن يوسف بن كسج الدينورى الشافعى فقيه من القضاة - راجع معجم
المؤلفين ٢٧٣/١٣ (٨) فى ظ « و » .

وخرج أبو الحسن وجها آخر [أنها - ١] تحمل لأن المسلم يذبح لله ولا يعتقد في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعتقد النصراني في عيسى عليه السلام . قال : و إذا ذبح للصنم لم تؤكل ذبيحته سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا ، و في تعليقه للشيخ إبراهيم المروزي أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه ألقى أهل بخارى بتحريمه لأنه بما أهل به ه غير الله ، و اعلم أن الذبح للعبود^٢ باسمه نازل منزلة السجود له . و كل واحد منهما نوع من أنواع التعظيم . العادة المخصوصة بالله تعالى الذي هو المستحق للعبادة ، فمن ذبح لغيره من حيوان أو جواد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحمل^٣ ذبيحته . و كان فعله كفرا كمن سجد لغيره سجدة عبادة ، و كذا لو ذبح له ولغيره على هذا الوجه ، فأما إذا ذبح لغيره ١٠ لا على هذا الوجه - بأن ضحى أو ذبح للكعبة تعظيما لها لأنها بيت الله تعالى أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فهذا لا يجوز أن يمنع حل الذبيحة . وإلى هذا المعنى يرجع قول القائل : أهديت للحرم أو للكعبة ، و من هذا القبيل الذبح عند استقبال السلطان ، فانه استبشار بقدمه نازل منزلة ذبح العقيقة لولادة المولود ، و مثل هذا لا يوجب الكفر . وكذا السجود لغير الله ١٥ تذلا وخضوعا ، فعلى هذا إذا قال الذابح : بسم الله واسم محمد ، وأراد : أذبح باسم الله وأتبرك باسم محمد ، فينبغي أن لا يحرم ، و قول من قال : لا يجوز ذلك ، يمكن أن يحمل على أن اللفظ مكروه ، لأن المكروه يصح نفي الجواز والإباحة المطلقة عنه ، وحكى الرافعي أنه وقعت في هذا منازعة بين أهل قزوین أفضت إلى قننة في أنه تحمل ذبيحته وهل يكفر

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ فحذفناها .

(٣) في ظ : لا تحمل (٤) من ظ ، وفي الأصل : الذبح .

بذلك ! قال : و الصواب ما بينا ؛ قال الشيخ محي الدين : و مما يؤيد ما قاله -
 أى الرافعى - ما ذكره الشيخ إبراهيم المروزى فى تعليقه : قال : حكى
 صاحب التقريب عن الشافعى رحمه الله أن النصرانى إذا سعى غير الله كالمسبح
 لم تحل ذبيحته . قال صاحب التقريب : معناه أن يذبحها له . فأما إن ذكر
 ه المسيح على معنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم فحائز ، قال :
 و ' قال الحلیمى : تحل مطلقا و إن سعى المسيح - والله أعلم . ثم قال فى
 المسائل المنثورة ' : الثالثة : قال ابن كعب : من ذبح شاة و قال : أذبح لرضى
 فلان ، حلت الذبيحة ، لأنه لا ينصرف إليه بخلاف من تقرب بالذبح إلى الصنم ؛
 و قال الروبانى : إن من ذبح للجن و قصد به التقرب إلى الله تعالى ليصرف
 ١٠ شرهم عنه فهو حلال ، و إن قصد الذبح لهم فحرام ؛ و مما يوضح لك سر هذا
 الانتظام و يزيده حسنا أن هذه الآيات كلها من قوله تعالى " ان الله فائق
 الحب و النوى " - إلى آخر السورة تفصيل لقوله تعالى فى أول السورة
 " قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات و الارض " - الآية ، فلما ذكر إبداعه
 السماوات و الأرض بقوله " ان الله فائق الحب و النوى " و نحوه ، و أنكر
 ١٥ اتخاذ من دونه بقوله " و جعلوا لله شركاء الجن " و ما نخا نحوه ، قال
 " فكلوا " إشارة إلى " و هو يطعم و لا يطعم " و قوله " او من كان
 ميتا فاحيئنه " و قوله " فمن يرد الله ان يهديه " و نحوهما إشارة إلى قوله
 " قل انى امرت ان اكون اول من اسلم " ؛ و قوله " و يوم نحشرهم جميعا " و
 نحوه مشير إلى " انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم " .

/ ٢٤٦

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : المشهورة (٣) فى ظ : يتقرب (٤) فى ظ : فى
 قوله (٥) فى الأصل و ظ : مشيرا .

ولما انقضى^١ التفصيل عند قوله "فسوف يعلمون" - الآية، شرع في تفصيلها ثانيا بقوله "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا" - إلى آخرها، والسر في الإعادة أن الشيء إذا أثبت أو نفي، وأقيمت الدلائل على إثبات ما ثبت [منه - ٢] ونفي ما نفي، ثم أعيد ذلك في أسلوب آخر، كان أثبت في النفس والصق^٣ بالقلب، لاسيما إن كان ه في الأسلوب الثاني - كما هي عادة القرآن - زيادة في البيان وتنيه على ما لم يتقدم أولا، ولا سيما إن كانت العبارة فائقة والألفاظ عذبة رائقة وأنت خير بان هذا كله دأب القرآن في أساليب الاقتسان؛ قال الغزالي في أوائل كتاب الجواهر في الفصل الذي فيه اشتغال الفاتحة على ثمانية أقسام: وقوله ثانيا "الرحمن الرحيم" إشارة إلى الصفة مرة ١٠ أخرى، ولا تظن أنه مكرر، فلا مكرر^٤ في القرآن، إذ حد المكر ما لا ينطوي على مزيد فائدة، وذكر الرحمة بعد ذكر "العالمين"^٥، وقبل ذكر "العالمين"^٦، وقبل ذكر "ملك يوم الدين" ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجارى الرحمة ثم ذكر^٧ ما حاصله أن إحداها ملتفت إلى خلق^٨ كل [عالم - ٢] من العالمين على أكمل أنواعه وأفضلها وإيتائه كل ١٥ ما احتاج إليه، والثانية ملتفت إلى ما بعده بالإشارة إلى الرحمة في^٩ المعاد يوم الجزاء عند الإنعام بالملك المؤبد، قال: وشرح ذلك يطول والمقصود

(١) من ظ، وفي الأصل: ابعض - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: اعلق -
(٤) في ظ: لا يظن (٥) في ظ: تكرر (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: ذكرنا (٨) في ظ: ان (٩) من ظ، وفي الأصل: و .

أنه [لا - ١] مكرر في القرآن . وإن رأيت شيئاً^٢ مكرراً من حيث
الظاهر فانظر إلى سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة^٣ في
إعادته - انتهى . وفي ذلك نكتة أخرى، وهي أن الرحمن مشير^٤ إلى
ما قال من جهة^٥ الربوبية في الإيجادين : الأول والثاني ، والرحيم مشير
بخصوصه بما ترضاه الإلهية إلى الإيجاد الثاني والإبقاء الثاني بالرحمة الجزائية^٦
وإلى ما يفهمه الخصوص من^٧ النعمة بمن لم يخصه الرحمة - كما مضت
الإشارة إليه في الفاتحة .

ولما كان معنى التحذير من طاعة المشركين أنكم إن فعلتم كنتم
قد رددتم أنفسكم إلى ظلام الضلال بعد أن منحتهم نور الهداية . فكان
١٠ التقدير : أن^٨ فمن كان هكذا^٩ [كان - ١] كن نصيح لنفسه باتباع الأدلة
وتوقى الشبه ، عطف عليه قوله : ﴿ أو من كان ميتاً ﴾ أى بالفرق في
أمواج ظلام الكفر . ليس لهم من ذواتهم إلا الجمادية بل العدمية ﴿ فاحيئنه ﴾
أى بما لنا من العظمة بأشراق أنوار الإيمان على قلبه الذى إن صلح صلح
الجسد كله ، وإن فسد فسد الجسد كله ﴿ وجعلنا ﴾ أى بعظمتنا على وجه
١٥ الخصوص ﴿ له نورا ﴾ أى بالهداية إلى كل خير ﴿ يمشى ﴾ مستضيئاً
﴿ به في الناس ﴾ فيعرفون أفعاله وأخلاقه وأقواله ﴿ كمن مثله ﴾ أى الذى
يمثل به ، وهو ما ينكشف^{١٠} بوجه الشبه روح له^{١١} خلاصة حال قلبه ،

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الفاتحة - كذا (٤) في الأصل
وظ : مشيراً - كذا (٥) في ظ : جهته (٦) من ظ ، وفي الأصل : الجزائية .
(٧) في ظ : هذا (٨) في ظ : يكشف (٩) في ظ : أو .

حال قلبه ، أو يكون المعنى : صفته أنه ﴿ في الظلمت ﴾ أى ما له من نفسه من ظلة الجهل و ظلة ما ينشأ عنه من الهوى و ظلة ما نشأ عن الهوى من الكفر ، و إذا كان المثل الذى هو الأعلى من الممثل فى شئ كان الممثل عريقا فيه بطريق الأولى ، فلذلك قال : ﴿ ليس بخارج ﴾ أى ذلك المثل ﴿ منها ﴾ أى الظلمات بما زين له من سوء أعماله حتى هـ صارت^١ أحب إليه من نفسه و ماله ، و إذا لم يخرج المثل من شئ لم يخرج الممثل منه و إلا لم تكن بينهما مماثلة ، و^٢ ذلك لأنه^٣ زين له عمله ، و هى ناظرة إلى قوله أول السورة ” انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يعثهم الله “ و قوله ” و الذين كذبوا بآياتنا صم و بكم فى الآلمت “.

ولما كان إحياء الشياطين إلى أوليائهم مما يوجب لزوم العمى ليس ١٠
إلا تزيينا للقبائح^٤ . فكان حالهم مما يشتد العجب منه ، كان كأنه قيل :
لولا رؤيتنا لحالهم ما صدقنا^٥ أن عاقلا / يرضى ما فعلوه^٦ بأنفسهم ،
فهل وقع^٧ لاحد قط^٨ مثل حالهم ؟ فقيل : نعم ، ﴿ كذلك ﴾ أى
[مثل -^٩] ما زين لهم سوء أعمالهم ﴿ زين للكافرين ﴾ أى كلهم
﴿ ما كانوا ﴾ بما جبلناهم^{١٠} عليه ﴿ يعملون هـ ﴾ فهم أبدا فى الظلمات ، ١٥
فألاية من الاحتباك : أثبت^{١١} أولا كونه فى الظلمات دليلا على تقديره

(١) فى ظ : صار (٢-٣) من ظ ، وفى الأصل : لذلك انه (٣) سقط من ظ .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : بما صدقناهم (٥) فى ظ : فعله (٦-٧) من ظ ،

وفى الأصل : لا حظ قد - كذا (٧) زيد من ظ (٨) فى الأصل و ظ :

جبلناهم (٩) فى ظ : ثبت .

ثانيا ، و ثانيا التزيين دليلا على تقديره أولا .

و لما كان معلوما أن عداوتهم له صلى الله عليه وسلم المشار إليها بقوله ” و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا “- الآية ، لا يقوم بها إلا أكبر الناس ، لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من جلالة المنصب و شرف العشرة و كثرة الأقارب و أنه لا يتماذى عليها^٢ إلا جاهل مطموس البصيرة مزين له قبيح أعماله ، عطف تعالى على التزيين للكافرين قوله : ﴿ و كذلك ﴾ أى مثل [ما - ٤] زينا للكافرين سوء أعمالهم ، فكان أكبر أهل مكة يكمرون فيتبع غيرهم مكرهم ﴿ جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة فى إقامة الأسباب لما يعلى كلمة الإنسان أو يجعله حقير الشأن ١٠ ﴿ فى كل قرية ﴾ أى بلد جامع ، [و لما كان الكبر مختلف الأنواع باختلاف أشخاص المجرمين ، طابق بأفعل التفضيل المقصودين لها فى الجمع على إحدى اللغتين ، و عبر بصيغة منتهى الجمع دلالة على تناهيهم فى الكثرة فقال - ٤] : ﴿ أكبر مجرميها ﴾ أى القاطعين لما ينبغى أن يوصل .

و لما كان من شأن الإنسان استجلاب أسباب الرفعة لنفسه ، و كان ١٥ لا يصل إلى ذلك فى دار ربط المسببات بحكمة الأسباب إلا بالمكر ، و كان الأكبر أقدر على إنفاذ المكر و ترويج الأباطيل بما لاغلب الناس من السعى فى رضاهم طمعا فيما عندهم ، و كان الإنسان كلما تمكن من ذلك أمعن فيه ، و كان الكبير إنما يصل إلى ما قدر له من ذلك بتقدير الله

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : كثيرة (٣) فى ظ : عليهما .

(٤) زيد من ظ (٥) زيد و لا بد منه (٦) من ظ ، و فى الأصل : يمكن .

له ؛ كان بما قدر له من ذلك كأنه خلقه له ، فقال معبرا بالجعل لما فيه من التصير^١ والتسيب^٢ : ﴿ لِمَكُرُوا فِيهَا ﴾ أى يخذعوا أصاغرم ويغروم بما يلبسون عليهم من الأمور حتى يتعموم فيعادوا^٣ لهم حزب الله .

ولما كان ذلك موجعا و غائظا محزنا ، قال تصغيرا للشأنهم وتحقيرا

لامرهم : ﴿ وما ﴾ أى والحال أنهم [ما - ^٤] ﴿ يَمْكُرُونَ الْإِلَهِاتِ ﴾ ٥

لأن عملهم بالمكر وبال عليهم موبق لهم ، ولأن مكرم بأولياء الله إنما

هو مكر^٥ بالله ، وذلك غير متأ^٦ ولا^٧ كائن بوجه من الوجوه ، وكيف يتأتى

مكر من لا يعلم شيئا من الغيب بمن يعلم جميع الغيب^٨ ﴿ وما يشعرون ﴾

أى [و - ^٩] ما لهم نوع شعور بأن مكرم عائد على نفوسهم ، لأن الله

تعالى الذى يعلم سرهم وجهرهم يجعل بما يزين لهم تدميرهم في تدميرهم ، وإنما ١٠

أجرى^{١١} سنته^{١٢} الإلهية بذلك لما يشتمل عليه من أعلام النبوة ، فان غلبة

شخص واحد - بمفرده أو باتباع كثير منهم ممن لا يوبه لهم مع قلة العدد

وضعف المدد لرؤساء الناس وأقويائهم مع طول مكثه بينهم منابذا لهم

مناديا عليهم بأن دينكم يمحق ودينى يظهر وإن كرهتم^{١٣} - من خوارق

العادات وبواهر الآيات تصديقا لقوله تعالى " كتب الله لاغلبنا انا ورسلى " ١٥

" و ان جندنا لهم الغالبون " ١٦ - فى أمثال ذلك .

(١) فى ظ : التقيير (٢) من ظ ، وفى الأصل : التسبب (٣) فى ظ : فيعادوا .

(٤) زيد ولا بد منه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : الا - كذا .

(٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ : تعالى (٩) فى ظ : سنة (١٠) من ظ ، وفى

الأصل : كرهتهم (١١) سورة ٥٨ آية ٢١ (١٢) سورة ٢٧ آية ١٧٣ .

ولما قرر هذا، أتبعه بمقالة لهم تدل على تعظيمهم وتكبرهم^١ فقال عاطفا على "واقسموا بالله جهد ايمانهم" تعجيبا^٢ من حالهم فيما زين لهم^٣ من ضلالهم^٤، و تصديقا لما تقدم من الإخبار بأنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية إلا أن يشاء الله، وتحقيقا لما في الآية السابقة من مكرهم لغيرهم وعوده على أنفسهم: ﴿واذا جاءتهم﴾ أى الكافرين من أكابر المجرمين و أتباعهم ﴿آية قالوا﴾ حسدا لمن خصه الله بالنبوة لكونهم أكابر مؤكدين للنبي^٥ [لما للمعجزات الانبياء عليهم السلام من العبر الموجب لظن الإذعان لأعنى أهل الكفران - ^٦] ﴿لن تؤمن﴾ أى أبدا ﴿حتى توتى﴾ لما لنا من العلو^٧ والعظمة المقتضية لأن لا يختص أحد عنا ١٠ بشئ. ﴿مثل ما﴾ .

ولما كان نظرهم مقصورا على عالم الحس من غير نظر إلى جانب الله لكونه غيبا بنوا للفعول قولهم: ﴿اوتى رسل الله^٨﴾ يجوز أن يكون المراد: حتى يوحى إلينا لئلا نكونوا أعظم منا كما قال تعالى "بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة"^٩ و كما^{١٠} تقدم فى أول ١٥ / ٢٤٨ / السورة عن أبى جهل أنه قال: تنازعنا نحن^{١١} و بنو عبد مناف الشرف حتى إذا كنا كفرسى رهان^{١٢} قالوا: من أنبى^{١٣} يأتيه الوحى من السماء،

(١) فى ظ: تنكيرهم (٢) فى ظ: تعجيبا (٣ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ.
(٤) من ظ، وفى الأصل: لما (٥) فى ظ: السابقة (٦) من ظ: وفى الأصل:
بالتنى (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: العلوم (٩) سورة ٧٤ آية ٥٢ .
(١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ: رهبان (١٢) من ظ و البحر ٢١٦/٤، وفى
الأصل: بشئ. - كذا .

ويحك! متى ندرك هذا^١ والله لا تؤمن به أبدا. وأن يكون المراد إتيانه صلى الله عليه وسلم بمثل^٢ آيات الأولين من شق البحر واليد والعصا وإحياء الموتى ومحوها. [وسمهم تزيلا واستهزاء. وعبروا بالجلالة إشارة إلى القدرة "تامة فلا عذر - ٢"] .

ولما ذكر اسم الجلالة إيدانا بعظيم ما اجتروا^٣ عليه لعاهم - بما طمس ه على أنوار قلوبهم من ظلمات الهوى - عما للرسول من الجلال الذي يخضع له شوامخ^٤ الأنوف. أعادها أيضا تهويلا للأمر وتنديها على ما هناك من عظيم القدر^٥، فقال ردا عليهم فيما تضمن قولهم [من - ٢] دعوى العلم بالحكمة والاعتراض على الله عز وجل: ﴿الله﴾ أى بماله من صفات الكمال ﴿اعلم﴾ أى من كل من يمكن منه علم ﴿حيث يجعل﴾ ١٠ أى يصير عما يسبب من الأمور ﴿رسالته^٦﴾ أى كلها بالنسبة إلى كل فرد من أفراد الخلق فهو لا يضيع شيئا منها بالتشهى .

ولما كشف هذا النظم عن أنهم اجتروا^٣ عليه، وأنهم أصروا على أقبح المعاصي الكفر. لا لطلب الدليل بل لداء الحسد؛ تافت^٧ النفس إلى معرفة ما يحل بهم فقال جوابا: ﴿سيصيب﴾ أى بوعده لا خلف فيه، ١٥

- (١ - ١) فى الأصل: متى يدرك هذه، وفى ظ: متى ندرك هذه (٢) من ظ، وفى الأصل: مثل (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى الأصل وظ: أخبروا. (٥) زيد بعده فى ظ: النفوس (٦) من ظ، وفى الأصل: القدرة (٧) كذا قرأ أكثر السبعة بالجمع، وأما مصاحفنا فبالإفراد (٨) من ظ، وفى الأصل: لا يضيع. (٩) من ظ، وفى الأصل: أخبروا (١٠) من ظ، وفى الأصل: تأتب - كذا .

وأظهر وضع الإضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الذين أجمعوا﴾
 أى قطعوا ما ينبغي أن يوصل ﴿صغار﴾ [أى رضى بالذل لعدم
 الناصر - ١] ؛ ولما كان الشيء تعظم بعظمة محله و من كان منه ذلك
 الشيء قال^٢: ﴿عند الله﴾ أى الجامع ؛ لصفات العظمة ﴿وعذاب﴾
 هـ أى مع الصغار ﴿شديد﴾ أى فى الدنيا بالقتل والحزى وفى الآخرة
 بالنار ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿كانوا يمسكونه﴾ .

ولما تقدم أنه تعالى أعلم بمن طبع على قلبه فلا ينمك عن
 الضلال ، ومن يقبل الهداية فى الحال أو المآل^٣ ، وأن مكر المجرمين
 إنما هو بارادته و نافذ قدرته ، علم أن الأمر أمره ، و القلوب بيده ،
 ١٠ فتسبب عن ذلك قوله : ﴿فمن يرد الله﴾ أى الذى له جميع الجلال
 والإكرام ﴿أن يهديه﴾ أى يخلق الهداية فى قلبه من أكابر المجرمين
 أو غيرهم ﴿يشرح صدره﴾ أى يوسعه بأن يجعله مهيبا قابلا بالنور
 ﴿للاسلام ج﴾ قال الإمام أبو جعفر النحاس : روى أن عبد الله بن مسعود
 رضى الله عنه قال : يا رسول الله ! وهل ينشرح الصدر ؟ فقال : نعم ،
 ١٥ يدخل القلب نور ، فقال : وهل لذلك من علامة ؟ فقال صلى الله عليه
 وسلم : التجافى عن دار الغرور^٤ و الإنابة إلى دار الخلود و الاستعداد

(١) زيد ما بين الحاسزين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : تعظيم (٣) من
 ظ ، وفى الأصل : فقال (٤) من ظ ، وفى الأصل : جامع (٥) فى ظ : المثال .
 - كذا (٦) فى ظ : خلق (٧) زيد بعده فى الأصل : فقال وهل لذلك من
 علامة ، ولم تكن الزيادة فى ظ ولا فى تفسير الطبرى حيث سقت هذه
 الرواية لحذفها .

للموت قبل الموت، وفي رواية: القوت (و من يرد) أى الله،
ولم يظهر هنا إشارة إلى أن الضلال على مقتضى الطبع (ان يضلّه)
أبى يخلق الضلال ويدبمه في قلبه (يجعل صدره) أى الذى هو
مسكن قلبه الذى هو معدن الأنوار (ضيقا حرجا) أى شديد الضيق
فيكون^٢ مرتجسا أى مضطربا، روى أن عمر رضى الله عنه أحضره
أعرايا من كنانة من بنى مدلج فقال له: ما الحرجة؟ فقال: شجرة لا تصل
إليها، وحشية ولا راعية، وساق البغوى القصة^٣ و لفظه: وقال: الحرجة
فيها الشجرة تكون^٤ بين الأشجار [التى -^٥] لا تصل إليها راعية ولا وحشية
ولا شيء - ثم اتفقا - فقال عمر رضى الله عنه: كذلك قلب الكافر^٦
لا يصل إليه شيء من الإيمان والخير؛ زاد البغوى: قال سيويه: ١٠
الحرج - بالفتح المصدر^٧، ومعناه: "ذا حرج"، وبالكسر الاسم
وهو أشد الضيق، وقال المهدى: هنا الحرج الشديد الضيق وقد تقدم
القول فيه، وقال فى النساء فى قوله تعالى "ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا
مما قضيت"^٨ أى ضيقا، وإلى هذا المعنى يرجع قول مجاهد: إنه الشك،
وقول الضحاك: إنه الإثم، كأنه ضيق شك^٩ أو ضيق إثم؛ وقال ١٥

(١) زيد فى الطبرى: ان ينزل (٢) فى ظ: سكن (٣) فى ظ: فيصير، والعبارة من
هنا إلى «مضطربا» تقدمت فيه على «وفى رواية» (٤) سقط من ظ (٥) من
ظ ومعالم التنزيل - راجع الحازن ١٥٠/٢، وفى الأصل: يكون (٦) زيد من
المعالم (٧) من ظ والمعالم، وفى الأصل: قليل - كذا (٨) فى المعالم: المناق. .
(٩) زيد فى المعالم: كالمطلب (١٠ - ١١) من المعالم، وفى الأصل: اخرج .
(١١) آية ٦٥ (١٢) فى ظ: يشك .

النحاس^١: "حرجا بما قضيت" أى شكا وضيقا، وأصل الحرج الضيق - انتهى . وتحقيق ذلك أن الآية هنا فيها - بعد التأكيد بالإتيان بصيغة فعل^٢ دون فاعل - تأكيد آخر إما / بالمصدر أو باسم الفاعل ، فأفاد زيادة على أصل الفعل وهى الشدة فيه ، فعنى الفتح : ضيقا - بكسر الضاد وإسكان [الياء - ٣] ، ومعناه - إن كسرت حرجا - ضيقا باعادة اسم الفاعل ، ومادة 'حرج' بخصوص^٣ هذا الترتيب تدور على المكان الضيق الكثير^٤ الشجر ، ويلزمه الشخص^٥ على وجه الأرض والارتفاع والجمع والمنع و الشدة والحيرة والحر والبرد . وهى - بأى ترتيب كان وهى خمسة : حرج جحر^٦ رجح حجر^٧ جرح - تدور على الحجر الذى هو الجسم المعروف ، ويلزمه الثقل^٨ والمنع والحدة والشخص والصلابة التى هى القسوة ويلزمها الضيق ، فيرجع إلى الصلابة الحرج^٩ بمعنى الضيق ، والحرجة للغيضة ، والحرج للقلادة من الودع^{١٠} ، والحرجوج للريح الشديدة الباردة ، والناقة الحرجوج للوقادة القلب . ويجوز رجوعها إلى الحدة ، والجرح لسرير الموتى لضيق الصدر من ذكره ، وضيقه

/ ٢٤٩

(١) من ظ ، وفى الأصل : النحاسى (٢) فى ظ : فعل (٣) زيد من ظ (٤) تكرر فى الأصل (٥) من ظ ، وفى الأصل : بخصوص من (٦) من ظ ، وفى الأصل : الكبير (٧) فى ظ : الخصوص (٨) فى ظ : حجر (٩) فى ظ : حجر - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : النقل (١١) من ظ وتاج العروس ، وهو خرز يعلق فى العنق ، وفى الأصل : الردع - كذا .

عن أسرة الأحياء ، ومنه أيضا جحر الضب ونحوه للثقب المحتفر في الأرض ، ويرجع إلى الثقل^١ الحرج بمعنى الإثم ، وينشأ^٢ عن ذلك البعث^٣ المفضى إلى الحيرة ، ومنه خرجت عينه ، أى حارت فلا تطرف^٤ ، ويلزم الثقل^٥ أيضا الجرح بمعنى الطعن النافذ في البدن ، ومن ذلك اجترح - إذا اكتسب مالا ، لأنه من آثاره ، ومنه الرجحان بمعنى الثقل ، هـ والحكم^٦ الراجح الذى يوجب رزاة صاحبه ، ومنه الأرجوحة لأن كلا من طرفيها يرجح بالآخر ، ويرجع إلى المنع^٧ الحجر بمعنى العقل وبمعنى الحضيض^٨ والحرام والفرس^٩ الأثى لأنها قد تمنع من الركوب للحمل أو الولد ، والحجر فى المال ، والحجرة للناحية القريبة لأن الشئ إذا بعد عنك - ولو قدر باع - امتنع منك ، وكان التأنيث فيه لقربه^{١٠} ، ويرجع ١٠ إلى الشخص^{١١} الحرج للناقة الطويلة ؛ وقال الإمام أبو الفتح ابن جنى " رحمه الله فى كتابه " المحتسب فى توجيه القراءات الشواذ " عند قوله تعالى فى هذه السورة " وحرث حرج " " فيمن قرأ بتقديم الراء : إن جميع تراكيب هذه المادة الخمسة تلتقى معانيها فى الضيق والشدة والاجتماع ، وإذا أنعمت النظر و تركت^{١٢} الملل والضجر وجدت الأمر " كما قال ١٥

- (١) من ظ ، وفى الأصل : النقل (٢) من ظ ، وفى الأصل : نشأ (٣) فى ظ : الثقب (٤) من ظ والقاموس ، وفى الأصل : فلا يطوف (هـ) من ظ ، وفى الأصل : الحلم (٦) فى ظ : النعم (٧) من ظ والقاموس ، وفى الأصل : الحضيض (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) فى ظ : لقربة (١٠) من ظ ، وفى الأصل : النحوص (١١) هو عثمان بن جنى النحوى (١٢) راجع آية ١٣٨ . (١٣) من ظ ، وفى الأصل : تركب (١٤) من ظ ، وفى الأصل : الامام - كذا .

- والله أعلم - نحو الحجر واستحجر الطين والحجرة 'و بقيته، وكله' إلى التماسك والضيق ، ومنه الحرج للضيق^٢ والجرح مثله ، والحرجة ما التف من الشجر فلم يمكن دخوله ، ومنه الحجر وبابه لضيقه ، ومنه الجرح لمخالطة الحديد للحم وتلاحمه عليه ، ومنه رجح الميزان - لأنه مال أحد شقيه نحو الأرض فقرب منها وضاق ما كان واسعا بينه وبينها ، فان قلت : فانه إذا مال أحدهما إلى الأرض^٣ فقد بعد الآخر؟ قيل : كلامنا على الراجح والراجح هو الذى إلى الأرض ، فأما الآخر فلا يقال له : راجح ، وإذا ثبت ذلك - وقد ثبت - فكذلك قوله تعالى " و حرث حرج^٤ " فى معنى حجر ، معناه عندهم أنها ممنوعة محجورة لن يطعمها إلا من يسألون^٥ . أن يطعموه إياها بزعمهم - انتهى .

ولما كان صاحب هذا الصدر لا يكاد^٦ الهداية تصل إليه ، وإن وصل إليه شيء منها على لسان واعظ ومن طريق مرشد ناصح لم يجد مسلكا فنكصت ، وهكذا لا تزال فى اضطراب وتردد أبدا ؛ كانت ترجمته قوله : (كأنما يصعد) أى يتكلف هذا الشخص فى قبول الهداية الصعود^٧ (فى السماء) فى خفاء حياء من مراوالة ما لا يمكن ، بما أشار^٨ إليه قراءة من أدغم التاء فى الصاد ، فكلمة أصدته حركته الاختيارية أهبطته

(أ - ١) من ظ ، وفى الأصل : نفسه وكل - كذا (٤) سقط من ظ (هـ) من ظ ، وفى الأصل : لمخالطة - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : يلاحمه (٧) فى ظ : الآخر وضى - كذا (د) من ظ ، وفى الأصل : يجرح (هـ) من ظ ، وفى الأصل : لا يزال (١٠) فى ظ : اشارت .

حركته الطبيعية^١ القسرية ، كما نرى بعض الحشرات يحمل شيئا ثقيلًا
ويصعد به في جدار أملس ، فيصير بتكاف ذلك فيقع ، ثم يتكلف
الصعود أيضا وربما وصل إلى مكانه الأول وسقط ، وربما سقط دونه ،
فهو مما^٢ يتمتع عادة ، فلا يزال مرتجسا أى مضطربا وجميع الاضطراب
عقبه بما / بعده كما يأتي .

٢٥٠ / ٥

ولما كان ما وصف به صدر الضال مما ينفر منه ، وكان^٣ الرجس
في الأصل^٤ لما يستقدر ، والمستقدر ينفر منه ، وكان هذا الكلام ربما آثار
سؤالا ، وهو أن يقال^٥ : هل هذا - وهو جعل الضال على هذه الصفة -
خاص بأهل هذا الزمان ، أجيب بما حاصله : لا ، (كذلك) أى مثل
ما جعل الله الرجس على [من - ^٦] أراد ضلاله من أهل هذا الزمان ١٠
(يجعل الله) أى بما له من القدرة التامة والعظمة الباهرة (الرجس)
أى الاضطراب والقدر (على الذين لا يؤمنون هـ) من أهل كل زمان
لإرادته سبحانه دوام ضلالهم ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا الضلال
دليلا على حذفه ثانيا ، وذكر الرجس ثانيا دليلا على حذفه أولا ، والآية
نص في^٧ أن الله يريد هدى المؤمن وضلال الكافر .

١٥

ولما ذكر ما ألزمه لأهل الضلال بلفظ ما يستقدر ، كان في غاية
الحسن تعقبه بالصراط ، فانه بما يعشق لاستقامته وإضافته إلى الرب الذى

(١) من ظ ، وفى الأصل : الطبيعة (٢) فى ظ : فيما (٣-٤) سقط ما بين الرقين
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : سولا (٥) من ظ ، وفى الأصل : تعالى .
(٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .

له - مع استجماع الكمالات كلها - صفة العطف و الإحسان و اللطف ،
و إضافة الرب إلى هذا الرسول الذى ' يعشق خلقه و خلقه كل من يراه
أو يسمع به ، و أحسن من ذلك و أمين أن مادة 'رجس' تدور على
الاضطراب المزوم للعوج المزوم للضلال المانع من الإيمان ، فلما مثل
ه سبحانه حال الضال بحال المضطرب ، و ' أخبر أنه ألزم هذا الاضطراب
كل من لا يؤمن ، أتبعه وصف سيئه بالاستقامة التى هى أبعد شيء عن
الاضطراب المزوم للعوج ، و كان التقدير : فهذه حال أهل الضلال ،
فعطف عليه قوله : ﴿ وهذا ﴾ أى ' الذى ذكرناه من الشرائع الهادية
فى هذا القرآن التى ختمناها بأن المادى المضل هو الله وحده ، لا الإتيان
١٠ بالمقترحات و لوجاهت كل آية ﴿ صراط ﴾ أى طريق ﴿ ربك ﴾ أى
المحسن إليك حال كون هذا الصراط ﴿ مستقيماً ﴾ أى ' لا عوج فيه
أصلاً ، بل هو على منهاج الفطرة الأولى التى هى فى أحسن تقويم
بالعقل ' السليم الذى لم يشبه ' هوى و لم يشبه ' خلل فى أن الأمر كله
' بيد الله ' لكيلا يزال الإنسان خائفاً من الله و راجياً له لأنه القادر على
١٥ كل شيء ، و أما غيره فلا قدرة له إلا بتقديره لأنه خلق ' القوى و القدر
عندنا و عند المعتزلة ، فلتكن الجزئيات كذلك لأن الخلق لا يتصور
بغير علم ، و ليس غير الله محيط العلم ؛ قال الإمام : فالآية التى قبلها من
المحكمات ، فيجب إجراؤها على ظاهرها ، و يحرم التصرف فيها بالتأويل .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بالفعل (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم يشبه .
(٤-٤) فى ظ : به (٥) فى ظ : الخالق .

ولما كان جميع ما في هذا الصراط على منهاج العقل ليس شئ^٥
 [منه - ^١] خارجا عنه^٢ وإن كان فيه بما لا يستقل بأدراكه العقل ،
 بل لا بد له فيه من إرشاد الهداة^٣ من الرسل الآخذين عن الله ، قال مينا
 لمدحه مرشدا إلى انتظامه مع العقل : ﴿ قد فصلنا ﴾ أى غاية التفصيل
 بما لنا من العظمة ﴿ الأيت ﴾ أى كلها فضلا فضلا ؛ بحيث تميزت تميزا^٥
 لا يختلط واحد منها بالآخر ﴿ لقوم يذكرون ﴾ أى يجهدون أنفسهم
 فى التخلص من شوائب^٦ العوائق للعقل من الهوى وغيره - ولو على
 أدنى وجوه الاجتهاد بما يشير إليه الإدغام - لذكروا [أنه قال : ما من
 شئ ذكرناه إلا وقد أودعنا فى عقولهم شاهدا عليه .

ولما كان التذكر - ^١ [عند الآيات لا يكون إلا من أهل العناية ١٠
 فى طرق الهدايات ، قال مرغبا فى التذكر فانه سبب الفيض الإلهى على
 القلوب المهياة له : ﴿ لهم ﴾ أى المتذكرين ﴿ دار السلم ﴾ أى الجنة ، أضافها
 سبحانه إليه زيادة فى الترغيب فيها ، وخص هذا الاسم الشريف لأنه
 لا يلزمها شئ من عطب ولا خوف ولا نصب ؛ ثم زاد الترغيب فيها
 بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ أى [فى - ^١] ضمان المحسن إليهم و حضرة ١٥
 بما هيأهم له ويسره^٧ لهم ﴿ وهو ﴾ أى وحده ﴿ وليهم ﴾ أى المتكفل^٨
 بتولى أمورهم ، لا يكلفهم إلى أحد سواه ، وهذا يدل على قربهم منهم ،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : منه (٣) فى ظ : الهداية (٤) سقط
 من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : تميزا (٦) فى ظ : شوايق - كذا (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : سيره (٨) فى ظ : التكلف .

و العندية تدل على قريهم منه لما^١ شرح / من صدورهم بالتوحيد ؛
 و لما كان ذلك ربما قصر^٢ على التذكر . بين أن المراد منه التأدية إلى
 الأعمال فانها معيار الصدق^٣ و ميزانه فقال : ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما
 ﴿ كانوا ﴾^٤ أى كما جبلهم عليه ، فما كان ذلك إلا بفضلهم ﴿ يعملون ﴾^٥
 ٥ ولما فصل سبحانه أحوال الفريقين ، و حض على التذكر^٦ تنبيها على
 أن كل ما فى القرآن مما يهدى إليه العقل ، و ذكر مآل^٧ المتذكرين فأفهم
 أن غيرهم إلى عطب ، لأنهم تولوا ما يضرهم لأنهم تبعوا شهواتهم ، و كان
 من المعلوم أنهم يعبدون^٨ غير مالكهم ، وأنه ما من عبد يخدم غير سيده
 بغير أمر سيده إلا عاتبه أو^٩ عاقبه ، هذا مركوز فى كل عقل ؛ ذكر سبحانه
 ١٠ ما يتقدم ذلك المآل^١ من الأحوال فى^{١٠} الآجل المسمى الذى أخفاه
 عنده و جعله من أعظم مباني^{١١} هذه السورة ، و أبهمه [فى -^{١٢}] أولها ،
 و بين فى^{١٣} أثنائها بعض^{١٤} أحواله مرارا فى وجوه من أفانين اليبان ،
 و هو يوم الحشر ، فذكر هنا سبحانه بعض^{١٥} أحوال الغافلين [و بعض -^{١٦}]
 ما يقول لهم فيه و ما يفعله معهم من عتاب و عقاب ،^{١٧} لطف بهم^{١٨}
 ١٥ و استعطافا إلى المتاب ، فقال جامعا الفريقين : ﴿ و يوم ﴾ أى اذكر فى
 (١) فى ظ : بما (٢) فى ظ : تصبر (٣) فى ظ : الصدر (٤-٤) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : التذكير (٦) فى ظ : حال (٧) فى
 ظ : يعتدون (٨) فى ظ ه و (٩) فى ظ : المثال (١٠) فى ظ : من (١١) فى
 ظ : معاني (١٢) زبد من ظ (١٣) سقط من ظ (١٤-١٤) فى ظ :
 لطيفهم - كذا .

تذكرك يوم ﴿نحشرهم﴾ أى أهل ولايتنا وأهل عداوتنا ﴿جميعاً﴾
لا نذر منهم أحداً ﴿يا^٢﴾ أى فنقول على لسان من نشاء من جنودنا لأهل
عداوتنا تبكيتنا وتويخنا حين لا يكون^٣ لهم مدافعة أصلاً : ﴿معشر الجن﴾
أى [المستترين الموحشين من -^٤] مردة الشياطين المسلطين على الإنس ،
وهم يرونهم من حيث لا ترونهم^٥ ﴿قد استكثرتم﴾ أى [طلبتم -^٦]
و أوجدتم^٧ الكثرة ﴿من الانس﴾ أى من إغواء^٨ المؤمنين الظاهرين -^٩
حتى صار أكثرهم أتباعكم ، [فالآية من الاحتباك : عبر بما يدل على
الستر أولاً دلالة على ضده - وهو الظهور - ثانياً ، وبما معناه الاستثناس
و السكون ثانياً دلالة على ضده - وهو الإيجاش و النفرة - أولاً -^{١٠} .
﴿ وقال ﴾ هو عطف على جواب الجن المستتر^{١١} [عن -^{١٢}] العامل فى ١٠
"بمعشر" الذى تقديره كما يهدى إليه الآيات [التى -^{١٣}] تأتى^{١٤} فى
السورة الآتية فى تفصيل هذه المحاورة : فقالوا : ربنا هم ضلوا ، لأنهم^{١٥} كانوا
يستمتعون بنا فى نفوذهم و سماعهم الأخبار الغريبة منا ، فاستوجبوا العذاب
بمفردهم ، و ستر جواب الجن لأنه - مع كونه لا يخفى لدلالة المعطوف عليه -
مناسب لحالهم فى الاستتار مع شهرتهم ، [و ذكره -^{١٦}] بلفظ الماضى ١٥
إشارة الى تحقق وقوعه ، لأنه خبر من لا يخلف الميعاد ، و المراد بهذه المحاورة
ضرب مما يأتى تفصيله بقوله^{١٧} "قالت اخرنهم لاولئهم ربنا هؤلاء اضلونا"^{١٨} -

(١) و قراءة حفص بالغيبة (٢) تقدم فى الأصل على «معشر الجن» و الترتيب من
ظ (٣) فى ظ : لا تكون (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا يرونهم .
(٦) من ظ ، وفى الأصل : جدتم (٧) من ظ ، وفى الأصل : اغوايهم (٨) فى ظ :
السبب (٩) من ظ ، وفى الأصل : يأتى (١٠) سقط من ظ (١١) سورة ٧ آية ٣٨ .

الآية، وقوله " فقال الضعفوا^١ للذين استكبروا^٢ انا كنا [لكم -^٣ تبعا -

الآية (اوليؤم) أى الجن (من الانس) [أى -^٢] الذين تولوهم بالاتباع والطاعة فيما دعوهم إليه من الضلال ، معترفين مستعطفين (ربنا) [أيها الرب لنا المحسن إلينا -^٢] (استمتع) أى طلب المتاع ٥ وأوجده (بعضنا ببعض) نخز بهم فيما قالوا ، وهم بنا فى طاعتنا لهم وعيادنا بهم (وبلغنا) أى نخز وهم (اجلنا) وأحالوا الأمر على القدر فقالوا : (الذى اجلت لنا^٤) وهو الموت الذى كتبته علينا و^٥ سويت بيننا فى سوط قهره وتجرع كؤوس حرة^٦ وقره ، ثم هذا اليوم الذى كنا مشتركين فى التكذيب به ، فاستوجبنا العذاب كلنا .

١٠ ولما تم ذلك كان كأنه [قيل : فا -^٢] قال الله لهم بعد هذه المحاورة الغريبة التى^٧ هى ضرب من كلام أهل الباطن فى الدنيا للجلج مضطرب لا حاصل له ؟ ف قيل : (قال) أى المخاطب لهم عن^٨ الله (النار مثوكم) أى منزلكم جميعا من غير أن تنفعكم^٩ الإحالة على القدر (نخلدين فيها) أى إلى ما لا آخر له ، لأن الأعمال بالنية وقد كنتم ١٥ على عزم ثابت أنكم على هذا الكفر ما بقيتم ولو [إلى -^٢] ما لا آخر له ، فالجزاء من جنس العمل .

(١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) زيد من ظ والقرآن الكريم - سورة ١٤ آية ٢١ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : حالة (٥) فى ظ : او (٦) من ظ ، وفى الأصل : من - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : لكن (٨) من ظ . وفى الأصل : غير (٩) من ظ ، وفى الأصل : ينفعكم .

ولما كان [من - ١] المقرر أنه لا تمام لملك من يحجب عليه شيء وبلزومه بحيث لا يقدر على^٢ الاتفكاك عنه ، بين سبحانه أن ملكه ليس كذلك ، بل هو^٣ على غاية الكمال ، لا يحجب عليه شيء بل كل فعله جميل ، وجميع ما يبدو منه حسن ، فعلق دوام عذابهم على^٤ المشيئة فقال : ﴿ الا ما شاء ﴾
ولما كان القصد في هذه السورة إلى إظهار العظمة للغيرة على / مقام ٥ / ٢٥٢ / الإلهية ، عبر بالاسم الأعظم فقال : ﴿ الله^٥ ﴾ أى الذى له رداء الكبير فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه ولا أن يهجم بذلك ، هيهات هيهات ! انقطعت ديون ذلك الآمال ، فظلت^٦ ناكسة أعناق الرجال ، ويده إزار العز ، فمن اختلج في سره أن يرفع ناكس عنقه ضربه بمقامع الذل :
وأنزله في مهاوى الخزي ، وقد تقرر أنه سبحانه لا يشاء انقطاع شيء ١٠ من ذلك عنهم في حال من الأحوال ، ونطق الكتاب بذلك في ضرائح الأقوال ، وفي سوره معلقا هكذا مع ما تقدم زيادة في عذابهم بتعليق رجائهم من انقطاع بلائهم بما لا مطمع فيه .

ولما كان في إظهار الجلال في هذا الحال من عظيم الأحوال ما لا يسمعه المقال ، أتبعه اللطف بالمخاطب^٦ به صلى الله عليه وسلم فقال^٢ : ١٥ .
﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك برفع أوليائك وخفض أعدائك .

ولما كان السياق - في مثل هذه المقالة في مجمع الحكم - للحكمة والعلم ، وكان النظر إلى الحكمة في تنزيل كل شيء منزله أعظم ، قدم

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : عن (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : في (٥) في ظ : وظلت (٦) من ظ ، وفي الأصل : بالمحاطف - كذا .

وصفها فقال: ﴿حَكِيم﴾ أى فلا يعذب المخلص و يترك المشرك
و لا يعذب بعض من أشرك و يترك بعضا ﴿عليم﴾ أى بدقائق الأمور
و جلالها من الفريقين ، فلا يخفى عليه عمل أحد فيهمله لذلك .

و لما استبان بهذا أنه ولى الكفرة من ظالمى الجن ظالمى الإنس
٥ و سلطهم عليهم ، أخبر تعالى أن هذا عمله مع كل ظالم من أى قبيل كان
سواء كان كافرا أو لا فقال: ﴿و كذلك﴾ أى و مثل تلك التولية
التي سلطنا بها الجن على الإنس بما زاد عذاب الفريقين ﴿تولى﴾ أى
تبع فى جميع الأزمان من جميع الخلق ﴿بعض الظالمين﴾ أى الفريقين
فى الظلم ﴿بعضا﴾ أى بأن نجتمع بين الأشكال ، فى الأوصاف الباطنة
١٠ و الحاصل ، و نسلط بعضهم على بعض فى الضلال و الإضلال ، و الأوجاع
و الإنكال ﴿بما كانوا﴾ ببجلاتهم ﴿يكسبون﴾ أى بسبب اجتماعهم
فى الطباع التي طبعناهم عليها يجتمعون و ينقاد بعضهم لبعض ، بحسب
ما سببنا من الأسباب الملائمة لذلك الظلم الذى يسرناه لهم ، حتى صارت
أعمالهم كلها فى غير مواضعها ، فيظلم بعضهم بعضا و يهلك بعضهم بعضا ،
١٥ و هم لا يزدادون إلا الالتئام حتى يستحق الكل ما كتبنا لهم من

عذاب ؛ روى الطبرانى فى الأوسط عن جابر رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز و جل يقول : أنتقم من^١

- (١) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٢) تأخر فى الأصل عن « فى الظلم » والترتيب
من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يجمع (٤) من ظ ، و فى الأصل : الذى .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : التيام (٦) فى ظ : بمن .

أبض بمن أبض ثم^١ أصبر كلا إلى النار . وعن مالك بن دينار^٢ قال :
 رأيت^٣ في بعض كتب الله المنزلة أن الله تعالى يقول : ألقى أعدائي بأعدائي
 ثم أفتيهم^٤ بأوليائي . أو^٥ يقال : فقد أخبرنا أن الله عز وجل^٦ ولي المؤمنين
 بسبب محاسن أعمالهم ، ومثل ما ولاهم ليعزم يولي بعض الظلمة بعضا
 ليهينهم بسبب ما كانوا يتعاطونه [من مساوى الأعمال و ردئ الخلال ه
 وغث الخصال فيؤديهم إلى مهلك الأوجاع والأوجال ، أو يقال : فقد
 بان أن كلا -^٧] من ظالمى الإنسان والجن كان وليا لكل ، وكما
 جعلنا بعضهم أولياء بعض في الدنيا تفعل إذا حشرناهم في النار فتجعل
 بعضهم أولياء - أى أتباع - بعض^٨ ، ليستمتع بعضهم ببعض وينصر^٩
 بعضهم بعضا إن قدروا ، وهيئات منهم ذلك هيئات^{١٠} شغلهم البكاء والعويل
 والندم والتعجب .

ولما انقضت هذه المحاورة وما أتتجه من بغض الموالاتة والمجاورة
 وكان حاصلها أنها موالاتة من ضرت موالاته ، أتبعها سبحانه بمحاورة
 أخرى حاصلها معاداة من ضرت معاداته ، فقال مبدلا من الأولى^{١١} إتماما
 للتقريع والتوبيخ والتشنيع : (يمعشر الجن) قدمهم لأن السياق لبيان^{١٢}
 غلبتهم (والانس) و بكتهم بقوله محذرا للسامعين الآن ومستعظفا لهم

(١) من ظ ، وفي الأصل : من (٢ - ٢) من ظ ، وفي الأصل : قرأت (٣) في
 ظ : افتنهم (٤) من ظ ، وفي الأصل : « و » (٥) زيد بعده في الأصل : يقول ،
 ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٦) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٧) سقط
 من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : يبصر (٩) من ظ وفي الأصل : الاول .

إلى التوبة: ﴿الم ياتكم رسل﴾ ولما صار القيلان بتوجيه الخطاف
نجوم دفعة كالشيء الواحد قال: / ﴿منكم﴾ وإن كان الرسل من
الإنس خاصة .

[ولما كان النظر في هذه السورة إلى العلم غالبا لإثبات تمام القدرة
الذى هو من لوازمه بدليل "يعلم سرهم وجهكم"، "ليس الله باعلم
بالشكرين"، "وعنده مفاتيح الغيب" وغيرها، ولذلك أكثر فيها من
ذكر التفصيل الذى لا يكون إلا للعالم، كان القص - الذى هو تتبع الأثر -
أنسب لذلك فقال - ٢:] ﴿يقصون﴾ بالتلاوة و البيان لمواضع الدلائل
﴿عليكم أيتى﴾ أى يتبعون بالعلامات التى يحق لها بما لها من الجلال
١٠ والعظمة أن تنسب^٢ إلى مواضع شبهكم، فيحلونها [حلا - ٢] مقطوعا به
﴿و يذرونكم﴾ أى يخوفونكم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ أى بما قالوا لكم
أنه يطلبكم طلبا حثيثا وأنتم صائرون؛ إليه فى سفن الأيام و مراكب الآثام^٣
- وأنتم لا تشعرون - سيرا سريعا ﴿قالوا﴾ معذرين من أنفسهم بالذل
و الخضوع ﴿شهدنا﴾ بما فعلت بنا أنت سبحانه من المحاسن و ما فعلنا
١٥ نحن من القبائح ﴿على أنفسنا﴾ أى باتيان الرسل إلينا ونصيحتهم لنا
بدليل الآية الأخرى "قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين"^٤
و بين أن ضلالهم كان بأردأ الوجوه و أسخفها الدنيا، بحيث أنهم اغتروا
بها مع دناءتها^٥ لحصورها عن الآخرة مع شرفها لغياها فقال^٦: ﴿وغرتهم﴾
(١) فى ظ: بتوجه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل:
ينسب (٤) من ظ، وفى الأصل: سايرون (٥) فى ظ: الاثام (٦) سورة ٣٩
آية ٧١ (٧) فى ظ: ردايها (٨) سقط من ظ .

أى شهدوا هذه الشهادة و الحال أنهم قد غرتهم (الحياة الدنيا) أى الحاضرة عديم إذ ذاك الدنية^١ فى نفسها لفنائها، عن اتباع الرسل دأب الجاهل فى الرضى بالدون^٢ و الدابة فى القناعة بالحاضر، فشهادتهم ضارة بهم، و لكن لم يستطيعوا^٣ كتمانها، بل (و شهدوا) أى فى هذا الموطن من مواطن القيامة الطوال (على أنفسهم) أيضا بما هو أصرح^٤ فى ه الضرر عليهم من هذا، و هو (أنهم كانوا) جيلة و طبعا^٥ (كفرين) أى غريقين فى الكفر، و يجوز أن يكون الفرور بأنهم ظنوا^٦ أحوال الآخرة تمشى على ما كانوا بالقونه فى الدنيا من أن الاعتراف^٧ بالذنب و التكلم بالصدق قد ينفع المذنب و يكف من سورة المغضب^٨ حتى يترك العقاب و يصفح عن الجريمة، فلذلك شهدوا باتيان الرسل إليهم و إقامة^٩ الحجة عليهم، و شهدوا على أنفسهم بالكفر، فما زادهم ذلك إلا وبالا و حزنا و نكالا .

و لما ذكر سبحانه إقامة الحجة^{١٠} على الكافر فى المعاد بالرسل عليهم السلام، علل إرسالهم ترغيبا و حثا فى اتباعهم فى أيام المهلة بعد ترويب، و تنبيهها و إرشادا فى صاعد تخويف و تأديب فقال : (ذلك) أى الأمر^{١١} العظيم الجدوى هو أن أرسلنا الرسل (أن) أى لاجل أنه^{١٢} (لم يكن ربك) أى المحسن إليك بتشريف قومك (مهلك) أى ثابتا إهلاكه (القرى بظلم)

(١) فى ظ : الدنيا (٢) من ظ ، وفى الأصل : بالدور (٣) من ظ ، وفى الأصل : لم يستطيعوا (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصبح (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ . (٦) فى ظ : طلبوا (٧) من ظ ، وفى الأصل : الاغرار - كذا (٨) فى ظ : المغضب . (٩) زيد بعده فى ظ : عليهم (١٠) سقط من ظ .

أنى بسبب ظلم ارتكبه (و اهلها غفلون ه) أى ' غريقون فى الغفلة عما
يجب عليهم مما لا تستقل به عقولهم ، أى ' بما ركب فيهم من الشهوات
و غلب عليهم من اللذات ، فأوقف عقولهم عن نافذ المعرفة بما يراد بهم ،
فأرسلنا إليهم الرسل حتى ^٢ 'أيقظوهم من ' رقدتهم و أنبهوهم من غفلتهم ،
ه فصار تعذيبهم بعد تكذيبهم هو الحق الواجب و العدل الصائب ،
و يجوز أن يكون المعنى : مهلكهم ظالما ، فيكون المنى من الظلم ' كالمنى فى
قوله تعالى " و ما ربك بظلام للعبيد " ، و على الأول المنى ظلمهم .

و لما بين سبحانه أن لأحد الفريقين دار السلام ، و الآخر دار الملام ،
قال جامعاً للفريقين عاطفاً على قوله ه لهم دار السطم عند ربهم :
١٠ (و لكل) أى [عامل من - ٧] الفريقين صالح أو طالح [فى قبلى
الجن و الإنس - ٧] فى الدارين (درجت) أى يعليهم الله بها (بما)
أى من أجل ما (عملوا) و دركات يهويهم فيها كذلك .

و لما تقدم أنه تعالى لا يهلك المجرمين إلا بعد الإعذار إليهم ،
و تضمن ذلك إمهالهم ، و ختم أخوالهم بأنهم موضع ثبوت الغفلة و دوامها ،
١٥ نرى أن يسلم شيء من ذلك بجناب عظمتة على وجه أثبت ه له [ذلك - ٧]
إحاطة العلم بجميع أعمالهم فقال : (و ما ربك) أى المحسن إليك باعلاء
أوليائك و إسفال أعدائك ، و أغرق فى النسي لإثبات مزيد العلم فقال :

(١) زيد بعده فى ظ : اهلها (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى ظ : ايقظوا (٤) فى ظ :
الظلم (٥) سورة ١٤ آية ٤ (٦-٦) سقط ما بين الفريقين من ظ (٧) زيد من ظ :
(٨) فى ظ ه وة (٩) زيد بعده فى ظ بانه (١٠) من ظ ، وفى الأصل : يصمن .
(١١) فى ظ : ثبت (١٢) فى ظ : باعطاء .

(يغافل عما تعملون ^١) أى عن شئ يعمله أحد من الفريقين ، بل هو عالم بكل شئ ^٢ / من ذلك وبما يستحقه الكامل قادر على جزائه ، فلا يقع في وهم أن الإهمال لحفاء الاشحقاق بخفاء الموجب له ، [فالآية من النصوص في كتابة الصالحين من الجن = ٣] .

ولما كان طلب العبادة للاتهام والاشتهاء ربما ، أوهم الحاجة إليها . لنفع في الطاعة أو ضرر يلحقه سبحانه من المغصية ، و كان الإهمال مع المبالغة زبلا ظن أنه عن عجز ، قال مرغبا مرهبا : (وربك) أى المحسن إليك وإليهم بارسالك ، وحصر الخبر في المبتدئ بقوله : (الغنى) أى وحده الغنى المطلق عن كل غائب وعبادة ^٣ ، فليعمل العامل لنفع نفسه أو ضررها (ذو الرحمة ^٤) أى وحده بالإهمال والإرسال للتنبيه ^٥ على ما يستحقه من الأعمال ؟ ولما كان اختصاصه بالغنى أو الرحمة فلا رحمة إلا منه ولا غنى إلا عنه ، وأنه ما رتب الثواب والعقارب إلا رحمة منه وجودا ، استأنف بيان ذلك ^٦ ، [ر = ١] أخبر عن هذا المبتدئ بوصفية عند من جعلها وصفين بقوله مصرحا بما أفاداه ^٧ : (أن يشا يذهبكم) أى جميعا بالإهلاك ^٨ ، فلا يقع في ظن أحد منكم أن الإهلاك موقوف ^٩ على شئ ^{١٠} .

(١) هذا على قراءة ابن عامر ، وقرأ الباقون بالقيية (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ يوفى الأصل : أما (٥) في ظ و (٦) زيد بعده في الأصل : أوهم الحاجة إليها والإهمال إنما ، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفها (٧) في ظ : عبادة . (٨) من ظ ، وفي الأصل : ليتنبه (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقنين من ظ (١١) زيدت هو ولا مستقامة العبارة (١٢) من ظ ، وفي الأصل : أفاده (١٣) من ظ ، وفي الأصل : باهلاك .

غير مشيئة، ولكنه قضى بامهالككم إلى آجالكم رحمة لكم وإكراما لنيكم
صلى الله عليه وسلم؛ ثم قال تحقيقا لغناه أيضا: (ويستخلف) .

ولما كان لم يجعل لأحد الخلد، أدخل الجار فقال: (من بعدكم)

أى بعد هلاككم (ما يشاء) أى يبدع غيركم من الخلق من جنسكم
هـ [أو غير جنسكم - ٢] كما أبدع أباكم آدم من التراب والتراب من العدم
وفرعكم منه (كما أنشاكم من ذرية) أى نسل (قوم آخرين) أى
بعد أن أهلكهم أجمعين، وهم أهل السفينة وقد كنتم نطفًا في أصلابهم،
لم يكن^٢ فى واحدة^٣ منها [حياة - ٢] .

ولما تقرر أن له الوصفين الملزومين للقدرة^٤، أنتج ذلك قوله

١٠ جوابا لاستعجالهم بالعذاب استهزاء: (ان ما توعدون^٥) أى من
البعث وغيره (لأت^٦) أى لا بد من وقوعه لأن الموعد لا يبدل
القول لديه ولا كفوء له يعارضه فيه (وما آتكم بمعجزين^٧) أى بثابت
لكم الإتيان بشيء يعجز^٨ عنه الخصم، فتمهد الأمر من جهته ومن جهتكم
لوجود المقضى وانتفاء المانع، وفى ذلك تقرير لأمر رحمته لأن القادر
١٥ إذا أراد النعمة أخذ على غرة ولم يهدد، وإذا أراد الرحمة تقدم^٩
بالوعيد ليحذر الفائزون ويستسلم الخاسرون .

ولما تقرر ذلك من التهديد على إنكار البعث ونحرر، فأتج

(١) سقط من ظ (٢) إزید من ظ (٣-٢) فى ظ: لواحدة (٤) فى ظ: بالقدرة .
(٥) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل: تدعون - كذا (٦) فى ظ :
يعجزكم .

الاجتهاد للعاقل - ولا بد - ' في العمل ، و كان^٢ أكثر الخلق أحق^٣ ،
أمره سبحانه بالنصيحة بقوله : ﴿ قل يقوم ﴾ أى يا أقرب الخلق إلى وأعزهم
على^٤ ، و من لهم قيام في الأمور و كفاية عند المهمات ﴿ اعملوا ﴾
و أشار إلى مزيد القوة بعد التعبير بالقوم بحرف الاستعلاء فقال :
﴿ على مكاتكم ﴾ أى على ما لكم من القدرة على العمل و المكنة قبل أن ه
تأتى الدواهي و تسبكم القواصم بخفوق الاجل ، و فيه مع النصيحة
تخويف أشد مما قبله ، لأن تهديد الحاضر على لسان الغير مع الإعراض
أشد من مواجهته بالتهديد ، أى أنكم إن لم تقبلوا بذلك التهديد الأول كنتم
أهلا للإعراض و البعد .

و لما كان أدل شيء على النصيحة مبادرة الناصح إلى مباشرة ١٠
ما نصح به و دعا إليه ، قال مستأنفا أو معللا : ﴿ انى عامل ج ﴾ أى على
مكاتى و بقدر استطاعتي قبل الفوت بحادث الموت ، و يمكن أن يكون
متمحضا للتهديد ، فيكون المعنى : اعملوا بما أنتم تعملونه الآن من مخالفتي
بغاية ما لكم من القوة ، إلى كذلك أعمل فيما جئت به .

و لما كان وقوع المتوعد به سببا للعلم بالعاقبة ، [و كان السياق ١٥
لعدم تذكرهم و غرورهم و قلة فطنتهم - °] ، حسن إثبات الفاء في قوله :
[دون إسقاطها لأن الاستئناف يتعطف للسؤال فقال - °] : ﴿ فسوف
تعلون ﴾ أى يقع لكم بوعد لا خلف فيه العلم ، فكأنه قيل : أى علم ؟ قليل :

(١-١) في ظ : للعمل (٢) زيد بعده في ظ : في (٣) في ظ : احمق (٤) سقط
من ظ (٥) زيد من ظ .

﴿من تكون له﴾ كونا كأنه جبل عليه ﴿عاقبة الدار﴾ أي يبنى
و بينكم، وهذا في إثبات الفاء بخلاف ما في قصة شعيب عليه السلام
من سورة هود عليه السلام^٢ [في حذفها - ٢]؛ ولما كان التقدير جوابا
لما تقرر^١ من سؤا لهم: عاقبة الدار للعامل العدل، استأنف قوله:
﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ أي الغريقون في الظلم كائنين من كانوا،
فلا يكون لهم عاقبة الدار، فالآية من الاحتباك: ذكر العاقبة أولا دليل
على حذفها ثانيا، وذكر الظلم ثانيا [دليل - ٢] على حذف العدل أولا.
ولما تمت هذه الآيات من قبح طريقتهم في إنكار البعث وحسن
طريقة الإسلام على هذا الأسلوب البديع والمثال البعيد المثال^٣ الرفيع
١٠. وختمت^٤ بحال الظالم، شرع في تفصيل قوله "افغير الله اتخذ وليا فاطر
السموات والارض" على أسلوب آخر ابتدأه ببيان ظلمهم وجهالاتهم^٥
وأباطيلهم تنبيهها على سخافة عقولهم^٦ تنفيرا عنهم بوضعهم الأشياء في
غير مواضعها وإخراجها عن هيئتها له ونسبتها إلى من لا يملك شيئا
وقتل الأولاد وتسييب^٧ الأنعام وغير ذلك، فقال عاطفا على
١٥ "وجعلوا لله شركاء الجن": ﴿وجعلوا﴾ أي المشركون العادلون برهم
(١) سقط من إنظ (٢) راجع آية ٩٣ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل:
يقرر (٥) في ظ: في (٦) من ظ، وفي الأصل «و» (٧) من ظ، وفي
الأصل: المنازل - كذا (٨) في ظ: ختم (٩) من ظ، وفي الأصل: جهالتهم.
(١٠) من ظ، وفي الأصل: عقوله (١١) في ظ: لم يملك (١٢) من ظ، وفي
الأصل: سبب - كذا.

الأوثان ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ بما ذرأ ﴾ أى خلق وأنشأ وبث ولم يشركه فى خلقه أحد ﴿ من الحرث والانعام نصيبا ﴾ أى وجعلوا لشركائهم نصيبا ؛ ولما [كان - ٢] الجعل لا يعرف إلا بالقول ، سبب عنه قوله : ﴿ فقالوا ﴾ أى ٢ بالسنتهم بعد أن قالوا بافدتهم ﴿ هذا الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ بزعمهم ﴾ أى ادعائهم "باطل" ٥ و تصرفهم بكذب ادعائهم التخصيص بالله ، ولذا أسقط الزعم من قوله : ﴿ وهذا لشركائنا ﴾ أى وليس لهم سند فى هذه القصة إلا أهواؤهم . ولما كان هذا سفها بتسويتهم من لا يملك شيئا بمن يملك كل شئ ، بين من فعلهم ما هو أشد سفها منه بشرح ما لوح إليه التعبير بالزعم فقال مسيبا عن ذلك ومفرعا : ﴿ فما كان لشركائهم ﴾ أى بزعمهم ١٠ أنهم شركاء ﴿ فلا يصل الى الله ﴾ أى الذى هو المالك مع اتصافه بصفات الجلال والجمال ﴿ وما كان لله ﴾ أى على ما له من الكبر والعظمة والجلال والعزة ﴿ فهو يصل الى شركائهم ١ ﴾ فاذا هلك ما سموا لشركائهم أو أجذب وكثر ما لله قالوا : ليس لآلهتنا بد من نفقة ، فأخذوا ما لله فأنفقوه على آلهتهم ، وإذا أجذب الذى لله وكثر ما لآلهتهم قالوا : ١٥ لو شاء الله لأزكى الذى له ، فلا يردون عليه شيئا مما للآلهة .

ولما بلغ هذا غاية السفه قال : ﴿ ساء ما يحكون ٥ ﴾ أى حكمهم هذا أسوأ حكم ؛ ذكر الإمام أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى فى سيرته ٢ فى (١) من ظ ، وفى الأصل : ثبت (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : نفعة (٥) فى ظ : فأنفقوا (٦) واسمها الاكتفاء فى متازى المصطفى والخلفاء الثلاثة - راجع كشف الظنون .

وفد خولان أنه كان لهم صنم يسمى عم أنس ، . أنهم لما وفدوا على
النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا له أنهم كانوا يجعلون من أنعامهم وحروثهم
جزءا له وجزءا لله بزعمهم ، قالوا : كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه
فنسميه له ونسمى زرعاً آخر حجرة^١ لله عز وجل ، فإذا مالت الريح
بالذى سميناه الله جعلناه لعم أنس ، وإذا مالت الريح بالذى جعلناه لعم
أنس لم نجعله لله ، فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل
أزل عليه في ذلك "وجعلوا لله" - الآية ، قالوا : وكنا نتحاكم إليه فيتكلم^٢ ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الشياطين تكلمنكم ، قالوا :
فاصبحنا برسول الله وقلوبنا تعرف أنه كان لا يضر ولا ينفع ولا يدرى
١٠ من عبده ممن لم يعبد . وقال ابن هشام في مقدمه السيرة أنهم كانوا
يقسمون له ، فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذى سموه له
تركوه [له - °] ، وما دخل في حق الله من حق عم أنس رده عليه ،
قال : وهم بطن من خولان يقال لهم الأديم^٣ ، وقال عبد الرزاق في
تفسيره : أخبرنا معمر^٤ عن قتادة قال : كانوا يعزلون من أموالهم شيئا
١٥ فيقولون : هذا لله وهذا لأصنامهم ، فان ذهب شيء مما جعلوا لشركائهم

(١) في ظ : واسطة (٢) من السيرة الحلبية ٣/ ٣٢٨ ، أى ناحية ، وفي الأصل
و ظ : حجره (٣) من السيرة الحلبية ، وفي الأصل و ظ : فتكلم (٤) في ظ :
حصل (٥) زيد من سيرة ابن هشام ١/ ٢٨ (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٧) وقع في ظ : مجد - خطأ (٨) في ظ : كان .

يخالط شيئا مما جعلوه^١ رددوه ، وإن ذهب شيء مما [جعلوه لله يخالط شيئا مما جعلوه لشركائهم تركوه ، وإن أصابتهم سنة أكلوا مما جعلوا لله وتركوا ما^٢] جعلوا لشركائهم ، فقال عز وجل " ساء ما يحكمون " وقال / البغوى : كانوا يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيبا [وللأوثان نصيبا^٣] ، فما جعلوه لله صرفوه للضيفان والمساكين ، ه وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها ، فان سقط شيء مما جعلوه^٤ لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا : إن الله غنى عن هذا ، وإن سقط شيء من نصيب الأوثان فيما جعلوه لله رددوه إلى الأوثان وقالوا : إنها محتاجة ، و كان إذا هلك أو^٥ انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا^٦ به ، وإذا هلك أو^٦ انتقص شيء مما جعلوه للأصنام جبروه بما^٧ جعلوه لله^٨ .

ولما كان هذا متضمنا لأنهم نقصوا أموالهم بأنفسهم في غير طائل فجعلوها لمن لا يستحقها ، به تعالى على أن ذلك تزين^٩ من أضلهم من الشياطين من سدة الأصنام وغيرهم من الإنس ومن الجن المتكلمين من أجواف الأصنام وغيرهم ، فقال منبها على أنهم زينوا لهم ما هو أئين منه : ١٥ ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ما زين لجميع المشركين تضييع أموالهم والكفر بهم شركاؤهم ﴿ زين لكثير من المشركين ﴾ .

- (١) من ظ ، وفي الأصل : جعلوا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد من معالم اتزيل - راجع الخازن ٢ / ١٥٤ (٤) في ظ : حدودها (٥) من ظ والمعلم ، وفي الأصل : جعلوا (٦) في ظ « و » (٧) من ظ والمعلم ، وفي الأصل : لم يبالوا . (٨) زيد من ظ والمعلم (٩) في ظ : يزين .

و لما كان المزين لحسته أمل لأن لا يقبل تزيينه ولا يلتفت إليه ،
فكان امثال قوله غريبا ، و كان الإقدام على فعل الامر المزين أشد
غرابة ، قدمه تنبيها على ذلك فقال : (قتل اولادهم) أى بالوأة خشية
الإملاق و النحر لآلهمهم ، و شتان بين من يوجد لهم الولد و يرزقه و الرزق
و يخلقه و بين من لا يكون إلا سبيا فى إعدامه ؛ و لما كان فى هذا غابة
الغرابة تشوفت النفس إلى فاعل التزيين فقال : (شركاؤهم) أى و هم
أقل منهم بما يخاطبون به من أجواف الأصنام و بما يحسن لهم السدنة
و الأهوية بسبب الأصنام .

و لما كان هذا أمرا معجبا ، كان الأمر فى قراءة ابن عامر المولود^١
١٠ فى زمان النبي صلى الله عليه وسلم المشمول^٢ ببركة^٣ ذلك العصر الآخذ
عن جلة من الصحابة الموصوف^٤ بغزارة العلم و متانة الدين و قوة الحفظ
و الضبط و حجة النقل [فى - *] إسناد الفعل إلى الشركاء باضافة المصدر
إلى فاعله أعجب ، و فصل بين المضاف و المضاف إليه بالمفعول - و هو
الاولاد - لأن وقوع القتل فيهم كما تقدم أعجب .

١٥ و لما كان ذلك ربما كان لفائدة استهين لها هذا الفعل العظيم . ذكر أنه
ليس له فائدة إلا الهلاك فى الدنيا و الدين الذى هو هلاك فى الآخرة
يسكون ذلك أعجب فقال : (ليردوهم) أى ليهلكوهم هلاكا لا فائدة
فيه^٦ بوجه (ر ليلبسوا) أى يخلطوا و يشبهوا (عليهم^٧ دينهم^٨)
(١) من ظ ، و فى الأصل : المولد (٢) من ظ ، و فى الأصل : المشمولة (٣) فى
ظ : بنظر - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل :
تحت (٧) من ظ و القرآن الكريم ، و سقط من الأصل .

أى و هو دين إبراهيم الذى أمره الله بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام
فما أقدم عليه إلا بأمر الله ثم إنه فداه ولم يمض ذبحه ، يخالف هؤلاء
عن أمر الشركاء الأمرين معا فجمعوا لهم بذلك بين إهلاكين : فى النفس
والدين ، فإن القتل فى نفسه عظيم جدا ، و وقوعه تدينا بغير أصل
ولا شبهة أعظم ، فلا أضل ممن تبع من كان سببا لإهلاك نفسه و دينه . هـ
ولما كان العرب يدعون الأذهان الثاقبة و الأفكار الصافية والآراء
الصائبة و العقول الوافرة النافذة^١ ، ذكر لهم ذلك على سبيل التعليل
استهزاء بهم ، يعنى أنهم فعلوا ذلك لهذه العلة فلم يفتنوا بهم ولم يدركوا
ما أرادوا بكم مع أنهم حجارة ، فأنتم أسفل منهم ؛ ولما أثبت للشركاء
فعلا هو التزيين ، و كان قد نفى سابقا عنهم و عن سائر أعداء الأنبياء . هـ
الاستقلال به ، و أناط^٢ الأمر هناك - لأن السياق للأعداء - بصفة
الربوبية المقتضية للحياطة و العناية ، و كان الكلام هنا فى خصوص الشركاء ،
علق الأمر باسم الذات الدال على الكمال المقتضى للعظمة و الجبروت
و الكبر و سائر الاسماء الحسنى على وجه الإحاطة و الجلال فقال :
(ولو شاء الله) أى بما له من العظمة و الإحاطة بجميع أوصاف الكمال ١٥ / ٢٥٧
المقتضية للعلو عن الانداد^٣ و التنزه^٤ عن الشركاء و الأولاد أن لا يفعله
المشركون (ما فعلوه) أى ذلك الذى زين لهم ، بل ذلك إنما هو بارادته
و مشيئته احتراسا من ظن أنهم يقدرُونَ على شيء استقلالاً ، و تسليّة
(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ناط (٣-٢) من
ظ ، و فى الأصل : النبوة - كذا (٤) فى ظ : زينه .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخفيفاً ، وأكّد التّسليّة بقوله :
﴿ فذرهم وما يفترون ٥ ﴾ أى يقولون ^١ من الكذب ويتعمدون .

ولما ذكر إقدامهم على ما قبحه الشرع ^٢ ، ولأمله على تقييده العقل
من قتل الأولاد ، أتبعه إحجامهم عما حسنه الشرع من ذبح بعض الأنعام
لنفسهم ، وضم إليه جملة مما منعوا ^٣ أنفسهم منه ودانوا به لمجرد أهوائهم .
فقال : ﴿ وقالوا ﴾ أى المشركون سفهاً وجهاً ﴿ هذه ﴾ إشارة إلى قطعة
من أموالهم عينوها لأهلّتهم ﴿ انعام وحرث حجر ﴾ أى حرام محجور
عليه فلا يصل أحد إليه ، وهو وصف يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر
والمؤنث ، لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات ﴿ لا يطعمها ﴾ أى يأكل
١٠ منها ﴿ إلا من نشأ ﴾ أى من السدنة ونحوهم ﴿ بزعمهم ﴾ أى يقولهم بمجرد
الهوى من غير سند عن الله الذى له ملكوت السماوات والأرض ، وهم
كاذبون فى هذا الزعم فى أصل التحريم ^٤ وفى نفوذ المنع ، فلو أراد الله
أن تؤكل لا تكلت ولم يقدرُوا على منع ﴿ وانعام ﴾ .

ولما كان ذمهم على مجرد التجريم لا على كونه من معين ، بنى للجهول
١٥ قوله : ﴿ حرمت ظهورها ﴾ يعنى البحائر وما معها فلا تركب ^٥ ﴿ وانعام
لا يذكرن ﴾ أى هؤلاء المتقولون على الله ﴿ اسم الله ﴾ الذى حاز جميع العظمة
﴿ عليها ﴾ أى فى الذبح أو غيره ﴿ اقترأ ﴾ أى تعمدوا للكذب ﴿ عليه ﴾ .

(١) فى ظ : يقولون (٢) فى ظ : الشر (٣) فى ظ : نفَعُوا (٤) من ظ : وفى
الأصل : بمجرد (٥) من ظ : وفى الأصل : الجميع (٦) سقط من ظ (٧) من ظ :
وفى الأصل : لا يركب .

ولما كان هذا لعظمه من^١ جهة أنه تعمد للكذب على ملك الملوك
 [موضع-^٢] تشوف السامع إلى ما يكون^٣ عنه، استأنف^٤ قوله: (سيجزيهـ)
 أى بوعد صادق لا خلف فيه (بما) أى بسبب ما (كانوا) أى جيلة وطبعا
 (يفترونه) أى يتعمدون من الكذب، أما بعد إظهار الحق فواضح، وأما
 قبله فلكونه فى غاية ما يكون من ظهور الفساد. ولما ذكر من سفهمه
 ما فيه إقدام محض وما فيه إحجام خالص محت، أتبعه ما [هو-^٥] محتلط^٥
 منها فقال: (وقالوا) أى المشركون أو بعضهم وأقره الباكون (ما فى بطون
 هذه) [إشارة إلى ما اقتطعوه لآلهم، وبينوه بقولهم-^٦]: (الانعام) أى
 من الأجنة (خالصة) أى خلوصا لا شوب فيه، أنت للحمل على معنى
 الأجنة، أو تكون التاء للبالغة^٦ أو تكون^٧ مصدرا كالعاقبة^٧، أى ذو خالصة
 (لذكورنا)؛ ولما كان المراد العراقة فى كل صفة، أتى بالواو فقال: (ومحرم)
 وحذف الهاء إما حملا على اللفظ أو تحقيقا لأن المراد بـ "خالصة"
 المبالغة (على أزواجنا) أى إناثنا، وكأنه عبر بالأزواج بيانا لموضع السفه
 بكونهن شقائق الرجال، هذا إن ولد حيا (وإن يكن) أى ما فى بطونها
 (ميتة) وكأنه أثبت هاء التأنيث مبالغة، وأنت الفعل أبو جعفر
 وابن عامر وأبو بكر عن عاصم حملا على معنى "ما"، ورفع الاسم
 على التمام ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر، وذكر ابن كثير لأن

(١) من ظ، وفى الأصل: فى (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ، وفى الأصل:
 عن فاستأنف - كذا (٤) فى ظ: ظهر (هـ) من ظ، وفى الأصل: ختلط - كذا.
 (٦-٦) من ظ، وفى الأصل: وإن يكون (٧) فى ظ: مصدر كالعاقبة (٨) سقط
 من ظ (٩-٩) من ظ، وفى الأصل: وقع.

التأنيث غير حقيقى ، ونُصِبَ الباقون على جعلها ناقصة مع التذكير حملا على لفظ "ما" (فهم) أى ذكورهم وإناهم (فيه) أى ذلك الكائن الذى فى البطون (شركاء) أى على حد سواء .

ولما كان ذلك كله وصفاً منهم للأشياء فى غير مواضعها التى يحبها الله قال : (سيجزىهم وصفهم) أى بأن يضع العذاب الآليم فى كل موضع يكرهون وصفه فيه ، حتى يكون مثل وصفهم الذى لم يزالوا يتابعون الهوى فيه حتى صار خلقاً لهم ثابتاً فهو يريهم وخيم أثره ، ثم علل ذلك بقوله : (انه حكيم) أى لا يجازى على الشيء إلا بمثله ويضعه فى أحق مواضعه وأعدّها (عليهم) أى بالمثالة ومن يستحقها وعلى أى وجه / بفعل ، وعلى أى كيفية يكون أتم وأكمل ، وفى ذلك أتم إشارة إلى أن هذه الأشياء فى غاية البعد عن الحكمة ، فهو متعال عن أن يكون شرعها وهى سفة محض لا يفعلها إلا ظالم جاهل .

٢٥٨ / ١٠

ولما ذكر تعالى تفاصيل سفهمهم ، وأشار إلى معانيها ، جمعها - وصرح بما أثمرته من الخيبة - فى سبع خلال كل واحدة منها سبب تام فى حصول الندم^{١٥} فقال : (قد خسر) وأظهر فى موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف فقال : (الذين قتلوا) قرأها ابن عامر وابن كثير بالتشديد لإرادة^{١٦} التكثير والباقون بالتخفيف (أولادهم سفها) أى خفة إلى

(١) من ظ ، وفى الأصل : معنى (٢) فى ظ : أنوثتهم (٣) سقط ما بين الرقعتين من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : يتابعوا (٥) فى ظ : صفة (٦) سقط من ظ . (٧) من ظ ، وفى الأصل : جميعها (٨) فى ظ : أدم (٩) من ظ ، وفى الأصل : لأن .

الفعل المذموم و طيشاً، تؤزم الشياطين الذين يتكلمون على السنة
الاضنام أو سدتها إلى ذلك أزا .

ولما كان السفه منافياً لرزاة العلم الذى لا يكون الفعل الناشئ عنه
إلا عن تأن و تدبر و تفكر و تبصر، قال مصرحاً بما أفهمه: (بغير علم)
أى و أما من قتل^٢ ولده بيلم - كما إذا كان كافراً أو قاتلاً أو محضاً ه
زانيا - فليس حكمه كذلك ؛ و لما ذكر عظيم ما أقدموا عليه، ذكر جليل
ما أحجموا عنه فقال: (و حرّموا ما رزقهم الله) أى الذى لا ملك
سواه رحمة لهم، من تلك الأنعام و الغلات، بغير شرع و لا تقع بوجه
(افرآء) أى تعمداً للكذب^٣ (على الله^٤) أى الذى له جميع العظمة .

ولما كانوا قد خسروا ثلاث خسرات مع ادعائهم غاية البصر ١٠
بالتجارات: النفس بقتل الأولاد، و المال بتحريم ما رزقهم الله، فأفادهم
ذلك خسارة الدين، كانت نتيجة قوله: (قد ضلوا) أى جاوزوا^٥ و حادوا
عن الحق و جاروا ؛ و لما كان الضال^٦ قد تكون ضلالته^٧ فلتة عارضة
[له -^٨]، و تكون الهداية وصفا أصيلاً فيه، نبه على أن الضلال
وصفهم الثابت بقوله: (و ما كانوا) أى فى شيء من هذا من^٩ خلق ١٥
من الأخلاق (مهتدين^{١٠}) أى لم يكن فى كونهم وصف الهداية،
بل زادوا بذلك ضلالاً ؛ قال البخارى فى المناقب من صحيحه : حدثنا

(١) فى ظ: طلباً (٢) من ظ، وفى الأصل: لرواية (٣) من ظ، وفى الأصل:

قبل (٤) من ظ، وفى الأصل: لكذب (٥) من ظ، وفى الأصل: خاروا .

(٦) من ظ، وفى الأصل: الضلال (٧-٨) فى الأصل: يكون اضلاله ؛ وفى

ظ: يكون ضلالة - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ: فى .

أبو النعمان حدثنا^١ أبو عوامة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا سرك أن تعلم جهل^٢ العرب فاقرا ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام "قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها - إلى قوله : وما كانوا مهتدين"^٣ . وله في وفد بني حنيفة من المغازي عن مهدي بن ميمون قال : سمعت أبا رجاء العطاردي يقول : كنا نعبد الحجر فاذا^٤ وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه فأخذنا الآخر ، وإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة^٥ من تراب ثم جئنا بالشاة فخلبنا عليه ثم طفنا به ، فاذا دخل شهر رجب قلنا : منصل الأسته ، فلا ندع رجحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه [شهر رجب - ٦] .

١٠ ولما كان مدار القرآن على تقرير التوحيد والنبوة وتوابعها والمعاد والقضاء والقدر والفعل بالاختيار^٦ ، وأتقن تقرير هذه الأصول لاسيما في هذه السورة ، وأنه انتهى إلى شرح أحوال السعداء^٧ والأشقياء ، وعجب سبحانه من أشرك وأنكر البعث وفعل أفعال المشركين تعجيبا بعد تعجيب ، وهجن^٨ طريقتهم وبخهم تويخا في إثر تويخ بتكذيبهم للداعي من غير حجة ، وحكى أقوالهم^٩ الباطلة ودعائهم الفاسدة مع ادعائهم أنهم

(١) من ظ و صحيح البخارى - المتأقب ، وفي الأصل : يا - كذا (٢) في ظ : امر (٣) من ظ و صحيح البخارى - المغازي ، وفي الأصل : قا - كذا (٤) زيد بعده في ظ : جمعنا جثوة (٥) من ظ والصحيح ، وفي الأصل : جنوده . (٦) زيد من ظ والصحيح (٧) من ظ ، وفي الأصل : لاختيار (٨) - مقط من ظ (٩) في ظ : السعيد (١٠) من ظ ، وفي الأصل : بهر (١١) من ظ ، وفي الأصل : قولهم .

أنصف الناس ، ومخالفهم للهادى بغير ثبوت ولا يقينة مع ادعائهم أنهم
أبصر الناس ، وبطلهم للآيات تعنتاً مع ادعائهم أنهم ^٢ أعقل الناس ،
وإخلاصهم في الشدة وإشراكهم في الرخاء مع ادعائهم أنهم ^٢ أشكر
الناس ، وعبادتهم للجن وتعوذهم بهم مع ادعائهم أنهم أشجع الناس -
إلى أن عجب منهم فيما شرعوه لأنفسهم فيما رزقهموه سبحانه من حيوان ٥
وجماد ومضوا عليه خلفاً عن سلف ، تنبيهاً على ضعف عقولهم وقلة
علومهم تنفيراً للناس عن الالتفات إليهم والاعتراض بأقوالهم ^٢ ، قال في
موضع الحال من " وجعلوا لله بما ذرا من الحرث [والانعام] - " ^٢ الآية ،
مينا عظيم ملكه وشمول قدرته / و باهر اختياره وعظمته ، زيادة في التعجب

٢٥٩ /

منهم في تصرفهم في ملكه بغير إذنه [سبحانه - *] و شرعهم ما لم يأذن ١٠
فيه في سياق كافل باقامة الحجّة على تقرير التوحيد عوداً على بدء وعللاً
بعد نهل ، لآله المدار الأعظم والأصل الأقوم : (وهو) أى لا غيره
(الذى انشأ) أى من العدم (جنت) أى ^٦ من العنب وغيره
(معروشت) [أى مرفوعات عن الأرض على الخشب ونحوه - *] ،
أى لا تصلح إلا معروشة ، ومتى لم ترفع ^٧ عن الأرض تلف ثمرها ١٥
(وغير معروشت) ^٢ أى غير مرفوعات على الخشب ^٢ ، أى لا تصلح
إلا مطروحة على الأرض مثقلة بما يحكم وصولها إليها ، ومتى ارتفعت

(١) في الأصل : نصسا ، وفي ظ : تعينا - كذا (٢-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ :
(٣) في ظ : بأحوالهم (٤) زيد من ظ والقرآن الكريم (٥) زيد من ظ (٦) سقط
من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : لم يرفع (٨) في الأصل : « ١ » وسقط من ظ م

عن الأرض تلفت ، فما ذلك لطبيعة^١ ولا غيرها وإلا لاستوت الجنات كلها لأن نسبتها إلى السماء والأرض واحدة ، فما اختلف إلا بفعل مختار واحد لا شريك له ، لا يكون إلا ما يريد .

ولما ذكر الجنات الجامعة ، خص^٢ أفضلها [وأدناها على الفعل بالاختيار ، وبدأ بأشهرها عند المخاطبين بهذه الآيات -^٣] فقال : ﴿ والنخل ﴾ أى وأنشأ النخل ﴿ والزرع ﴾ حال كونه ﴿ محتلفا اكله ﴾ أى أكل أحد النوعين ، وهو ثمره الذى يؤكل ؛ بالنسبة إلى الآخر ، وأكل كل نوع بالنسبة إلى الأشجار وغيرها فى الحقل والطعم وغيره ، بل و يوجد فى العذق الواحد الاختلاف ، وأما اختلاف مقداره يكون هذا فى غاية ١٠ الطول وهذا فى غاية القصر فأمر واضح جدا ﴿ والزيتون والرمان ﴾ .

[ولما كان معظم القصد فى هذا السياق نفي الشريك وإثبات الفعل بالاختيار ، لم يدع الحال إلى ذكر كمال الشبه فاكتفى بأصل الفعل ف قيل -^٤] : ﴿ متشابهاً ﴾ أى كذلك ﴿ وغير متشابه ﴾ أى فى اللون والطعم والفساد وعدمه والتفكه والاقنيات والدهن والماء - إلى غير ذلك من أحوال ١٥ و كفيات لا يحيط بها حق الإحاطة إلا بارتها سبحانه وعز شأنه ، ولله جمع الأولين لأن كلا منهما يدخر للاقتيات ولا يسرع فسادهما مع المقارنة فى الشكل ، والاختلاف فى النوع بالشجر والنجم ، والتفاوت العظيم فى المقدار ، والآخرين^٥ لأن الأول لا يفسد بوجهه ، والثانى يسرع

(١) من ظ ، وفى الأصل : الطبيعة (٢) فى ظ : حصل (٣) زيد ما بين الحائزين من ظ (٤) فى ظ : توكل (٥) فى ظ : المقارنة (٦) زيد بعده فى ظ : ملك .

فساده ، و يدخر كل منهما^١ على غير الهيئة التي يدخر عليها^٢ الآخر مع كونهما من الأشجار و تقاربهما في المقدار و تفاوت ثمرتهما في الشكل و القدر و غير ذلك .

و لما كان قوله "و هو الذي انزل من السماء ماء" في سياق الاستدلال على أنه لا فاعل إلا الله ، أمر فيه بالنظر إلى الثمر و النبع ليعتبر بجاهلها ، ه وكانت هذه الآية في سياق التعنيف لمن حرم ما رزقه الله و الأمر بالأكل من حلال ما أنعم به و النهي عن تركه تدبينا فقال تعالى هنا : ﴿كلوا﴾ و قدم الأولى المستدل بها على وجود البارئ و تفرد به بالأمر لأن اعتقاد ذلك سعادة روحانية أبدية ، و قال أبو حيان في النهر : لما كان مجيء تلك الآية في معرض الاستدلال بها على الصانع و قدرته ١٠ و الحشر و إعادة الأرواح إلى الأجساد بعد العدم و إبراز الجسد و تكوينه من [العظم -^١] الرميم و هو عجب الذنب ، قال : "انظروا إلى ثمره إذا أثمر و ينعه" إشارة إلى الإيجاد [أولا -^٢] و إلى غايته ، و هنا لما كان في معرض الامتنان و إظهار الإحسان بما خلق لنا^٣ قال : [كلوا -^٤] ، و دل على أن الرزق أكثر من خلقه بقوله - : ﴿من ثمرة^٥﴾ ، و لما كان ١٥ هذا الأمر للإباحة لا للإرادة ، قيده لتلايقضى إيجاد الثمر في كل جنة في كل وقت فقال - : ﴿إذا أثمر﴾ فحصل بمجموعها الحياة الأبدية و الحياة

(١) زيد بعده في ظ : بالعلاج (٢) في ظ : فيها (٣) من ظ ، و في الأصل : الاول .
(٤) زيد من ظ و النهر - راجع البحر المحيط ٢٣٥/٤ (٥) زيد من النهر (٦) تأخر في الأصل و ظ عن « قال » و الترتيب من النهر (٧-٧) تقدم ما بين الرقيين في الأصل على « و دل على » ، و الترتيب من ظ .

الدنياوية السريعة الانقضاء و تقدم^١ النظر و هو الفكر على الأكل لهذا السبب . انتهى^٢ . و عبر بـ "إذا" دون "إن" تحقيقا لرجاء الناس في الخصب و تسكيننا لآمالهم رحمة لهم و رفقا بهم إعلاما أنه إن وقع جذب كان في ناحية دون أخرى و في نوع دون آخر، و إباحة للأكل في جميع أحوال الثمرة نضيجة و غير نضيجة .

و لما كان في الآيات الحاكية مذاهب الكفار تقييح^٣ أن يجعلوا شيئا من أموالهم لأحد بأهوائهم، أشار هنا إلى أنه فرض فيها حقا وجعل^٤ له مصارف بقوله : ﴿ و اتوا حقه ﴾ و لما أباح سبحانه أكله ابتداء / و انتهاء، / ٢٦٠

بين أنه خفف عنهم الوجوب قبل الانتهاء فقال : ﴿ يوم حصاده ﴾ أى قطعه جزا إذا كان أو حصادا، فكذلك أول وقت نصاب^٥ الأمر و هو

موسع، و الحق أعم من الواجب و المندوب، فان أريد التنب عم الأنواع الخمسة الماضية : الغنب المشار إليه بالعرش و ما بعده، و إن أريد الوجوب فقد أشير بالتعبير بالحصاد إلى أن الأصل في ذلك الحبوب المقتاتة، و أما غيرها فتابع علمه ببيان^٦ النبي صلى الله عليه و سلم فيطلق عليه الحصاد مجازا .

١٥ و لما أمر الله بالأكل من ثمره و بايتاء حقه، نهى عن مجاوزة الحد

في البسط أو^٧ القبض فقال : ﴿ و لا تسرفوا^٨ ﴾ و هذا النهى يتضمن أفراد الإسراف، [فيدخل فيه الإسراف في أكل الثمرة حتى لا يبقى شيء منها للزكاة، و الإسراف -^٩] في الصدقة حتى لا يبقى لنفسه و لا لعياله شيئا،

(١) في ظ : يقدم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : يفتح (٤) من ظ .
وفي الأصل : في (٥) من ظ ، و في الأصل : جعله (٦) في الأصل و ظ : انصاب .
(٧) من ظ ، و في الأصل : بيان (٨) في ظ «و» (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

- و يؤيده "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا"^١، "ولا تبسطها كل البسط"^٢، ثم علله بقوله: ﴿انه لا يحب المسرفين﴾ أى لا يعاملهم معاملة المحب فلا يكرمهم، وقيل لحاتم الطائي: لا خير في السرف فقال: ولا سرف في الخير. ولما كان السياق للمآكل^٣ من الحرث والآنعام من حلال وحرام، وفرغ من تقرير أمر الحرث الذى قدم فى الجملة الأولى لأنه مادة الحيوان، هـ قال: ﴿ومن﴾ أى وأنشأ من ﴿الآنعام حمولة﴾ أى ما يحمل الأثقال ﴿وفرشاً﴾ أى وما يفرش للذبح أو للتوليد، ويعمل من وبره وشعره فرش؛ ولما استوفى القسمين أمر بالآكل من ذلك كله على وجه يشمل غيره مخالفة للكفار فقال: ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ أى لأنه الملك الأعظم الذى لا يسوغ^٤ رد عطية ﴿ولا تتبعوا﴾ [ولعله شدد إشارة إلى العفو ١٠ عن صغيرة إذا ذكر الإنسان فيها رجع ولم يعتد فى هواه - ٧] ﴿خطوت الشيطان﴾ أى طريقه فى التحليل والتحریم كما قال فى البقرة "كلوا مما فى الارض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان"^٥، وعبر بذلك لأنه - مع كونه من مادة الخطيئة - دال على أن شرائعه شريعة الاندراَس، لو لا مزيد الاعتناء من الفسقة بالتبع فى كل خطوة حال ١٥ تأثيرها لبادر إليها المحو لبطلائها فى نفسها، فلا أمر من الله يحییها ولا كتاب يبقیها، وإنما أسقط هنا "حلالاً طيباً" لبيانه سابقاً فى قوله "فكلوا"
- (١-١) سقط ما بين الرقین من ظ، وراجع سورة ٧ آية ٣١ (٢) سورة ١٧ آية ٢٩ (٣) من ظ، وفى الأصل: لآكل (٤) فى ظ: يشتمل (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ، وفى الأصل: سوع - كذا (٧) زيد ما بين الحاجرین من ظ. (٨) آية ١٦٨ (٩) من ظ و القرآن الكريم، وفى الأصل: كلوا.

بما ذكر اسم الله عليه“، ”ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه“، ولاحقا في قوله ”قل لا اجد فيها اوحى الى [محرمات - ١]“؛ ثم علل نهييه عن اتباعه فقال: ﴿انه لكم عدو﴾ أى فهو لذلك لا يأمركم بخير ﴿مبين ٢﴾ أى ظاهر العداوة لأن أمره مع أيكم شهير .

٥ ولما رد دين المشركين وأثبت دينه ، وكانوا قد فصلوا الحرمة بالنسبة إلى ذكور الآدمي وإناثه ، ألزمهم تفصيلها بالنسبة إلى ذكور الانعام وإناثه ، ففصل أمرها في أسلوب أبان فيه^٢ أن فعلهم رث^٣ القوى هلهل النسيج^٤ بعيد من قانون الحكمة ، فهو موضع للاستهزاء وأهل للتهكم ، فقال يانا لـ ”حمولة وفرشا“ : ﴿ثمنية ازواج^٥﴾ أى أصناف ، ١٠ لا يكمل صنف منها إلا بالآخر ، أنشأها بزواج^٥ كل من الذكر والانثى الآخر ، و^٦الحق بتسميتهم^٦ الفرد بالزوج - بشرط أن يكون آخر من جنسه - تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر .

ولما كان الزوج يطلق على الاثنين وعلى ما معه آخر من نوعه ، قال مبينا أن هذا هو المراد^٧ لا الاثنين^٧ مفصلا لهذه الثمانية : ١٥ ﴿من الضان﴾ جمع ضائن وضائنة كصاحب وصحب ﴿اثنين﴾ أى ذكرا وأنثى كبشا ونعجة ﴿ومن المعز﴾ جمع معاز ومعزة ككادم وخدم في قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ، وتاجر وتجر في

(١) زيد من ظ والقرآن الكريم (٢) من ظ ، وفي الأصل: منها (٣) في ظ : رب - كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل: الشيخ (٥) من ظ ، وفي الأصل: يراوح . (٦-٦) في ظ: نحو تسميتهم (٧-٧) تأخر ما بين الرقيين في ظ عن ذكرها وأنثى .

قراءة غيرهم^١ (اثني^٢) أى زوجين ذكرا وأنثى تيسا وعزا .
ولما كان كأنه قيل : ما المراد بهذا التفصيل قبل سؤالهم عن دينهم ،
[قال - ٢] : (قل) أى لهم مستفهما ؛ ولما كان هذا الاستفهام بمعنى
التوبيخ والتهمك والإنكار ، أتى فيه بـ " أم " التى هى مع الهمزة قبلها
بمعنى " أى " ليتفهم بها عما يعلم ثبوت بعضه وإنما يطلب تعيينه ، فقال هـ
/ معترضا بين المعدودات تأكيداً للتوبيخ ، لأن الاعتراضات لاتساق / ٢٦١
إلا للتأكيد : (الذكرين) .

ولما كان المستفهم عنه بنصبه ما بعده لا ما قبله ، قال^٣ : (حرم)
أى الله ، فان كان كذلك لزمكم تحريم جميع الذكور^٤ (أم الاثني^٥)
ليلزمكم^٦ تحريم جميع^٧ الإناث ، واستوعب^٨ جميع ما يفرض من سائر
الأقسام فى قوله : (اما) أى أم حرم ما (اشتملت) أى انضمت
(عليه) وحملته (ارحام الاثني^٩) أى من الذكور والإناث ، ومتى
كان كذلك لزمكم تحريم الكل فلم تلزموا^{١٠} شيئا مما أوجه هذا التقسيم
فلم تمشوا على نظام .

ولما علم أنه لا نظام لهم فعلم أنهم^{١١} جديرون بالتوبيخ ، زاد فى توبيخهم
فقال : (نبئوني) أى أخبروني عما حرم الله من هذا إخبارا جليلا عظيما
ولما كان هذا الإخبار الموصوف لا يكون بشيء فيه^{١٢} شك ، قال :
(بعلم) أى أمر معلوم من جهة الله لا مطمئن فيه (ان كنتم صدقين^{١٣})
أى إن كان لكم^{١٤} هذا الوصف .

(١) فى ظ : غيره (٢) زيد لاستقامة العبارة (٣) سقط من ظ (٤ - ٥) سقط
ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لتلزمكم (٦) فى ظ : استوجب .
(٧) فى ظ : فلم تلزموا (٨) من ظ ، وفى الأصل : إن .

ولما فصل الغنم إلى ضان ومعز، أغنى ذلك عن تنويع الإبل إلى العراب والبخت و البقر إلى العراب والجواميس، [١- ولأن هذه يتناجح بعضها من بعض بخلاف الغنم فانها لا يطرق أحد نوعيها الآخر - نقله الشيخ بدر الدين الزركشي في كتاب الوصايا من شرح المنهاج عن كتاب الاعداد لابن سراقه - ٢] فقال: ﴿ ومن الإبل اثني ﴾ أي ٢ ذكرًا وأنثى ﴿ ومن البقر اثني ٣ ﴾ أي كذلك ﴿ قل ﴾ أي لهؤلاء الذين اختلقوا جهلا وسفها ما تقدم عنهم ﴿ الذكركين ﴾ أي من هذين النوعين ﴿ حرم ﴾ أي حرمهما الله ﴿ ام الاثنيين ﴾ أي حرمهما ﴿ اما ﴾ أي الذي ﴿ اشملت عليه ﴾ أي ذلك المحرم على زعمكم ﴿ ارحام الاثنيين ٤ ﴾ ١٠ أي حرمهما الله .

ولما كان التقدير : أجهلكم هذا عن الله الذي لا حكم لغيره على لسان نبي ؟ عادله توبخا لهم وإنكارا عليهم بقوله : ﴿ ام كنتم شهداء ﴾ أي حاضرين ﴿ اذ وُصمكم الله ﴾ أي الذي لا ملك غيره فلا حكم لسواه ﴿ بهذا ٥ ﴾ أي كما جزمتم عليه به ، أو ٦ جزمتم بالحرمة فيما حرمتوه ١٥ والحل فيما أحللتموه ، ولا محرم ولا محلل غير الله ، فكنتم بذلك ناسبين الحكم إليه ؛ ولما كان التقدير كما أتجه السياق : لقد كذبتكم على الله حيث نسبتم إليه ما لم تأخذوه عنه لا بواسطة ولا بغير واسطة ، سبب عنه قوله

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) هو محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الشاطبي - راجع لترجمته معجم المؤلفين ١١ / ١٧٦ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : هؤلاء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) في ظ و و .

معما ليعلم ' أن' هذا إذا كان في التحريم و التحليل كان الكذب في أصول الدين أشد : ﴿ فز اظلم ﴾ و وضع موضع ' منكم ، قوله معما و ٣ معلقا للحكم بالوصف : ﴿ من اقرى ﴾ أى تعدد ﴿ على الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه لأنه ملك الملوك ؛ ﴿ كذبا ﴾ كعمرو بن لحي الذى غير شريعة إبراهيم عليه السلام ، و كل من فعل مثل فعله . ٥

و لما كان يلزم من شرعهم لهذه الامور إضلال من تبعهم فيها عن الصراط السوى ، و كانوا يدعون أنهم أفطن الناس و أعرفهم بدقائق الامور فى بداياتها و نهاياتها و ما يلزم عنها ، جعل غاية فعلهم مقصودا لهم تهكما بهم فقال : ﴿ ليضل الناس ﴾ و لما كان الضلال قد يقع من العالم الهادى خطأ ، قال : ﴿ بغير علم ﴾ . ١٠

و لما كان هذا محل عجب ممن يفعل هذا ، كشفه سبحانه بقوله استنفا : ﴿ ان الله ﴾ و هو الذى لا حكم لاحد سواه لا يهديهم ، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر تعميما بما هو اعم من وصفهم ليكون الحكم عليهم بطريق الاولى فقال : ﴿ لا يهدى القوم الظالمين ﴾ أى الذين يضعون الاشياء فى غير مواضعها فكيف بالآظلمين ١ و ما أحسن هذا الختم لأحكامهم و أنصبه لما بناها عليه من قوله " انه لا يفلح الظالمون " .

و لما تضمن قوله اقراء عليه اقراء على الله و التعبير فى ذلك كله

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخصانها (٣) ظ : او (٤) من ظ ، و فى الأصل : الملك (٥) فى ظ : انسيهم .

بالاسم الأعظم أن كون التحريم ليس إلا من الله أمر معلوم ليس موضعا للشك لأنه الملك الأعظم ولا حكم لغير الملك ، ومن حكم عن غير أمره عذب ؛ حسن بعد / إبطال دينهم^١ [والبيان لأن من حرم شيئا بالتشهى مضل وظالم -^٢] قوله مبينا البيان الصحيح لما يحل ويحرم جوابا لمن يقول : هـ فما الذى حرمه سبحانه وما الذى أحله : ﴿ قل ﴾ معلما بأن^٣ التحريم لا يثبت إلا بوحي [من -^٢] الله ﴿ لا اجد ﴾ أى الآن ولا فيما يستقبل من الزمان ، فان ' لا ' كلمة لا تدخل على مضارع إلا وهو بمعنى الاستقبال ﴿ فى ما ﴾ .

و لما كان ما آتاه صلى الله عليه وسلم قد ثبت بعجزهم عن معارضته ١٠ أنه من الله ، بنى للفعول قوله : ﴿ اوحى الى ﴾ أى من القرآن و السنة شيئا مما تقدم مما حرمتموه مطلقا أو على حال دون حال و على ناس دون آخرين طعاما ﴿ محرما على طاعم ﴾ أى طاعم كان من ذكر أو أنثى ﴿ بطعمة ﴾ أى يتناوله أكلا و^٤ شربا أو دواء أو غير ذلك ﴿ إلا ان يكون ﴾ أى ذلك الطعام ﴿ ميتة ﴾ أى شرعا ، و الميتة الشرعية هى ما لا يقبل التذكية ، ١٥ [وهو كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية -^٢] ﴿ او دما مسفوحا ﴾ أى مراقا من شأنه السيلان لا من شأنه الجود كالكبدة و الطحال .

و لما كان النصارى قد اتخذوا أكل الخنزير دينا ، نص عليه وإن كان داخلا^١ فى قوله "ميتة" على ما قررته فى المراد بها ، وقال :

(١) من ظ ، وفى الأصل : دينه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ان (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : او (٦) زيد فى ظ : عليه .

(أو لحم خنزير) ليفيد تحريمه على كل حال سواء ذبح أم لا ، ولو قيل : أو خنزيرا لاحتمل أن يراد تحريم ما أخذ منه حيا فقط ، وقال : (فانه) أى الخنزير^١ (رجس) ليفيد نجاسة عينه وهو حى ، فلهذه وكذا سائر أجزائه بطريق الأولى ، [وكل ما وافقه فى هذه العلة كان نجسا ، لا يعاد الضمير على اللحم لأنه قد علمت نجاسته من تحريمه لعينه ، فلو عاد ه عليه كان تكرارا - ٢] .

ولما ذكر المحرم لعينه ذكر المحرم لعارض ، فقال مبالغا فى النفي عنه بأن جعله نفس المعنى الذى وقع النهى لأجله : (أو فسقا) أى أو كان الطعام خروجاً مما ينبغى القرار فيه من فسيح جناب الله الذى من توطئه^٢ أمن واهتدى وسلم من ضيق الهوى فى ذكر الغير الذى مـ خرج إليه ١٠ خاف وضل . وهلك ' و توى ' ؛ ثم قال مفسرا له [مقدما لما هو داخل فى الفسق من الالتفات إلى الغير - ٢] : (اهل لغير الله) أى الذى له كل شيء لأن له الكمال كله^٣ (به ٤) أى ذكر غير اسمه عليه بأن ذبح له تدبينا ؛ ثم ذكر لطفه بهذه الأمة فى إباحته لهم فى حال الضرورة كل محرم رحمة^٤ منه لهم وسترا لتقصيرهم فقال : (فن اضطر) أى ١٥ حصل له جوع خشى منه التلف ، وبنى للفعول لأن الاعتبار حصول الاضطراب لا كونه من معين ، ومن التعبير بذلك تؤخذ حرمة ما زاد

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : تواطته .
(٤) فى الأصل و ظ : الى (هـ-هـ) سقط ما بين الرقمين من ظ .

على سد الرمق لأنه حيث لا يكون مضطرا ﴿غير باغ﴾ أى على غيره
 بمكيده ﴿ولا عاد﴾ أى على غيره بقوته ولا متجاوز سد الضرورة
 ﴿فان ربك﴾ أى المحسن إليك بارسالك وإلى أمتك الضعيفة يجعل
 دينها الخفيفة السمحة^١ ﴿غفور﴾ أى يمحو الذنب إذا أراد ﴿رحيمه﴾
 ٥ أى يسكرم المذنب بعد الغفران بأنواع الكرامات، فهو جدير بأن
 يمحو عن هذا المضطر أثر تلك الحرمة التى كدرها^٢ و يسكرمه بأن
 يجعل له - فى حفظه بذالك لنفسه إذا صحت فيه نيته - أجرا عظيما،
 وقد تكلفت الآية على وجازتها بجميع المحرمات من المأكولات مع الإشارة
 بلفظ الرجس و الفسق إلى جميع أصناف المحرمات و إلى أن ارتكابها
 ١٠ موجب للخبث و الانسلاخ^٣ من الخير^٤ و ذلك هو سبب تحريمها؛
 قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى كتاب العروة: وجه إنزال هذا الحرف -
 أى حرف^٥ الحرام - طهرة الخلق من مضار أبدانهم و رجاسة نفوسهم
 و بجهلة قلوبهم، فما اجتمعت فيه كان أشد تحريما^٦ و ما وجد فيه شيء
 منها كان تحريمه بحسب تأكيد الضرورة^٧ إلى طهرته^٨، و كما اختلف^٩
 ١٥ أحوال بنى آدم بحسب اختلاف طبيعتهم من بين خيث و طيب و ما بين
 ذلك، اختلف أحوالهم فيما به تجدد خلقهم من رزقهم، فن اغتذى
 بدنه من شيء ظهرت أخلاق نفس ذلك المغتذى به و أوصافه فى نفسه،
 و رين على القلب أو صفاء، لتقويه بما يسمى عليه من ذكر الله أو كفر به

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: قدرها (٣-٢) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٤) فى الأصل و ظ: حرم (٥) فى ظ: اختلف.

بذكر غيره، و جامع منزله على حده / من استثناء قليله من متسع^١ الحلال
 قوله تعالى "قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان
 يكون ميتة او دما مسفوحا" هذا لمضرته بالبدن "او لحم خنزير"
 و هذا لتخييشه للنفس و ترجيسه لها كما قال [تعالى - ٢] "انه رجس
 او فسقا اهل لغير الله به" و هذا لرينه على القلب، و هذه الآية مدنية ه
 و أثبتها تعالى في سورة مكية إشعارا بأن التحريم كان مستحقا في أول
 الدين و لكن آخر^٢ إلى حين اجتماع جمّة الإسلام بالمدينة تأليفا لقلوب
 المشركين و تيسيرا على ضعفاء [الدين - ٣] الذين آمنوا و اكتفاء للمؤمنين
 بتنزههم عن ذلك و عما يشبهه استبصارا منهم حتى أن الصديق رضى الله
 عنه كان قد حرم الخمر [على نفسه - ٤] في زمن الجاهلية لما رأى فيها ١٠
 من نرف العقل، فكيف بأحوالهم بعد الإسلام ! و الحق بها في سورة
 "الذين آمنوا" ما كان قتله^٥ سطوة من غير ذكر الله عليه من المنخفضة
 و الموقودة و المتردية و النطيحة و ما أكل السبع^٦ إلا ما أدرك^٦ بالتذكية
 المنهرة للدم الموصل في التحريم لفساد مسفوحه بما هو خارج عن
 حد الطعام في الابتداء و الأعضاء في الانتهاء المستدركة ببركة التسمية آثر ١٥
 ما أصابها من مفاجأة السطوة، و الحق بها أيضا^٧ في هذه السورة

(١) من ظ، و في الأصل : سعى (٢) زيد من ظ (٣) زيد بعده في ظ :
 مطلب - كذا (٤) في ظ : بما (٥) في ظ : قبله (٦) في ظ : تدرك (٧) موضعه
 في ظ : قبل التذكية.

تحریم الخمر لرجسها كالخنزیر كما ألحقت المقتولة بالمیة ، و كما حرم الله ما فيه جماع الرجس من الخنزیر و جماع الإثم من الخمر حرم رسول الله صلى الله علیه وسلم ما كان فيه ^١ حظ من ذلك ، فألحق بالخنزیر السباع حامية ^٢ من سورة غضبها لشدة المضرة في ظهور الغضب من العید لأنه

ه لا یصلح إلا لسیدم ، و حرم الخمر الأهلية حامية من بلادتها و حرانها الذى هو علم غریزة الخرق فی الخلق ، و ألحق صلى الله علیه وسلم بتحريم الخمر التي سكرها مطبوع ^٣ تحريم المسكر الذى سكره مصنوع ، و كما حرم الله ما یفر العبد فی ظاهره و باطنه حرم علیه فيما بینه و بینه ما یقطعه عنه من أكل الربا ، [و الربا - ^٤] بضع و سبعون بابا و الشراك

١٠ مثل ذلك ، و جامع منزله فی قوله تعالى ” الذين یاكلون الربوا ” - إلى قوله : و أحل الله البیع و حرم الربوا ^٥ - إلى انتهاء ذكره إلى ما ینتظم من ذلك فی قوله : یاایها الذین امنوا لا تأكلوا الربوا

اضمافا مضعفة ^٦ - الآية ما یلحق بذلك فی قوله : و ما أنتم من ربا ^٧ - الآية ، هكذا قال : إن هذه الآية مدنية ، و هو - مع ^٨ كونی لم أره لغيره - مشکل

١٥ بقوله ” و قد فصل لكم ما حرم علیكم ” - الآية .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فی الأصل : حتما به (٣) فی ظ : مطبوع - كذا (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٧ (٦) سورة ٣ آية ١١٣ (٧) سورة ٣ آية ٣٩ (٨) من ظ ، و فی الأصل : موضع (٩) راجع آية ١١٩ من سورة الأنعام و هی مكیة .

ولما كان تحريم الربا لما بين الرب والعبد، كان فيه^١ الوعيد بالإيدان بحرب من الله ورسوله، ولذلك حمت الأئمة ذرائعه أشد الحماية، وكان أشد^٢م في ذلك عالم المدينة حتى أنه^٣ حمى من صورته^٤ من الثقة بسلامة الباطن منه، وعمل^٥ بضد ذلك في محرمات ما بين العبد ونفسه، وكما حرم الله الربا فيما بينه وبين عبده من هذا الوجه الأعلى كذلك حرم^٥ أكل المال بالباطل فيما بين العبد وبين غيره من الطرف الأدنى، وجامع منزله في قوله تعالى "و^٦ لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها [الى الحكام]"^٧ - الآية إلى ما ينظم به^٨ من قوله تعالى : [يا ايها الذين آمنوا -^٩] لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم - إلى ما ينظم به من قوله تعالى : و^{١٠} اتوا اليشئى اموالهم"^{١١} - الآيات في ١٠ أموال اليتامى، فخرمه تعالى من جهة الأعلى والمثلل والأدنى، وانتظم التحرير في ثلاثة أصول : من جهة ما بين الله وبين عبده، ومن جهة ما بين العبد و [بين -^{١٢}] نفسه، ومن جهة ما بين العبد وبين غيره ، / مما تستقرأ^{١٣} جملة آيه في القرآن وأحاديثه في السنة ومسائله في فقه

الأئمة ؛ ولما كان له متسع ، وقع فيما بين الحلال البين والحرام ١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : كانه (٣) في ظ : سورته (٤) في ظ : علم (ه) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ١٨٨ ، وفي الأصل موضعه : يا ايها الذين آمنوا (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧ في ١٠) بذلك (٨) ظ : زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٤ آية ٢٩ (٩) سورة ٤ آية ٢ (١٠) زيد من ظ . (١١) في الأصل : يستقرا ، وفي ظ : تستقر .

البين أمور متشابهات لا يعلها كثير من الناس ، لأنها تشبه الحلال
من وجه و تشبه الحرام من وجه ، فلو قوعها بينهما يختلف فيها الأمة
علما ، ويحتنب جميعها الصالحون عملا ، من اتقى الشبهات استبرا لدينه في
العقبى و لعرضه في الأولى ، وعن حماية الله عباده عن ويل الحرام بتحقيق
٥ لهم اسمه « الطيب » ، فلم يتطب بطب الله من لم يحتم عن محرماته
ومتشابهاتها ، و هو الورع الذى هو ملاك الدين ، و لاحول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم ، ثم قال فيما تحصل به قراءة [حرف - ٢] الحرام
تماما فى العلم و الحال و العمل : اعلم أن الإنسان لما كان خلقا جامعا كانت فيه
بزرتان : بزرّة للخير و بزرّة للشر ، و بحسب تطهره و تخلصه من مزاحمة
١٠ نبات بزرّة أثمرتموه فيه و تزكو بزرّة الخير ، و لكل واحدة من البزرتين
منبت فى جسمه و نفسه و فؤاده ، فأول الحريف فى الترتيب العمل ، و الأساس
لما بعده هو قراءة حرف الحرام . لتحصل به طهرة البدن الذى هو السابق
فى وجود الإنسان ، فمن غذى بالحرام فى طفولته لم يقدر على اجتناب
الآثام فى كهولته إلا أن يطهر الله بما شاء من نار الورود فى الدنيا من
١٥ الأمراض و الضراء ، فهو الأساس الذى ينبى عليه تطهر النفس من
المناهى و تطهر الفؤاد من العمه و الجاهل ، و الذى تحصل به قراءة هذا
الحرف هو الورع الحاجز عما يضر بالجسم و يؤذى النفس و ما يكره الخلق

(١) من ظ ، و فى الأصل : الطيب (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : مزاحمات (٤) من
ظ ، و فى الأصل : ينمو (٥) فى ظ : ينشا .

و ما يغضب الرب، فمن أصاب شيئا من ذلك ولم يبادر إليه بالتوبة
عذب بكل آية قرأها وهو مخالف لحكمها من لم يبال من أى باب دخل^١
عليه رزقه لم يبال الله من أى باب أدخله النار .

و لما كان الورع كف اليد ظاهرا^٢ عن الشيء الضار، وكانت
الجوارح لا تنقاد إلا عن تأثر من النفس، لم يصح الورع ظاهرا^٣ إلا أن ه
يقع في النفس روعة باطنه من تناول ذلك الشيء؛^٤ و لما كانت النفس
لا تتأثر إلا عن تبصر القلب في الضار كما لا ينكشف اليد إلا عند تقدر
النفس^٥ لما تدرك العين قدره^٦ حتى أن النفس الرضية تأقف من المحرمات
كما يأقف المستنظف من المستقذرات، فأكله الحرام هم دود جيفة الدنيا
يستقذروهم أهل البصائر كما يستقذرون هم دود جيف المزابل . ١٠

و لما كان الحرام ما يضر العبد في نفسه كالميتة، تيسر على المستبصر
كف يده عنها لما يدرى من مضرتها بجسمه، وكذلك الدم المسفوح
لأنه ميتة بانفصاله عن الحى ومفارقته لروح الحياة التى تخالطه في العروق،
قلت: و سياتى قريبا تعليله في التوراة بما يقتضى أنه أكثر فعلا في
النفس و تطيعا لها^٢ بخلق ما هو^٣ دمه من اللحم - والله الموفق؛ وكذلك ١٥
ما يضر بنفسه كلحم الخنزير لأنه رجس، و الرجس هو خبائث الأخلاق^٤
التى [هى - ٦] عند العقلاء أقبح من خبائث الأبدان، وذلك لأن^٥

(١) فى ظ: فصل (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى ظ: قدرة .

(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ، وفى الأصل: جنات الاخلاط (٦) زيد

من ظ (٧) فى ظ: ان .

من اغتذى جسمه بلحم حيوان اغتذت نفسه بنفسانية ذلك الحيوان
 وبتخلق^١ من أخلاقه، وفي نفس الخنزير مجامع رذائل الأخلاق من
 الإباء والحران والمكر والإقدام على ما يعاينه فيه الهلاك ومتابعة
 الفساد، والانكباب على ما تقبل^٢ عليه في أدنى^٣ الأشياء على ما ظهرت
 ٥ في خلقته آياته فانه ليس له استشراف كذوات الأعناق، وكذلك ما
 يضر بهما^٤، والعقل كالخمر في نزفها للعقل وتصديعها للرأس وإيقاعها
 العداوة والبغضاء في خلق النفس، ولذلك هي جاع الإثم، فالتبصر
 في المحرمات يأتي منها لما يدرى من مضرتها وأذاها في الوقت الحاضر
 وفي معيها^٥ في يوم الدنيا إلى ما أخبر به من سوء عقابها في يوم الدين،
 ١٠ / ٢٦٥ و من / شرب الخمر ومات ولم يتب منها كان حقا على الله أن يسقيه
 من طينة الجبال، وهي عصارة أهل النار، ولو هدد شاربها في الدنيا
 من له أمر بأن يسقيه من بوله ورجيعه لوجد من الورع ما تحمله
 على الورع عنها، وإذا استبصر ذودراية فيما يضره في ذاته فأقف
 منه رعاية نفسه لحق له بذلك التزام رعايتها عما يتطرق له منه درك
 ١٥ من جهة غيره فيتورع من^٦ أكل أموال الناس بالباطل لما يدرى من
 المؤاخذة عليها في العاجل و ما أخبر به من المعاقبة عليها في الآجل،
 ولها في ذاته مضرة في الوقت^٧ بتعرفها من موارد القرآن بنور الإيمان

(١) من ظ، وفي الأصل: تخلق (٢) في ظ: يقبل (٣) من ظ، وفي الأصل:
 اذى (٤) من ظ، وفي الأصل: هما (٥) في ظ: مغبتها - كذا (٦) في ظ: عن.
 (٧) من ظ، وفي الأصل: الوقف.

”الذين يأكلون أموال الشئى ظلماً انما يأكلون فى بطونهم نارا“ وإن لم يحس بها ، وليس تأويله الوعد بالنار لأن ذلك إنباء عند قوله تعالى ”وسيصلون سعيراً“ ، وكذلك إذا أتق بما يضره فى نفسه وخاف بما يتطرق إليه ضره من غيره ، أعظم أن يقرب حى ما يتطرق إليه السطوة من ربه لأجله ، وذلك فيما حرم عليه حماية لعظيم ملكه وعدم التفاوت ٥ فى أمر رحمانه فى محرم الربا ، ولما فيه أيضا من مضرة وقته الحاضر التى يقيدھا بالإيمان من تعريف ربه ، فانه تعالى كما^٢ عرف أن أكل مال الغير بالباطل نار فى البطن ، عرف أن أكل مال الربا جنون فى العقل وخبال فى النفس ”الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس“^٣ وأعظم^٤ من ذلك ما حرمه الله لعرائه عن اسمه ١٠ عند إزهاق روحه ، لانه مأخوذ عن غير الله ، وما أخذ عن غير الله كان أكله فسقا وكفرا^٥ لانه تناول الروح من يد من لا يملكها ، ولذلك فرضت التسمية فى التذكية ونفلت فيما سوى ذلك ، فلا تصح قراءة هذا الحرف إلا بتبصرة القلب فيه وروعة النفس منه وورع اليد عنه ، وإلا فهو من الذين يقرأون حروفه ويضعون حدوده ، الذين قال ١٥ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : كثر هؤلاء من القراء ، لا كثرهم الله ! ومن لم تصح له قراءة هذا الحرف لم تصح له قراءة حرف سواء

(١) سورة ٤ آية ١٠ (٢) من ظ ، وفى الأصل : يقبلها (٣) فى ظ : لا (٤) سورة ٢ آية ٢٧٥ (٥) فى ظ : اعلم (٦) من ظ ، وفى الأصل : كفى - كذا .

ولا تصح له عبادة ، وهو الذى لا يزيده صلاته ١ من الله إلا بعدا ،
ولا يقبل منه دعاؤه ٢ الرجل يطلب الله مطعمه ٣ حرام ومشربه حرام
وملبسه حرام وغذى بالحرام ، يقول : يا رب ! يا رب ! فأنى يستجاب
لذلك ١ ، فهذه ٢ قراءة هذا الحرف وشرطه - والله ولى التوفيق .

- ٥ ولما كان قوله " طاعم " نكرة فى سياق النفي ، يعم كل طاعم
من أهل شرعنا وغيرهم ، وكان سبحانه قد حرم على اليهود ٤ أشياء
غير ما تقدم ، اقتضت إحاطة العلم أن قال مبينا لإحاطة علمه وتكديبا
للهود ٤ فى قولهم : لم يحرم الله علينا شيئا ، إما حرما على أنفسنا ما حرم
إسرائيل على نفسه : ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ أى اليهود ﴿ حرما ﴾
١٠ بما لنا من العظمة التى لا تدافع ﴿ كل ذى ظفر ﴾ أى على ما هو كالإصبع
الآدمى من ٥ الإبل و ٥ السباع و الطيور التى تتقوى بأظفارها
﴿ ومن البقر والغنم ﴾ أى التى هى ذوات الأظلاف ﴿ حرما ﴾ أى
بما لنا من العظمة ﴿ عليهم شحومهما ﴾ أى الصنفين ٥ ثم استثنى فقال :
﴿ إلا ما حملت ظهورهما ﴾ أى من الشحوم مما علق بالظهر والجنب
١٥ [من داخل بطونهما - ٥] ﴿ أو الحوايا ﴾ وهى الأمعاء التى هى متعاطفة
متلوية ، جمع حوية فوزنها فعائل ٦ كسفينة و سفائن ، وقيل : جمع حاوية
أو حاويات ٧ كقصاصاء ﴿ أو ما اختلط ﴾ أى [من - ٥] الشحوم
(١) من ظ ، وفى الأصل : صلوة (٢) من ظ ، وفى الأصل : مطعم (٣) فى
ظ : وهذه (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : عاريا - كذا .

(بعضهم) مثل شحم الآلية فان ذلك لا يحرم، وهذا السياق بتقديم الجار و بناء الكلام عليه يدل على أن ما عدا المذكور من الصنفين حلال لهم .
 ولما كان كأنه قيل : لم حرم عليهم هذه الطيبات ؟ قيل : ﴿ ذلك ﴾ أى التحريم العظيم والجزاء الكبير [وهو تحريم الطيبات - ٢] ﴿ جزئهم ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ يغيهم ﴾ أى فى أمورهم / التى تجاوزوا فيها الحدود ، ٥ / ٢٦٦
 [و - ٢] فى إيلاء هذه الآية - التى فيها ما حرم على اليهود - لما قبلها مع الوفاء بالمقصود من حصر محرمات المطاعم على هذه الأمة و غيرها أمران جليان : أحدهما بيان إطلاعه صلى الله عليه وسلم على تفصيل ما أوحى إلى من تقدمه ولما يشامم أحدا من أتباعهم ولا دارس عالما ولا درس علما قط ، فلا دليل على صدقه على الله أعظم ٢ من ذلك ، ١٠
 والثانى تفضيله هذه الأمة بأنه أحل لها الحائث عند الضرورة رحمة لهم ، وأزال عنها فى تلك الحالة ضررها ولم يفعل بها كما فعل باليهود فى أنه حرم عليهم طائفة من الطيبات ولم يحلها لهم فى حال من الأحوال عقوبة لهم ، وفى ذلك أتم تحذير لهذه الأمة من أن يبغيوا فيعاقبوا كما عوقب من قبلهم على ما نبه عليه فى قوله " غير محلى الصيد و انتم حرم " فبان ١٥
 الصدق و حصص الحق و لم يبق لمتغنت كلام . فحسن جدا ختم ذلك بقوله ﴿ وانا لصدقون ٥ ﴾ أى ثابت صدقنا أزلا و أبدا كما اقتضاه ما لنا من العظمة ، وتعقيبه بقوله : ﴿ فان ﴾ أى وتسبب عن هذا الإجماع الجامع الوجيز
 (١) فى ظ : بتقديم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : لم عظم - كذا .
 (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : اليه (٦) فى ظ : الایجاد .

الدال على الصدق الذى لا شبهة فيه أنا نقول ذلك : إن ﴿ كذبوك قتل ﴾
و التعبير بأداة الشك مشير إلى أن الحال يقتضى أن يستبعد أن يقع
منهم تكذيب بعد هذا ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالبيان والإمهال
[مع كل امتنان ﴿ ذو رحمة واسعة ج ﴾ أى فهو مع اقتداره قضى أنه يحلم عنكم
بالإمهال - ١] إلى أجل يعلمه .

و لما أخبر عن رحمته ، نوه بعظيم سطوته فقال : ﴿ ولا يرد باسه ﴾
أى ^٢ إذا أراد الانتقام ﴿ عن القوم المجرمين ٥ ﴾ أى القاطعين لما ينبغى
وصله ، فلا يغتر أحد بامهاله فى سوء أعماله وتحقيق ^٣ ضلاله ، وفى
[هذه الآية من شديد التهديد مع لطيف الاستعطاف ما هو مسبوك على
١٠ الحد - ١] الأقصى من البلاغة .

و لما تم ذلك فلم أن إقدامهم على الأحكام الدينية بغير حجة
أصلا ، اقتضى الحال أن يقال : [قد - ١] بطل بالعقل والنقل جميع
ما قالوه فى التحريم على وجه أبطل شركهم ، فهل بقى لهم مقال ؟ فأخبر
سبحانه بشبهة يقولونها اعتذارا عن جهلهم على وجه [هو وحده - ١]
١٥ كاف فى الدلالة على حقيقة ما يقوله ^٥ من الرسالة ، فوقع طبق ما قال
عن أهل الضلال ، فقال محبرا بما سيقولونه قبل وقوعه دلالة على صدق
رسله وكذب المشركين فيما يخالفونهم به : ﴿ سيقول ﴾ أى فى المستقبل ،
و أظهر موضع الإضمار تنصيحا عليهم و تبيكيتا لهم فقال : ﴿ الذين اشرکوا ﴾

(١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) زيد فى ظ : الذى (٣) فى ظ : تحقق .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : حقيقة (٥) من ظ ، وفى الأصل : يقول .

تكذبا منهم ﴿ لو شاء الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال عدم إشراكنا
وتحريمنا ﴿ ما أشركنا ﴾ أى بضم ولا غيره ﴿ ولا آبآؤنا ﴾ أى ما
وقع من إشراك ﴿ ولا حرمتنا من شيء ﴾ أى ما تقدم من البحار
و السوائب و الزروع وغيرها أى^٢ ولكنه لم يشأ الترك و شاء الفعل ففعلنا
طوع مشيئته ، وهو لا يشاء إلا الحق و الحكمة لأنه قادر ، فلو لم يكن حقا ه
يرضاه لمنعنا منه ، وهو لم يمنعنا منه فهو حق .

ولما كان هذا عنادا منهم ظاهرا بعد وضح الأمر بما أقام على
صدق رسله من البينات ، كان كأنه قيل تعجبا منهم : [هل^٢ -] فعل
أحد غيرهم مثل فعلهم هذا أو قال مثل ما قالوا ؟ فقيل : نعم ﴿ كذلك ﴾
أى مثل ذلك التكذيب البعيد عن الصواب ﴿ كذب الذين ﴾ ولما ١٠
لم يكن التكذيب عاما أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ من الأمم
الحالية بما أوقعوا من نحو هذه المجادلة فى قولهم إذا كان الكل بمشيئة
الله كان التكليف عبثا ، فكانت دعوى الأنبياء باطلة ، وهذا القول من
المشركين عناد بعد ثبوت الرسالات بالمعجزات وإخبار الرسل بأنه يشاء
الشيء و يعاقب عليه لأن ملكه تام و ملكه عام ، فهو لا يسأل عما يفعل ، ١٥
و تبادى بهم غرور التكذيب ﴿ حتى ذاقوا بأسنا ﴾ أى عذابنا لما لنا من
العظمة ، فان من له الأمر كله لا يسأل عما يفعل^٣ ، فلم ينفعهم عنادهم
عند ذوق البأس ، / بل^٢ انحلت عزائمهم فخفضوا لنا و آمنوا برسلتنا ، ٢٦٧ /

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : بما (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من
ظ ، وفى الأصل « و » (٥) فى ظ : بما (٦) زيد فى ظ : و تبادى بهم غرور
التكذيب .

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، فالآية من الاحتباك : أثبت أولا الإشراك دليلا^١ على حذفه ثانيا ، وثانيا التأكيد دليلا على حذفه أولا ، وسيأتى توجيه أنه لا بد من تضليل إحدى الطائفتين المتعاندتين^٢ وإن كان الكل بمشيئة الله ، لأنه لا مانع من إتيان الأمر على خلاف الإرادة .

و لما كان ما قالوه شبهة بعيدة عن العلم ، أعلى درجاتها أن يكون هـ من أنواع الخطابة فتفيد^٣ الظن فى أعظم مسائل علم الأصول الذى لا يحل الاعتماد فيه إلا على القواطع ، أمره أن يقول لهم ما ينبتهم على ذلك فقال :

(قل) أى هؤلاء الذين تلقوا ما يلقيه الشيطان إليهم - كما أشير إليه فى سورة الحج - [تهكما بهم فى بعدهم عن العلم وجدالهم بعد نهوض ١٠ الحجج -^٤] (هل عندكم^٥) أيها الجهالة ، وأغرق فى السؤال فقال :

(من علم) أى يصح الاحتجاج به فى مثل هذا المقام الضنك (فتخرجوه لنا^٦) أى لى ولا تباعى وإن كان مما يجب أن يكون مكنونا مضمونا به على غير أهله مخزونا ، فهو تهكم بهم .

و لما كان جوابهم عن هذا السكوت لأنه لا علم عندهم ، قال دالا ١٥ على ذلك : (ان) أى ما (تتبعون) أى فى قولكم هذا وغالب أموركم (الا الظن) أى فى أصول دينكم وهى لا يحل فيها^٧ قول إلا بقاطع (وان) أى وما (انتم الا تخرصون^٨) أى تقولون^٩ تارة

(١) من ظ ، وفى الأصل : دليل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فيفيد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥ - هـ) تأخر فى الأصل عن « السؤال فقال » والترتيب من ظ (٦) فى ظ : فى (٧) من ظ ، وفى الأصل : يقولون .

بالحزر والتخمين و تارة بالكذب المحض اليقين .

ولما اتفق^١ أن يكون لهم حجة ، وثبت أن الأمر إنما هو لله ، ثبت أنه المختص بالحجة الواضحة ، فقال مسياعن ذلك : (قل فله) أى الإله الأعظم وحده^٢ (الحجة البالغة) أى التى^٣ بلغت أعلى درجات الحق قوة ومثانة وبيانا ووضوحا ورصانة بسبب أنه شامل العلم كامل القدرة كما أقررتم بذلك ه حين قلتم ” و لو شاء الله ما اشركنا “ وإن كنتم قلتموه على سبيل الإلزام والعناد لا لأجل الدين والاعتقاد (فلو شاء) أى الله (لهدنكم) أى أتم و مخالفكم (اجمعينه) ولكنه لم يشأ ذلك ، بل شاء هداية بعض و ضلال آخرين ، فوقع ذلك على الوجه الذى شاءه ، فلزم على قولكم أن يكون الفريقان محقين ، فيكون الشيء الواحد حقا غير حق فى ١٠ حال واحد ، وهذا لا يقوله عاقل ، و يلزمكم على ذلك أيضا^٤ أن توالوا أخصامكم ولا تعادوهم وإن فعلوا ما فعلوا ، لأنه حق رضى الله لأنه^٥ بمشيئته وأنتم لا تقولون ذلك ، فبطل قولكم فثبت أنه قد يشاء الباطل لأنه لا يسئل عما يفعل و يرسل الرسل [إليكم - ٦] لإزالته ليقيم بهم الحجة على من^٧ يريد عقابه على ما يتعارفه الناس بينهم ، وورود^٨ الأمر على ١٥ خلاف الإرادة غير ممتنع .

ولما صدق الحق ، [و - ٦] انكسر جند الباطل و اندق ييطان

- (١) من ظ ، وفى الأصل : تنفى - كذا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، وفى الأصل : حق (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا . (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : ما (٨) من ظ ، وفى الأصل : ورد .

جميع شبههم ، ونظقت الدلائل وأختم المجادل ، فإن أنه لا شاهد لهم بحق
لأنه لا حق لهم ، كان كأنه قيل : قل لهم : ها أنا قد شهد لي بما قلته مَنْ
لا ترد شهادته وزكاني الذي لا يقبل إلا تركيته بهذا الكتاب الذي كان
عجزكم عن الإتيان بشيء من مثله شاهداً بأنه قوله ، فهل لكم أنتم من شاهد
يقبل ! ولما لم يكن لهم شاهد غير متخصبهم^١ ، فإن المبطل يظهر باطله
عند المحاققة سنة من الله مستمرة ، فيظهر للشهود لهم بما يلوح من بهتهم
أنهم ليسوا على شيء^٢ ، أمره سبحانه أن يأمرهم بدعائهم ليظهر خزيهم
و تشتهر فضيحتهم^٣ فقال : ﴿ قل لهم ﴾ أى احضروا ، وهى كلمة دعوة
يستوى فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع عند الحجازيين
١٠ ﴿ شهداءكم ﴾ .

ولما كان كأنه قيل : أى شهداء ؟ قال : ﴿ الذين يشهدون ﴾ أى
يوقعون الشهادة على ﴿ أن الله ﴾ أى الذى لا حكم لغيره ﴿ حرم هذا ﴾
أى الذى ذكرتموه من قبل ، وإضافة الشهداء إليهم ووصفهم
بـ « الذين » دليل على أنهم معروفون^٤ / موسومون بنصرة مذهبهم بالبطل ،
١٥ ولو قال : شهداء - من غير إضافة لأنهم أن المطلوب من يشهد بالحق
و ليس كذلك ، لأنه أقيم الدليل العقلي على أنه لا حجة لهم و أن الحجة

(١) فى ظ : هذا (٢) فى ظ : محترسيهم (٣) العبارة من هنا إلى « عند الحجازيين »
تقدمت فى ظ على « فإن المبطل » (٤ - ٤) من ظ ، وفى الأصل : شهر فضيحتهم
- كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : عن (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل : أنتم
معروفون - كذا .

لله على خلاف ما ادعوه ، فبطل قطعا أن يكون أحد يشهد على ذلك بحق .

ولما كان كأنه قيل : فانهم إذا حضروا^١ لا يقدرّون - إن كان لهم عقل أو فيهم حياة^٢ - على النطق إذا سمعوا هذا الحق ، بنى عليه قوله : ﴿ فان ﴾ اجتروا بوقاحة ﴿ شهدوا ﴾ أى كذبا و زورا بذلك ه الذى أبطلناه بالأدلة القطعية ﴿ فلا تشهد معهم ﴾ أى فتركهم [ولا تسلم لهم - ^٢] ، فانهم على ضلال و ليست شهادتهم مستندة [إلا - ^٢] إلى الهوى ﴿ ولا تتبع أهواء ﴾ وأظهر موضع الإضممار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف دلالة على أن القائد إلى التكذيب و كل ردى إنما هو [الهوى - ^٢] ، و أن من خالف ظاهر الآيات إنما هو صاحب هوى ، ١٠ فقال : ﴿ الذين كذبوا ﴾ أى أوقعوا التكذيب ﴿ بآيتنا ﴾ أى على ما لها من الظهور بما لها من العظمة باضافتها إلينا .

ولما وصفهم بالتكذيب ، أتبعه الوصف بعدم الإيمان ، ودل بالنسق بالواو على العراقة فى كل من الوصفين فقال : ﴿ و الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أى التى [هى - ^٢] دار الجزاء ، فانهم لو جوزوها^{١٥} ما اجتروا على الفجور ﴿ و هم بربهم ﴾ أى الذى لا نعمة عليهم و لا خير عندهم إلا وهو منه وحده ﴿ يعدلون ﴾ أى يحملون غيره عديلا له ، و سيعلمون حين يقولون لشركائهم و هم فى جهنم يحتصمون ” تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ” .

(١) فى ظ : حضروا (٢) فى ظ : حياة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : جوزها (٥) سورة ٢٦ آية ٩٧ و ٩٨ .

و لما أبطل دينهم كله أصولا وفروعا في التحريم و الإشراف ، و بين
فساده بالدلائل النيرة ، ناسب أن يخبرهم [بالدين الحق - '] بما حرمه الملك
الذى له الخلق و الأمر [و من غيره - '] ، فليس التحريم لأحد غيره
فقال : ﴿ قل تعالوا ﴾ أى أقبلوا إلى صاعدين من حضيض الجهل و التقليد
ه و سوء المذهب إلى أوج العلم و محاسن الأعمال ؛ قال صاحب الكشف :
هو من الخاص^٢ الذى صار عاما ، يعنى حتى صار يقوله الأسفل للأعلى
﴿ اتل ﴾ أى اقرأ ، من التلاوة و هى إتباع بعض الحروف بعضا . و لما
كان ' القصد عموم كل أحد بالتلاوة [وإنما خص مخاطبين بالذكر
لاعتقادهم خلاف ذلك - '] ، و ' كان المحرم أهم ، قدمه فقال : ﴿ ما حرم ربكم ﴾
١٠ أى المحسن إليكم بالتحليل و التحريم ﴿ عليكم ﴾ فسخطه منكم ، و ما وصاكم
به إقداما و إحجاما فرضيه لكم من قبيل^٣ الأصول و الفروع ؛ ثم فسر فعل
التلاوة ناهيا عن الشرك ، و ما بعده من مضمون الأمر إنما عدى عنها ،
فقال : ﴿ لا تشركوا به شيئا ﴾ الآيات مرتبا جملها أحسن ترتيب ، فبدأ
بالتوحيد فى صريح البراءة من الشرك إشارة إلى أن التخلي عن الرذائل
١٥ قبل التحلى بالفضائل ، فإن التقية^٤ بالحجة قبل الدواء ، و قرن به البر لانهما
من باب شكر المنعم و تعظيما لأمر العقوق ، ثم أولاه القتل الذى هو أكبر
الكبائر بعد الشرك ، و بدأه بقتل الولد لأنه أخشه و أخش من مطلقه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : بما (٣) فى ظ «و» (٤ - ٤) سقط
ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد بعده فى ظ : لـ (٦) من ظ ، وفى الأصل : .
فرضه (٧) من ظ ، وفى الأصل : قبيل (٨) فى ظ : التنقية .

فله^١ خوف القلة، فلما وصى بأول واجب للنعم الأول الموجد من العدم،
أتبعه ما لأول منعم بعده بالتسبب في^٢ الوجود، فقال ناهيا عن الإساءة
في صورة الامر بالإحسان على أوكد وجه لما للنفوس من التهاون في
حقها، وكذا جميع المأمورات ساقها هذا السياق المفهم لأن أضعافها
منهى عنها ليكون مأمورا بها منها عن أضعافها، فيكون ذلك أوكد لها
وأختم: ﴿و بالوالدين ج﴾ أى افعلوا بهما ﴿احسانا ج﴾ .

ولما أوصى بالسبب في الوجود، نهى عن التسبب في الإعدام وبدأ
بأشده فقال: ﴿ولا تقتلوا اولادكم﴾ ولما كان النهى غاما، وكان
ربما وجب على الولد قتل، خص لبيان^٣ الجهة فقال: ﴿من املاق^٤﴾
أى من أجل فقر حاصل بكم، ثم علل ذلك، ولأجل أن الظاهر هو حصول ١٠
الفقر قدم الآباء فقال: ﴿نحن نرزقكم﴾ بالخطاب، / أى أيها الفقراء، ٢٦٩/
ثم عطف عليه الابناء فقال: ﴿و اياهم ع﴾ و ظاهر قوله في الإسراء "خشية
املاق^٥"، أن الآباء موسرون ولكنهم يخشون من إطعام الابناء الفقر،
فبدأ بالاولاد فقال: ﴿[نحن -^٦] نرزقهم﴾ ثم عطف الآباء فقال "و اياكم" -
نبه عليه أبو حيان .

١٥

ولما كان قتلهم أخش الفواحش بعد^٧ الشرك. أتبعه النهى عن
مطلق الفواحش، وهى ما غلظت^٨ قباخته، وعظم أمرها بالنهى عن

(١) فى ظ: فعله - كذا (٢) فى ظ: الى (٣) فى ظ: بيان (٤) سقط من ظ .
(٥) آية ٣١ (٦) زيد من ظ والقرآن الكريم (٧) فى ظ: ثم (٨) من ظ ،
وفى الأصل: عطف .

القربان فضلا عن النسيان فقال: ﴿و لا تقربوا الفواحش﴾ ثم أبدل منها تأكيداً للتعظيم قوله: ﴿ما ظهر منها﴾ أى الفواحش ﴿وما بطن﴾ ثم صرح منها بمطلق القتل تعظيماً له بالتخصيص^١ بعد التعظيم فقال: ﴿و لا تقتلوا النفس التى حرم الله﴾ أى الملك الاعلى عليكم قتلها هـ ﴿الا بالحق﴾ أى الكامل، ولا يكون كاملاً إلا وهو كالشمس وضوحاً لاشبهة فيه، فصار قتل الولد منها عنه ثلاث مرات؛ ثم أكد المذكور بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم فى هذه المذكورات .

ولما كانت هذه الأشياء شديدة على النفس، ختمها بما لا يقوله^٢ إلا المحب الشفوق ليقبلها^٣ القلب يقال: ﴿و صمكم به﴾ أمراً ونهيًا؛ ولما كانت هذه الأشياء لعظيم خطرهما وجلالة وقعها فى النفوس لا تحتاج إلى مزيد فكر قال: ﴿لعلكم تعقلون هـ﴾ أى لتكونوا^٤ على رجاء من المشى على منهاج العقلاء^٥، فلم من ذكر الوصية أن هذه المذكورات هى الموصى بها والمحرمات أضدادها، فصار شأنها مؤكداً من وجهين: التصريح بالتوصية^٦ بها، والنهي عن أضدادها .

١٥ ولما كان المال عدل الروح من حيث أنه لا قوام لها إلا به، ابتدأ الآية التى تليها بالأموال، ولما كان أعظمها خطراً وحرمة مال اليتيم لضعفه وقلة ناصره، ابتدأ به فنهى عن قربه فضلاً عن أكله أو شربه

(١) من ظ، وفى الأصل: بالتخفيف (٢) من ظ، وفى الأصل: لا تقوله .
(٣) فى ظ: ليقبلها (٤) من ظ، وفى الأصل: ليكونوا (هـ) فى ظ: العقل (٦) من ظ، وفى الأصل: بالوصية .

فقال: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ أى بنوع من أنواع القربان عمل فيه
أو غيره ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ من الحاصل من السعى فى تميته و تميمه
و ليستمر ذلك ﴿حتى يبلغ أشده﴾ و هو سن يبلغ به أوان حصول
عقله عادة و عقل يظهر به رشده؛ ثم ثنى بالمقادير على وجه يعم فقال:
﴿واؤفوا﴾ أى أتموا ﴿الكيل و الميزان﴾ لأنها الحكم فى أموال الأيتام ،
و غيرهم؛ و لما كان الشيء ربما أطلق على ما قاربه نحو "قد قامت الصلاة"
أى قرب قيامها ، و هذا وقت كذا - إذا قرب جدا ، أزيل هذا الاحتمال
بقوله: ﴿بالقسط﴾ أى أيفاء كائنا به من غير إفراط و لا تفريط .
و لما كانت المقادير لا تكاد تتساوى لا سيما الميزان فانه أبعدا
من ذلك ، و أقربها الذرع و هو داخل فى الكيل ، فانه يقال: كال ١٠
الشيء بالشيء: قاسه ، أشار إلى أنه ليس على المكلف المبني أمره على
العجز للضعف إلا الجهد فقال: ﴿لا تكلف﴾ أى على ما لنا من العظمة
﴿نفسا الا وسعها﴾ و ما وراء الوسع معفو عنه؛ ثم ثلث بالعدل فى
القول لأنه الحكم على الأموال و غيرها ، و قدم عليه الفعل لأنه دال
عليه ، فصار الفعل موصى به مرتين فقال: ﴿و اذا قلم﴾ أى فى شهادة ١٥
أو [فى - ٢] حكم أو توفيق؛ بين اثنين أو غير ذلك ﴿فاعدوا﴾ أى
توفيقا بين القول و الفعل .

و لما كانت النفوس مجبولة على الشفقة على القريب قال:

(١) من ظ ، و فى الأصل: أشده (٢) فى الأصل و ظ: ثبت (٣) زيد من ظ .

(٤) من ظ ، و الأصل: توثيق (٥) سقط من ظ .

(ولو كان) أى المقول فى حقه له أو عليه بشهادة أو غيرها (ذاقربى ع)
 ولا تحايوه طمعا فى مناصرته أو خوفا من مضارته ؛ ثم ختم بالمهد لجمعه الكيل
 فى القول و الفعل / فقال : (و بعد الله) أى الملك الأعظم خاصة
 (أوفوا^١) وهذا يشمل كل ما على الإنسان و له ، فان الله لم يهمل شيئا
 ه بغير تقدم فيه ؛ ثم أكد تعظيم ذلك بقوله : (ذلكم) أى الأمر المعنى
 به (و تُسَكِّمُ به) أى ربكم المحسن إليكم .

ولما كانت هذه الأفعال و الأقوال شديدا على النفس العدل فيها
 لكونها 'شهوات' ، تقدم بالترغيب فيها و الترهيب منها بأن كل من
 يفعل شيئا منها مع غيره يوشك أن يفعل معه مثله ، فلذلك حض
 ١٠ على التذكر فى الوصية بها ولأنها خفية^٢ تحتاج إلى مزيد تدبر فقال :
 (لعلكم تذكرون^٣) أى لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر - ولو على
 وجه خفى بما أشار إليه الإدغام - فيما جبلت عليه نفوسكم من حجة مثل
 ذلك لكم ، فتحكموا لغيركم بما تحكمون به لأنفسكم .

ولما قرر هذه الشرائع ، نبه على تعظيمها بالخصوص على وجه يعم
 ١٥ جميع ما ذكر فى السورة بل و فى غيرها ، فقال : عاطفا على ما تقديره -
 عاطفا على المنهيات و أضداد المأمورات على وجه يشمل مآثر الشريعة - :
 ولا تزيغوا عن سبيل^٤ : (وان) أى ولأن - على قراءة الجماعة بالفتح ،
 أى اتبعوه لذلك ، و على قراءة ابن عامر و يعقوب بالكسر هو ابتداء

(١) من ظ ، وفى الأصل : المعين (٢) فى ظ : بكونها (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 حقيقة (٤ - ٤) - قط ما بين الرقيين من ظ .

(هذا) أى الذى شرعته لكم (صراطى) حال كونه (مستقيما فاتبعوه ج)
 أى بقاءة جهدكم لأنه الجامع للعباد على الحق الذى فيه كل خير .
 ولما كان الأمر باتباعه متضمنا للنهى 'عن غيره' ، صرح به
 تأكيدا لأمره فقال : (ولا تتبعوا السبل) أى المنشعبة عن الأهوية المفرقة
 بين العباد ، ولذا قال مسيا (ففرق بكم) أى تلك السبل الباطلة ه
 (عن سبله ') ٢ ولما مدحه آمرا به ناهيا عن غيره ميينا للعلة فى ذلك ،
 أكد مدحه فقال : (ذلكم) أى الأمر العظيم من اتباعه (وصمكم به) .
 ولما كان قد حذر من الزلل عنه ، وكان من المعلوم أن من ضل
 عن الطريق الأقوم وقع فى المهالك ، وكان كل من ٢ يتخيل أنه يقع فى
 مهلك يخاف ، قال : (لعلمكم تفقون ه) أى اتبعوه و آركوا غيره ليكون ١٠
 حالكم حال من يرجى له أن يخاف من أن يزل فيضل فيهلك ، وهذا
 كما مدحه سبحانه سابقا فى قوله " وهذا صراط ربك مستقيما " ، " قد
 فصلنا الأيت لقوم يذكرون " ، وفصل ما هنا من الأحكام فى ثلاث
 آيات ، وختم كل آية لذلك بالوصية ليكون ذلك أكد فى القول فيكون
 أدعى للقبول ، وختم كل واحدة منها بما ختم لأنه إذا كان العقل دعا ١٥
 إلى التذكر فحمل على التقوى .

ولما كانت هذه الآيات الثلاث وافية بالآيات العشر التى كتبها الله

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : على وجه خفى ملبس

كما أشار إليه الادغام (٣) من ظ ، وفى الأصل : شىء (٤) فى ظ : أكد .

لموسى عليه السلام على لوحى^١ الشهادة فى أول ما أوحى إليه فى طور سيناء
المشار إليها بقوله ” وعلّمتم ما لم تعلموا أتم ولا ابلؤكم “ وبنى عليها التوراة
وأمره أن يودعها فى تابوت العهد لتكون^٢ شهادة عليهم ، و على أعقابهم
كما هو مذكور فى وسط السفر الثانى من التوراة وقد مضى بيانه فى البقرة
و بآنى فى آخر هذه المقالة وزائدة عليها من الأحكام والمحاسن ما شاء
الله ؛ حسن أن تذكر بعدها التوراة ، فقال مشيراً بأداة التراخى إلى كل من
الترتيب^٣ والتعظيم : ﴿ ثم اتينا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى [تقتضى -^٤
تعظيم ما كان [من -^٥] عندنا / ﴿ موسى الكتب ﴾ أى المشار إليه بقوله
تعالى ” قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى “ - وهى - والله أعلم -
١٠ معطوفة على قوله ” وعلى الذين هادوا حرمانا كل ذى ظفر “ لأنه تعالى

/ ٢٧١

بعد أن أعطى موسى العشر الآيات واعدّه إلى الجبل مواعدة ثانية ، فشرع
له بعض الأحكام وأمره بنصب قبة الزمان التى^٦ يوحى إليه فيها ويصلون
إليها ، ويعض ما يتخذ من آلاتها كما مضى فى البقرة ، ثم ذكر بعد
ذلك بيسير تحريم الشحوم عليهم ، فقال فى أوائل السفر الثالث
١٥ وهو سفر الكهنة ، وفيه تلخيص^٧ أمر القرايين : ودعا الرب موسى وكله
فى قبة الأمد وقال له : كلم بنى إسرائيل وقل لهم : كل إنسان منكم إذا
قرب للرب قربانا من البهائم فلتكن قرايينكم^٨ من البقر ومن الغنم - إلى

(١) من ظ ، وفى الأصل : لوح (٢) من ظ ، وفى الأصل : ليكون .
(٣) من ظ ، وفى الأصل : الترك (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل :
الذى (٦) من ظ ، وفى الأصل : تخلص (٧) فى ظ : قرايينه .

• أن قال^١: ويقرب قربانا [للرب الحجاب المبسوط على الاحتشاء وكل
الثوب الذي على الأكشاح والكليتين = ^٢] أو الشحم الذي عليهما وعلى
الجنب - إلى أن قال: وقال: الشحوم^٣ للرب عهد الأبد، ولا تأكلوا
دما ولا شحما، ثم قال: وكلم الرب موسى وقال له: كلم بني إسرائيل
وقل لهم: لا تأكلوا شحم البقر ولا شحم الغنم: الضأن والماعز جميعا، لأن ه
كل من أكل شحم بهيمة و^٤ يقرب قربانا للرب، تهلك تلك النفس من
شعبها، ولا تأكلوا دما حيث ما سكتكم. لا دم البهائم ولا دم الطير،
وأية^٥ نفس أكلت دما تهلك تلك النفس من شعبها، وقال في السفر
الخامس: فأما الدم فلا تأكلوا ولكن ادفعوه على الأرض مثل الماء،
ثم قال بعده بقليل: وكلوا في قراكم من كل شهوات أنفسكم، ولكن إياكم ١٠
أن تأكلوا دما، لأن دم البهيمة هو في نفسها، فلا تأكلوا النفس^٦
مع اللحم ليحسن إليكم وإلى أولادكم من بعدكم إذا علمتم الحسنة^٧
أمام الله ربكم؛ رجس إلى السفر الثالث ثم قال: ودخل موسى
وهارون إلى قبة الزمان وخرجا ودعوا الشعب، فظهر مجد الرب أمام
جميع الشعب، ونزلت نار من قبل الرب فأحرقت الشحم والذبيحة ١٥
الكاملة لله^٨ على المذبح، وعين ذلك جميع الشعب^٩ أو حمدوا الله، وخر^{١٠}

(١) من ظ، وفي الأصل: تعالى - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل: كل (٥) سقط من ظ (٦) زيد
بعده في ظ: كل (٧) في ظ: الدم (٨) في ظ: الحسنة.

الشعب كله على وجهه؛ ثم ذكر عقب ذلك يسير^١ محرمات الحيوان، وكذا ذكر^٢ في السفر الخامس وقد جمعت بينهما و معظم السياق للخامس: قال: لا تأكلوا شيئاً نجساً، هذا^٣ أكلوا من جميع البهائم: الثور والجل و النعجة و المعز و الأيل و الظبي^٤ و الجوزر و الرخ و الرثم و الوعل و الثيل^٥ كل بهيمة ذات ظلف مقسوم ظلّفها تجتر كلوها، و حرموا من التي لا تجتر، و من التي لها ظلوف مقسومة و لا تجتر^٦ الجمل و الأرنب و الوبر التي تجتر و ليس لها أظلاف مقسومة هي نجسة لكم، و في الثالث: و حرموا من البهائم التي ليست لها أظلاف التي تجتر^٧: الجمل الذي يجتر و ليس له أظلاف هو [نجس - ٦] محرم عليكم، و الأرنب الذي ١٠ يجتر و ليس [له - ٦] أظلاف منجس محرم عليكم؛ رجع: و التحذير الذي له أظلاف و لا يجتر هو نجس، لا تأكلوا من لحوم هذه و لا تقربوا إلى أجسادها؛ و قال في الثالث: و لا تمسوا لحومها لأنها^٨ نجسة محرمة عليكم؛ و قال في الخامس من ترجمة الاثنين و السبعين: و إياكم أن تأكلوا كل نجس، و يكون الذي تأكلونه من الدواب العجل من البقر ١٥ و الخروف من الغنم و الجدى من المعز أو الأيل و الغزال و العين

(١) من ظ، و في الأصل: سر (٢) في ظ: ذكره (٣) من ظ و التوراة، و في الأصل: الطير (٤) من ظ، و في الأصل: الفيل، و في التوراة: الثيل - وهو صحيح (٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ . (٧) من ظ، و في الأصل: لا .

و الوعل و عنز الجبل و اليحمور و ناقة القمر^١ و الزرافة ، و كل دابة مشقوقة الظلف و هى تنبت أظافير [فى -^٢] كل ظلفها و اجتر من الدواب فإياه فكلوا ، و الذى لا تأكلون منه من الذى يجتر و من المشقوق الظلف الذى ينبت^٣ له أظافير الجمل و الأرنب و اليربوع ، فان ذلك يجتر و لكنه غير مشقوق الظلف ، / و هو لا يحل^٤ لكم ، و الخنزير أيضا فان ظلفه ه / ٢٧٢ مشقوق^٥ و ينبت فى ظلفه أظافير غير أنه لا يجتر ، و ما لا يجتر فانه لا يحل لكم فلا تأكلوا من لحومها و لا تقربوا أجسادها ؛ و قال فى الثالث منها : و كلم الرب موسى و هارون و قال لهما : كلما بنى إسرائيل و قولاً لهما : إن الذى تأكلونه من المواشى من جميع الأنعام التى على الأرض كل بهيمة قد شق ظلفها و^٦ هى تخرج أظفاراً فى كلال ظلفها و تجتر^٧ ، فذلك ١٠ الذى تأكلونه من الأنعام ، و الذى لا يحل مما يجتر^٨ و لم يشق ظلفه الجمل الذى يجتر و ظلفه غير مشقوق^٩ فانه غير طاهر لكم ، و اليربوع - و فى نسخة : السنجاب - الذى يجتر و ظلفه غير مشقوق [فانه غير طاهر لكم لم يطهر لكم ، و الأرنب الذى يجتر و ظلفه غير مشقوق فانه لا يطهر لكم و الخنزير فانه مشقوق -^{١٠}] الظلف و يخرج أظفاراً فى ظلفه و هو لا يجتر ٩٥ فانه لا يطهر لكم فلا تأكلوا من لحومها و لا تمسوا ما مات منها ، فان

(١) فى ظ : الثمر - كذا (٢) زيد ما بين الحائزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : نبت (٤) من ظ ، و فى الأصل : لا تحل (٥) فى الأصل و ظ : مشقوقة . (٦-٧) من ظ ، و فى الأصل : هو يخرج (٧) من ظ ، و فى الأصل : كل (٨) فى الأصل و ظ : يجتر (٩) فى ظ : لا يجتر .

ذلك لا يظهر لكم، رجع إلى نسختي، ثم ذكر في الطير و دواب البر قريبا
 بما في ' شرعنا إلى أن قال: ولا تأكلوا أشياء نجسة بل ادفعوها إلى
 السكان الذين في قراكم يأكلونها أو يبيعونها' من الغرباء، لأنك شعب
 طاهر لله ربك لا تطبخوا جديا بلبن أمه، وقال في ترجمة الاثنين و السبعين:
 ٥. ولا تطبخ الخروف بلبن أمه؛ وقال في السفر الخامس: وكلوا من الطير
 ما كان زكيا و حرموا هذه التي أصف لكم، لا تأكلوا منها شيئا: التسر
 و الحداء - و ذكر نحو ما عندنا، وقال في نسختي في الثالث: فمن مس
 شيئا من هذه - أي المحرمات - يكون نجسا إلى المساء، و من حمل منها
 شيئا فليغسل ثيابه و يكون نجسا إلى الليل - انتهى . الظبي - بالمعجمة
 ١٠. المشاركة^٢ - معروف، و الجوذ - بفتح الجيم و الذال المعجمة [و الراء -^٣]:
 البقرة الوحشية، و الرثم - بكسر المهملة: الظبي الخالص البياض، و الثيثل -
 بثلاثين مفتوحتين بينهما ياء تحتانية ساكنة: بقر الوحش، و الأيل - بفتح
 الهزرة و كسر التحتانية المشددة، الوعل - بفتح الواو و كسر المهملة - و هو
 تيس الجبل، و الحمل - بفتح المهملة: الرضيع من أولاد الضأن، و قوله:
 ١٥. لا تطبخوا جديا بلبن أمه، الظاهر أن معناه النهي عن أكله ما دام يرضع،
 و ما بعد الذي في الثالث هو معظم التوراة، و الذي في الخامس إنما هو
 إعادة لما في الثالث، فان الخامس تلخيص لجميع ما تقدمه من القصص
 و الأحكام مع زيادات، فصدق أن إيتاء الكتاب أتى معظمه بعد

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: يتبعونها (٣) من ظ، و في الأصل:

المشاة - كذا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

تحريم ما حرم عليهم ، ويجوز - وهو أحسن - أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره : ذلكم وصاكم به كما وصى بنى إسرائيل في الفصل الذى نسبته من التوراة كنسبة أم القرآن من القرآن ، وذلك هى العشر الآيات التى^١ هى أول ما كتبه الله لموسى عليه السلام ، وهى أول التوراة فى الحقيقة لأنها أول الأحكام ، وما قبلها فهو قصص و^٢حاصل هـ هذه العشر^٣ [آيات -^٤] : الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر من العبودية والرق ، لا يكون^٥ لك إله غيرى ، لا تقسم باسمى كذبا ، احفظ يوم السبت ، أكرم والديك ، لا تقتل ، لا تزنى ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تمدن عينيك^٦ إلى ما فى أيدي الناس ، فالمنى : ذلك وصيناكم به كما وصينا بنى إسرائيل به فى العشر الآيات^٧ وبعض ما آتينا^٨ موسى من التوراة ، ويجوز أن يكون التقدير : لكون هذه الآيات^٩ محكمة فى كل الشرائع لم تنسخ فى أمة من الأمم ولا تنسخ^{١٠} ، وصاكم به يا بنى آدم فى الزمن الاقدم ، ولم يزد الأمر بها فى التوصية إلا شدة "ثم آتينا" أى بما لنا من العظمة "موسى الكتب" أى جميعه وهى فيه ، حال كونه (تماما) لم ينقص عما بصلحهم شيئا (على) الوجه ١٥ (الذى احسن) أى [أنى -^١] بالإحسان فأثبت الحسن وجمعه بما بين (١) فى ظ : الذى (٢) زيد بعده فى ظ : سبب - كذا (م) من ظ ، وفى الأصل : العشرة (٤) زيد من ظ (هـ) من ظ ، وفى الأصل : لا يكون (٦) زيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ . (٨) من ظ ، وفى الأصل : لا ينسخ (٩) زيد من ظ .

من الشرع و بما حى طوائف / أهل الارض به من الإهلاك^٢ بعامه ،
فانه نقل أن الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد^٣ إنزال التوراة^٤
﴿و تفصيلا لكل شيء﴾ من جملة ذلك الفصل المحتوى على الكلمات العشر
الحاوية لكل شيء يحتاج إليه من أمر الدين و الدنيا ، كما أن القرآن
٥ تفصيل لكل شيء من الجوامع السبع التى حوتها أم القرآن الحاوية
لمصالح الدارين ، و فى هذين الاحتمالين المقتضيين لكون "ثم" على حقيقتها
من الترتيب و المهلة علم من أعلام النبوة ، وهو الاطلاع على أن العشر
الآيات و تحريم ما حرم عليهم بالبعى فى أوائل ما أوحى إلى موسى عليه السلام
بعد إغراق فرعون و أن معظم التوراة^٥ أنزل بعد ذلك ، وهذا لا يعرفه
١٠ إلا أحبارهم ﴿و هدى﴾ أى يانا ﴿ورحمه﴾ أى إكراما لمن يقبله و يعمل به
﴿لعلمهم﴾ أى بنى إسرائيل ﴿بلقاء ربهم﴾ أى الذى أخرجهم من مصر
من العبودية و الرق بقوته العظيمة و كلماته التامة ﴿يؤمنون﴾ أى ليكون
حالمهم بعد إنزال الكتاب - لما يرون من حسن شرائعه^٦ و فخامة كلامه
و جلالة أمره - حال من يرجى أن يحدد الإيمان فى كل وقت بقاء ربه
١٥ لقدرة على البعث الذى الإيمان به نهاية تصديق الانبياء لانه [لا - ']
تستقل به العقول ، وإنما ثبت^٧ بالسمع مع تجويز العقل له ، فعملوا
أنه لا يشبهه شيء كما أن كلامه لا يشبهه كلام فلا يبغيوا باتخاذ عجل غاية
(١) من ظ ، و فى الأصل : أهلاك (٢) من ظ ، و فى الأصل : عند (٣) من ظ ،
و فى الأصل : السورة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : سابقه (٦) من ظ ،
و فى الأصل : ثبت .

أمره خوار لا يفهم ومجمجة لا تفيد .

فلما بين^١ أن إنزال الكتب رحمة منه لأن غايتها الدلالة على منزلها
فتمثل^٢ أوامره وتتنق^٣ مناهيه وزواجره ، بين أنه لم يخص تلك الأمم
بذلك ، بل أنزل على هذه الأمة كتابا ولم يرض لها كونه مثل تلك
الكتب ، بل جعله أعظمها بركة وأينها دلالة ، فقال : ﴿ وهذا ﴾ أى هـ
القرآن ﴿ كتب ﴾ أى عظيم ﴿ أنزلته ﴾ أى بعظمتنا إليكم بلسانكم حجة
عليكم ﴿ منك ﴾ أى ثابت كل ما فيه من وعد ووعد وخير وغيره
ثباتا لا يمكن إزالته مع اليمن والخير .

ولما كان هذا معناه : وكان داعيا إليه محيا فيه ، سبب عنه قوله :
﴿ فاتبعوه ﴾ أى ؛ ليكون جميع أموركم ثابتة ميمونة ، ولما أمر باتباعه ١٠
وكان الإنسان ربما تبعه في الظاهر ، أمر بإيقاع التقوى المصححة للباطن
إيقاعا عاما ، ولذلك حذف الضمير فقال : ﴿ واتقوا ﴾ أى ومع ذلك
فأوقعوا التقوى ، وهى إيجاد الوقاية من كل محذور ، فان الخطر الشديد
والسلامة^٤ على غير القياس ، فلا تزايدوا الخوف من منزله بمجهودكم ، فان
ذلك أجدر أن يحملكم على تمام الاتباع وإخلاصه ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ ١٥
أى ليكون حالكم حال من يرجى له الإكرام بالعطايا الجسام ، والآيات
ناظرتان إلى قوله [تعالى " قل من أنزل الكتب الذى جاء به موسى -
إلى قوله - "] : وهم على صلاتهم يحافظون " ، ثم بين المراد من إنزاله

(١) فى ظ : تبين (٢) من ظ ، وفى الأصل : فيمثل (٣) من ظ ، وفى الأصل :
يتقى (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا يمكن (٦-٧) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ .

و هو إقامة الحجة البالغة فقال: ﴿ان﴾ أى لان لا ﴿تقولوا﴾ أو كراهة
 أن تقولوا أيتها الامة الامية ﴿انما انزل الكتب﴾ أى الربانى المشهور
 ﴿على طائفتين﴾ و قرب الزمن و بعضه بادخال الجار فقال:
 ﴿من قبلنا﴾ أى اليهود و النصارى ﴿وان﴾ أى و أنا - أو و أن
 ٥ الشأن - ﴿كنا عن دراستهم﴾ أى قراءتهم لكتابهم قراءة مرددة^٢.
 و لما كانت هى المخففة أتى باللام الفارقة بينها و بين النافية فقال:

﴿لغفلين لا﴾ أى لانعرف حقيقتها ولا ثبتت عندنا حقيقتها [ولا هى بلساننا-^٢]
 ﴿او تقولوا﴾ أى أيها العرب: لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا
 عالمين بها، ولكنه لا يجب اتباع الكتاب إلا على المكتوب إليه
 ١٠ فلم يتبعه، و ﴿لو اننا﴾ أهملنا لما أهلوا له حتى ﴿انزل علينا الكتب﴾ أى جنسه
 أو الكتاب الذى أنزل إليهم من عند ربنا ﴿لكننا اهدى / منهم﴾ أى
 لما لنس من الاستعداد بوفور العقل و حدة الأذهان و استقامة الأفكار
 و اعتدال الأمزجة و الإذعان للحق، و لذلك سبب عن هاتين علتين
 قوله: ﴿فقد جاءكم﴾ و ذكر الفعل مدحا لهذا القرآن و تفضيلا و تشريفا له
 ١٥ على كل ما تقدمه [و تنبها على أن يبان هذه السورة فى النهاية لانها
 سورة أصول الدين-^٣] ﴿بين﴾ أى حجة ظاهرة بلسانكم ﴿من ربكم﴾
 أى المحسن إليكم على لسان رجل [منكم-^٣] تعرفون أنه أولاكم بذلك
 ﴿وهدى﴾ أى يبان لمن تدبره عظيم^٤ (و رحمة ج) أى إكرام لمن قبله،

/ ٢٧٤

(١) منى ظ، و فى الأصل: أى (٢) فى ظ نموذودة (٣) زيه ملاين الحاجزين
 من ظ (٤) فى الأصل و ظ: فلم يتبعه (٥) سقط من ظ

فكذبت بها .

و لما قامت عليهم الحجة ، حسن وقوع [تحذير - ١] التقرير بقوله ٢ :
 ﴿ فن ﴾ أى قسب ٣ عن تكذيبكم أنه يقال يانا لأنكم أظلم الناس : من
 ﴿ اظلم من كذب ﴾ [أى أوقع التكذيب - ١] ﴿ بآيت الله ﴾ أى الذى
 لا أعظم منه فلا أعظم من آياته ، لأن الأثر على قدر المؤثر ﴿ وصدق ﴾ ه
 أى أعرض [إعراضا صار به كأنه فى صدف أى سد عن سهولة الاقنياد
 للدليل - ١] ﴿ عنها ٤ ﴾ [بعد ما عرف صحتها - ١] .

و لما كان الجواب قطعا : لا أحد أظلم منه ، فكان الحال مقتضيا
 لتوقع ما يجازى به ، قال : ﴿ سنجزى ﴾ أى بوعد صادق لا خلف فيه ،
 و أظهر ما أصله الإضممار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف [فقال - ١] : ١٠
 ﴿ الذين يصدفون ﴾ أى يحددون الإعراض و لا يتوبون ﴿ عن آيتنا ﴾ أى
 على ما لها ٥ من العظمة ﴿ سوء العذاب ﴾ أى الذى يسوء نفسه ٦
 ﴿ بما كانوا يصدفون ه ﴾ أى بسبب إعراضهم الذى كان عادة لهم .

و لما كان أسوء السوء حقوق العذاب ٧ ، و كان حقوقه بعدم قبوله ٨
 التوبة ، فيمره بقوله مهونا له ٩ و مسهلا بتجريد الفعل : ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ١٥
 ما ينظرون هؤلاء المكذبون أدنى انتظار وأقربه وأيسره ﴿ إلا ان تاتيهم ﴾
 [أى حال تكذيبهم - ١] ﴿ الملتشكة ﴾ أى بالامر الفصيل من عذابهم

(١) زيد ما بين الحازين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : لقوله (٣) من ظ ،
 وفى الأصل : قسب (٤) من ظ ، وفى الأصل : قيد (٥) من ظ ، وفى الأصل :
 لنا (٦) فى ظ : منه (٧) من ظ ، وفى الأصل : عذاب (٨) سقط من ظ .

كما هي عادتها في إتيانها المكذبين ﴿ او يأتى ربك ﴾ أى ظهور أمر المحسن إليك أتم ظهور بجميع الآيات التى تحملها العقول و ذلك يوم الجزاء ﴿ او يأتى ﴾ وأبهم تهويلا للأمر و تعظيما فقال : ﴿ بعض أئنت ربك ﴾ أى أشرط الساعة التى يكون فيها ظهوره التام و إحسانه إليك الأعظم ٥ مثل دابة الأرض التى تميز الكافر من المؤمن و طلوع الشمس من مغربها المؤذن باغلاق باب التوبة ؛ روى البخارى فى التفسير وغيره عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا رآها الناس آمن من عليها ، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، ثم قرأ الآية .

١٠ ولما كان إتيان الملائكة - أى كلهم - أمرا لا يحتمل العقول وصف عظمته ، ولا بشرى للجرمين عند رؤيته ، فانه لو وقع على صورتهم لتقطعت أوصالهم ولم يحتمل قواهم فقصى الأمر ثم لا ينظرون ، وأما تجلى الرب سبحانه وعز اسمه وجلت عظمته

فالامر أعظم من مقالة قاتل إن رقق البلغاء أو^٢ إن غمبوا

١٥ ترك ما يترتب عليه وقال : ﴿ يوم يأتى ﴾ [أى يكشف و يظهر - '] ﴿ بعض أئنت ربك ﴾ أى المحسن إليك بالإتيان بذلك تصديقا لك و ترويعا و تدميرا لمخالفك ﴿ لا ينفع نفسا ﴾ أى كافرة ﴿ إيمانها ﴾ أى إذا ذلك ، ولا نفسا مؤمنة كسبها الخير إذا ذلك فى إيمانها المتقدم على تلك الآية [بالتوبة فإوراءها - '] ، ولذلك بينه بقوله ' واصفا نفسا : ﴿ لم تكن ﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : تكون (٢) فى ظ : لم تحتمل (٣) من ظ ، وفى الأصل

« و » (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) سقط من ظ .

أى الكافرة ﴿أمنت﴾ و يسر الأمر ببعض زمان^١ القبل ، ولم يكلف^٢ باستغراقه بالإيمان^٣ فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل^٤ مجيء الآية فى زمن متصل بمجيئها^٥ .

ولما ذكر الكافرة ، أتبعها المؤمنة فقال عاطفا على "أمنت" : ﴿أو﴾
لم تكن المؤمنة العاصية ﴿كسبت﴾ [أى من قبل - '] ﴿فى إيمانها﴾ .
أى السابق على مجيء الآية ﴿خيرا^٦﴾ أى توبة ، و بعبارة أخرى : نفسا
كافرة^٧ إيمانها المجدد بعد مجيء الآية ، و هو معنى "لم تكن أمنت من قبل"
أو نفسا مؤمنة كسبها الخير بعد مجيء الآية ما لم تكن كسبت / فى إيمانها ٢٧٥ /
السابق على الآية خيرا ، و الحاصل أنه لا يقبل عند ذلك إيمان كافر ولا
توبة فاسق - كما قاله البغوى - لأن المقصود من التصديق و التوبة الإيمان ١٠
بالغيب و قد فات بالآية الملتجئة ، فيكون فاعل الفعل المقدر فى "كسبت"
محذوفا ، و التقدير : لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل ، أولم تكن كسبت
فى إيمانها خيرا إيمانها و كسبها ، فالإيمان راجع إلى من لم يؤمن ، و الكسب
راجع إلى من لم يكسب ، و هو ظاهر ، و التهديد بعدم نفع الإيمان
عند مجيء الآية أعظم دليل على ما ذكرته من التقدير ، و الآية من الاحتباك : ١٥
ذكر إيمانها أولا دليل على حذف كسبها من الجملة الثانية ، و ذكر جملتى
"أمنت و كسبت" ثانيا دال على حذف كافرة و مؤمنة أولا .

و لما كان هذا تهديدا - كما ترى - هائلا ، أتبعه ما هو أشد منه للتنبيه

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : باستغراق الإيمان (٣-٣) من ظ ، وفى الأصل :
مستقبل مجيئها (٤) زيد من ظ .

على أن أهل الإيمان سالمون من ذلك بقوله: ﴿ قل انتظروا ﴾ أى بغاية جهدهم أيها المكذبون ﴿ انا منتظرون ه ﴾ بجهدنا، و ستعلون لمن تكون العاقبة .

ولما نهى عن اتباع السبل^٢ لأنها سبب التفرق عن الحق، و كان قد كرر^٢ فى هذه السورة^٤ نصب الحجج و إنارة الأدلة و إزاحة الشكوك و محو آثار الشبه، و أشرفت السورة على الانقضاء . و كان من المعلوم قطعا أن الحق - من حيث هو حق - شديد التأثير فى إزهاق الباطل؛ فكيف إذا كان كلام الملك الذى لا يخالف أمره و لا يخرج عن إرادته؛ اشتد استشراف^٢ النبي صلى الله عليه و سلم إلى رؤية ذلك الأثر مع ما عنده ١٠ من الحرص على إسلام قومه لما طبعه الله عليه من الشفقة على جميع الخلق عموما و عليهم خصوصا، و إنما يكون ذلك الأثر بإيجاد هدايتهم و محو غوايتهم، فلما ختم سبحانه بهذين التهديدين العظيمين الدالين على غشاوتهم، فاته^٥ صلى الله عليه و سلم مما كان رجاء من هدايتهم أمر كأنه [كان -^٦] قد حصل، و ذلك مورث للشفوق من الأسف [على -^٦] ما لا يدرى ١٥ قدره و لا يوصف خبره، فثبته سبحانه و سلاه بقوله: ﴿ ان الذين فرقوا ﴾ أى بعد إيلائك إياهم ﴿ دينهم ﴾ أى بتكذيبهم ببعض آيات الله و صدوفهم^٧ عنها و إيمانهم ببعضها فقارقه، لأن الكفر ببعضه كفر ب كله، و أضيف الدين إليهم لشدة^٨ رغبتهم فيه و مقاتلتهم عليه؛ (١ - ١) - سقط ما بين الرقمن من ظ (٢) فى ظ: الرسل (٣) فى ظ: ذكر . (٤) - سقط من ظ (ه) فى الأصل و ظ: فاته (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: صدوفهم (٨) من ظ، و فى الأصل: شدة .

(و كانوا شيعا) كل فرقة تشايح و تشيع إمامها كالعرب الذين تحزبوا
أحزابا بالاستكثار من الأصنام ، فكان في كل قطر لهم معبود أو اثنان
فأكثر ، و كأهل الكتاب الذين ابتدعوا في دينهم بدعا أوصلتهم إلى
تكفير بعضهم بعضا و آمنوا ببعض الأنبياء و كفروا ببعض . و كالمجوس
الذين مزقوا دينهم باعتقاد أن الإله اثنان : النور و الظلمة ، و عبدوا
الأصنام و النجوم و جعلوا لكل نجم صنما يتوسل به في زعمهم إليه
(لست منهم) أى من حسابهم و لا [من - '] عقابهم و لا من
خلق الهداية في قلوبهم (في شيء) و في هذا غاية الحث على الاجتماع
و نهاية التوعد على الافتراق .

و لما خفف عنه صلى الله عليه و سلم بترمه منهم ، أسند إلى نفسه ١٠
المقدس ما يحق له في إحاطة علمه و قدرته ، فقال جوابا لمن يقول :
قالى من يكون أمرهم ؟ : (إنما أمرهم) أى فى ذلك كله و فى كل ما يتعلق
بهم عما لا يحصره حد و لا يحصيه عد (الى الله) أى الملك الذى
لا أمر لاحد معه^٢ غيره ، فمن شاء هداه و من شاء أعماه^٢ ، و من شاء
أهلكه و من شاء أبقى^٢ لأن له كمال العظمة . ١٥

و لما كان الحشر متراخيا عن ذلك كله فى الرتبة و فى الزمان ،
لا تبلغ كنه عظمته العقول ، نبه على ذلك بالتعبير بأداة التراخي و التنيه

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكسب الزيادة فى ظ

لحذفها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .

٢٧٦ / [بقوله - ' : (ثم) بعد استيفاء ما ضرب لهم / من الآجال (ينبتهم)
 أى تنبتة ' عظيمة جليلة ' مستقصاة بعد أن يحشرهم إليه داخرين (بما كانوا)
 [أى جبلة و طبعاً - '] (يفعلون) [أى - '] من تلك الاشياء ' القبيحة
 التى كان لهم إليها أتم ' داعية غير متوقفين فى إصدارها على علم مع ادعاء
 ٥ التدين بها ، ' و الآية ' - مسح ما تقدم من مقتضياتها ' - تعليل لقوله
 ' و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ' .

ولما أخبر أن أمرهم ليس إلا إليه ، كان كأنه قيل : فماذا يفعل بهم
 حينئذ ؟ فأجيب بقوله : (من جاء) أى منهم أو من غيرهم (بالحسنة) أى
 الكاملة بكونها على ' أساس الإيمان (فله) من الحسنات (عشر أمثالها)
 ١٠ كرماً وإحساناً وجوداً وامتناناً ، يحازيه بذلك فى الدنيا أو فى الآخرة ،
 وهذا المحقق ' لكل أحد ويزداد ' البعض ' وضوحاً بحسب النيات ، وذكر
 العشر ، لأنه بمعنى الحسنة ، وهو مضاف إلى ضميرها . ولما تضمن قوله
 " و اوفوا الكيل و الميزان بالقسط " مع تعقيبه بقوله " لا تكلف نفساً "
 الا وسعها " الإشارة إلى أن المساواة فى الجزاء " كما ينقطع " ١٢ دونه أعناق
 ١٥ الخلق ، أخبر أن ذلك عليه هين لأن علمه شامل و قدرته كاملة بقوله :

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : عظيم جليل (٣) فى ظ :
 الاسباب (٤) من ظ ، وفى الأصل : ثم (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٦) فى ظ : فيضاتها (٧) من ظ ، وفى الأصل : من (٨) من ظ ، وفى الأصل :
 لتحقق (٩) فى ظ : يزداد (١٠) زيد فى ظ : ببعض (١١-١١) فى ظ : لا تكلف نفس .
 (١٢-١٢) من ظ ، وفى الأصل : بما ينقطع .

﴿ ومن جاء بالسيئة ﴾ أى أى شيء كان من هذا الجنس ﴿ فلا يجزى ﴾
 أى فى الدارين ﴿ الا مثلها ﴾ [إذا جوزى ، ويعفو عن كثير - ١] .
 ولما كانت المماثلة لا يلزم كونها من كل وجه وإن كانت ظاهرة
 فى ذلك ولا سيما فى هذه العبارة ، صرح بما هو ظاهره لأنه أطيب للنفس
 وأسكن للروع فقال : ﴿ وهم لا يظلمون ٥ ﴾ أى بكونها مثلها فى الوحدة ٥
 وإن كانت أكبر أو من جنس أشد من جنسها ونحو ذلك ، بل المماثلة
 موجودة فى الكم والكيف ٢ ، فلا ينقص أحد فى ثواب ولا يزداد
 [فى - ١] عقاب .

ولما تضمن ما مضى تصحيح التوحيد بالأدلة القاطعة وتحقيق أمر
 القضاء والقدر وإبطال جميع أديان الضلال ووصفها بفرق أهلها الدال ١٠
 على بطلانها واعوجاجها ، وختم بهذا التحذير الذى لا شيء أقوم منه
 ولا أعدل ، أمره صلى الله عليه وسلم بالإعلان بأمره وأن يصف دينه
 الذى شرعه له ١ وهداه إليه بما فيه من المحاسن تحببها فيه وحثا عليه ولأن
 ذلك من نتيجة هذه السورة فقال : ﴿ قل ﴾ وأكد بالإتيان بالتونين
 فقال : ﴿ انى هدنى ﴾ أى يانا وتوفيقا ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلى بكل ١٥
 خير لا سيما هذا الذى أوحاه إلى وأنزله على ﴿ الى صراط مستقيم ٥ ﴾
 أى طريق واسع بين ، ثم مدحه بقوله : ﴿ دينا قيما ﴾ أى بالغ الاعتدال
 والاستقامة ثابته ، هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو بفتح

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : أكثر (٣) فى ظ : الكيل (٤) فى ظ : لامته .

(٥) تأخر فى الأصل عن « واسع بين » والترتيب من ظ .

القاف و تشديد الياء المكسورة^١ ، وهو^٢ في قراءة الباقيين بكسر القاف
 وفتح الياء الخفيفة مصدر بمعنى القيام وصف به للبالغة ، وزاده مدحا
 بقوله مذكرا لهم - لتقليدكم الآباء - بأنه دين أبيهم الاعظم : ﴿ملة ابراهيم﴾
 والملة ما أظهره نور العقل من الهدى في ظلم ما ألزمه الناس من عوائد
 ه أمر الدنيا - أفاده الحرالي . و لذلك قال : ﴿حنيفا ج﴾ أى لنا هينا
 سهلا قابلا للاستقامة لكونه^٣ ميلا مع الدليل غير جاف ولا كز واقف
 مع التقليد عمى عن نور الدليل - كما تقدم ذلك في البقرة ، وهو معنى
 قوله : ﴿وما﴾ أى والحال أنه ما^٤ ﴿كان من المشركين ه﴾ أى الجامدين
 مع أوهامهم فى ادعاء شريك لله مع رؤيتهم له فى كونه لا يضر ولا ينفع
 ١٠ ولا يصلح لشركه آدمى فضلا عن غيره بوجه ، لا يتقادون لدليل ولا يصغون
 إلى قيل ، فكان^٥ هذا مدحا لهذا الدين الذى هدى إليه صلى الله عليه وسلم
 و يانا لأنه الذى اختاره سبحانه لخليله إبراهيم عليه السلام رجوعا إلى^٦
 ” و اذ قال ابراهيم لايه ازر “ الذى بنيت السورة فى الحقيقة عليه ،
 و ألقيت / أزمة أطرافها إليه ، و ترغيبا فى هذا الدين لأن جميع المخالفين
 ١٥ يتشبثون بأذيال إبراهيم عليه السلام : العرب و أهل الكتابين بنسبة الأبوة ،
 و المجوس بنسبة البلد و الأخوة ، و أشار بذلك إلى أن محمدا صلى الله
 عليه وسلم فهم^٧ ما حاج به أبوه إبراهيم عليه السلام قومه و قبله^٨ ، فلم ينسب
 (١) من ظ ، وفى الأصل : مكسورة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى
 الأصل : بكونه (٤) من ظ ، وفى الأصل : وكان (ه) من ظ ، وفى
 الأصل : قلبه .

كغيره إلى جمود ولا عناد .

ولما كان [كأن - ١] سائلا قال : ^٢ وما هذه الملة التي تكرر مدحها والدعاء إليها ؟ أجاب بقوله ليتأسي به أهل الإيمان ، فليتزموها جميع ما يدعوا إليه على وجه ^٣ الإخلاص : ﴿ قل ان صلاتي ﴾ أي التي هي لباب الدين و صفاوته ^٤ ﴿ ونسكي ﴾ أي جميع عبادتي من الذبائح وغيرها ه ﴿ ومحاي ﴾ أي حياتي وكل ما يجمعه من زمان ومكان وفعل ﴿ وعمائي لله ﴾ أي الملك الأعظم الذي لا يخرج شيء عن أمره ؛ و [لما - ٤] علم بالاسم الأعظم أنه يستحق ذلك لذاته ، أعلم أنه يستحقه من كل أحد لإحسانه إليه وإنعامه عليه فقال : ﴿ رب العلمين ٥ ﴾ الموجد والمدبر والموعى لهم .

ولما أعلم أنه يستحقه لذاته و وصفه ، أعلم أنه يستحقه وحده ١٠ فقال : ﴿ لا شريك له ج ﴾ أي ^٦ ليكون لشريكه [على زعمكم شيء - ٤] من العبادة لما كان له شيء من الربوبية ، فأبان بهذا أن وجهه صلى الله عليه وسلم ووجه من تبعه واحد لا افتراق فيه ^٧ ، وهو قصد الله وحده على سبيل الإخلاص كما أنه يوحد ^٨ بالإحياء والإماتة فينبغي أن يوحد بالعبادة .

ولما دل على ذلك برهان العقل ، أتبعه بحازم النقل فقال [عاطفا ١٥] على ما تقديره : إلى ذلك أرشدني دليل العقل - ٤] : ﴿ وبذلك ﴾ أي الأمر العالي من توجيه أموري ^٩ إليه على وجه الإخلاص .

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : صفاته - كذا (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : المذل - كذا (٦) في ظ : ان . (٧) من ظ ، وفي الأصل : منه (٨) في ظ : توحد (٩) من ظ ، وفي الأصل : امرى .

[ولما كان له سبحانه في كل شيء آية تدل على أنه واحد ، فكان

كل شيء أمرا بالتوحيد بلسان حاله أو ناطق قائله ، نبى للفعول قوله - '] :

(امرت) [أى - '] يعنى أن هذا الدين لو لم يرد به أمر كان ينبغى

للعاقل أن يدين به ولا يعدل عنه لشدة ظهوره وانتشار نوره بما قام عليه

٥ من الدلائل و درج على اتباعه من الأفاضل و الأماثل ، فكيف إذا برزت

به الأوامر الإلهية و دعت إليه الدواعى الربانية (وانا أول^٢ المسلمين)

أى المتقادين لما يدعو إليه داعى الله فى هذا الدين ، لا اختيار لى أصلا ، بل

أنا مسلوب الاختيار فيه منقاد أتم انقياد ، وهذه الأولية على سبيل الإطلاق

فى الزمان و الرتبة بالنسبة إلى أمته صلى الله عليه و سلم و فى الرتبة بالنسبة

١٠ إلى من تقدمه من الأنبياء و غيرهم ، و هذا أيضا من باب الإحسان فى

الدعاء بالتقدم إلى ما يدعو إليه و أن يحب للدعو ما [يحب - '] لنفسه

ليكون أنقى للهمة و أدل على النصيحة فيكون أدعى للقبول .

و لما حاجوه فى الشرك فى هذه السورة غير مرة كما حاج إبراهيم

عليه السلام قومه ، و كان آخر ذلك أن دعاهم صلى الله عليه و سلم

١٥ إلى تلاوة ما أنزل عليه سبحانه فى تحريم الشرك و شرح دينه القيم ،

ثم كرر هنا ذمهم بالفرق الدال على الضلال و لابد ، و مدح دين الرسل

الذى تقدم أنهم لم يختلفوا^٢ فيه أصلا ، و أيا أس الكفار من موافقته صلى الله

عليه و سلم لهم نوعا من الموافقة و ميله معهم شيئا من الميل ، أمره

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و القرآن الكريم و فى الأصل: من (٣) من ظ ،

و فى الأصل: لم يختلفوا (٤) من ظ ، و فى الأصل: اليهم .

سبحانه - بعد أن ثبت بأول السورة و أثباتها و آخرها أنه لأرب غيره -
بالإنكار على من يريد منه ميلا' إلى غير من تفرد بحياه و ماته ، فكان
له التفرد بما بينهما و ما بعد ذلك من غير شبهة ، و التوييح الشديد فقال :
(قل) أي هؤلاء الذي يطعمون أن تطرد أصحابك من أجلهم
(اغير الله) أي الذي له الكمال كله (ابني) أي أطلب و أريد بالإشراك ه
فان الغنى المطلق لا يقبل' من أشرك به شيئا (ربا) أي منما يثلى
مصالحى كما يغيم أنتم ، فهو تعرض بهم و تنليه لهم ، و الإستاذ' إليه
صلى الله عليه وسلم - و المراد جميع الخلق - من باب الإنصاف فى المناظرة
للأستغفاف (وهو) أي و الحال أنه كما ثبت بالقواطع و ركز فى
العقول الثابت و طبع / فى أنوار الأفكار' اللوامع (رب كل شيء) ١٠ / ٢٧٨
أي موجد و مربية ، أفينفى لاحد أن يدين لغير سيده و ذلك الغير
مربوب مثله لسيده ، هذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه .

و لما أنكر على من ينجح إلى غيره مع غوم بره و خيره ، أتبعه
الترويع من قويم عدله فى عظيم ضره فقال : (ولا) أي و الحال أنه
[لا - ١٠] (تكسب كل نفس) أي ذنبا و إن قل مع التصميم و العزم ١٥
القوى الذى هو بحيث يصدقه العمل - كما مضى فى آية البقرة (الا عليها)
أي لا يمكن أن يكون باطلا لا عليها و لا على غيرها ، وإذا كان عليها

(١) من ظ ، و فى الأهل : الميل (٢) فى ظ : لا يقبه (٣) فى ظ : الاستناد .
(٤) زيدت الواو بعده فى الأهل ، و لم تكن فى ظ فخذناها (ه) زيد من ظ .

لا يمكن^١ أن يحاسب به سبحانه شواها لأنه عدل حكيم فكيف أدعو غيره
دعاء جليلاً أو خفياً وذلك أعظم الذنوب^٢ والتنفير من الشرك الخفي
بالإيحاء وكل معصية وإن صغرت^٣، جرد الفعل عن الافتعال لثلاثتهم
أنه لا يكون عليها إلا [ما - ٢] بالفت^٤ فيه، والسياق هنا واضح في
أن الكسب مقيد بالذنوب فإنه في دعاء غير الله وآية البقرة للإيحاء إلى
الذنوب [الذي - ٥] لا يقع^٦ إلا بشهوة شديدة من النفس له لطبعها على
النقاص، فهي لا تنافي هذه لأن ما كسبته من الذنوب قد علم من ثم^٧
أنه اكتساب^٨، وأحسن من هذا أن يقال: ولما كان المعنى أني إن بغيت
رباً غيره وكفى إلى ما توليته، وأنا إنسان والإنسان مطبوع على النقاص
١٠ فهلك، عبر عنه بقوله مجرداً للفعل لقصد العموم: "ولا تكسب كل
نفس" بما هي نفس ناظرة في نقاستها معرضة عن ربها موكولة إلى حولها
وقوتها "الأعليها" ولا يحمل عنها غيرها شيئاً من وزرها؛ ولما كان
ربما حمل أحد عن غيره شيئاً من أثقاله مساعدة له، نفى ذلك بقوله:
(ولا تزر وازرة) أي تحمل حاملة ولو كانت والداً أو ولداً (وزر)
١٥ أي إثم (أخرى ج) "وان تدع ثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء
ولو كان ذا قربي"^٩، فإذا كان الأمر كذلك فلا يحمل بعاقل أن يعرض
نفسه لحمل شيء من غضب هذا الملك الذي لا شريك له وإليه المرجع

(١) في ظ: لا ينبغي (٢) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ لمخفئها.

(٣) زيد من ظ (٤) في ظ: بلغت (٥) زيد لاستقامة العبارة (٦-٧) سقط ما بين

الرقين من ظ (٧) من ظ: وفي الأصل: اكتسب (٨) سورة ٢٥ آية ١٨.

وإن طال المدى .

ولما عم في الكسب وحمل الوزر لئلا يقول متعنت أن خص هذا لك لا لنا، عم في المرجع أيضا لمثل ذلك ، فقال مهددا لهم بعد كمال الإيضاح عاطفا على ما أرشد إليه الإنكار من النفي في نحو أن يقال : إني لا أفعل شيئا من ذلك ، لا أبغى ربا غير ربى أصلا ، وأما أتم فافعلوا ه ما أتم فاعلون فإن ربكم عالم به^٢ : (ثم) [أى بعد طول الإمهال -]^٢ لكم لطفا منه بكم (إلى ربكم) أى الذى أحسن إليكم بكل نعمة ، لا إلى غيره (مرجعكم) أى بالحشر وإن عمرتم كثيرا أو بقيتم طويلا (فينبئكم) أى يخبركم إخبارا جليلا عظيما مستوفى .

ولما كان قد تقدم أنهم فرقوا دينهم ، قال : (بما كنتم) أى جلة ١٠ وطعنا ، ولذلك قدم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم إليه من غير إكراه ولا ذهول ولا نسيان فقال : (فيه تختلفون ه) أى مع رسول وغيره ، ويدينكم على جميع ذلك بما تستحقونه ، وحالكم جدير بأن يعظم عقابكم لأنكم كفرتم نعمته ؛ قال أبو حيان : حكى النقاش أنه روى أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ارجع يا محمد إلى ديننا واعد ١٥ آلهتنا وارك ما أنت عليه ونحن تكفل لك بكل ما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك ، فبزلت هذه الآية - انتهى .

ولما قدم أنه المحسن إلى كل شيء بالربوبية ، وختم بالتهديد بالحشر ،

(١-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : استحقوا به - كذا .

أتبعه التذكير بتخصيصهم بالإحسان، فقال عاطفاً على "وهو رب كل شيء" متعطفًا لهم إليه بالتذكير بنعمته: ﴿وهو﴾ أى لا غيره ﴿الذى جعلكم﴾ أى أيها الإيس ﴿خلّفت الأرض﴾ أى تفعلون فيها فعل الخليفة مُمكنين من كل ما تريدونه، ويجوز أن يراد بذلك العرب، ويكون ظاهر الكلام أن المراد بالأرض ما هم فيه من جزيرة العرب، وباطنه البشارة / ٢٧٩
/ بأعلاء دينهم الإسلام على الدين كله وغلبيتهم على أكثر أهل الأرض في هذه الأزمان وعلى جميع أهل الأرض في آخر الزمان ﴿ورفع بعضكم﴾ في مراقب العقل والعلم والدين والمال والجاه والقوة الحسية والمعنوية ﴿فوق بعض درجت﴾ أى مع كونكم من نفس واحدة، وربما كان الوضع ١٠ أعقل من الرفيع ولم ينفعه عقله فبدل ذلك دلالة واضحة على أن ذلك كله إنما هو فعل الواحد القهار، لا بعجز^٢ ولا جهل ولا بخل؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ليلوكم﴾ أى يفعل معكم فعل المختبر ليقيم^٣ الحجة عليكم وهو أعلم بكم منكم ﴿في ما أنتم﴾ فينظر هل يرحم الجليل الحقير ويرضى الفقير بعبثاته اليسير، ويشكر القوى ويصبر الضعيف^٤

١٥ ولما ذكر علو بعضهم على بعض، وكان من طبع الآدمي التجبر، أتبعه التهديد للظالم والاستعطاف للتائب بما يشير - بما له - سبحانه من علو الشأن وعظيم القدرة - إلى طمع العالى منهم وعجزه عن عقاب السافل بمن يحول بينه وبينه من شفيع وناصر وبما يحتاج إليه من

(١) من ظ، وفي الأصل: يفعلون (٢) في ظ: لعجز (٣) من ظ، وفي الأصل: لتقيم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ.

تمهيد الأسباب ، محذرا من البغى و العصيان فقال موجها الخطاب إلى
أكمل الخلق تطيبا لقلبه إعلاما بأنه رباه سبحانه أجل تربية و أدبه أحسن
تأديب: ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك ﴿ سريع العقاب ﴾ أى لمن يريد
عقابه ممن يكفر نعمته لكونه لا حائل بينه وبين من يريد عقابه ولا يحتاج
إلى استحضار آلات العقاب ، بل كل ما يريد حاضر لديه عتيد " انما امره
إذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " و فى ذلك تهديد شديد لمن
لا يتعظ .

ولما هدد و خوف ، رَجَى من أراد التوبة و استعطف فقال :
﴿ و انه لغفور رحيم ع ﴾ معلما بأنه - على تمام قدرته عليهم و انهما بهم فيما
يوجب الإهلاك - بليغ المغفرة لهم عظيم الرحمة " ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم ما ترك عليها من دابة " حثا على عفو الرافع من الوضع ، و تأكيد
الثانى دون الأول ناظر إلى قوله " كتب على نفسه الرحمة " و ان رحمى
سبقت غضبى ، لأنه فى سياق التآديب لهذه الأمة و التذكير بالإنعام عليهم
بالاستخلاف ، و سياتى فى الأعراف بتأكيد الاثنين لأنه فى حكاية ما وقع
لبنى إسرائيل من إسراهم فى الكفر و مبادرتهم إليه و استحقاقهم على ذلك
العقوبة ، و جاء ذلك على طريق الاستئناف على تقدير أن قائلا قال : حيثذ

(١) سورة ٣٦ آية ٨٢ (٢) سورة ١٦ آية ٦١ (٣) فى ظ : تأكيد (٤) زيد بعده
فى الأصل : النفى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٥) من ظ ، و فى الأصل :
بالاختلاف (٦) فى ظ : وقعت (٧) من ظ ، و فى الأصل : يبادرهم - كذا .
(٨) سقط من ظ .

يسرع العالى^١ إلى عقوبة السافل^٢ ! فأجيب بأن الله فوق الكل وهو أسرع عقوبة^٣ ، فهو قادر على أن يسلط الوضع أو أحقر منه على الرفيع فيه^٤ . ثم رغب بعد هذا الترهيب فى العفو بأنه على غناه عن الكل أسبل ذيل غفرانه ورحمته بامهاله العصاة وقوله اليسير من الطاعات بأنه خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور منافع لهم ثم هم به يعدلون^٥ ! ولو لا غفرانه ورحمته لاسرع عقابه لمن^٦ عدل به^٧ غيره فأسقط عليهم السماوات وخسف بهم الأرضين التى أنعم عليهم بالخلق فيها وأذهب عنهم النور وأدام الظلام ، فقد ختم السورة بما به ابتدأها ، فان قوله ” وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ” هو المراد بقوله ” هو الذى خلقكم من طين “ وقوله ” اغفر الله ابني رباو هو رب كل شيء “ هو معنى قوله ” خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون “ - والله الموفق .

(١) من ظ : وفى الأصل : الحال - كذا (٢-٣) - سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٢-٣) فى ظ : عبد (٤) زيد بعده فى ظ : تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى من أول سورة الأعراف ، وفيه الحمد مباركاً طيباً والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

سورة 'الأعراف'

مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية
من التوجيه والاجتماع على الخير والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل
في الانعام، وتحذيره^٢ بقوارع الدارين، وهذا أحسن مما كان ظهر لى
وذكرته عند^٣ "الوزن يومئذ الحق" وأدل ما فيها على هذا المقصد هـ
أمر الأعراف فان اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة / والنار والوقوف
على حقيقة ما فيها وما أعد لأهلها^٤ الداعى إلى امثال كل خير واجتناب
كل شر والاتعاظ بكل مرقق ﴿بسم الله﴾ المتردى برداء الكبر
وإزار العظمة والجلال ﴿الرحمن﴾ الذى من رحمته انتقامه^٥ من
أهل الكفر والضلال ﴿الرحيم﴾ الهادى لأهل الاصطفاء إلى لزوم ١٠
طريق الوفاء ﴿المتقن ج﴾ .

لما ذكر سبحانه فى آخر التى قبلها أنه أنزل إليهم كتابا مباركا،
وأمر باتباعه وعلل إزاله و ذكر ما استتبعه ذلك مما لا بد منه فى منهاج
البلاغة^٦ وميدان البراعة^٧، و كان من جملة أن أمر المدعويين به ليس
إلا إليه، إن شاء هداهم وإن شاء أضلهم، واستمر فيما لا بد منه فى تميم ١٥
ذلك إلى أن ختم السورة بما انعطف على ما افتتحت به، فاشتد اعتناقه له

(١) زيد قبله فى ظ: بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم . ومن هنا تبتدى
صفحة ظ ١ / الف (٢) مكية، وهى مائتان وخمس آيات فى البصرى والشامى،
وست فى المدنى والسكونى (٣) فى ظ: تحذير (٤) من ظ وفى الأصل: أهلها .
(د) من ظ، وفى الأصل: انتقام (١ - ٦) حلق ما بين الرقيين من ظ .

حتى صاروا كشيء^١ واحد؛ أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب وما تقدمه^٢، فقال مخبرا عن مبتدئ تقديره: [هو -^٣]: ﴿كتب﴾ أى عظيم أوضح الطريق المستقيم فلم يدع بها لبسا ولم يذر خيرا إلا أمر به ولا شرا إلا نهى عنه، فانزله من عظيم رحمة؛ ثم وصفه بما أكد ما أشار إليه من رحمة؛ بقوله: ﴿انزل إليك﴾ أى أنت أكرم الناس نفسا وأوسعهم صدرا وأجلهم قلبا وأعرقهم إصالة وأعرفهم باستعطاف المبادئ واستجلاب المنافر المباحض، وهذا شيء قد خصك به فرضك على جميع الخلق درجات لا تحصى ومراتب لا حد لها قدستقصى^٤.

١٠ ولما كان المقصود من البعثة أولا النذارة للرد عما هم عليه من الضلال، وكانت مواجهة الناس بالإنذار شديدة على النفوس، وكان الإقدام عليها من الصعوبة بمكان عظيم؛ قدم قوله مسيا عن تخصيصه بهذه الرحمة: ﴿فلا يكن﴾ [وعبر عن القلب بمسكنه الذى هو أوسع منه مبالغة فى الامر قال -^٥]: ﴿فى صدرك حرج﴾ أى شيء من ضيق^٦ بهم أو خوف ١٥ أو نحو ذلك ﴿منه﴾ على ما تعلق بـ "انزل" من قوله^٧:

(١) من ظ، وفى الأصل: كثر (٢) من ظ، وفى الأصل: تقدم (٣) زيد من ظ (٤) زيد فى ظ: به (٥) فى ظ: احلهم (٦) من ظ، وفى الأصل: فينقضى - كذا (٧) من ظ، وفى الأصل: حر - كذا (٨) من ظ، وفى الأصل: «و». (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، ولم تكن فى القرآن العظيم فحذفناها.

(لتندر به ^١) أى تدرى لكل من بلغه أو للخالقين من سرعة العقاب على نحو ما أوقع سبحانه بالقرون الماضية و الأمم السالفة - كما أشار إليه آخر الأنعام، [و-^٢] سيقص من أخبارهم ^٣ من هذه ^٤ السورة (و) لتندر به (ذكرى) أى عظيمة (للمؤمنين) أى بالبشر و المواعظ و الغفران و الرحمة على ما أشار إليه ختام الأنعام ، و حذف المفعول يدل على عموم الرسالة لكل من أمكن إنذاره و تذكيره من العقلاء ، و يجوز أن تتعلق لام " لتندر " بمعنى النهى ، أى اتق الحرج لكذا ، فإن من كان مفسر الصدر أقدم على ما يريد أو يخرج ، أى لا يكن الحرج الواقع لأجل أن تندر ، أى لأجل إنذارك به ، و النهى للنبي صلى الله عليه و سلم . فحول إلى الحرج مبالغة و أدبا ، و يجوز أن يكون التقدير : لتندر به و تذكر به ، ١٠ فإنه تدرى للكافرين و ذكرى للمؤمنين ، و الآية على كل تقدير من الاحتباك : إثباته " لتندر " أولا دال على حذف ' لتذكر ' ثانيا ، و إثبات المؤمنين ثانيا دال على حذف المخالفين أولا ، فإن النفوس على قسمين : نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريبة في طلب اللذات الجسائية و الشهوات الحيوانية فبعض الرسل في حقهم إنذار و تخويف ، و نفوس ١٥ شريفة مشرقة بالأنوار الإلهية فبعض الرسل في حقهم تذكير لأن هذه النفوس بمقتضى جواهرها الأصلية و جبلتها الخلقية مستعدة للانجذاب إلى عالم القدس إلا أنه ربما غشيها غواش من عالم الأجساد فيعرض لها

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ (هـ) ف ظ : في آخر .
(٤) من ظ ، و في الأصل : كذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل :
الاجال - كذا .

نوع ذهول وغفلة، فاذا سمعت دعوة الانبياء و اجتمعت بها أنوار
أرواح رسل الله تذكرت^١ مركزها و أبصرت منشأها، فاشتقت إلى
ما حصل هناك من الروح و الريحان فطارت نحوهم كل مطار فتمحضت
لديها تلك الأنوار؛ و قال أبو حيان: و اعتلاق هذه السورة بما قبلها
هو أنه لما ذكر تعالى قوله^٢ ” و هذا كتب انزلته مبارك فاتبعوه^٣“

/ ٢٨١

و استطرد منه / لما بعده^٤ إلى قوله في آخر السورة ” و هو الذي جعلكم
خلف الارض^٥“ و ذكر ابتلاءهم فيما آتاهم، و ذلك لا يكون
إلا بالتكاليف الشرعية، ذكر ما يكون^٦ به التكليف، و هو الكتاب
الإلهي، و ذكر الأمر باتباعه كما أمر في قوله ” و هذا كتب انزلته
١٠ مبارك فاتبعوه“ - انتهى . و قال شيخه الإمام أبو جعفر بن الزبير:

لما قال تعالى ابتداء بالاعتبار ” ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
مكثهم^٧ في الارض ما لم نمكن لكم و ارسلنا السماء عليهم مدرارا و جعلنا
الانهر تجري من تحتهم فاهلكتهم بذنوبهم و انشاننا من بعدهم قرنا
الآخرين^٨“ [ثم قال تعالى - ٩] ” و لقد استهزئ برسل من قبلك^٩ فخاق
١٥ بالذين يخفون منهم ما كانوا به يستهزئون^{١٠}“ ثم قال تعالى ” قل سيروا
في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين^{١١}“ ثم قال تعالى

(١) في ظ: فتذكرت - كذا (٢) سقط من ظ (٣) آية ١٥٥ (٤) زيدت
الواو بعده في البحر المحيط ٢٦٦/٤ (٥) آية ١٦٥ (٦) في ظ: يكون (٧) في ظ:
مكنناكم (٨) سورة ٦ آية ٩ زيد من ظ (٩) العبارة من هنا إلى من قبلك
ساقطة من ظ (١١) سورة ٦ آية ١٠ (١٢) سورة ٦ آية ١١ .

”و لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا^١“ - الآية ، وقال تعالى
 ”و لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذتهم باللباساء و الضراء^٢“ - الآية ، وقال
 تعالى ”يٰ معشر الجن و الانس ا لم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آيتي^٣“ ف وقعت
 الإحالة فى هذه الآى على الاعتبار بالأمم السالفة و ما كان منهم حين
 كذبوا أنبياءهم و هلاك تلك القرون بتكذيبهم و عتوهم و تسلية رسول الله
 صلى الله عليه و سلم ببحر يان ما جرى له بمن تقدمه^٤ من الرسل ”قد نظم انه
 ليحزنك الذى^٥ يقولون“ فاستدعت الإحالة و التسلية بسط أخبار الأمم
 السالفة و^٦ القرون الماضية ، و الإعلام بصبر الرسل - عليهم السلام - عليهم
 و تلطفهم فى دعائهم ، و لم يقع فى السور الأربع قبل سورة الأنعام مثل
 هذه الإحالة و التسلية و قد تكررت فى سورة الأنعام كما تبين بعد انقضاء ١٠
 ما قصد من بيان طريق المتقين أخذا و تركا و حال من حاد عن سننهم من
 رame أو قصده فلم يوفق له و لا آم له أمله من الفرقين^٧ : المستندة للسمع
 و المعتمدة للنظر ، فحاد الأولون بطارئى التغير و التبديل ، و تنكب^٨
 الآخرون بسوء التناول و قصور الأفهام و علة حيد الفريقين السابقة الأزلية ؛
 فلما انقضى أمر هؤلاء و صرف الخطاب إلى تسليته عليه السلام و تثبيت فوائده ١٥

(١) سورة ٦ آية ٣٤ (٢) سورة ٦ آية ٤٢ (٣) سورة ٦ آية ١٣٠ (٤) من
 ظ ، و فى الأصل : الآية (٥) زيد بعده فى الأصل : عن مقدمة ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ فغذناها (٦) من ظ و القرآن الكريم سورة ٦ آية ٣٣ ، و فى
 الأصل : الذين (٧) زيد فى ظ : تلك (٨) من ظ ، و فى الأصل : الفريقين .
 (٩) من ظ ، و فى الأصل : منكث - كذا .

بذكر أحوال الانبياء مع أممهم وأمر الخلق بالاعتبار بالأمم السالفة ،
وقد كان قدّم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الانبياء "اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده"^١ بسط تعالى حال من وقعت الإحالة عليه ،
و"استوفى الكثير" من قصصهم إلى آخر سورة هود إلى قوله سبحانه
٥ "وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك"^٢ فتأمل بما افتتحت
به السورة المقصود بها قصص الأمم وبما اختتمت يُلحُحُ لك ما أشرت
إليه - والله أعلم بمراده ، وتأمل افتتاح سورة الاعراف بقوله "فلنقصن
عليهم" بعل و ما كنا غائبين" وختم القصص فيها بقوله "فاقص القصص
لعلهم يتفكرون" بعد تعقيب قصص نبي إسرائيل بقصة بلعام "واتل عليهم
١٠ نبا الذى اتيناهُ ايتنا" - الآية ، ثم قال "ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآيتنا"
فتأمل هذا الإيماء بعد ذكر القصص ، وكيف ألحق مَنْ كَذَبَ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم بمن قص ذكره من المكذبين ،
وتأمل افتتاح ذكر الاشقياء بقصة إبليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما بمن
كفر على علم ، وفي ذلك أعظم موعظة ، قال الله تعالى إثر ذلك "من يهد الله
١٥ فهو المهتدى" - الآية ، فبدأ الاستجابة بنبيه صلى الله عليه وسلم بذكر
ما أنعم عليه وعلى من استجاب له فقال تعالى "المص كُتِبَ انزل اليك"

(١) سورة ٦ آية ٩٠ (٢-٢) من ظ ، وفي الأصل: استقرى الكبير (٣) آية ١٢٠ .

(٤) من ظ ، وفي الأصل: بذ - كذا (٥) من ظ والقرآن الكريم ، وفي الأصل :

عليك (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل: ذكر (٨) في ظ : بذكر .

(٩) من ظ ، وفي الأصل: هلاهما (١٠-١٠) في ظ : لاستجابة نبيه .

فأشار إلى نعمته بانزال الكتاب الذى جعله هدى للتقين ، و أشار هنا إلى ما يحمله [عليه - '] من ^٢ التسلية و شرح الصدور ^٣ / بما جرى من العجائب ٢٨٢ / و القصص مع كونه هدى و نورا ، فقال ” فلا يكن فى صدرك حرج منه “ أى أنه قد تضمن مما أحلناك عليه ، ما يرفع الحرج و يسلى النفوس لتتذر به كما أنذر من قبلك بمن نقص خبره من الرسل ، و لتستن فى إنذارك ه و دعائك و صبرك سنهم ، و ليتذكر المؤمنون ؛ ثم أمر عباده بالاتباع لما أنزله فقال ” اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم “ فان هلاك من نقص عليكم خبره من الأمم إنما كان لعدم الاتباع و الركون إلى أولياتهم من شياطين الجن و الإنس ، ثم أتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليعين لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط ^٤ الشياطين و كيدته و أنه عدو لهم ١٠ ” يبنى آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنة “ و وقع فى قصة آدم هنا ما لم يقع فى قصة البقرة من بسط ما أجمل هناك كتصریح اللعين بالحسد و تصور خيريته بخلقه من النار و طلبه الإنظار ^٥ و التسلط ^٦ على ذرية آدم و الإذن له فى ذلك و وعيده و وعيد متبعيه ثم أخذه فى الوسوسة إلى آدم عليه السلام و حلقه له ” و قاسمهما انى لكما لمن النصحين “ ١٥ و كل هذا مما أجمل فى سورة البقرة و لم تتكرر قصة إلا و هذا شأنها ، أعنى ^٧ أنها تفيد مهما تكررت ما لم يكن حصل منها أولا ؛ ثم انجرت

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الصدر (٤) من ظ ، و فى الأصل : عايك (٥) من ظ ، و فى الأصل : سلط (٦) فى ظ : الانتظار (٧) من ظ ، و فى الأصل : السلط .

الآى إلى ابتداء^١ قصة نوح عليه السلام واستمرت القصص إلى قصص
بنى إسرائيل، فبسط هنا من حالهم وأخبارهم شبيه ما بسط في قصة
آدم وما جرى من محنة^٢ إبليس، وفصل هنا الكثير وذكر ما لم يذكر^٣
في البقرة حتى لم يتكرر^٤ بالحقيقة. ولا التعرض لقصص طائفة معينة فقط،
ومن عجيب الحكمة أن الواقع في السورتين من كتابنا^٥ القصتين مستقل
شاف، وإذا ضم بعض ذلك إلى بعض ارتفع إجماله ووضح كماله،
فتبارك من هذا كلامه ومن جعله حجة قاطعة وآية باهرة. ولما أعقب
تعالى قصصهم في البقرة بأمره نبيه والمؤمنين بالعفو والصفح فقال
تعالى "فاعفوا واصفحوا^٦" أعقب^٧ تعالى أيضا هنا بقوله لنبيه عليه
الصلوة والسلام "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل^٨"
وقد خرجنا عن^٩ المقصود فلنرجع إليه - انتهى .

ولما تقدم سبحانه إليه صلى الله عليه وسلم في أمر الإنذار
والإذكار بالكتاب تقدم إلى أتباعه فأمرهم باتباعه ونهاهم عن اتباع
أهل الضلال وما يوحى إليهم أولياؤهم من زخارفهم بعد أن أخبر بكونه
١٥ ذكرى أنه سبب لعلو شأنهم وعز سلطانهم، فقال ملتفتا إليهم مقبلا بعز جلاله

(١) في ظ: الابتداء (٢) من ظ، وفي الأصل: تعجبه - كذلك (٣) من ظ،
وفي الأصل: لم تذكر (٤) من ظ، وفي الأصل: لم تتكرر (٥) في الأصل:
كلا، وفي ظ: كلام (٦) آية ١٠٩ (٧) في ظ: أعقب (٨) من ظ، وفي
الأصل: على .

عليهم ﴿اتبعوا﴾ أى حملوا أنفسهم حملا عظيما بجد و نشاط على اتباع
 ﴿مآ نزل إليكم﴾ أى قد خصصتم به دون غيركم فاشكروا هذه النعمة
 ﴿من ربكم﴾ أى الذى لم يزل محسنا إليكم ﴿ولا تتبعوا﴾ ولعله
 عبر بالافتعال إيماء إلى أن ما كان دون علاج - بل هفوة و بنوع غفلة -
 فى محل العفو ﴿من دونه﴾ أى دون ربكم ﴿اولياء﴾ أى من الذين
 نهيناكم عنهم فى الانعام و بينا ضررهم لكم من شياطين الإنس و الجن
 و عدم إغنائهم و أن الامر كله لربكم .

و لما كانوا قد خالفوا فى اتباعهم صريح العقل و سليم الطبع ،
 و عندهم أمثلة ذلك لو تذكروا ، قال منبها لهم على تذكر ما يعرفون من
 تصرفاتهم : ﴿قليل﴾ و أكد التقليل [بـ "ما" - ٢] النافى و بادغام ١٠
 تاء^٥ التفعّل فقال : ﴿ما تذكرونه﴾ أى تعالجون أنفسكم على ذكر
 ما هو مركوز فى فطركم الاولى فانكم مقرون بأن ربكم رب كل شىء ،
 فكل من تدعون من دونه مربوب ، و أنتم لا تجدون / فى عقولكم
 و لا طباعكم و لا استعمالكم ما يدل بنوع دلالة على أن مربوبا يكون
 شريكا لربه .

١٥

و لما كان من أعظم ما يتذكر سار^١ النعم و ضار النقم للاقبال
 على الله و الإعراض عما سواه و عدم الاغترار بأسباب الأمن و الراحة ،
 قال : ﴿وكم﴾ أى قلّ تذكركم و خوفكم من سطواتنا و الحال أنه^٢

(١) مقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : لقد (٣) زيد من ظ (٤) فى
 الأصل : بالنافى ، و سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : التاء (٦) من
 ظ ، وفى الأصل : مفاد - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان .

كم' (من قرية) وإن جلت ؛ ولما كان المراد المبالغة في الإهلاك ،
أسنده إلى القرية والمراد أهلها فقال : (اهلكنها) أى بما لنا من
العظمة لظلمها باتباع من دون الله ، فلا تغفروا بأوليائكم من دونه وأتم
عالمون بأنهم لم ينفعوا من ضل من الأمم السالفة وقت إنزالنا بهم السطوة
وإحلالنا بهم النعمة وتحقيق المهلكون^٢ إذ ذاك - مع أنهم كانوا أشد
منكم بطشا وأكثر عددا وأمن كيدا - عدم إغنائهم فلم يوجهوا آمالهم^٣
نحوهم .

ولما كان المعنى : أردنا إهلاكها وحكنا به ، سبب عنه قوله :
(فجاءها بأسنا) أى عذابنا بما لنا من القوة والعظمة ، أو* الإهلاك
١٠ على حقيقته وهذا تفصيل له وتفسير ؛ ولما كان لا فرق في إثبات
عذابه سبحانه بين كونه ليلا أو نهارا ، وكان أخف البأس وأشد ما كان
في وقت الراحة والدعة والغفلة قال : (يانا) أى وقت الاستكثان
في البيوت ليلا كما أهلك^٤ قوم لوط عليه السلام وقت السحر^٥ .

ولما كان المراد بالقرية أهلها ، بينه بقوله [لأنه إذا حذف
١٥ المضاف جاز فيه اعتباران بحسب ما يحسن من المعنى : أن لا يلتفت إليه -
كما في أول الآية ، و أن يلتفت إليه - كما في هذا الأخير لبيان أن الأهل هم
المقصودون بالذات لأنه موضع التهديد -^٦] : (أو هم قاتلون ه) أى

(١) في الأصل : لكم (٢) من ظ ، وفي الأصل : أنزلنا (٣) من ظ ، وفي الأصل :
الملوكوت - كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل : ما لهم - كذا (٥) في ظ « و » .
(٦) في ظ : جاء (٧-٧) سقط ما بين الرقین من ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

نائمون وقت القائلة أو مستريحون من غير نوم كما أهلك قوم شعيب عليه السلام، يغنى أنهم كانوا في كل من الوقتين غافلين بسبب أنهم كانوا آمنين، لم يظنوا أن شيئاً من أعمالهم موجب للعذاب ولا كانوا مترقبين لشيء منه، فالتقدير: يأتاهم فيه^١ باثنون أى نائمون، أو قائلة هم فيها قائلون أى نائمون، فالآية من الاحتباك: دل إثبات "يأتاهم" أولاً على حذف "قائلة"، ثانياً، وإثبات "هم قائلون" ثانياً على حذف "هم نائمون"^٢ أولاً، والذي أرشدنا^٣ إلى هذا المعنى الحسن سؤق "هم" من غير واو، وهذا قريب من قوله تعالى فيما يأتي "افاننى اهل القرى ان ياتيهم باسنا [يأتاهم نائمون] فالأقرب^٤ أن يكون المحذوف أولاً نائمون، وثانياً نهراً، فيكون التقدير: يأتاهم فيه نائمون، أو نهراً هم فيه قائلون، وبين عظمت ما جاءهم وهوله بأنهم في كل من الوقتين لم يقع في فكر أحد منهم التصويب إلى مدافعتهم بما سبب عن ذلك من قوله: ﴿فما كان دعوتهم﴾ أى قولهم الذى استدعوه ﴿اذ جاءهم باسنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿الآن قالوا﴾ أى إلا قولهم ﴿انا كنا﴾ أى بما لنا من الجيلة ﴿ظلمين﴾ أى فى أنا لم تبق ما أنزل إلينا من ربنا، فلم يقدم ذلك^٥ شيئاً غير شدة التحسر؛ ثم سبب عما مضى من أمر الرسول والامة

(١) زيد بعده فى ظ : لا، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : باثنون (٤) من ظ ، وفى الأصل : ارسلنا (٥) زيد

من ظ والقرآن الكريم سورة ٧ آية ٩٧ (٦) فى ظ : فالاول (٧) من ظ ،

وفى الأصل : النصب (٨) من ظ ، وفى الأصل : فلم يقد .

قوله دفعا لوم من يظن أن الأمر انقضى بما عذبوا به في الدنيا: ﴿فلنسلن﴾
 أى بما لنا من العظمة على جهة التوبيخ و التقرير للعصاة و التشریف
 و التعظيم للطيعين، [و-'] أظهر موضع الإضمار تعميما فقال ﴿الذين﴾ -
 و لما كانت الملامة على تكذيب الرسول لا بقيد كونه معينا، بنى
 ه للفعول قوله: ﴿ارسل اليهم﴾ أى و هم الأمم، هل امتثلوا أو امرنا
 و أحجموا عند زواجرتنا كما أمرتهم الرسل أم لا ﴿ولنسلن﴾ أى بعظمتنا
 ﴿المسلين﴾ أى هل كان فى صدورهم حرج بما أرسلناهم به و هل
 بلغوه أم لا يوم تكونون شهداء على الناس بما علمتم من شهادتي فى هذا
 القرآن و يكون الرسول عليكم شهيدا. فانا لا بد [أن-'] نحييكم بعد الموت
 ١٠ ثم نسألكم فى يوم تظهر فيه السرائر و تنكشف^١ - وإن اشتد خفاؤها -
 الضمائر، / ولترين الأفعال و الأقوال، و لا نترك شيئا من الأحوال .

/ ٢٨٤

و لما كان السؤال يفهم خفاء المسؤل عنه على السائل، سبب عن
 ذلك ما يزيل هذا الوم بقوله مؤذنا بأنه أعلم من المسؤولين عما سألهم
 عنه: ﴿فلنقصن﴾ أى بما لنا من صفات العظمة المستلزمة لكل كال
 ١٥ ﴿عليهم﴾ أى المسؤولين من الرسل و أمهم، جميع أحوالهم و ما
 يستحقون من جزائها ﴿بعلم﴾ أى مقطوع به لا مظنون، فقد كنا معهم
 فى جميع تقلباتهم ﴿و ما كنا﴾ أى فى وقت من الاوقات^٢ كما هو مقتضى
 ما لنا من العظمة^٣ ﴿غائبين﴾ أى مطلقا و لا عن أحد من الخلق
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: ينكشف (٣-٢) سقط ما بين
 الرقيم من ظ (٥) من ظ و القرآن الكريم، وفى الأصل: غافلين - كذا .

بل علمنا شامل لجميع الكليات و الجزئيات لأن ذلك مقتضى العظمة و مقتضى ما لنا من صفات الكمال، [ومن لم يكن محيط العلم بأن يميز المطيع من العاصي لا يصح أن يكون إلها - '] .

ولما تقدمت الإشارة بقوله تعالى " و اوفوا الكيل و الميزان بالقسط " -
 الآية إلى أن المساواة الحقيقية في الميزان معجوز عنها و أنه أبعد المقادير ه
 عن التساوى ، و النص في قوله تعالى " و من جاء بالحسنة فلابحزى
 الا مثلها " على قدرة القدير^٢ على ذلك ، و ختم الآية السالفة باحاطة العلم
 على الوجه الأبلغ المقتضى لذلك على أعلى الوجوه ؛ أكد الأمر أيضا
 و قصره على علمه هنا فقال : ﴿ و الوزن^٢ ﴾ بميزان حقيقى لصحف الأعمال
 أو للأعمال أنفسها بعد تصويرها بما تستحقه من الصور أو بغير ذلك ١٠
 بعد أن يقذف الله في القلوب العلم به ، و لعله حال من نون العظمة في
 الآية التى قبلها ، أى إنا لانكتفى بما نقص بل نزنه [فيصير - '] بحيث
 يظهر لكل أحد أنه على غاية ما يكون من التساوى ؛ قال أبو حيان و على
 ابن الحسين النحوى الأصفهاني فى إعرابه : " الوزن " مبتدأ ﴿ يومئذ ﴾
 ظرف منصوب به ﴿ الحق ج ﴾ خبر المتبدل ، زادا الأصفهاني فقال : ١٥
 و استضعف إعمال المصدر و فيه لام التعريف و قد ذكرنا أنه جاء فى
 التنزيل " لا يحب [الله - ٧] الجهر بالسوء من القول الا من ظلم " - انتهى .
 أى [و - '] الوزن فى ذلك اليوم مقصور على الحق ، يطابقه الواقع

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التقدير (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن
 فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : يعرف (هـ) من ظ و البحر المحيط
 ٢٧١/ ٤ ، و فى الأصل : فيه - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : اراد (٧) زيد
 من ظ و القرآن الكريم سورة ٤ آية ١٤٨ .

مطابقة حقيقة لا فضل فيها أصلاً ولا يتجاوز الوزن في ذلك اليوم الحق إلى شيء من الباطل بزيادة ذرة [و - ١] لا نقصها ولا مادن ذلك ، فتحذر أن مقصود السورة الحث على اتباع الكتاب ، وهو يتضمن الحث على اتباع الرسول والدلالة على التوحيد والقدرة على البعث^١ ببيان الأفعال الهائلة في ابتداء الخلق وإهلاك الماضين إشارة إلى أن من لم يتبعه ويوحده - من أنزله^٢ على هذا الأسلوب الذي لا يستطاع ، والمنهاج الذي وقفت دونه العقول والطباع ، لما قام من الأدلة على توحيده بعجز من سواه عن أقواله وأفعاله - أوشك أن يعاجله قبل يوم البعث بنقاب مثل عقاب الأمم السالفة والقرون الخالية مع ما ادخله في ذلك اليوم ١٠ من سوء المنقلب وإظهار أثر الغضب :

ولما أخبر أن العبرة بالميزان على وجه يظهر أنه لا حيف فيه بوجه ، تسبب عنه قوله : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ ﴾ أى ذست ورسبت على ما يعهد في الدنيا ﴿ موازينه ﴾ أى موزونات أعماله ، [أى أعماله - ١] الموزونة ، ولعله عبر بها عنها إشارة إلى أن كل عمل يوزن على حدة ليسعى في إصلاحه ﴿ فاولئك ﴾ أى العالوهمم ﴿ هم ﴾ [أى خاصة - ١] ﴿ المفلحون ﴾ أى الظاهرون بجميع مآربهم ﴿ ومن خفت ﴾ أى طاشت ﴿ موازينه ﴾ [أى - ١] التى توزن فيها الأعمال الصالحة ﴿ فاولئك ﴾ المبدون ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾ أى التى هى رأس ما لهم فكيف بما دونها ﴿ بما كانوا باينتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿ يظلمون ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : البحث (٣) فى ظ : أنزله (٤) من ظ ، وفى الأصل :

يوزن .

أى باستمرار ما يحددونه من وضعها فى غير المحل الذى يليق بها فعل
من هو فى ظلام ؛ قال الحسن : وحق لميزان توضع فيه [الحسنات أن
يثقل ، وحق لميزان توضع فيه - ١] السيئات أن يخف .

ولما أمر الخلق بمتابعة الرسل وحذرهم من مخالفتهم ، فأبلغ / فى ٢٧٥ /

تحذيرهم بعذاب الدنيا ثم بعذاب الآخرة ، التفت إلى تذكيرهم ترغيباً فى •
ذلك بأسباغ نعمه وتحذيراً من سلبها ، لأن المواجهة أردع للخطاب ،
فقال فى موضع الحال من " خسروا انفسهم " : (ولقد مكثكم) أى
خسروها و الحال أنا مكناكم^٢ من إنجازها بخلق القوى و القدر^٣ وإدراك
النعم ، وجعلنا مكانا يحصل التمكن فيه (فى الارض) أى كلها ، ما منها
من بقعة إلا وهى صالحة لانتفاعهم بها ولو بالاعتبار (وجعلنا لكم) أى ١٠
بما لنا من العظمة (فيها معاش^٤) أى : جميع معيشة ، وهى أشياء
يحصل بها العيش ، وهو تصرف^٥ أيام الحياة بما ينفع ، والياء أصلية
فلذا لا تهمز ، [وكذا ما ولى ألف جمعه حرف علة أصلى وليس قبل
ألفه واو كأوائل ولا ياء كخيائر جمع أول وخير فانه لا يهمز إلا شاذا
كنائر ومصائب جمع منارة ومصيبة - ١] •

١٥

ولما كان حاصل ما مضى أنه سبحانه أوجدهم وقوام وخلق لهم
[ما - ١] يديم قوامهم ، فأكلوا خيره و عبدوا غيره ، أنتج قوله على
وجه التأكيد : (قليلا ما تشكرون^٦) أى لمن أسبغ عليكم نعمه ظاهرة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : مكناهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : القدرة (٤) سقط
من ظ (٥) فى ظ : جمع (٦) فى ظ : التصرف .

و باطنه بما تنجون به أنفسكم ؛ و قال أبو حبان : إنه راجع للذين^١ خطبوا
بـ "اتبعوا ما أنزل إليكم" و ما بينهما أورد مورد الاعتبار و الاعتاط
بذكر ما آل إليه أمرهم في الدنيا و ما يؤل إليه في الآخرة - انتهى .

ولما ذكر سبحانه ما منحهم به من التمكين ، ذكّرهم ما كانوا عليه

٥ قبل هذه المسكنة من العدم تذكيراً بالنعم^٢ في سياق دال على البعث

الذي فرغ من تقريره ، و على ما خص به أباهم آدم [عليه السلام -^٣]

من التمكين في الجنة بالخلق و التصوير و إفاضة روح الحياة

و روح العلم و أمر أهل سماواته بالسجود له و الغضب على من عاداه

و طرده عن محل كرامته و معدن سعادته و إسكانه هو بذلك المحل الأعلى

١٠ و الموطن الأسنى مأذونا له في كل ما فيه إلا شجرة واحدة ، فلما خالف

الامر أزاله عنه و أخرجه منه ؛ و في ذلك تحذير لأهل المسكنة من إزالة

المنة في استردار النعمة و إحلال النعمة فقال : ﴿ ولقد خلقناكم ﴾ أي بما

لنا من صفات العظمة ﴿ ثم صورناكم ﴾ أي قدرنا خلقكم ثم تصويركم بأن

جعلنا فيكم قابلية قريّة من ذلك بتخصيص كل جزء من المادة بمقداره

١٥ المعين بتخمير طينة آدم عليه السلام على حالة تقبل ذلك كما يهيا التراب

بتخميره بانزال المطر لأن يكون منه شجرة ، و قد تكون تلك الشجرة

مهية لقبول صورة الثمرة و قد لا تكون كما قال تعالى " و لقد خلقنا

الانسان من سلتة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة

(١) في ظ : الى الذين (٢) من ظ ، و في الأصل : بالنعمة (٣) زيد من - ظ .

(٤) من ظ ، و في الأصل : تهيا (٥-٥) تكرر ما بين الرقيين في الأصل (٦) من

ظ ، و في الأصل : القمر - كذا .

علقة نخلقنا العلقه مضغة نخلقنا المضغة عظما فكسونا العظم لحا ثم انشأته
 خلقا آخر^١ وقال النبي^٢ صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح عن عبد الله
 ابن مسعود رضى الله عنه : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين
 يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل
 الملك فينفخ فيه الروح . وعنه أيضا رضى الله عنه عند مسلم قال : سمعت ه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا مر بالنطفة اثنتان و أربعون
 ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحها
 و عظامها ، ثم قال : يا رب ! أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء^٣ و يكتب
 الملك - الحديث . فظاهر هذا الحديث مخالف للفظ الذى قبله و للآية ،
 فيحمل على أن معنى صورها : هيأها في مدة الأربعين الثانية لقبول الصورة ١٠
 تهية قريبة من الفعل ، و سهل أولها بالتخميم^٤ على هيئة مخصوصة بخلاف
 ما قبل ذلك ، فانها كانت نطفة فكانت بعيدة عن قبول الصورة ، و لذلك
 اختلفوا في احترامها و هل يباح إفسادها و التسبب في إخراجها ، و معنى
 "خلق" : قدر^٥ أى جعل لكل شيء من ذلك حدا لا يتجاوز به في الجملة ،
 و الدليل على هذا المجاز شكه في كونها ذكرا^٦ أو أنثى ، و لو كان ذلك ٢١٥
 على ظاهره لما حصل شك في كونها / ذكرا أو أنثى إذ آلة الذكر والأنثى ٢٨٦/

(١) - سورة ٢٣ آية ١٢-١٤ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و صحيح مسلم - كتاب
 القدر ، و في الأصل : يشاء (٤) من ظ ، و في الأصل : بالتخمير (٥) من ظ ،
 و في الأصل : تقدر ، (٦) في ظ : ذكر .

من جملة الصورة، و بهذا تلتئم هذه الآية مع قوله تعالى^٢ " اذ قال ربك للشيكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " فهذا خلق بالفعل ، و الذى فى هذه السورة بايداع القوة المقربة منه ، و المراد من الآية التذكير بالنعم استعطافا إلى المؤلف و تفضيلا^٣ بحال المخالفة ، أى خسروا أنفسهم و الحال أنا أنعمنا عليهم بنعمة التمكين بعد [أن -^٤] أنشأناهم على الصورة المذكورة بعد أن كانوا عدما ، و أسجدنا ملائكتنا لآيهم و طردنا^٥ من تكبر عليه طردا لا طرد مثله ، و أبعدها عن محل قدسنا بعدا لا قرب معه ، و أسكننا أباهم الجنة دار رحمتنا و قربنا ، فقال تعالى مترجما عن ذلك : ﴿ ثم قلنا ﴾ أى على ما لنا من الاختصاص بالعظمة ﴿ للشيكة ﴾ أى الموجودين فى ذلك الوقت من أهل السماوات و الأرض كلهم ، بما دلت عليه ' ال ' سواء قلنا : إنها للاستغراق أو الجنس ﴿ اسجدوا لأدم ﴾ أى بعد كونه رجلا قائما سويا ذا روح كما هو معروف من التسمية ؛ ثم سبب عن هذا الأمر قوله : ﴿ فسجدوا ﴾ أى كلهم بما دل عليه الاستثناء فى قوله : ﴿ إلا إبليس ﴾ و لما كان معنى ذلك لإخراجه ١٥ من سجد أنه لم يسجد ، صرح به فقال : ﴿ لم يكن من الساجدين ٥ ﴾ أى لأدم . و لما كان مخالف^٦ الملك فى محل العقاب ، تشوف السامع إلى خبره فأجيب بقوله : ﴿ قال ﴾ أى لإبليس إنكارا عليه و تويخاله^٧ استخراجا لكفره الذى كان يخفيه بما يبدى من جوابه ليعلم الخلق سبب طرده

(١) فى ظ : جهة (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى القرآن الكريم سورة ٣٨ آية ٧١ لحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل : تغليظا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تركنا (٦) من ظ ، و فى الأصل : مخالفا (٧) فى ظ « و » .

﴿ ما منعك ﴾ ولما كانت هذه العبارة قد صرحت بعدم سجوده ، فكان المعنى لا يلبس بادخال 'لا' في قوله: ﴿ الا تسجد ﴾ أتى بها لتفيد التأكيد بالدلالة على اللوم على الامتناع من الفعل و الإقدام على الترك ، فيكون كأنه قيل: ما منعك من السجود وحملك على تركه ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ امرتك ﴾ أى حين حضر الوقت الذى يكون فيه أداء المأمور به هـ

﴿ قال ﴾ أى إبليس ناسبا زبه سبحانه إلى الجور أو عدم العلم بالحق ﴿ انا خير منه ج ﴾ أى فلا يليق لى السجود لمن هو دونى ولا أمرى بذلك لأنه مناف للحكمة ؛ ثم بين وجه الخيرية التى تصورها بسوء فهمه أو بما قاده إليه سوء طبعه بقوله: ﴿ خلقتنى من نار ﴾ أى فهمى أغلب أجزائى وهى مشرقة مضيئة عالية [غالبه - ٢] ﴿ و خلقتة من طين ه ﴾ أى هو ١٠ أغلب أجزائه وهو كدر مظلم سافل مغلوب ، وقد غلط غلطا فاحشا فان الإيجاد خير من الإعدام ببلا نزاع ، و النار سبب الإعدام و المحق لما خالطته ، و الطين سبب النماء و الترية لما خالطه ، هذا لو كان الأمر فى الفضل باعتبار العناصر و المبادئ و ليس كذلك ، بل هو باعتبار الغايات .

ولما كان هذا أمرا ظاهرا ، و كان مجرد التكبر على الله كفرا ١٥ على أى وجه كان ، أعرض عن جوابه بغير الطرد [الذى معناه نزوله المنزلة الذى موضع ما طلب من علوها - ٢] فاستأنف قوله: ﴿ قال ﴾ مسيبا عن إباته قوله: ﴿ فاهبط منها ﴾ مضمرا للدار التى كان فيها وهى

(١) من ظ ، وفى الأصل: ليفيد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : هو .

الجنة . فانها لا تقبل عاصيا ، و عبر بالهبوط الذى يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج ، لان مقصود هذه السورة الإنذار وهو أدل عليه - ^١] ، و سبب عن أمره بالهبوط [الذى معناه النزول والحدور والانهطاط والنقصان والوقوع فى شئ منه - ^١] قوله ^٢ : (فإيكون) أى يصح و يتوجه بوجه ه من الوجوه (لك ان تكبر) أى تعتمد الكبر [وهو الرفعة فى الشرف والعظمة والتجبر - ^١] ، ولا مفهوم لقوله " لك " ، ولا لقوله : (فيها) لوجود الصرائح بالمنع من الكبر مطلقا " انه ^٢ لا يحب المستكبرين " ، كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر " ، " قال الذين استكبروا انا كل فيها " ، و إنما قيد بذلك تهويلا للأمر ، فكأنه قيل : لا ينبغي التكبر ١٠ . إلا لنا ، [و - ^١] كلما قرب الشخص من محل القدس الذى هو مكان المطيعين المتواضعين جل تحريم الكبر عليه " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر " - رراه مسلم وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه ، ^١ و سبب ^٢ عن كونها لا تقبل الكبر قوله : (فاخرج) أى من الجنة دار الرضوان ^٣ ، [فاتفق أن يكون الهبوط من موضع عال ١٥ من الجنة إلى موضع منها أخط منه - ^١] ، ثم علل أمره بالهبوط والخروج بقوله مشيرا إلى / أن كل من أظهر الاستكبار ألبس الصغار : (انك من الصغرين ه) أى الذين هم أهل للطرد والبعث والحقارة والهوان .

/ ٢٨٧

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لانه ، و راجع سورة ١٦ آية ٢٣ (٤) سورة ٤٠ آية ٣٥ (٥) سورة ٤ آية ٤٨ (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : رضوان .

ولما علم أن الحسد قد أبعدته ونزل به عن ساحة الرضى وأقعده ،
تمادى فيه فسأل ما يتسبب به ^١ إلى إنزال المحسودين عن درجاتهم العالية
إلى دركته السافلة ، ولم يسأل بشقاوته فيما يليه من دركته السافلة إلى
درجاتهم العالية ، وذلك بأن (قال) أى إبليس ، وهو استئناف ؛
[ولما كان السباق - ولا سيما الحكم بالصغار العارى عن تقييد - يأبى لأن ه
يكون سببا لسؤاله الانتظار ، ذكره بصيغة الإحسان فقال - ^٢] : (انظرنى)
أى بالإمهال ، أى اجعلنى ^٣ موجودا بحيث أنظر وأتصرف فى زمن ممتد
(إلى يوم يعثون ه) أى من القبور ، وهو يوم القيامة ، وكان اللعين
طلب بهذا أنه لا يموت ، فإن ذلك الوقت ليس وقتا للموت ، إنما هو
وقت إفاضة الحياة الأبدية فى شقاوة أو سعادة ، فأعلم سبحانه أنه ^٤ حكم له ١٠
بالانتظار ^٥ ، لكن لا على ما أراده [ولا على أنه إجابة له ، ولكن هكذا
سبق فى الأزل فى حكمه فى قديم علمه ، وإليه يرشد التعبير - ^٦] بقوله :
(قال انك من المنظرين ه) أى فى الجملة ، ومنعه من الحماية عن الموت
بقوله كما ذكره فى سورتي الحجر وص " الى يوم الوقت المعلوم " وهو
وقت النفخة الأولى التى يموت فيها الأحياء فيموت هو معهم ، وكان ١٥
ترك هذه الجملة فى ^٦ هذه السورة لأن هذه السورة للإنذار ، وإيهام الأمر
أشد فى ذلك ، وأجابه إلى الإنتظار وهو يريد به الفساد ، لأنه لا يعدو
أمره فيه وتقديره به ، ولأنه سبحانه لا يستل عما يفعل ، وتظهر حكمته
تعالى فى الثواب والعقاب .

(١) فظ : فيه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : اجعلوه .

(٤-٤) : من ظ ، وفى الأصل : إجابة إلى الانتظار (ه) آية ٣٨ وآية ٨١ (٦) فظ : من .

ولما كان قد حكم عليه بالشقاء ، قابل نعمة الإمهال وإطالة
العمر بالتأدى في الكفر ، وأخبر عن نفسه بذلك بأن ﴿ قال ﴾
مسيا عن إيقاعه في المعصية بسبب نوع الآدميين ﴿ فبما اغويتني ﴾ أى
فبسبب إغوائك لى ، وهو إيجاد النى و^١ اعتقاد الباطل فى قلبى من
ه أجلمهم والله ﴿ لا قعدن لهم ﴾ أى أفل فى قطعهم عن الخير فعل المتمكن
المقبل بكليته [المتأنى الذى لا شغل له غير ما أقبل عليه -^٢] فى مدة
إمهالك لى بقطعهم عنك بمنعهم من فعل ما أمرتهم به ، وحملهم^٣ على فعل
ما نهيتهم عنه ، كما يقعد قاطع الطريق على السابلة للخطف ﴿ صراطك ﴾
أى فى جميع صراطك ، بما دل عليه نزع الحافض ﴿ المستقيم لا ﴾ وهو
١٠ الإسلام بجميع شعبه ، ومن أسند الإغواء إلى غير الله بسبب اعتقاده أن
ذلك مما ينزه الله عنه ، فقد وقع فى شر مما فر منه ، وهو أنه جعل فى
الوجود فاعلين يخالف اختيار أحدهما اختيار الآخر .

ولما كان قد أقام نفسه فى ذلك بغاية الجد ، فهو يفعل فيه بالسوسة
بنفسه و من أطاعه من شياطين الجن و الإنس ما يفوت الحد و يعجز
١٥ القوى ، أشار إليه بحرف التراخى [فقال -^٢] مؤكدا : ﴿ ثم لا تينهم ﴾
أى إتيانا لا بد لى منه كائنا ابتداءه ﴿ من بين ايديهم ﴾ أى مواجهة ،
فأحملهم على أن يفعلوا ما يعلمون أنه خطأ ﴿ و ﴾ كائنا ﴿ من خلفهم ﴾
أى مغافلة ، فيعملون^٤ ما هو فاسد فى غاية الفساد ولا شعور لهم بشئ .

(١) زيد فى ظ : هى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
حملتهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : يعملون (٥) تأخر فى الأصل عن « كائنا »
والترتيب من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : يعملون .

من فسادہ حين تعاطيه فأدھم^١ بذلك على تعاطى مثله وھم [لا -^٢]
 يشعرون ﴿و عن﴾ أى و مجاوزا للجهة^٣ التى عن^٤ ﴿ایمانھم﴾ إلیھم
 ﴿و عن﴾ أى و مجاوزا لما عن ﴿شماآلھم^٥﴾ أى مخایلة ، فیفعلونہ
 وھو^٦ مشتبہ علیھم ، و ھذہ ھى الجهات التى یمكن الإتيان منها ، و لعل
 فائدة 'عن^٧' المفھمة للمجازة^٨ و صل خطی القدام و الخلف لیكون إتيانہ
 مستوعبا لجميع الجهة المحیطة ، [و أفھمت الجهات الأربع قدحہ و تلبیسہ
 فیما یعلمونہ حق علمہ و ما یعلمون شیئا منہ و ما ھو مشتبہ علیھم^٩ اشتباھا
 قليلا أو كثيرا ، و ھم من ترك ذكرہ الأعلى أنه لا قدرة له على الإتيان
 منہ لئلا یلتبس أمرہ بالملائكة ، و قد ذکر ذلك فى بعض الآثار كما
 ذكرہ فى ترجمة ورقة بن نوفل رضى الله عنہ -^{١٠}] .

و لما عزم اللعين على هذا عزمًا صادقًا ، و رأى أسبابہ ميسرة^{١١} من
 الإنظار^{١٢} و نحوه ، ظن أنه^{١٣} بما رأى لهم من الشهوات و الحظوظ^{١٤} يظفر
 بأكثر^{١٥} حاجتہ ، فقال عاطفًا^{١٦} على ما تقديرہ : فلا غوينھم و لیتعنّی :
 ﴿و لا تجد أكثرھم﴾ كما ھى عادة الأكثر فى الخبث ﴿شكرینہ﴾ فأريد به
 الشقاء فأغرق فى الحسد ، و لو أريد بالشق^{١٧} الخیر لاستبدل بالحسد الغبطة^{١٨}

(١) و فى ظ : قادريہ - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ،
 و فى الأصل : لجهة (٤) من ظ ، و فى الأصل : على (٥) من ظ ، و فى الأصل :
 هم (٦) فى ظ : من (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالمجازة (٨) فى ظ : عليه (٩) فى
 ظ : متيسرة (١٠) فى ظ : الانتظار (١١) سقط من ظ (١٢) زيد فى ظ : انه .
 (١٣) من ظ ، و فى الأصل : الجنة (١٤) فى ظ : عطفًا (١٥) من ظ ، و فى
 الأصل : بالشقا .

[فطلب - ١] أن يرتقى هو إلى درجاتهم / الغالية بالبكاء و الندم
و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و بذل النصيحة خضوعاً لمقام
الربوبية و ذلاً لعظيم شأنه .

و لما كان كأنه قيل : ما ذا قال له ؟ قيل : ﴿ قال ﴾ في جواب
ه ما ذكر لنفسه في هذا السياق من القوة و الاقتدار ^٢ و أبان ^٢ عنه من الكبر
و الافتخار ما دل على أنه من أهل الصغار ، لا يقدر على شيء إلا بأمر
العزیز الجبار ، [مصرحاً بما أريد من الهبوط الذى ربما حمل على النزول
من موضع من ^٣ الجنة عال إلى مكان منها أحط منه - ١] ﴿ اخرج منها ﴾
أى الجنة ﴿ مذهباً ﴾ أى محقوراً مخزياً بما تفعل ، قال ابن القطاع :
١٠ ذأمت الرجل : خزيته ، و قال ابن فارس : ذأمته ، أى حقرتة ﴿ مدحوراً ^٤ ﴾
أى مبعدا مطرودا عن كل ما لا أريده .

و لما علم بعض حاله ، تشوفت النفس إلى حال من تبعه ، فقال
مقسماً مؤكداً بما يحق له من القدرة التامة و العظمة الكاملة :
﴿ لمن تبعك منهم ﴾ أى بنى آدم ، و أجاب القسم بما أغنى عن جواب
١٥ الشرط فقال : ﴿ لاملئن جهنم منكم ﴾ أى منك و من قبلك ^٥ و منهم
﴿ اجمعين ه ﴾ أى لا يفوتنى منكم أحد ، فلم يزل ^٥ من فعل ذلك منكم على
أذى نفسه و لا أبالى أنا بشيء .

و لما أوجب له ما ذكر من الشقاوة تماديته في الحسد و كثرة كلامه

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) في ظ : بان (٣) ليس في ظ .
(٤) بمن ظ ، و في الأصل : قبلك (ه) من ظ ، و في الأصل : فكم رد - كذا .

فى محسوده، التفت إلى محسوده الذى لم يتكلم فيه كلمة واحدة، بل اشتغل بنفسه فى البكاء على ذنبه، واكتفى بفعل ربه بما ينجيه من حائل مكره التى نصبها بما ذكر، ليكون ذلك سبب معادته^١، فقال عطفًا على "اخرج منها": ﴿وَيَأْذُمُ اسْكُنْ﴾ ولما كان المراد بهذا الأمر هو نفسه لا التجوز^٢ به عن بعض من يلابسه، أكد ضميره لتصحيح العطف^٣ ورفع التجوز فقليل: ﴿انت وزوجك الجنة﴾.

ولما كان السياق هنا للتعريف بأنه مكن^٤ لأينا فى الجنة أعظم من تمكينه لنا فى الأرض بأن حباه فيها رغد العيش مقارنا لوجوده؛ ثم حسن فى قوله: ﴿فكلا﴾ العطف بالفاء الدال على أن المأكول كان مع الإسكان، لم يتأخر عنه، ولا منافاة بينه وبين التعبير بالواو فى البقرة، ١٠ لأن مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهوم الواو، ولا منافاة بين النوع والجنس، وقوله: ﴿من حيث شئنا﴾ بمعنى رغدا أى واسعا، فانه يدل على إباحة الأكل من كل شئ فيها غير المنهى عنه، وأما آية البقرة فتدل على إباحة الأكل منها فى أى مكان كان، وهذا السياق إلى آخره مشير إلى أن من خالف أمره تعالى ثل عرشه وهدم عزه وإن ١٥ كان فى غاية المكنة ونهاية القوة كما أخرج من أعظم له المكنة باسجاد ملائكته وإسكان جنته وإباحة كل ما فيها غير شجرة واحدة؛ أكد تحريمها بالنهاى عن قربانها دون الاكتفاء بالنهاى عن غشيانها [فقال-^٥]:

(١) فى ظ: معادة (٢) من ظ، وفى الأصل: التجوز (٣) -قط من ظ -

(٤) فى ظ: فى (ه) زيد من ظ .

﴿ولا تقربا﴾ أى فضلا عن أن تتأولا ﴿هذه الشجرة﴾ مشيرا إلى شجرة بعينها أو نوعها؛ ثم سبب عن القربان العصيان، فإن من حام حول الحبي أو شك أن يواقه فقال: ﴿فتكونا﴾ أى بسبب قربها ﴿من الظلمين﴾ أى بالآكل منها الذى هو^١ مقصود النهى فتكونا بذلك فاعلين فعل من يمشى فى الظلام^٢؛ ثم سبب عن ذلك بيان حال الحاسد مع المحسودين فيما سأل الإنظار بسببه، وأنه وقع على كثير من مراده واستغوى منهم أما تجاوزوا الحد وقصر عنهم مدى العد؛ ثم بين أنه أقل من أن يكون له فعل، وأن الكل يده سبحانه، هو الذى جعله آلة لمراده منه ومنهم، وأن [من - ٢] يهد الله فهو المهتدى، ومن يضل فأولئك هم الخاسرون، فقال: ﴿فوسوس﴾ أى ألقى فى خفاء وتزيين [أو تكرير - ٢] واشتهاء ﴿لها الشيطان﴾ [أى - ٢] بما مكنه الله منه من أنه يجرى من الإنسان مجرى الدم^١ ويلقى له فى خفاء ما يميل به قلبه إلى ما يريد؛ ثم بين علة الوسوسة بقوله: ﴿ليبدى﴾ أى يظهر ﴿لها ما ورى﴾ أى ستر وغطى بأن جعل / كأنه وراءهما لا يلتفتان إليه ﴿عنهما﴾ والبناء للفعول إشارة إلى أن الستر بشيء لا كلفة عليهما فيه كما يأتى فى قوله "ينزع عنهما لباسهما" ﴿من سواتهما﴾ أى المواضع التى يسوءهما انكشافها، وفى ذلك أن إظهار السوء موجب للبعد من الجنة وأن بينهما منفية الجمع^٥ وكال التباين.

ولما أخبر بالوسوسة وطوى مضمونها مفهما أنه أمر كبير وخداع

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: الضلال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: فسوف - كذا (٥) فى ظ: الجنة .

طويل ، عطف عليه قوله : ﴿ وقال ﴾ أى [فى - ١] وسوسته أيضا ،
 أى زين^١ لهما ما حدث بسببه فى خواطرهما هذا القول : ﴿ ما نهكما ﴾
 وذكرهما بوصف الإحسان تذكيرا باكرامه لهما تجرئة لهما على ما يريد
 منهما فقال : ﴿ ربكما ﴾ أى المحسن إليكما بما تعرفانه من أنواع إحسانه
 ﴿ عن ﴾ أى ما جعل نهايتكما فى^٢ الإباحة للجنة متجاوزة عن ﴿ هذه الشجرة ﴾ ٥
 جمع بين الإشارة و الاسم زيادة فى الاعتناء بالتصيص ﴿ الآ ان ﴾ أى
 كراهية أن ﴿ تكونا ملكين ﴾ أى فى عدم الشهوة وفى القدرة على الطيران
 والتشكل وغير ذلك من خواصهم ﴿ او تكونا ﴾ أى بما يصير لكما من
 الجلبة ﴿ من التخلدين ﴾ أى الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلا .
 ولما أوصل إليهما هذا المعنى ، أخبر أنه أكد تأكيذا عظيما كما ١٠
 يؤكد الحالف ما يحلف عليه فقال : ﴿ وقاسمهما ﴾ أى أقسم لهما ، لكن
 ذكر المفاعلة ليدل على أنه حصلت بينهما فى ذلك منلوعات ومحاولات
 بذل فيها الجهد ، وأكد - لمعرفته^٣ أنها طبعاً على النفرة من المعصية -
 ما أقسم عليه أنواعا من التأكيد فى قوله : ﴿ انى لكما ﴾ فأفاد تقديم الجار
 المفهم للاختصاص أنه يقول : انى خصصتكما بجميع نصيحتى ﴿ لمن النصحين ﴾ ١٥
 وفيه تنبيه على الاحتراز من الحالف ، وأن الأغلب أن كل حلاف
 كذاب ، فانه لا يحلف إلا عند^٤ ظنه أن سامعه لا يصدقه ، ولا يظن
 ذلك إلا وهو معتاد للكذب .

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عن (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 بكما (٥) من ظ ، وفى الأصل : لمعرفه (٦) من ظ ، وفى الأصل : العطية - كذا .
 (٧) فى ظ : على .

ولما أخبر بعض وسوسته لهما، سبب 'عنها ترجمتها' بأنها إيهاب
 من أوج شرف إلى حضيض أذى وسرف فقال: ﴿فدلّهما﴾ أى أنزلهما
 عما كانا فيه من علو الطاعة [مثل ما فعل بنفسه بالمعصية التي أوجبت
 له الهبوط من دار الكرامة - ٢] ﴿بغرور^٤﴾ أى بخداع وحيلة حتى
 ٥ نسي آدم عهد ربه، وقوله: ﴿فلما ذاقا﴾ مشير^٢ إلى الإسراع في الجزاء
 بالفاء والذوق الذى هو مبدأ الاكل ﴿الشجرة﴾ أى وجدا طعمها
 ﴿بدت﴾ أى ظهرت ﴿لهما سواتهما﴾ أى عوراتهما اللتان يسوءهما
 ظهورها، وتهافت عنهما لباسهما فأبصر كل واحد ما كان مستورا عنه من
 عورة الآخر، وذلك قصد الحسود فاستحييا عند ذلك ﴿وطفقا﴾ أى
 ١٠ شرعا وأقبلا ﴿بخصف^٥ عليهما﴾ أى يصلان بالخيطة ﴿من ورق الجنة﴾
 ورقة إلى أخرى ﴿وناذهما ربهما﴾ أى المحسن إليهما بأمرهما ونهيها،
 ولم يفعل شيئا من ذلك إلا برأى منه، فقال منكرا عليهما ما فعلاه ومعاتبا:
 يا عبدى ﴿الم انهما﴾ أى أجعل لكما نهاية فيما أذن لكما فيه متجاوزة
 ﴿عن تلكما الشجرة﴾ أى التي كان حقها البعد منها، الموجبة 'للقرية من'
 ١٥ هذا الموضع الشريف إحسانا إليكما ﴿واقلا لكما ان الشيطان﴾ أى
 الذى تكبر^٦ عن السجود^٧ حسدا لك يا آدم ونفاسة عليك، فاحترق
 (١-١) من ظ، وفى الأصل: عنها ترجمتها (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ .
 (٣) فى الأصل وظ: مشيرا (٤) فى ظ: عراتهما (هـ - هـ) فى ظ: للقرية عن .
 (٦) من ظ، وفى الأصل: يكبر (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن
 فى ظ لحذفها .

بغضبي فطرد وأبعد عن رحمتي ﴿ لكما ﴾ أى لك ولزوجك و لكل من
تفرع^١ منكما ونسب إليكما ﴿ عدو ميين ه ﴾ ظاهر العداوة يأتيكم من
كل موضع يمكنه الإتيان منه مجاهرة ومساورة ومماكرة فهو مع^٢ ظهور
عداوته دقيق المكر بما أقدرته عليه من إقامة الأسباب ، فأنى أعطيته
قوة على [السكيد ، وأعطيتكم قوة على السكيد وأعطيتكم قوة على - ٢] ه
الحلاص وقلت لكم : تغالبوا ، فان غلبتموه فأتتم من حزبي ، وإن غلبكم
فأتتم من حزبه مع ما له إليكم من العداوة ، فالآية منبهة على أن من غوى
فإنما هو تابع لأعدى أعدائه تارك لأولى أوليائه .

/ ولما كان هذا ، تشوف السامع إلى جوابها ، فأجيب بقوله :
٢٩٠ / ﴿ قالوا ﴾ أى آدم وحواء - عليهما السلام وأزكى التحية والإكرام - ١٠
[قول الخواص بأسراعهما في التوبة - ٢] ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن
إلينا والمنعم علينا ﴿ ظلمنا أنفسنا سئتنا ﴾ أى ضررناها بأن أخرجناها
من نور الطاعة إلى ظلام المعصية ، فان لم ترجع بنا وتب علينا لنستمر^٣
عاصيين ﴿ وإن لم تغفر لنا ﴾ أى تمحو ما عملناه عينا وأثرا ﴿ وترحمنا ﴾
فتعلى^٤ درجاتنا ﴿ لنكونن من الخسرين ه ﴾ فأعربت الآية عن أنهما ١٥
فزعوا إلى الانتصاب^٥ بالاعتراف ، وسميا ذنبيهما^٦ - وإن كان إنما هو خلاف

(١) من ظ ، وفي الأصل : يفرع (٢) في ظ : موضع - كذا (٣) زيد ما بين
الجازين من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : ضررنا (ه) من ظ ، وفي الأصل :
كنتم - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : فتعالى (٧) من ظ ، وفي الأصل :
الانصاف (٨) من ظ ، وفي الأصل : ذنبيهم .

الأولى^١ لأنه بطريق النسيان كما في ظه - [ظلما - '] كما هي عادة الأكابر في استعظام الصغير منهم ، ولم يجادلا كما فعل إبليس ، وفي ذلك إشارة^٢ إلى أن المبادرة إلى الإقرار بالذنب من فعال الإشراف لكونه من معالي الأخلاق ، وأنه لا مثيل له في اقتضاء العفو وإزالة الكدر ، وأن الجدال من فعال الأرذال ومن مساوى الأخلاق وموجبات الغضب المقتضى للطرد .

ولما تشوفت النفس الى جواب العلي الكبير سبحانه ، أجيبته بقوله :
 ﴿ قال امبطوا ﴾ أى إلى دار المجاهدة والمقارعة والمناكدة حال كونكم
 ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ أى أنتم ومن ولدتماه أعداء إبليس ومن
 ١٠ ولد ، وبعض أولادكم أعداء لبعض ، ولا خلاص إلا باتباع ما منحكم
 من هدى العقل وما أنزلت اليكم من تأييده^٣ بالنقل ، وفي ذلك تهديد
 صاعد لمن له أدنى مسكة بالإشارة إلى قبح مغبة^٤ المخالفة ولو مع التوبة ،
 وحث على دوام المراقبة خوفا من سوء المعاقبة ﴿ ولكم في الأرض ﴾
 أى جنسها ﴿ مستقر ﴾ أى موضع استقرار كالسهول^٥ وما شابهها
 ١٥ ﴿ ومتاع الى حين ﴾ أى انقضاء آجالكم ثم انقضاء أجل الدنيا .
 ولما علم بهذا أن للكون في الأرض آخر ، [وكان من الفلاسفة

(١) من ظ ، وفي الأصل : للأولى (٢) زيد ما بين الحازرين من ظ (٣) في ظ :
 ارشاد (٤) من ظ ، وفي الأصل : اجيب (٥) من ظ ، وفي الأصل : يده - كذا .
 (٦) من ظ ، وفي الأصل : معه (٧) من ظ ، وفي الأصل : بالسهول .

التناحية و غيرهم ممن يقر بالوحدانية من يقول : إن النفوس مجردة عن
الجسمية و علائقها و إنه إذا هلك الجسد اتصلت بالعلويات إما بكوكب
أو غيره أو انحطت في سلك الملائكة و بطل تعلقها بالبدن من كل وجه
فلا تتصل به لا بتدبير ولا غيره ولا بالبعث - عند من قال منهم بالبعث -^١ ،
كان كأنه قيل : فما ذا يكون بعد ذلك ؟ فأجيب بقوله : ﴿ قال ﴾ ه
[أى الله رادا عليهم ما يعتقدون من بطلان التعلق بالبدن معبرا بالخطاب
بالضمير الذى يعبر به عن هذا الهيكل المخصوص بروحا و جسدا -^١]
﴿ فيها ﴾ [أى الأرض لا فى غيرها -^١] ﴿ تخرجون ﴾ أى أولا و^٢ ثانيا
[على ما أتم عليه بظواهركم و بواطنكم أبدانا و أرواحا -^١] ﴿ و فيها ﴾
[أى كذلك ، لافى غيرها كما أتم لذلك مشاهدون -^١] ﴿ تموتون ﴾ أى ١٠
من الحياة الأولى [بجملتكم ، فيكون للأرواح تعلق بالأبدان بوجه ما
حتى يقعد الميت فى القبر و يحجب سؤال الملكين عليهما السلام ، و تلتذ
الاجساد بلذتها و تتألم بتألمها -^١] ، فأشير إلى الحشر مع تفصيل حال الكون
فى الأرض ، و ختمت القصة بما ابتدئت به من الإعلام بالبعث بقوله :
﴿ و منها ﴾ [أى لامن غيرها باخبار الصادق -^١] ﴿ تخرجون ﴾ أى ١٥
[روحا و بدنا -^١] بعد موتكم فيها و^٢ عودكم إلى ما كنتم عليه أولا ترابا ،
للجزاء و إظهار ثمرة الملك بانصاف بعضهم من بعض و التحلى [بصفة -^١]
العدل فيما كان بعضهم يفعل مع بعض من العسف و الجور الذى لا يرضى
أقل رؤسائكم أن يقر عليه عييده ، و علم بهذا أن الدلالة على الحشر فذلكه

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : او .

القصة ، و هذا أبين [من ذكره - ١] فيما مضى [فى قوله ” فلنسلن الذين
ارسل اليهم “ - الآيات .

ولما بين فيما مضى أن - ١ [موجب الإخراج من الجنة ٢ هو ما
أوجب ٢ كشف السوءة من المخالفة و فرغ مما استتبعه حتى أخبر بأنه حكم
ه باسكاننا هذه الدار بعد تلك الدار ، شرع يحذرننا من عدونا كما حذر
أبانا عليه السلام ٣ ، و بدأ بقوله يانا لأنه أنعم علينا فيها بكل ما يحتاج
إليه فى الدين و الدنيا و إيدانا بما فى كشف العورة من الفضيحة و الإبعاد
عن كل خير و إشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى :
(يَبْنِىْ اَدَمَ) .

١٠ ولما كان الكلام فى كشف العورة ، و أن آدم عليه السلام أعوزه
السار حتى فزع إلى الورق ، كان موضع أن يتوقع ما يكون فى ذلك
فقال ” مفتحا بحرف التوقع : (قد انزلنا) أى بعظمتنا (عليكم) من
آثار بركات السماء ، إما ابتداء بخلقه و إما بانزال أسبابه من المطر و نحوه
(لباسا) أى لم يقدر عليه أبوكم فى الجنة (يوارى سواكم) إرشادا
١٥ إلى دواء ذلك الداء و إعلاما بأن نفس الكشف نقص لا يصلح لحضرات
الكمال ، و قال : (وریشا ٤) إشارة إلى أنه سبحانه زادنا على السار ما به

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) العبارة
من هنا إلى آدم عليه السلام « تكررت فى ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل :
تتوقع (٥) من ظ ، و فى الأصل : قال .

الزينة والجمال استعارة من ريش الطائر، محبباً^١ فيما يبعد من الذنب و يقرب إلى حضرة^٢ الرب .

- ولما ذكر اللباس / الحسى،^٣ قسمه على سائر ومزين^٤، أتبعه ٢٩١ / المعنوى فقال مشيراً - بقطعه في قراءة الجمهور عما قبله - إلى كمال تعظيمه حثاً عليه وندبا إليه: ﴿و لباس التقوى^٥﴾ فعلم أن سائر العورات حسى ومعنوى، هـ فالحسى لباس الثياب، والمعنوى التحلى بما يبعث على المثاب^٦؛ ثم زاد في تعظيم المعنوى بقوله: ﴿ذلك خير^٧﴾ أى و لباس التقوى [هو - *] خير من لباس الثياب، ولكنه فصل باسم الإشارة المقترن بأداة البعد إيماء إلى علو رتبته وحسن عاقبته لكونه أهم^٨ اللباسين لأن نزعه يكون بكشف العورة الحسية والمعنوية، فلو تجمل الإنسان بأحسن الملابس وهو غير متق كان كله ١٠ سوءات، ولو كان متقياً وليس عليه إلا خريقة توارى عورته كان في غاية الجمال والستر والكمال، بل ولو كان مكشوف العورة في بعض الأحوال كما قال صلى الله عليه وسلم: ستر ما بين عوراتكم وأعين الجن أن يقول أحدكم إذا دخل الخلاه: بسم الله اللهم! إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، رواه الترمذى و ابن ماجه عن على رضى الله عنه، [و الذى يكاد يقطع ١٥ به أن المعاصى سبب إحلال السوء الذى منه ضعف البدن وقصر العمر حساً أو معنى بمحق البركة منه لما يفهمه ما تقدم في البقرة في بدء الخلق عن التوراة أن الله تعالى قال لأدم عليه السلام: كل من جميع أشجار
- (١) في ظ : تحبباً (٢) في ظ : حضرات (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٤) من ظ ، وفي الأصل: المثاب (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : أهل .

الفردوس، فأما شجرة علم الخير و الشر فلا تأكل منها لأنك في اليوم الذى تأكل منها تموت موتا أى تنهيا للوت حسا، و يقضى عليك بالاشتغال بأسباب المعيشة فيقصر عمرك معنى بذهاب بركته - والله أعلم - [١].
 ولما كان في شرع اللباس تمييز الإنسان عن بقية الحيوان و تهئية أسبابه التى لم يجدها آدم عليه السلام في الجنة من الفضل و النعمة و الدلالة على عظمة المنعم و رحمته و قدرته و اختياره ما هو معلوم، قال: ﴿ذلك﴾ أى إنزال اللباس ﴿من أيت الله﴾ أى الذى حاز صفات الكمال الدالة على فضله و رحمته لعباده، و لعل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فى ﴿لعلهم يذكرون﴾ - ولو على أدنى وجوه التذكر بما يشير إليه الادغام - لئلا يقول المتعنت: إن الحث على التذكر خاص بالمخاطب و يدعى أنه المسلمون فقط، أى أنزلنا ذلك ليكون حالهم^٢ حال من يتذكر فيعرف أنه يستقبح منه ما يستقبح من غيره .

و لما كان المقصود من ذكر القصص لا سيما قصص الانبياء الاعتبار بها، فكان بيان ما وقع بين آدم عليه السلام و بين الشيطان من شديد العداوة مقتضيا للتحذير من الشيطان، و كان المقام خطرا و التخلص عسرا، أشار إلى ذلك بالتأكيد و بيان ما سلب الشيطان به من المكاييد الخفية و الأسباب الدقيقة ليعلم الناجى أنه إنما نجى بمحض التوفيق و مجرد اللطف فيقبل على الشكر متبرئا من الحول و القوة، فقال مناديا لهم بما يفهم الاستعطاف و التواؤف و التحنن و الترفق و الاستضعاف^٣: ﴿يَبْنِ آدَمُ﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) في ظ: حالكم (٣) في ظ: الاستعطاف .

أى الذى خلقته يدي وأسكته جتى ثم أنزلته إلى دار محبى إرادة الإعلاء
لكم إلى الذروة من عبادتى والإسفال^١ إلى الحضيض من معصيتى ﴿ لا يفتنكم ﴾
أى [لا - ^٢] يخالطنكم بما يميلكم عن الاعتدال ﴿ الشيطان ﴾ أى البعيد^٣
المحترق بالذنوب^٤، يصدكم عما يكون سببا لردكم إلى وطنكم بتزيين ما ينزع
عنكم من لباس التقوى المفضى إلى هتك العورات الموجب لحزى الدنيا، ه
فيمنعكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم النار ﴿ كما أخرج ابويكم
من الجنة ﴾ بما فتنها به بعد أن كانا سكناها وتمكنا فيها وتوطناها،
وقد علمتم أن الدفع أسهل من الرفع فاياكم ثم إياكم ! فالآية من الاحتباك :
ذكر الفتنة أولا دليلا على حذفها ثانيا، والإخراج ثانيا دليلا على حذف
ضده أو نظيره* أولا .

١٠

ولما كان الشيطان قد بذل الجهد فى إخراجهما، فسر الإخراج - مشيرا
إلى ذلك - باطالة الوسواس وإدامة المكر والخديعة بالتعبير بالفعل المضارع
فقال [فى موضع الحال من ضمير " الشيطان " - ^٢] : ﴿ ينزع عنهما ﴾ أى
[بالتسبيب - ^٢] بادامة التزيين والاختاد من المأمن ﴿ لباسهما ﴾ [أى الذى
كان الله سبحانه قد سترها به ماداما حافظين لأنفسهما من موقعة ما نها عنه، ١٥
ودل على منافاة الكشف للجنة بالتعليل بقوله : ﴿ ليريهما سواتهما ^١ ﴾ - ^٢]
فان ذلك مبدأ ترك الحياء والحياء والإيمان / فى قرن - كما أخرجه
الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر رضى الله عنهما، والحياء لا يأتى
(١) فى ظ : الاشتغال (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل :
من ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، وفى الأصل : بالذنب .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : يظهره .

٢٩٢ /

إلا بخير - كما رواه الشيخان عن عمران بن حصين رضى الله عنهما ،
ولما كان نهى الشيطان عن قتنا إنما هو فى الحقيقة نهى لنا عن
الاقتتان به ، فهو فى قوة ليشدد حذركم من فتنه فانه دقيق الكيد بعبد
الغور^١ بديع المخاتلة ؛ علل ذلك بقوله : ﴿ الله يرؤكم ﴾ أى الشيطان
﴿ هو و قبيله ﴾ أى جنوده ﴿ من حيث لا ترونهم^٢ ﴾ عن مالك بن
دينار أن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله .

ولما كان كأنه قيل : لم سلطوا علينا هذا التسليط العظيم الذى
لا يكاد يسلم معه أحد ، قال مخففا لآمرهم موهبا فى الحقيقة لكيدهم :
﴿ انا ﴾ أى فعلنا ذلك لأننا بما لنا من العظمة ﴿ جعلنا الشيطين ﴾ أى
المحترقين بالغضب البعدين من الرحمة ﴿ اولياء ﴾ أى قرباء^٣ وقرناء
﴿ للذين لا يؤمنون^٤ ﴾ أى يحددون الإيمان ، لأن بينهم تناسبا فى الطباع
يوجب الاتباع ، وأما أولياؤنا الذين منعناهم بقوتنا منهم أو قتنام يسيرا بهم ،
ثم خلصناهم بلطفنا منهم فليسوا لهم بأولياء ، بل هم لهم أعداء وآيتهم
أنهم يؤمنون ، والمعنى أنا مكناهم من مخاتلتكم بسترهم عنكم وإظهاركم لهم ،
١٥ فسلطانهم بذلك على من حكمنا بأنه لا يؤمن بزيينهم لهم وتسويلهم
واستخفافهم بأن ينصروهم فى بعض المواطن ويوصلوهم^٥ إلى شىء من
المطالب ، فعلنا ذلك ليتبين الرجل الكامل - الذى يستحق الدرجات العلى
و يتردد إليه الملائكة بالسلام والجنى^٦ - من غيره فخذوا حذركم فان الأمر

(١) من ظ ، وفى الأصل : الفرر (٢) فى ظ : اقرباء (٣) فى ظ : يوصلهم .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : الحى - كذا .

محطّر^١ أو الخلاص^٢ عسر، و بعبارة أخرى : إنا سلكناهم^٣ طريقا وجعلنا
 بجنتيها^٤ أعداء يرونكم^٥ ولا ترونهم، وأقدرناهم^٦ على بعضكم، فمن ملك
 سواء السبيل نجا ومن شذ أسره العدو، ومن دنا من الخافات بمرافقة الشبهات
 قارب العدو ومن قاربه استغواه، فكلها دنا منه يمكن^٧ من أسره، وكل
 من تمكن من أسره بعد من الخلاص^٨ فاحذروا، وعدم رؤيتنا لهم في هـ
 الجملة لا يقتضى امتناع رؤيتهم على أنه قد صح تصورهم في الأجسام
 الكثيفة ورؤية بنى آدم لهم في تلك الأجسام كالشيطان الذى رآه
 أبو هريرة رضى الله عنه حين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ
 الصدقة، وكذا أبى بن كعب رضى الله عنه، وحديث خالد بن الوليد^٩
 رضى الله عنه فى شيطان العزى معروف فى السير، وكذا حديث سواد ١٠
 ابن قارب رضى الله عنه فى إرشاد رتيه من الجن له، وكذا خطر ابن
 مالك رضى الله عنه فى مثل^{١١} ذلك وغيرهما، وفى شرحى لنظمى للسيرة
 كثير من ذلك، وكذا حديث العفريت الذى تقلت على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بشعلة من نار ليقطع عليه صلاته فأخزاه الله وأمكن
 منه [رسول الله - ١٠]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو لا دعوة أخى د
 سليمان عليه السلام لأصبح مربوطا بسارية المسجد يتلعب^{١٢} به ولدان أهل
 (١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) فى ظ : سلكناهم (٣) من ظ، وفى
 الأصل : تحتها (٤) من ظ، وفى الأصل : يركم - كذا (٥) من ظ، وفى الأصل :
 أقدرناكم (٦) من ظ، وفى الأصل : يمكن (٧) من ظ، وفى الأصل : الاخلاص.
 (٨) فى الأصل : الا، وفى ظ : كما (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) من
 ظ، وفى الأصل : يتلعب .

المدينة ، قال أبو حيان : إلا أن رؤيتهم في الصور نادرة كما أن الملائكة عليهم السلام تبدو في صور كحديث جبريل عليه السلام .

و لما جعل أمارتهم في ولاية الشيطان عدم الإيمان ، عطف على ذلك أمانة أخرى فقال : ﴿ واذا فعلوا فاحشة ﴾ أى أمرا بالغا في القبح ه كالشرك و كشف العورة في الطواف ﴿ قالوا ﴾ معللين لارتكابهم إياها ﴿ وجدنا عليها ﴾ أى الفاحشة ﴿ آباءنا ﴾ و لما كانت هذه العلة ظاهرا عارها بينا عوارها ، ضموا إليها اقتراء^١ ما يصلح للعلية ، فقالوا معبرين بالاسم الاعظم غير محتشمين من جلاله و عظمته و كماله : ﴿ والله امرنا بها^٢ ﴾ .
و لما كانت العلة الأولى ملغاة ، و كان العلم يطلانها بديها ، لأن ١٠ من المعلوم أنهم لو وجدوهم على سفه في تحصيل المال ما تابعوهم : أعرض / ٢٩٣ عنها إشارة إلى ذلك ، و أمر بالجواب عن الثانية التى هى اقتراء على الملك الأعلى مع ادعائهم أنهم أبعد الناس عن مطلق الكذب و أشدهم تحريا بقوله : ﴿ قل ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ لا يامر بالفحشاء^٣ ﴾ أى بشيء من هذا الجنس .

١٥ و لما كان الكذب قبيحا في نفسه و هو عندهم أقبح القبيح مطلقا ، فكيف به على كبير منهم فكيف إذا كان على أعظم العظماء ! قال منكرنا عليهم موبخا لهم مهددا : ﴿ اقولون على الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ ما لا تعلمون ه ﴾ لأنكم لم تسمعوا ذلك عن^٢ الله بلا واسطة و لا نقل إليكم بطريق صحيح عن نبي من الأنبياء^٣ عليهم السلام ، و فيه

(١) من ظ ، و في الأصل : افرا - كذا (٢) من ظ ، و في الأصل : من .

(٣) في ظ : انبياه .

تهديد شديد على الجهل^١ والقول على الله بالظن .

ولما كان تعليلهم بأمر الله مقتضيا لأنه إذا امر بشيء أتبع ، أمره أن
يلفهم أمره الذي جاء به دليل العقل مؤيدا بجازم النقل فقال : (قل) أى
لهؤلاء الذين نابذوا الشرع والعرف (امر ربى) المحسن إلى بالتكليف
بمحاسن الأعمال ، التى تدعو إليها الهمم العوال (بالقسط) وهو الأمر
الوسط بين ما فحش فى الإفراط صاعدا عن الحد ، وفى التفريط [هابطا
منه ؛ ولما كان التقدير : فأقسطوا اتباعا لما أمر به ، أو كان القسط - ٢]
مصدرا ينحل إلى : أن أقسطوا ، عطف عليه (و اقيموا وجوهكم) مخلصين
غير مرتكبين لشيء من الجور (عند كل مسجد) أى مكان و وقت و حال
يصلح السجود فيه ، ولا يتقيدن أحد بمكان ولا زمان [بأن - ٢] يقول ١٠
وقد أدركته الصلاة : أذهب فأصلى فى مسجدى (و ادعوه) عند ذلك
كله دعاء عبادة (مخلصين له الدين) أى لا تشركوا به شيئا .
ولما كان المعنى : فإن من لم يفعل ذلك عذبه بعد إعادته له بعد الموت ،
ترجمه مستدلا عليه بقوله معللا : (كما بداكم) أى فى النشأة الأولى فأنتم
تبتدونون نعيديكم بعد الموت فأنتم (تعودون) حال كونكم فريقين : ١٥
(فريقا هدى) أى خلق الهداية فى قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية
(وفريقا أضل) ثم فسر ' أضل ' - لأنه واجب التقدير بالنصب - بقوله :
(حق) أى ثبت و وجب (عليهم الضلالة) أى لأنه أضلهم فيحشرون
علي ما كانوا عليه فى الدنيا من الأديان ، و الأيدان ، وقد تبين أن مهنا

(١) من ظ ، وفى الأصل : الجهد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

احتباكين: أثبت في أولهما 'بدا' دليلا على حذف 'يعيد' وذكر 'تعودون'
 دليلا على حذف 'تبتدون'. وأثبت في الثاني 'هدى' دليلا على حذف
 'أضل' وذكر حقوق الضلالة دليلا على حذف حقوق الهدى .

ولماكرر سبحانه ذكر البعث كما تدعو إليه الحكمة في تقرير ما
 ينكره المخاطب تأنيسا له به وكسرا لشوكته وإيهانا لقوته وقعا لسورته إلى
 أن ختم بما هو أدل عليه مما قبل من قوله 'ومنها تخرجون' "ولنسئلن
 الذين ارسل اليهم" علل ما ختم به هذا الدليل من حقوق الضلالة أى
 وجوبها أى وجوب وبالها عليهم بقوله: ﴿انهم اتخذوا﴾ أى كفروا
 أنفسهم ضد ما دعيتهم إليه الفطرة الأولى بأن أخذوا ﴿الشيطاين اولياء﴾ أى
 ١٠ أقرباء وأنصارا ﴿من دون الله﴾ أى الملك الأعلى الذى لا مثل له
 ﴿ويحسبون﴾ أى والحال أنهم يظنون بقله عقولهم ﴿انهم مهتدون﴾
 فأشار بذلك إلى أنهم استحقوا النكال لأنهم قنعوا فى الأصول - التى يجب
 فيها الابتهاال - إلى القطع - بالظنون .

ولما أمر سبحانه بالقسط وباقامة الوجه عند كل مسجد، أمرهم
 ١٥ بما يفنى عند تلك الإقامة من ستر العورة الذى تقدم الحث عليه و بيان
 لحش الحتك و سوء أثره معبرا عنه بلفظ الزينة ترغيا فيه وإذنا فى الزينة
 و يانا لأنها ليس^٢ بما يتورع عنه لقوله صلى الله عليه وسلم "ان الله يحب
 اذا بسط على عبد رزقه أن يرى أثر نعمته عليه" رواه أحمد و الترمذى

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الذى (٤) فى
 ظ: الانتهاء .

وابن منيع عن أبي هريرة رضى الله عنه ، و أتبع ذلك أعظم ما ينبغي
لابن آدم أن يعتبر فيه القسط من المأكل و المشرب فقال مكررا النداء
استعطافا و إظهارا لعظيم الإشفاق / و تذكيرا بقصة أيهم آدم عليه السلام / ٢٩٤ /
التي أخرجه من الجنة مع كونه صفي الله ليشتد الحذر : (يَنْفَى آدَمَ)
أى الذى زيناه فغره الشيطان ثم وقيناه شره بما أنعمنا عليه به من ٥
حسن التوبة و عظيم الرغبة (خذوا زينتكم) أى التى تقدم التعبير عنها
بالريش لستر العورة و التجميل عند الاجتماع للعبادة (عند كل مسجد)
'و أكد ذلك' كونهم كانوا قد شرعوا أن غير الجنس يطوفون عراة .
ولما أمر^٢ بكسوة الظاهر بالثياب لأن صحة الصلاة متوقفة عليها ،
أمر بكسوة^٣ الباطن بالطعام و الشراب لتوقف القدرة عادة عليها فقال : ١٠
(و كلوا و اشربوا) و حسن ذلك أن بعضهم كان يتدين فى الحج
بالتضييق فى ذلك .

ولما أمر باللبس و المطعم ، نهى عن الاعتداء فيهما فقال :
(ولا تسرفوا ج) بوضع شيء من ذلك فيما لا يكون أحق مواضعه ولو
بالزيادة على المعاد ، [و من ذلك أن يتبع السنة فى الشرب فيسبى لأن العكر ١٥
يرسب فى الإناء فربما أذى من شربه ، و لذلك نهى عن النفس فى الإناء
لأنه ربما أثنى فعاثته النفس ، و أما الطعام فيلحسن إناءه و الأصابع لئلا
البركة و هو أنظف - ٢] ؛ ثم علل ذلك بقوله : (انه لا يحب المرففين ع)
(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : كذلك (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

أى لا يكرمهم ، ولا شك أن من لا يحبه لا يحصل له شيء من الخير فيحيط
 به كل شر ، ومن جملة السرف الآكل في جميع البطن ، و الاقتصاد
 الاقتصار على الثلث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « حسب ابن آدم
 لقيمت يقمن صلبه فان كان لابد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
 للنفس ، و « ما ملا » ابن آدم وعاء شرا من بطن^١ ، و « الكافر يأكل
 في سبعة أمعاء^٢ » والمؤمن يأكل في معى واحد ، أخرجه البخارى عن
 ابن عمر رضى الله عنهما ، قال الأطباء : الأمعاء سبعة ، فالمنى حيث أن
 الكافر^٣ يأكل شبعاً فيملا الأمعاء السبعة ، والمؤمن يأكل تقوتا^٤ ، يأكل
 في معى واحد ، وذلك سبع بطنه ، واليه الإشارة بـ « لقيمت » ، فان لم يكن
 ١٠ فى معامين و شيء وهو الثلث - والله أعلم ، و سبب الآية أنهم كانوا
 يطرحون ثيابهم إذا أرادوا الطواف ، يقولون : لا نظوف في ثياب إذ بتنا
 فيها ، و تعرى منها لتعرى^٥ من الذنوب إلا^٦ الخمس وهم قريش ومن ولده ،
 وكانوا لا يأكلون من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسماً ، فقال المسلمون :
 « يا رسول الله ! فحن أحق أن تفعل ذلك ، فأنزلت .

١٥ ولما كان من المعلوم أن ما كانوا ألفوه و اتخذوه ديناً يستعظمون
 تركه ، لأن الشيطان يوسوس لهم بأنه توسع [الدنيا ، و التوسع -^٨]

(١) في ظ : بطنه (٢-٢) في ظ : معى واحد (٣) من ظ ، وفي الأصل : كافر .
 (٤) من ظ ، وفي الأصل : مقوتا (٥) في ظ : لنقوى (٦) زيد بعده في الأصل :
 غير ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : ير - كذا .
 (٨) زيد من ظ .

فيها مما ينبغي الزهد فيه كما دعا إليه كثير من الآيات ، أكد سبحانه
 الإذن في ذلك بالإنكار على من حرمه ، فقال منكرًا عليهم إعلامًا بأن
 الزهد الممدوح ما كان مع صحة الاعتقاد في الحلال والحرام ، وأما ما كان
 مع تبديل شيء من الدين بتحليل حرام أو عكسه فهو مذموم : ﴿ قل ﴾
 ﴿ منكرًا موجهاً ﴾ (من حرم زينة الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه ه
 ﴿ التى اخرج لعباده ﴾ أى ليعتصموا بها من الثياب والمعادن وغيرها .
 ولما ذكر الملابس التى هى شرط فى صحة العبادة على وجه عم
 غيرها من المراكب وغيرها ، أتبعها المآكل والمشارب فقال : ﴿ والطيبات ﴾
 أى من الللال المستلذذ ﴿ من الرزق ١ ﴾ كالبخار والسواب ونحوها ؛
 ولما كان معنى الإنكار : لم يحرمها من يعتبر تحريمه بل أحلها ، وكان ربما غلا ١٠
 فى الدين غال تمسكاً بالآيات المنفرة عن الدنيا الموهنة لشأنها مطلقاً فضلاً عن
 زينة [وطيبات الرزق ، قال مستأنفاً لجواب من يقول : لمن ؟ : ﴿ قل هى ﴾
 أى الزينة - ٢] و الطيبات ﴿ للذين آمنوا ﴾ وعبر بهذه العبارة ولم يقل :
 ولغيرهم ، تنبيهاً على أنها لهم بالإصالة ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ وأما الكفار
 فهم تابعون لهم فى التمتع بها وإن كانت لهم أكثر ، فهى غير خالصة ١٥
 لهم وهى للذين آمنوا ﴿ خالصة ﴾ أى لا يشاركهم [فيها - ٣] أحد ،
 هذا على قراءة نافع بالرفع ، والتقدير على قراءة غيره : حال كونها خالصة
 ﴿ يوم القيامة ٤ ﴾ وفى هذا تأكيد لما مضى من إحلالها بعد تأكيد و محو
 الشكوك ٦ ، وداعية للتأمل فى الفصل بين المقامين / لبيان أن الزهد المأمور به

٢٩٥ /

(١) فى ظ : من (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الكافرون .
 (٥) من ظ ، وفى الأصل : كان (٦) فى ظ : لشكوك .

إنما هو بالقلب بمعنى أنه لا يكون للدنيا عنده^١ قدر ولا له إليها التفات ولا هي أكبرهمه، وأما كونها يتفجع بها فيما أذن الله فيه وهي محقورة غير مهم بها فذلك من المحاسن.

ولما كان هذا المعنى من دقائق المعاني ونقائس المباني، أتبعه تعالى قوله جواباً لمن يقول: إن هذا التفصيل^٢ فائق فهل^٣ يفصل غيره هكذا؟ (كذلك) أى مثل هذا التفصيل البديع (تفصل الأيت) أى نين أحكامها ونميز بعض المشتبهات من بعض (لقوم يعلمون) أى لهم ملكة وقابلية للعلم ليثصلوا به إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح.

ولما بين أن ما حرموه ليس بحرام فتقرر^٤ ذلك تقرراً نزع من النفوس ما كانت ألفته من خلافه^٥، ومحا من القلوب ما كانت أشربته من ضده؛ كان كأنه قيل: فماذا حرم الله الذى ليس التحريم إلا إليه؟ فأمره تعالى بأن يحيمهم عن ذلك ويزيدهم بأنه لم يحرم غيره فقال: (قل إنما حرم ربى) أى المحسن إلى بجعل ديني أحسن الأديان (الفواحش) أى كل فرد منها وهي ما زاد قبحه؛ ولما كانت الفاحشة ما يزايد قبحه فكان ربما ظن أن الإصرار بها غير^٦ مراد بالنهى قال: (ما ظهر منها) بين الناس (وما بطن) .

ولما كان هذا خاصاً بما عظمت شناعته قال: (والاثم) أى

(١) فى ظ: عليه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: تقرر (٤) من ظ، وفى الأصل: اخلاصه (٥) من ظ، وفى الأصل: ثم (٦) من ظ، وفى الأصل: فرضاً .

مطلق الذنب^١ الذى يوجب الجزاء، فان الإثم الذنب والجزاء؛ ولما كان
 البغى زائد القبح مخصوصا بأنه من أسرع الذنوب عقوبة، خصه بالذكر
 فقال: ﴿والبغى﴾ وهو الاستعلاء على الغير ظلما، ولكنه لما كان
 قد يطلق^٢ على مطلق الطلب، حقق معناه العرفى الشرعى فقال:
 ﴿بغير الحق﴾ أى الكامل الذى ليس فيه شائبة باطل، ففى كان فيه هـ
 شائبة باطل كان بغيا، ولعله يخرج العلو بالحق بالانتصار من الباغى
 فانه حق كامل الحقية، وتكون تسميته بغيا على طريق المشاكلة تنفيرا -
 بادخاله تحت اسم البغى - من تعاطيه وندبا إلى العفو كما تقدم مثله فى
 "لا يجب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم" ويمكن أن يكون
 تقييده تأكيدا لمنعه بأنه لا يتصور إلاموصوفا بأنه بغير الحق كما قال ١٠
 تخصيصا^٣ وتنصيحا تنديها على شدة الشناعة: ﴿وان تشركوا بالله﴾ أى
 الذى اختص بصقات الكمال ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ فانه لا يوجد ما يسميه
 أحد شريكا إلا وهو ما لم ينزل به الله سلطانا بل ولا حجة به فى الواقع
 ولا برهان، ولعله إنما قيده بذلك إرشادا إلى أن أصول الدين لا يجوز
 اعتمادها إلا بقاطع فكيف بأعظمها وهو التوحيد! ولذلك عقبه بقوله: ١٥
 ﴿وان﴾ أى وحرم أن ﴿تقولوا على الله﴾ أى الذى لا أعظم منه
 ولا كفو له ﴿ما لا تعلمون﴾ أى ما ليس لكم به^٤ علم بخصوصه ولا هو
 مستند إلى علم أعم من أن يكون من الأصول أو لا.

(١) فى ظ: الكذب (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: نطق (٤) من
 ظ، وفى الأصل: يكون (٥) سورة ٤ آية ١٤٨ (٦) من ظ، وفى الأصل: مخصصا.

ولما تقدم أن الناس فريقان : مهتد و ضال ، و تكرر ذم الضال
 باجترائه على الله بفعل ما منعه منه و ترك ما أمره به ، و كانت العادة
 المستمرة للولك أنهم لا يمهلون من تكرر مخالفته لهم ؛ كان كأنه قيل :
 فلم لا يهلك من يخالفه ؟ ف قيل وعظا و تحذيرا : إنهم لا يضرون بذلك
 ه إلا أنفسهم ، و لا يفعلون شيئا منه إلا بإرادته ، فسواء عندهم بقاؤهم
 و هلاكهم ، إنما يستعجل من يخاف الفوت أو يخشى الضرر ، و لهم أجل
 لا بد من استيفائه ، و ليس ذلك خاصا بهم بل (و لكل أمة أجل)
 و^١ هو [عطف - ٢] على " فيها تحيون و فيها تموتون "
 (فاذا جاء أجلهم) .

١٠ و لما كان نظرم إلى الفسحة في الأجل ، و كان قطع رجائهم منه

من جملة عذابهم ، قدمه فقال : (لا يستأخرون) أى عن الأجل

(ساعة) عبر بها و المراد أقل ما يمكن ، لأنها أقل الاوقات في

الاستعمال في العرف ، ثم عطف على الجملة الشرطية بكاملها لا على جزائها

قوله : (و لا يستقدمون ه) أى على الأجل المحتوم ، لأن الذى ضربه

لهم ما ضربه الا و هو عالم بكل ما يكون / من أمرهم ، لم يتجدد له علم ، ٢٩٦ / ١٥

لم يكن يتجدد شيء من أحوالهم ، و يجوز أن يكون معطوفا على قوله

" و لكم في الارض مستقر و متاع الى حين " و تكون الآية معللة

بأنهم سيتناسلون فيكثرون حتى يكونوا أمما ، و لا يتعرضون جملة

بل يكون لكل أمة وقت .

(١) في ظ : اى (٢) زيد من ظ .

ولما كان استشراف النفس^١ إلى السؤال عما يكون بعد حين المستقر والمتاع أشد من استشرافها^٢ إلى -هذا لكونه أخفى منه، فهو أبعد من خطوره في البال؛ قدم قوله "قال فيها تحيون" - الآية؛ ولما كان ذكر الدواء لداء هتك السوء أهم قدم "انزلنا عليكم لباسا" ثم [ما - ٢] بعده حتى كان الأنسب بهذه^٣ الآية هذا الموضع فظمت فيه .
ولما تقدمت الإشارة إلى الحث على اتباع الرسل بآيات المقصد الأول من مقاصد هذه السورة كقوله تعالى "كتب انزل اليك" و "لتنذر" و "اتبعوا ما انزل اليكم" وقوله "فلنسلن الذين ارسل اليهم" - [الآية - ٢]، وقوله "قل امر ربي بالقسط"، "انما حرم ربي الفواحش" والتحذير من الشياطين بقوله "ولا تتبعوا من دونه اولياء" ١٠ وبقوله "لا تعدن لهم صراطك المستقيم"، "لا يفتنكم الشيطان" وغيره، فتنحصر أنه لا سبيل إلى النجاة إلا بالرسل، وختم ذلك بالاجل حثا على العمل في أيام المهلة؛ أتبع ذلك قوله حاثا على التعلق بأسباب النجاة باتباع [الدعاة - ٢] الهداة قبل الفوت بمحدث الموت^٤ ببيان الجزاء لمن أحسن الاتباع في الدارين: ﴿يَبْنِيْ اَدَم﴾ ١٥

ولما كان له سبحانه أن يعذب من خالف داعي العقل من غير إرسال رسول، وكان إرسال الرسل جائزا له وفضلا منه سبحانه إذ

(١) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: استشراف (٣) زيد من ظ .
(٤) في ظ: لهذه (هـ) من ظ والقرآن الكريم، وفي الأصل: انزلنا (٦) زيدت الواو بعده في ظ .

لا واجب عليه ، أشار إلى ذلك بحرف الشك فقال : ﴿ اما ﴾ هي 'إن' الشرطية وصلت بها 'ما' تأكيداً ﴿ ياتينكم رسل ﴾ ولما كانت زيادة الخبرة 'بالرسول أقطع للعدو وأقوى في الحجّة قال : ﴿ فتنكم ﴾ أى من نوعكم من عند ربكم .

٥ [و لما كان الأغلب على مقصد هذه السورة العلم كما تقدم في " فلنقصن عليهم بعم و ما كنا غائبين " و يأتى في " و لقد جثتهم بكسب فضله على علم " وغيرها ، كان التعبير بالقصى - الذى هو تتبع الأثر كما تقدم في الأنعام - أليق فقال - ٢] : ﴿ يقصون عليكم ايتى لا ﴾ أى يتابعون ذكرها لكم على وجه مقطوع به ، [و - ٢] يتبع بعضهم بها أثر ١٠ بعض لا يتخالفون فى أصل واحد من الأصول .

و لما كان لقاء الرسل حتماً و الهجرة إليهم واجبة لأن العمل لا يقبل إلا بالاستناد^٢ إليهم مهما وجد إلى ذلك سبيل ، ربط الجزاء بالفاء فقال : ﴿ فمن اتقى ﴾ أى خاف مقامى و خاف وعيدى بسبب التصديق بالرسول و التلقى عنهم ﴿ و اصلح ﴾ أى عمل صالحاً باقتفاء آثارهم ﴿ فلا خوف ﴾ ١٥ أى غالب ﴿ عليهم ﴾ أى بسبب ذلك من شئ يتوقعونه ﴿ و لا هم ﴾ أى بضائرهم ﴿ يحزنون ه ﴾ أى يتجدد لهم [فى - ٢] وقت ما حزن على شئ فاتهم ، لأن الله يعطيهم ما يقر به أعينهم ، وكأنه غاية فى التعبير لأن إجلالهم لله تعالى و هيبتهم له يمكن أن يطلق عليهما خوف .

(١) فى ظ : الخير (٢) زيد ما بين الحائرين من ظ (٣) فى ظ : باستناد (٤) فى ظ : تقرر (٥) فى ظ : لانه (٦) فى ظ : عليها .

ولما ذكر المصدق، أتبعه المكذب فقال: ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾
 أى على ما لها من العظمة باضافتها إلينا؛ ولما كان التكذيب قد يكون
 عن شبهة أو نوع من العذر، نفى ذلك بقوله: ﴿واستكبروا عنها﴾
 أى أوجدوا الكبر إيجاد من هو طالب له عظيم الرغبة فيه، متجاوزين
 عنها إلى أضداد ما دعت إليه .
 ٥

ولما كان ذلك ليس سبباً حقيقياً للتعذيب، وإنما هو كاشف عن
 ذراه الله لجهنم لإقامة الحجة عليه، أعزى عن الفاء قوله: ﴿اولئك﴾
 أى البعداء البغضاء ﴿اصحب النار﴾ ولما كان صاحب الشيء هو
 الملازم له المعروف به، قال مصرحاً بذلك: ﴿هم﴾ أى خاصة ليخرج
 العاصي من غير تكذيب ولا استكبار^٢ ﴿فيها﴾ أى النار خاصة، وهى ١٠
 تصدق بكل طبقة من طبقاتها ﴿تخلدون﴾ فقد تبين أن إثبات الفاء
 أولاً للترغيب فى الاتباع، وتركها ثانياً للترهيب من شكاسة الطباع،
 فالمقام فى الموضوعين خطر، ولعل / من فوائده الإشارة إلى أنه إذا بعث
 رسول وجب على كل [من - °] سماع به أن يقصده لتحرير أمره، فاذا
 بان له صدقه تبعه، وان تخلف عن ذلك كان مكذباً - والله الموفق . ١٥
 ولما كان تكذيب الرسل تارة يكون بشرع شيء لم يشرعوه،

(١) مقط من ظ (٢) تأخر فى الأصل عن « لا استكبار » والترتيب من ظ .

(٣) من ظ : وفى الأصل : استكباراً (٤) تأخر فى الأصل عن « من طبقاتها »

والترتيب من ظ (٥) زيد من ظ .

و تارة برد ما شرعوه قولاً و فعلاً ، و أخبر أن المكذبين أهل النار ،
 علل ذلك بقوله : ﴿ فمن اظلم ﴾ أى أشنع ظلماً ﴿ بمن افترى ﴾ أى تعد
 ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ كذباً ﴾ أى كمن شرع فى المطاعم و الملابس
 غير ما شرع ، أو ادعى أنه يوحى إليه فحكم بوجوده ما لم يوجد
 ٥ ﴿ أو كذب بآيته ﴾ أى برد ما أخبر به الرسل فحكم بانكار ما وجد .

و لما كان الجواب : لا أحد أظلم من هذا ، بل هو أظلم الناس ،
 و كان مما علم أن الظالم مستحق للعقوبة فكيف بالأظلم قال : ﴿ أولئك ﴾
 أى البعداء من الحضرات الربانية ﴿ ينالهم نصيبهم من الكتب ﴾ أى
 الذى كتب حين نفخ الروح أو من الآجال التى ضربها سبحانه [لهم - ٥]
 ١٠ و الارزاق التى قسمها ، تأكيداً لرد اعتراض من قال : إن كنا خالفنا فما
 له لا يهلكنا ؟ ثم غيى نيل النصيب بقوله : ﴿ حتى إذا جاءتهم رسلنا ﴾
 أى الذين قسمنا لهم من عظمتنا ما شئنا حال كونهم ﴿ يتوفونهم ﴾
 أى يقبضون أرواحهم كاملة من جميع أبدانهم ﴿ قالوا ابن ما كنتم ﴾
 عنادا كمن هو فى جبلته ﴿ تدعون ﴾ أى دعاء عبادة ﴿ من دون الله ﴾
 ١٥ أى تزعمون أنهم واسطة لكم عند الملك الاعظم و تدعونهم حال كونكم
 معرضين عن الله ، ادعواهم الآن ليمنعوكم من عذاب الهوان الذى نذيقكم
 ﴿ قللوا ضلوا ﴾ أى غابوا ﴿ عنا ﴾ فلا ناصر لنا .

(١) فى ظ ه و (٢) من ظ ، وفى الأصل : يوجد (٣) فى ظ : يوجد (٤) فى ظ :
 الذى (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : يزعمون .
 (٨) من ظ ، وفى الأصل : أو (٩) فى ظ : الهون .

ولما كان الإله لا يغيب فعلوا ضلالهم بغيبتهم عنهم ، قال مترجما
عن ذلك : ﴿ وشهدوا على أنفسهم ﴾ أى بالغوا فى الاعتراف ﴿ انهم كانوا
كافرين ٥ ﴾ أى سائرین عنادا لما كشف لهم عنه نور العقل فلا مانع
منه إلا حظوظ النفوس ولزوم البؤس .

ولما كان كأنه قيل : لقد اعترفوا ، والاعتراف - كما قيل - إنصاف ، هـ
فهل ينفعهم ؟ قيل : هيهات ! فأت محله بفوات^١ دار العمل لا جرم ! ﴿ قال ﴾
أى الذى جعل الله إليه أمرهم ﴿ ادخلوا ﴾ كائنين ﴿ فى آام ﴾ أى فى جملة
جماعات و فرق أم بعضها بعضا^٢ ؛ ثم وصفهم دالا بتاء التأنيث على ضعف
عقولهم فقال : ﴿ قد خلت ﴾ ولما كان فى الزمن الماضى من آمن ،
أدخل الجار فقال : ﴿ من قلبكم ﴾ ولما كان الجن الأصل فى الإغواء ١٥
قدمهم فقال : ﴿ من الجن والانس ﴾ ثم ذكر محل الدخول فقال :
﴿ فى النار^٣ ﴾ .

ولما جرت عادة الرفاق بأنهم يتكلمون و حين الاجتماع يتسلمون
تشوف السامع إلى حالهم فى ذلك فقال مجيبا له : ﴿ كلها دخلت أمة ﴾
أى منهم فى النار ﴿ لعنت اختها^٤ ﴾ أى القرية منها فى الدين^٥ والملة التى ١٥
قضيت آثارها و اتبعت منارها ، يلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى -
وهكذا ، واستمر ذلك منهم ﴿ حتى إذا اداركوا ﴾ أى تداركوا و تلاحقوا ،
يركب بعضهم بعضا - بما يشير إليه الإدغام ﴿ فيها جميعا^٦ ﴾ لم يبق
منهم أمة ولا واحد من أمة ﴿ قالت اخرهم ﴾ أى فى الزمن

(١) فى ظ : بفوت (٢) فى ظ : بعض (٣) فى ظ : الزمن (٤) من ظ ، وفى
الأصل : نعت - كذا (٥) فى ظ : احدا .

و المنزلة ، و هم الاتباع و السفل ﴿ لاولهم ﴾ أى لاجلهم مخاطبين لله
خطاب المخلصين ﴿ ربنا ﴾ أى الذى ما قطع إحسانه فى الدنيا عنا على^٢
ما كان منا من مقابلة إحسانه بالإساءة ﴿ هؤلاء ﴾ أى الاولون ﴿ اضلونا ﴾
أى لكونهم أول من سن الضلال ﴿ فاتهم ﴾ أى أذقهم بسبب ذلك
ه ﴿ عذابا ضعفا ﴾ أى يكون بقدر عذاب غيرهم^٣ مرتين لأنهم ضلوا
و اضلوا لأنهم سنوا الضلال ، « و من سن سنة [سيئة - ^٤] كان عليه
وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة » و منه « لا تقتل » [نفس ظلما
إلا على ابن آدم الاول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل - ^٤] ،
ثم أكدوا شدة العذاب بقولهم : / ﴿ من النار ﴾ .

/ ٢٩٨

١٠ ولما كان كأنه قيل : لقد قالوا ما له وجه ، فهم أجيبوا ؟ قيل :
﴿ قال ﴾ أى جوابا لهم ﴿ لكل ﴾ أى من السابق و اللاحق و المتبوع
و التابع ﴿ ضعف ﴾ و إن لم يكن الضعفان^٦ متساويين لأن^٥ المتبوع و إن
كان سببا لضلالت التابع فالتابع^٦ أيضا كان سببا لتمادى المتبوع فى ضلاله
و شدة شكيمته [فيه بتقويته - ^٤] بالاتباع و تأييده بالمناضلة عنه و الدفاع ؛
١٥ ولما كانوا جاملين باستحقاقهم الضعف لسبب هذه الدققة قال :
﴿ ولكن لا تعلمون ه ﴾ أى بذلك .

ولما ذكر ملام الآخرين على الأولين ، عطف عليه جواب الأولين
فقال : ﴿ و قالت اولهم ﴾ أى أولى الفرق و الأمم ﴿ لاخرهم ﴾ مسبين
(١) من ظ ، و فى الأصل : ايها (٢) سقط من ظ (م) فى ظ : ربهم ربهم - كذا .
(٤) زيد من ظ (ه) من ظ ، و فى الأصل : لا يقبل (٦) من ظ ، و فى الأصل :
الضعفا - كذا (٧) فى ظ : اذ - كذا .

عن^١ تأسيسهم لهم الضلال ودعائهم إليه ﴿فما كان لكم علينا﴾
 أى بسبب انقيادكم لنا واتباعكم فى الضلال ﴿من فضل﴾ أى لنحمل^٢
 عنكم بسببه شيئاً من العذاب لأنه لم يعد علينا من ضلالكم نفع وقد شاركتمونا
 فى الكفر ﴿فذرّوا﴾ أى بسبب ذلك ﴿العذاب﴾ فى سجين ﴿بما﴾
 أى بسبب ما ﴿كنتم تكسبون^٣﴾ لا بسبب اتباعكم لنا فى الكفر . ٥
 ولما جرت العادة بأن أهل الشدائد يتوقعون الخلاص^٤ ، أخبر
 أن هؤلاء ليسوا كذلك ، لأنهم أنجاس فليسوا أهلاً لمواطن الأقداس ،
 فقال مستأنفاً لجواب من كأنه قال : أما هؤلاء خلاص ؟ وأظهر موضع
 الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف : ﴿ان الذين كذبوا بآيئنا﴾ أى
 وهى المعروفة بالعظيمة بالنسبة إلينا ﴿واستكبروا عنها﴾ أى وأوجدوا ١٠
 الكبر^٥ متجاوزين عن اتباعها ﴿لا تفتح لهم﴾ أى لصعود أعمالهم
 ولا دعائهم ولا أرواحهم ولا لنزول البركات عليهم ﴿ابواب السماء﴾
 لأنها طاهرة عن الأرجاس الحسية والمعنوية فاذا صعدت^٦ أرواحهم
 الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الأبواب دونها ثم أقيمت
 من هناك إلى سجين ﴿ولا يدخلون الجنة﴾ أى التى هى أطهر المنازل ١٥
 وأشرفها ﴿حتى﴾ يكون ما لا يكون بأن ﴿يلج﴾ أى يدخل ويحوز^٧
 ﴿الجلل﴾ على كبره ﴿فى سم﴾ أى فى خرق ﴿الخياط^٨﴾ أى

(١) من ظ ، وفى الأصل : على (٢) من ظ ، وفى الأصل : ليحمل (٣) من ظ
 والقرآن الكريم ، وفى الأصل : تكفرون - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من
 ظ ، وفى الأصل : الكفر (٦) من ظ ، وفى الأصل : اصعدت (٧) فى ظ : يخيل - كذا .

الإبرة^١ أى حتى يكون ما لا يكون ، إذا^٢ [فهو تعليق على محال -^٣] ، فإن
الجل مثل فى عظم الجرم عند العرب ، وسم الإبرة مثل فى ضيق
المسلك ، يقال : أضيق من خرق الإبرة ، ومنه الماهر الخريت للدليل
الذى يهتدى فى المضايق المشبهة بأخراق الإبر ؛ وعن ابن مسعود
ه رضى الله عنه أنه سئل عن الجل فقال : زوج الناقة - استجهلا للسائل
و إشارة إلى أن^٤ طلب معنى آخر غير هذا الظاهر تكلف .

و لما كان هذا للكذابين المستكبرين أخبر أنه لمطلق القاطعين أيضا
فقال : ﴿ وكذلك ﴾ أى [و -^٥] مثل ذلك الجزاء بهذا العذاب
[و هو أن دخولهم الجنة محال عادة -^٦] ﴿ نجزي المجرمين ﴾ أى القاطعين
١٠ لما أمر الله به أن يوصل وإن كانوا أذنا مقلدين للمستكبرين [المكذبين -^٧] ؛
ثم فسر جزاء الكل فقال : ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ أى فرش من تحتهم ،
جمع مهده ، و لعله لم يذكره لأن المهاده كالصرح فيه ﴿ و من فوقهم غواش ﴾
أى أغطية - جمع غاشية - تغشيهم من جهنم ؛ و صرح فى هذا بالفوقية
لأن الغاشية ربما كانت عن يمين أو شمال ، أو كانت بمعنى مجرد الوصول
١٥ و الإدراك ، و لعله إنما حذف الأول لأن الآية من الاحتباك ، فذكر
جهنم أولا دليلا على إرادتها ثانيا ، و ذكر الفوق ثانيا دليلا على إرادة
التحت أولا .

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : جهنم .

ولما كان بعضهم 'ربما لا تكون' له أهلية قطع ولا وطل ، قال
 عاما لجميع أنواع الضلال : ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ذلك الجزء
 ﴿ نجزي الظلمين ﴾ ليعرف أن المدار على الوصف ، والمجرم : المذنب ،
 ومادته ترجع^٢ إلى القطع ، والظالم : الواضع للشيء في غير موضعه كفعل
 من يمشى في الظلام ، [ويجوز -^٢] أن يكون به سبحانه بتغيير الأوصاف^٥ هـ
 على تلازمها ، فمن كان ظالما لزمه الإجرام والتكذيب والاستكبار
 / وبالعكس .

٢٩٩ /

ولما أخبر عن أحوالهم ترهيبا ، أتبعه الإخبار عن أحوال المؤمنين
 ترغيبا فقال : ﴿ والذين آمنوا ﴾ في مقابلة "الذين كذبوا"^٦ .
 ولما قال : ﴿ وعملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم في مقابلة "الذين استكبروا"^{١٠}
 ﴿ الصلحت ﴾ وكان ذلك مظنة لتوهم أن عمل جميع الصالحات - لأنه
 جمع محلى^٧ [بالالف و -^٢] اللام - شرط في دخول الجنة ؛ خلل ذلك بجملة
 اعتراضية تدل على التخفيف فقال : ﴿ لا تكلف نفسا إلا وسعها ﴾ وترغيبا
 في اكتساب^٩ ما لا يوصف من النعيم بما هو في الوسع ﴿ أولئك ﴾ أى
 العالو الرتبة^{١١} ﴿ اصحب الجنة ﴾ ولما كانت الصحبة تدل على الدوام ، ١٥
 صرح به . فقال : ﴿ هم فيها خالدون ﴾ .

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : إنما لا يكون (٢) من ظ ، وفي الأصل : يرجع ،
 (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : الأصواف (٥) من ظ و القرآن
 الكريم ، وفي الأصل : اتقوا - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : كفروا - كذا .
 (٧) في ظ : نحكى (٨) من ظ ، وفي الأصل : باللام (٩) من ظ ، وفي الأصل :
 الكتاب (١٠) من ظ ، وفي الأصل : الدين ،

ولما كانت الدار لا تطيب إلا بحسن الجوار قال : ﴿ ونزعنا ﴾
 أى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شيء ﴿ ما^١ ﴾ كان فى الدنيا
 ﴿ فى صدورهم من غل ﴾ أى ضغينة وحق و غش من بعضهم على بعض
 يغل ، أى يدخل بلطف إلى صميم القلب ، ومنه الغلول ، وهو الوصول
 بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة ، ويقال : غل فى الشيء^٢ وتغلغل فيه - إذا
 دخل فيه بطاعة كالحب يدخل فى صميم القوادى ، حتى أن صاحب الدرجة
 [السافلة لا يحسد صاحب - ٢] العالية .

ولما كان حسن الجوار لا يلد إلا بطيب القرار باحكام الدار ، وكان
 الماء سبب العمارة وطيب المنازل ، و كان الجارى منه أعم نفعاً وأشد
 ١٠ استجلاباً للسرور^٣ قال تعالى : ﴿ تجري من ﴾ وأشار إلى علوم بقوله^٤ :
 ﴿ تنهمم الانهرج ﴾ فلما تمت لهم النعمة بالماء الذى به حياة كل شيء فعرف
 أنه يكون^٥ عنه الرياض و الأشجار^٦ وكل ما به حسن الدار ، أخبر عن
 تعاطيهم الشكر لله و لرسوله المستجلب للزيادة بقوله : ﴿ وقالوا الحمد ﴾ أى
 الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ أى المحيط بكل شيء علماً و قدرة لذاته
 ١٥ لا لشيء آخر ، ثم وصفوه بما يقتضى ذلك له لأوصافه أيضاً ، فقالوا
 معلمين أنه^٧ لا سبب لهم فى الوصول إلى النعيم غير فضله فى الأولى

(١) تأخر فى الأصل عن « فى الدنيا » والترتيب من ظ (٢) من ظ ، وفى
 الأصل : السى (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : بالسرور (٦) زيد
 بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) فى ظ : تكون (٨) من
 ظ ، وفى الأصل : الايجاب - كذا (٩) فى ظ : لأنه .

و الأخرى : ﴿الذى هدنا﴾ أى بالبيان و التوفيق ، [و أوقعوا الهداية على ما وصلوا إليه إطلاقاً للسبب على السبب - ١] ﴿لهذا﴾ أى للعمل^٢ الذى أوصلنا إليه ﴿وما﴾ أى و الحال أنا ما ﴿كننا لنهتدى﴾ أصلاً لبناء جبلتنا على خلاف ذلك ﴿لو لا ان هدنا الله﴾ أى الذى له الأمر كله ، و قراءة^٣ ابن عامر بغير واو على أن الجملة موضحة لما قبلها ، و القراءتان هـ دامتان للقدرة .

و لما كان تصديقهم للرسول فى الدنيا إيماناً بالغيب من باب علم اليقين ، أخبروا فى الآخرة بما وصلوا إليه من عين^٤ اليقين سرورا و تبججا لا تعبداً ، و ثناء على الرسول و من أرسلهم بقولهم^٥ مفتحين بحرف التوقع لأنه محله : ﴿لقد جاءت رسل ربنا﴾ أى المحسن إلينا ١٠ ﴿بالحق﴾ أى الثابت الذى يطابقه الواقع الذى لا زوال له .

و لما غبطوا أنفسهم و حقروها و أثبتوا الفضل لأهله ، عطف على قولهم [قوله - ١] ماثلاً عليهم بقبول أعمالهم ، و لما كان السار الإخبار عن الإرث لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : ﴿ونودوا﴾ أى إتماماً لنعيمهم ﴿ان﴾ هى المخففة من الثقيلة أو هى المفسرة ﴿تلكم الجنة﴾ ١٥ العالية ﴿اورثتموها﴾ أى صارت إليكم^٦ من غير تعب و لا منازع ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿كنتم تعملون هـ﴾^٧ لأنه سبحانه جعله سبباً

- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : العمل (٣) فى ظ : قرا (٤) فى ظ : علم (هـ) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ و (٧ - ٧) فى ظ : بغير . (٨) زيد بعده فى الأصل : أى إتماماً لنعيمهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها .

- ١ ظاهر يا بكرمه ، و السبب الحقيقي هو ما ذكره [م - ٢] من توفيقه .
- ولما استقرت بهم الدار ، و نودوا بدوام الاستقرار ، أخبر سبحانه أنهم أقبلوا متبججين على أهل النار شامتين بهم في إحلالهم دار البوار
- تليذا لأنفسهم بالنعم و تكديرا على الأشقياء في قوله : ﴿ و نادى اصحب الجنة ﴾ أي بعد دخول^٢ كل من الفريقين إلى داره ﴿ اصحب النار ﴾ يخبرونهم بما أسبغ عليهم من النعم ، و يقررونهم بما كانوا يتوعدونهم به من حلول^٤ النقم ؛ ثم فسر^٥ ما وقع له النداء بقوله : ﴿ ان ﴾ أو هي^٢ مخففة من الثقيلة ، و ذكر حرف التوقع لأنه محله فقال : ﴿ قد وجدنا ﴾
- أنى / بالبيان كما كنا واجدين له بالإيمان ﴿ ما وعدنا ربنا ﴾ أى المحسن / ٣٠٠
- ١٠ إلينا فى الدارين من الثواب ﴿ حقا ﴾ أى [وجدنا جميع ما وعدنا ربنا لنا و لغيرنا حقا - ٢] كما كنا نعتقد ﴿ فهل وجدتم ﴾ أى كذلك ﴿ ما وعد ﴾ و أثبت المفعول الأول تليذا ، و حذقه هنا احتقارا للخاطئين ، و ليشمل^٦ ما للفريقين فيكون 'وجد' بمعنى العلم و بمعنى التقي ، و فى التعبير بالوعد دون الوعيد مع ذلك تهكم بهم ﴿ ربكم ﴾ أى الذى
- ١٥ أحسن إليكم فقابلتم إحسانه بالكفران^٦ من العقاب ﴿ حقا ط ﴾ [لكونكم وجدتم ما توعدكم به ربكم حقا - ٢] ﴿ قالوا نعم ج ﴾ أى قد وجدنا ذلك

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : ظاهرا بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ .

(٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : النعم بهم غير - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل :

يشتمل (٦) من ظ ، و فى الأصل : بالكفر .

- كله حقا ؛ قال سيويه : 'نعم' عِدَّة ، أى فى جواب : أتعطينى كذا ، و تصديق
فى مثل قد كان كذا ، [والآية من الاحتباك : أثبت المفعول الثانى أولا دليلا
على حذف مثله ثانيا ، وحذفه ثانيا دليلا على إثبات مثله أولا - والله أعلم -] .
ولما حبوا من النعم بما تقدم ، وكان منه الجار الحسن ، وكان
العيش مع ذلك لا يهنا إلا بأبعاد جار السوء ، أخبروا ببعده و زيدوا سرورا ٥
باهاتته فى قوله : ﴿ فاذن ﴾ أى بسبب ما أقر به أهل النار على أنفسهم
﴿ مؤذن بينهم ﴾ أى بين الفريقين ﴿ ان ﴾ مخففة أو مفسرة فى قراءة
نافع و أبى عمرو و عاصم ، و شددوها بالاقون و نصبوا ﴿ لعنة الله ﴾ أى
طرد الملك الأعظم و إبعاده على وجه الغضب ﴿ على الظالمين ﴾ أى
الذين كانوا مع البيان الواضح يضعون الأشياء فى غير مواضعها كحال ١٠
من لم ير نورا أصلا ﴿ الذين يصدون ﴾ أى لهم فعل الصد لمن أراد
الإيمان و لمن آمن و لغيرهما بالإضلال بالإرغاب و الإرهاب و المكر
و الخداع ﴿ عن ٢ سبل الله ﴾ أى طريق دين الملك الذى لا كفوء له
الواضح الواسع ﴿ و يغونها ﴾ أى يطلبون لها ﴿ عوجا ج ﴾ بالقاء الشكوك
و الشبهات ، و قد تقدم ما فيه فى آل عمران ﴿ و هم بالأخرة كفرون ﴾ ١٥
أى ساترون ما ظهر لعقولهم من دلائلها ؛ فتى وجدت هذه الصفات
الأربع حقت اللعنة ﴿ و بينهما ﴾ أى [و - ١] حال الفريقين عند [هذه - ١]
المناداة أنه بينهما ؛ أو بين الدارين ٣ ﴿ حجاب ج ﴾ أى سور لثلا يحد أهل
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لخال (٣) فى ظ : فى - كذا .
(٤) سقط ما بين الرقين من ظ .

التعيم في دارهم ما يكدر نعيمها ﴿و على الاعراف﴾ جمع عرف وهو كل عال مرتفع لانه يكون أعرف مما انخفض ، وهى المشرفات من ذلك الحجاب ﴿رجال﴾ استوت حسناتهم و سيئاتهم فوقفوا هنالك حتى يقضى الله فيهم ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته كما جاء مفسرا في مسند ابن أبي خيثمة من حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يعرفون كلا﴾ أى من أصحاب الجنة و أصحاب النار قبل دخول كل منهم داره ﴿بسيمئهم﴾ أى علامتهم ﴿و نادوا﴾ أى أصحاب الاعراف ﴿اصحب الجنة﴾ أى بعد دخولهم إليها و استقرارهم فيها ﴿ان سلم عليكم﴾ أى سلامة و أمن من كل ضار .

١٠ و لما كان هذا السلام ربما أشعر أنه بعد دخول أهل الاعراف الجنة ، فكأنه قيل : أ^٢ كان نداؤهم بعد مفارقتهم الاعراف و دخولها ؟ قليل : لا ، ﴿لم يدخلوها﴾ أى الجنة بعد ﴿و هم﴾ أى و الحال أنهم ﴿يطمعون﴾ فى دخولها ، و عبر بالطمع لانه لا سبب للعباد إلى الله من أنفسهم وإن كانت لهم أعمال فضلا عن مؤلاء الذين لا أعمال لهم .

١٥ و لما دل ما تقدم على أنهم مقبلون على الجنة و أهلها ، قال مرغبا مرهبا : ﴿و اذا صرفت﴾ بناء للفعول لأن الخيف لهم الصرف لا كونه من معين ﴿ابصارهم﴾ أى صرفها صارف من قبل الله بغير اختيار منهم ﴿تلقاء﴾ أى وجاه ﴿اصحب النار﴾ أى بعد استقرارهم فيها فرأوا ما فيها من العذاب ﴿قالوا﴾ أى أصحاب الاعراف حال كونهم لم يدخلوها

(١) زيد بعده فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخذناها (٢) سقط من ظ ،

وهم يخافون [مستعيزين منها - ١] ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا فى الدنيا بكل إحسان وفى الآخرة بكونك لم تدخلنا إلى هذا الوقت إلى النار ﴿ لا نجعلنا مع القوم الظالمين ٢ ﴾ بأن تدخلنا مدخلهم .

ولما تقدم كلامهم لأهل الجنة بالسلام ، أخبر أنهم يكلمون أهل النار بالتوبيخ و الملام فقال : ﴿ ونادى ﴾ وأظهر الفاعل ثلثا يلبس بأهل ه الجنة فقال : ٢ ﴿ اصحب الاعراف ﴾ أى حال صرف وجوههم إلى جهة أهل النار ﴿ رجالا ﴾ أى من أهل النار ﴿ يعرفونهم ﴾ أى بأعيانهم ، وأما معرفتهم إجمالاً فتقدم ، وإنما قال هنا : ﴿ بيسمهم ﴾ لأن النار قد أكلتهم و غيرت معاملهم مع تغيرهم بالسمن و سواد الوجوه و عظم الجثث ٣ ونحوه ﴿ قالوا ﴾ نفياً أو استفهاماً توبيخاً و تقريباً ﴿ ما أغنى عنكم جمعكم ﴾ ١٠

أى للال و الرجال ﴿ وما كنتم تستكبرون ه ﴾ أى ٤ تجددون بها هذه الصفة و توجدونها دائماً فى الدنيا زاعمين أنه لا غالب لكم ؛ ثم زادوا فى توبيخهم و تقريعهم و تحزينهم و تأسيفهم و الإنكار عليهم بقولهم ٥ مشيرين إلى ناس كانوا يستضعفونهم من أهل الجنة و يحقرونهم : ﴿ أهولاء ﴾

و كأنه يكشف لهم عنهم حتى يروهم ٦ زيادة فى عذابهم ﴿ الذين اقستم ﴾ ١٥

أى فى الدنيا ﴿ لا ينالهم الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ برحمة ٧ ﴾ فكيف بكال الرحمة .

ولما كان التصريح بأمرهم بدخول الجنة إنكأ لأهل النار لانه أننى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : الجنب (٤) فى ظ
« و » (ه) من ظ ، وفى الأصل : بقوله (٦) من ظ ، وفى الأصل : وهم - كذأ .

لما أقسموا عليه ، قالوا : ﴿ ادخلوا ﴾ أى قال الله لهم أو قاتل من قبله :
 ادخلوا ﴿ الجنة لا خوف عليكم ﴾ أى من شئ يمكن توقع أذاه
 ﴿ ولآ اتم تخزنون ه ﴾ أى يتجدد لكم حزن فى وقت من الاوقات على
 شئ فات لما عندكم من الخيرات التى لا تدخل تحت الوصف .

هـ ولما تقدم نداء أصحاب الجنة عند ما حصل لهم السرور بدخولها
 لأصحاب النار بما يؤلم وينكى^٢ ، وختم بهذه الرحمة التى تطمع المحروم
 فيما يسر ويزكى ، أخبر أن أصحاب النار يتادون أصحاب الجنة عند ما حصل
 لهم من الغم بدخولها ، لكن بما شأنه أن يرقق وييكى ، فقال ما يدل على أن
 عندهم كل مانقى عن أهل الجنة فى ختام الآية السالفة من الخوف والحزن :
 ١٠ ﴿ ونادى أصحاب النار ﴾ أى بعد الاستقرار ﴿ أصحاب الجنة ﴾ بعد أن^٣
 عرفهم إياهم وأمر الجنة فتزخرفت فكان ذلك زيادة فى عذابهم ؛
 ثم فسر المنادى به فقال : ﴿ ان افيضوا علينا من الماء ﴾ أى لأنكم أعلى
 منا ، فاذا أفضتموه وصل إلينا ، وهذا من فرط ما هم فيه من البلاء ، فان
 بين^٤ النار والجنة أهوية لا قرار لها ولا يمكن وصول شئ من الدارين
 ١٥ إلى الأخرى معها .

ولما كانت الإفاضة تتضمن الإنزال قالوا : ﴿ او ﴾ أى^٢ أو أنزلوا
 علينا ﴿ بما رزقكم الله^١ ﴾ أى الذى له الغنى المطلق ، من أى شئ هان
 عليكم إنزاله ﴿ قالوا ﴾ أى أصحاب الجنة ﴿ ان الله ﴾ أى الذى حاز

(١) من ظ ، وفى الأصل : لا يدخل (٢) فى ظ : ييكى (٣) سقط من ظ .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : يتضمن .

جميع العظمة ﴿ حرمهما ﴾ أى منهما بتلك الأهوية وغيرها من الموانع
 ﴿ على الكافرين ١ ﴾ أى الساترين لما دلمهم عليه قوم العقل و صريح
 النقل ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أى تكلفوا غير ما دلمهم عليه العقل الفطرى
 حين نبه بالعقل الشرعى بأن أخذوا ﴿ دينهم ﴾ بعد ما محقوا صورته
 وحقيقته كما يمحى الطين إذا اتخذته خزفاً ، فصار الدين ﴿ لهوا ﴾ أى ٥
 اشتغالا بما من شأنه أن يغفل و ينسى عن كل ما ينفع من الأمور المعجبة
 للنفس من غير نظر فى عاقبة ، فجوزوا من [جنس - ٢] عملهم بأن
 لم ينظر لهم فى إصلاح العاقبة .

ولما قدم ما هو أدعى إلى الاجتماع على الباطل الذى هو ضد ٢

مقصود السورة من الاجتماع على الجدد وأدعى إلى الغفلة ، وكان من ١٠
 شأن الغفلة [عن الخير - ٢] أن تجر إلى استجلاب الأفراح والانهاك
 فى الهوى ، حقق ذلك [بقوله - ٢] : ﴿ ولعبا ﴾ أى إقبالا على ما يجلب
 السرور و يقطع الوقت الحاضر بالغرور ، و لذلك أتبعه قوله : ﴿ وغرتهم ﴾
 أى فى فعل ذلك ﴿ الحياة الدنيا ﴾ أى بما فيها من الأعراض الزائلة من
 تأميل طول العمر و البسط ٣ فى الرزق ورغد العيش حتى صاروا بذلك ١٥

محجورين عن نظر معانيها و عما دعا إليه تعالى من الإعراض عنها فلم يحسبوا

/ حساب ما وراءها . [ولما كان تركهم من رحمته سبحانه مؤبداً ، أسقط

٣٠٢ /

الجار - ١٢] ﴿ فاليوم ﴾ أى قسب ٦ عن ذلك أنا فى هذا اليوم ﴿ فنفسهم ﴾

(١) فى ظ : دل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيه (٤) فى ظ : بالغرر (ه) فى ظ :

البسطة (٦) من ظ ، و فى الأصل : فسبب .

أى نتركهم ترك المنسى ﴿ كما ﴾ فعلوا [هم - '] بأنفسهم بأن ﴿ نسوا ﴾ أى تركوا ﴿ لقاء يومهم هذا ﴾ فلم يعدوا له عدته ﴿ وما ﴾ أى وكما ﴿ كانوا ﴾ أى جيلة وطبعا ﴿ بآيتنا ﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا ﴿ يحدون ﴾ أى ينكرون وهم يعرفون حقيقتها لأنها فى غاية الظهور .

٥ ولما ذكر نسيانهم وجحودهم ، ذكر حالهم عند ذلك فقال :
 ﴿ ولقد ﴾ أى فعلوا ذلك والحال أنا وعزتنا قد ﴿ جننهم ﴾ أى على عظمتنا باتيان رسولنا إليهم عنا ﴿ بكتب ﴾ ليس هو موصفا للجد أصلا ؛ ثم بين ذلك فى سياق مرغب للثوائف مرهب للخالف فقال :
 ﴿ فصلته ﴾ أى بينا معانيه لم ندع فيها لبسا ، وجعلنا آياته فواصل حال
 ١٠ كون ذلك التفصيل ﴿ على علم ﴾ أى عظيم ، فجاء معجزا فى نظمه ومعناه وسائر علمه ومغزاه ، وحال كونه ﴿ هدى ﴾ أى يانا ﴿ ورحمة ﴾ أى إكراما ، ثم خص المتفعين به لأن من لا ينتفع بالشىء فهو كالعديم فى حقه فقال : ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أى فيهم قابلية ذلك ، وفيه رجوع إلى وصف الكتاب [الذى هو أحد مقاصد السورة على
 ١٥ أبدع وجه فى أحسن أسلوب .

ولما وصف الكتاب - '] وذكر المتفع به ، تشوفت النفس إلى السؤال عن حال من لا يؤمن به وهم الجاحدون ، فقال مشيرا إلى أن حالهم فى وقوفهم عن^٢ المتابعة بعد العلم بصدقه بعجزهم عنه كحال من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : على .

ينتظر أن يأتى مضمون وعيده : ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ينتظرون ، ولكنه لما لم يكن لهم قصد فى ذلك بغير ما يفهمه الحال ، جرد الفعل وإفادة أنه بتحقيق^١ إتيانه^٢ فى غاية القرب حتى كأنه مشاهد لهم ﴿ الا تاويله^٣ ﴾ أى تصوير^٤ ما فيه من وعد و وعيد إلى مقاره و عواقب أمره التى أخبر أنه يصير إليها .

ولما كان كأنه قيل : ما يكون حالهم^٥ حينئذ ؟ قال : التحسر والإذعان حيث لا ينفع ، والتصديق والإيمان حين لا يقبل ، و عبر عن ذلك بقوله^٦ : ﴿ يوم يأتى تاويله ﴾ أى بلوغ وعيده إلى مبلغه فى الدنيا أو فى الآخرة ؛ ولما قدم اليوم اهتماما به ، أتبعه العامل فيه فقال : ﴿ يقول الذين نسوه ﴾ أى تركوه ترك المنسى ، ويجوز أن يكون عد ذلك ١٠ نسيانا لأنه ركز فى^٧ الطباع أن كل ملك لا بد له من عرض جنده ومحاسبتهم ، فلما أعرضوا عن ذلك فيما هو من جانب الله عده نسيانا منهم لما ركز فى^٨ طباعهم .

ولما كان نسيانهم فى بعض الزمان السابق ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل كشف الغطاء محققين للتصديق ﴿ قد جاءت ﴾ أى ١٥ فيما سبق من الدنيا ﴿ رسل ربنا ﴾ أى المحسن إلينا ﴿ بالحق ﴾ أى المطابق لهذا الواقع الذى نراه مما كانوا يتوعدونا به ، فاصدقوا حتى رأوا

(١) فى ظ : ليحقق (٢) من ظ ، وفى الأصل : إتيانه (٣) من ظ ، وفى الأصل : يصير (٤-٥) تكرر ما بين الرقين فى ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

فلم يؤمنوا بالغيب [ولا - ١] أوقعوا الإيمان في دار العمل فلذا لم ينفعهم .

ولما وصفوه سبحانه بالإحسان لما كشف الحال عنه من حله و طول
أناته ، سيوا عن ذلك قولهم : ﴿ فهل لنا من شفاء ﴾ أى في هذا اليوم ،
٥ وكأنهم جمعوا الشفاء لدخولهم في جملة الناس في الشفاعة العظمى لفصل
القضاء ؛ ثم سيوا عن ذلك تحقيق كونهم لهم أى بالخصوص فقالوا :
﴿ فيشفعوا لنا ﴾ أى سواء كانوا من شركائنا الذين كنا توهم فيهم النفع
أو من غيرهم ليغفر لنا ما قدمنا من الجرائم ﴿ او زدد ﴾ أى إن لم يغفر لنا
إلى الدنيا التي هي دار العمل ، والمعنى أنه لا سبيل لنا إلى الخلاص إلا
١٠ أحد هذين السبيلين ٢ ؛ ثم سيوا عن جواب هذا الاستفهام الثاني قولهم :
﴿ فعمل ﴾ أى في الدنيا ﴿ غير الذي كنا ﴾ أى بجلالتنا من غير نظر
عقل ﴿ نعمل ط ﴾ .

ولما كان من المعلوم عند من صدق القرآن و علم 'مواقع ما فيه'
من الأخبار أنه لا يكون لهم شيء من ذلك ، كانت نتيجة قوله :
١٥ ﴿ قد خسروا أنفسهم ﴾ أى فلا أحد أخسر منهم ﴿ و ضل ﴾ أى غاب و بطل
/ ٣٠١ ﴿ عنهم ما كانوا ﴾ / أى جملة و طبعا ، لا يمكنهم الرجوع عنه إلا عند
رؤية البأس ٦ ﴿ يفترون ع ﴾ أى يتعمدون في الدنيا من الكذب

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : الشيثيين .
(٤-٤) في ظ : ما وقع (٥) في ظ : نتيجة (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ .
في (١٠٣) ٤١٢

في أمره لقصد العناد للرسول من ادعاء أن الأصنام تشفع لهم [و - ١] من غير ذلك من أكاذيبهم .

ولما كان مدار القرآن على تقرير الأصول الأربع : التوحيد و النبوة و المعاد و العلم ، و طال الكلام في إخباره سبحانه عن أوامره و نواهيه و أفعاله بأوليائه و أعدائه الدالة على تمام القدرة و العلم ، و ختم بأن شركاءهم هـ تغنى عنهم ، علل ذلك بأنه^٢ الرب لا غيره ، في سياق دال على الوحدة التي هي أعظم مقاصد السورة ، كفيل باظهار الحجج عليها ، و على المقصد الثاني - و هو الإعادة التي فرغ من تقرير أحوالها بالإبداء الذي تقرر في العقول أنه^٣ أشد من الإعادة - بأدلة متكفلة^٤ بتمام القدرة و العلم فقال :

(ان ربكم) أي المحسن إليكم بالإيجاد من العدم و تدبير المصالح هو (الله) ١٠

أي الملك الذي لا كفوء له وحده لا صنم ولا غيره ؛ ثم وصفه بما حقق ذلك فقال : (الذي خلق السموات و الارض) أي على اتساعها و عظمتها .

ولما كان ربما قال الكفار : ما له إذا كان قادرا و أنت محق في رسالتك لا يعجل لنا الإتيان بتأويله ، بين أن عادته الأناة و إن كان ١٥ أمره و أخذه كلمح بالبصر إذا أراد^٥ ، فقال : (في ستة أيام) أي في مقدارها^٦ ؛ ولما كان تدبير هذا الخلق أمرا باهرا لا تسعه العقول ، ولهذا كانت قریش تقول : كيف يسع الخلق إله واحد ! أشار إلى

(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : بأن (٣) في ظ : الذي (٤) من ظ ، و في الأصل : متكلفة (٥) من ظ ، و في الأصل : اراد (٦) من ظ ، و في الأصل : مقدارها .

عظمته وعلو رتبته بأداة البعد فقال: ﴿تم استوى على العرش ف﴾
 أى أخذ فى التدبير لما أوجده وأحدث خلقه أخذا مستوفى مستقصى
 مستقلا^١ به لأن هذا شأن من يملك ملكا يأخذ فى تدبيره وإظهار
 أنه لا منازع له فى شيء منه وليكون^٢ خطاب الناس على ما ألفوه^٣ من
 ٥ ملوكهم لتستقر فى عقولهم عظمته سبحانه، وركز فى فطرتهم الأولى من
 نفي التشبيه^٤ منه، ويقال: فلان جلس على سرير الملك، وإن لم يكن
 هناك سرير ولا جلوس، وكما يقال فى ضد ذلك: فلان ثل عرشه، أى
 ذهب عزه وانتقض ملكه وفسد أمره، فيكون هذا كناية لا يلتفت
 فيه إلى أجزاء التركيب، والألفاظ على ظواهرها كقولهم للطويل:
 ١٠ طويل النجاد، وللكریم: عظيم الرماد.

ولما كان سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، ابتدأ من التدبير بما هو آية
 ذلك بمشاهدته فى تغطية الأرض بظلامه فى آن واحد، فقال دالا على
 كمال قدرته المراد بالاستواء بأمر يشاهد كل يوم على كثرة منافعه التى
 جعل سبحانه بها انتظام هذا الوجود: ﴿يغشى﴾ أى استوى حال كونه
 ١٥ يغشى ﴿الليل النهار﴾^٥ وقال أبو حيان: وقرأ حميد بن قيس: يغشى الليل -
 بفتح الباء وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام، كذا^٦ قال عنه^٧
 أبو عمرو الدانى،^٨ وقال أبو الفتح بن جنى عن حميد بنصب الليل ورفع

(١) من ظ، وفى الأصل: مستقبلا (٢) من ظ، وفى الأصل: قال - كذا.
 (٣) من ظ، وفى الأصل: الفقى - كذا (٤) من ظ، وفى الأصل: الشبه.
 (٥) سقط من ظ (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٧) العبارة من هنا إلى
 «أبى عمرو الدانى» ساقطة من ظ.

النهار ، وقال ابن عطية : وأبو الفتح أثبت ، [و - ١] هذا الذى قاله^٢
 - من أن أبا الفتح أثبت - كلام لا يصح ، إذ رتبة أبي عمرو الداني في القراءة
 [ومعرفتها - ١] وضبط رواياتها واختصاصه بذلك بالمكان^٣ الذى
 لا يدانيه أحد من أئمة القراءة فضلا عن النحاة الذين ليسوا مقرئين^٤
 ولا رويوا القراءة^٥ عن أحد ولا روى عنهم القراءة^٥ أحد ، هذا مع
 الديانة^٦ الزائدة والتثبت^٦ في النقل وعدم التجاسر^٦ وفور الحظ من
 العربية ، فقد رأيت له كتابا في ' كلا ' وكتابا في إدغام أبي عمرو الكبير
 دلا على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه أئمة النحاة ولا المقرئين إلى
 سائر تصانيفه ، والذى نقله أبو عمرو الداني عن حميد أمكن من حيث
 المعنى ، لأن ذلك موافق لقراءة الجماعة إذ " البيل " في قراءتهم - وإن كان ١٠
 منصوبا - هو الفاعل من حيث المعنى إذ همزة / النقل أو^٧ التضعيف
 صيره مفعولا ، ولا يجوز أن يكون مفعولا ثانيا من حيث المعنى ، لأن
 المنصوبين تعدى إليهما الفعل وأحد هما فاعل من حيث المعنى ، فيلزم
 أن يكون الأول منهما كما لزم ذلك في : ملكت زيدا عمرا ، إذ رتبة التقديم
 هي الموضحة أنه الفاعل من حيث المعنى كما [لزم ذلك - ٩] في ضرب ١٥
 موسى عيسى - انتهى .

(١) زيد من البحر المحيط ٣٠٩ / ٤ (٢) من البحر ، وفي الأصل : قال (٣) في
 ظ : المكان (٤) في ظ : معربين (٥) في البحر : القرآن (٦-٦) من ظ و البحر ،
 وفي الأصل : الزيادة والتثبيت (٧) من ظ و البحر ، وفي الأصل : النجاسة -
 كذا (٨) من البحر ، وفي الأصل و ظ « و » (٩) زيد من ظ و البحر .

ولما أخبر سبحانه أن الليل يغطى النهار ، دل على أن النهار كذلك بقوله
 «بيننا لحال الليل: (يطلبه) أى الليل يجر^١ و يطلب^٢ النهار دائما طلبا (حيثا)
 أى سريعا جدا لتغطية^٣ الليل ، وذلك لأن الشيء لا يكون مطلوبا
 إلا بعد وجوده ، وإذا وجد النهار كان مغطيا لليل^٤ ، لأنها ضدان ،
 ٥ وجود أحدهما ماح لوجود الآخر ، و ابتداء سبحانه بذكر الليل لأن
 إغشائه أول كائن بعد تكمل الخلق ، و حركتهما بواسطة حركة
 العرش ، ولذا ربطتهما به ، وهى أشد الحركات سرعة و أكملها شدة ،
 و للشمس نوعان من الحركة : أحدهما بحسب ذاتها تتم بقطع الدرج كلها
 فى^٥ جميع الفلك ، وبسببه تحصل السنة ، و الثانى بحسب حركة الفلك
 ١٠ الاعظم تتم^٦ فى اليوم بليلته ، و الليل و النهار إنما يحصلان^٧ بسبب^٨
 حركة السماء الاقصى الذى يقال له^٩ العرش لا بسبب حركة النيرين ،
 و أجاز ابن جنى أن يكون " يطلبه " حالا من النهار فى قراءة الجماعة
 و إن كان مفعولا ، أى حال كون النهار يطلب الليل حيثما ليغطيه^{١٠} ،
 و أن يكون حالا منهما معا لأن كلا منهما طالب للآخر ، " و بهذا
 ١٥ ينتظم ما قاله فى قراءة حميد ، فان كلا منهما يكون غاشيا للآخر " ،
 قال فى كتابه المحتسب فى القراءات الشواذ : و وجه صحة القراءتين

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : طلب (٣) فى ظ : ليغطيه .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : الليل (٥) من ظ ، وفى الأصل : فمن (٦) فى ظ :
 يتم (٧) من ظ ، وفى الأصل : يحصلان (٨) فى ظ : بحسب (٩) من ظ ،
 وفى الأصل : لتغطيه (١١-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ .

[و - ١] التقاء معنيهما أن الليل والنهار يتعاقبان ، و كل واحد منهما^٧
و إن أزال صاحبه فإن صاحبه أيضا مزيل له . وكل واحد منهما على هذا فاعل
و إن كان مفعولا و مفعول و إن كان فاعلا ، على^٢ أن الظاهر في الاستحاثات
هنا إنما هو النهار لأنه بسفوره و شروقه أظهر أثرا في الاستحاثات من الليل .
ولما ذكر الملوين ، أتبعهما آية كل فقال : ﴿ والشمس والقمر
والنجوم ﴾ أى 'خلقها ، أو' يغشى كل قليل منهما^٥ ما الآخر آيته حال كون
الكل ﴿ مسخرت ﴾ أى للسير وغيره ﴿ بامرء ﴾ و هو إرادته و كلامه ،
تقودها الملائكة كما^٢ روى أن لله ملائكة يحرون الشمس و القمر .

ولما صح^١ أن جميع ما نراه^٧ من الذوات خلقه ، و ما نعلمه من
المعاني أمره ، أتبع قطعا قوله : ﴿ الاله ﴾ أى وحده ، [و قدم المسبب ١٠
على السبب ترقية - كما هو مقتضى الحكم - من المحسوس إلى المعقول
فقال - ١] : ﴿ الخلق ﴾ و هو ما كان من الإيجاد بتسيب و تنمية و تطوير ،
قال الرازى : فكل ما كان جسما أو جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين
فكان من عالم الخلق ، فعالم الخلق بتسخيره ، و عالم الأمر بتدبيره ، و استيلاء
الروحانيات على الجسمانيات بتقديره^٥ ﴿ و الامر ﴾ و هو ما كان من ذلك ١٥
إخراجا من العدم من غير تسبب كالروح ، و ما كان حفظا و تدويرا بالكلام

(١) زيد من ظ (٢-٢) زيد بعده في الأصل: على، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها.

(٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل:

منها (٦) في ظ : اوضح (٧) من ظ ، وفي الأصل : يراه (٨) من ظ ، وفي

الأصل : بتقدير .

كالاديان و كل ما يلاحظ القيومية؛ وقال الرازى : كل ما كان بريثا من الحجم و المقدار كان من عالم الامر ، و عد الملائكة من عالم الامر ، فأتج 'ذلك قطعا' قوله على سيل المدح الذى ينقطع دونه الاعناق و يتقاصر دون عليائه ذرى الآفاق : ﴿ تبرك ﴾ أى ثبت ثبوتها ه لا ثبوت فى الحقيقة غيره مع اليمين و البركة و كثرة الآثار الفاضلة و النتائج الشريفة ﴿ الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام^٢ .

و لما دل على أنه يستحق هذا اثناء لذاته ، دل على أنه يستحقه

لصفاته فقال : ﴿ رب العلمين ه ﴾ أى مبدع ذلك كله و مريه^٢ خلقا

و تصرفا بأمره ، [و -^٤] فى الجزء السادس من فوائد / المخلص عن سفيان / ٣٠٥

١٠ ابن عينة أنه قال : ما يقول هذه الدوية - يعنى بشرا المربى ؟ قالوا :

يا أبا محمد ا يزعم أن القرآن مخلوق ، فقال : كذب ، قال الله عز و جل

"الا له الخلق و الامر" فالخلق خلق الله ، و الامر القرآن - انتهى . و هذا

الذى فسر به مما تحتمله الآية بأن يكون الامر هو المراد بقوله "بأمره"^٦

و هو الإرادة و الكلام مع احتمال ما قدمته .

١٥ و لما ذكر تعالى تفرده بالخلق و الامر المقتضى لتفرده بالعبادة للتوجيه^٧

إلى تحصيل المعارف النفسانية و العلوم الحقيقية ، أمر بهذا المقتضى اللائق

بتلك المعارف ، و هو الدعاء الذى هو مخ العبادة فقال : ﴿ ادعوا ربكم ﴾

أى الدائم الإحسان إليكم دعاء عبادة و خضوع ﴿ تضرعا ﴾ أى تذلا

(١-١) سقط ما بين الرقيمين من ظ (٢) فى ظ : الكريم (٣) من ظ ، وفى الأصل :

مزينه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : هو (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : للتوجه .

ظاهراً (و خفية^١) أى و تذلاً باطناً، و قد أثنى على عبده زكريا عليه السلام فقال "اذ نادى ربه نداء خفياً^٢" أى اجمعوا إلى خضوع الظاهر خضوع الباطن ، أى أخلصوا له العبادة ، إنه يحب المخلصين لأن تفرد به بأن يدعى هو اللائق بمقام عز^٣ الربوبية ، و التذل على هذه الصفة هو اللائق بمقام ذل العبودية ، و هذا هو المقصود^٤ من الدعاء لا تحويل العلم ٥ الأزل ، و هو المقصود من جميع العبادات ،^٥ فان العبد لا يدعو إلا و قد استحضر من نفسه الذل و الصعب و الحاجة ، و من ربه العلم و القدرة و الكفاية ، و هذا هو المقصود من جميع العبادات^٦ ، فلهدا^٧ كان الدعاء مخ العبادة ، و قد جمع هذا الكلام على و جازته كل ما يراد^٨ تحقيقه و تحصيله من شرائط الدعاء بحيث أنه لا مزيد عليه ، و من فعل خلاف ١٠ ذلك فقد تجاوز الحد ، و إلى ذلك أوماً بتعليه بقوله : ﴿ انه لا يجب المعتدين^٩ ﴾ أى المجاوزين لما أمروا به فى الدعاء و غيره ، قالوا : فالمعنى أن من ترك هذا لا يحبه الله ، أى لا يثيبه البتة و لا يحسن إليه ، فالآية من الاحتباك : آخرها يدل على حذف ضده من صدرها ، و صدرها يدل على أنه^{١٠} حذف قبل الآخر : و لا تتركوا الإخلاص تكونوا معتدين . ١٥ و لما كان ذلك من الوفاء بحق الربوبية و القيام بحق العبودية مقتضياً للصالح ، أمر بادامته بالنهى عن ضده فى قوله : ﴿ و لا تفسدوا ﴾ أى^{١١} لا تدفعوا فساداً ﴿ فى الارض ﴾ أى بالشرك و الظلم ، فهو^{١٢} منع من

(١) سورة ١٩ آية ٣ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : المعهود (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) فى ظ : فلذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : ير - كذا (٧) فى ظ : انها . (٨) من ظ ، وفى الأصل : وهو .

إيقاع^١ ماهية الإفساد في الوجود ، و ذلك يقتضى المنع من جميع أنواعه
 فيتناول الكليات الخمس التى اتفقت عليها الملل ، وهى الأديان^٢ و الأبدان^٣
 و العقول و الأنساب و الأموال^٤ (بعد اصلاحها) و الظاهر أن
 الإضافة بمعنى اللام وهى إضافة [فى - ٢] المفعول ، أى لا تدنسوها
 ٥ بفساد بعد أن أصلها لكم خلقا بما سوى فيها من المنافع المشار إليها بقوله
 ” يغشى اليل النهار “ - الآية ، الدال على الوحداية الداعى إلى الحق إقامة
 للأبدان ، و أمر بما أنزل من كتبه على السنة رسله عليهم الصلاة و السلام
 إقامة للأديان فجمع إلى الإيجاد الأول الإبقاء الأول .

ولما كان ذلك ربما اقتضى الاقتصار بكمال التذلل على مقام الخوف ،
 ١٠ نفي ذلك بقوله : (و ادعوه خوفا) أى من عدله ؛ ولما كان لاسبب
 للعباد من أنفسهم فى الوصول إليه سبحانه ، عبر بالطمع فقال : (و طمعا)
 أى فى فضله ، فان من جمع بين الخوف و الرجاء كان فى مقام الإحسان
 وكأنه مشاهد للرحمن ، ما زجره زاجر الجلال بسياط سطوته إلا دعاه
 داعى الجمال إلى بساط رأفته ، و من حاز مقام الإحسان كان أهلا للرحمة
 ١٥ (ان رحمت الله) إى إكرام ذى الجلال و الإكرام لمن يدعوه على هذه
 الصفة ، و نغمها بالتذكير لإضافتها إلى غير مؤث فيما قال سيويه ، فقال :
 (قريب) و كان الأصل : منكم ، ولكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم
 بالوصف / فقال : (من المحسنين) .

/ ٣٠٤

(١) فى ظ : انتقطاع (٢ - ٢) فى ظ : فالأبدان فالعقول فالأنساب فالأموال .

(٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .

و لما كان دزام الصلاح لا يكون إلا بالغيث، و هو من أجل أنواع
الرحمة، 'و هو' لا يكون إلا بالسحاب، و هو لا يكون إلا بالريح، قال تعالى
عاطفا^٢ [على -^٢] "ان ربكم الله" تنبيها بعد تحقيق المبدأ على تحقيق المعاد:
(و هو) أى لا غيره (الذى يرسل) أى بالتحريك (الريح) هذا
فى قراءة الجماعة، و أنواعها خمس : جنوب و شمال و صبا و دبور و نكباء، ه
و هى كل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين، و و احد ابن كثير و حمزة
و الكسائى على إرادة الجنس (نشر^١) بضمين فى قراءة أهل الحجاز
و البصرة، أى منتشرة جمع نشور من النشر^١، و هو بسط ما كان مطويا،
[و تفريقه فى كل وجه لا لذات الريح و إلا لدام ذلك منها و لا بقوة فلك
أو نجم لأن نسبتها إلى الهواء واحدة -^٢] (بين يدي) أى قبل (رحمته^١) ١٠
أى المطر، و لعله عبر فيه باليدى : اليمنى و اليسرى^٧، لدلالته - مع ما فيه
من الفخامة - على أنه تارة يكون رحمة و تارة يكون عذابا كما كان على قوم
نوح عليه السلام و إن كانت الرحمة فيه أغلب و هى ذات اليمين، و تارة تكون
الرياح جامعة لها لحفظ الماء، و تارة مفرقة مبطله لها، و تارة تكون مقومة
للزروع و الأشجار^٨ مكلمة لها و هى اللواحق، و تارة تكون منمية لها أو مهلكة ١٥
كما يكون فى الخريف، و تارة تكون طيبة و تارة مهلكة إما بشدة الحرارة
و البرودة؛ ثم غيى الإرسال بقوله : (حتى إذا اقلت سحابا) أى حملتها

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من (٢) فى ظ : عطا (٣) زيد من ظ .

(٤) سقط من ظ (ه) و فى مصاحفنا : بشرا (٦) من ظ ، و فى الأصل : النشور .

(٧) فى ظ : الشوى (٨) فى ظ : الاشجاع (٩) من ظ ، و فى الأصل : شدة .

لقلتها عندها لحقتها عليها ﴿ثقالا﴾^١ أى بالماء ؛ ولما دل على العظمة بالجمع وحقق الأمر بالوصف ، أفرد^٢ اللفظ دلالة على غاية العظمة بسوقه مجتمعا كأنه قطعة واحدة ، لا يفترق جزء منه عن سائرهِ إذ لو تفرق لاختل أمره ، فقال : ﴿سقنه لبلد﴾^٣ أى لأجله وإليه^٤ ﴿ميت﴾^٥ أى بعدم النبات ﴿فأزلنا﴾^٦ أى بما لنا من العظمة ﴿به﴾^٧ أى بالبلد ، أو بسبب ذلك السحاب ﴿الماء﴾^٨ أى هذا الجنس ، وأشار إلى عظمة الإنبات بالنون فقال : ﴿فاخرجنا به﴾^٩ أى بالماء ﴿من كل الثمرت﴾^{١٠} أى الحقيقية على الأشجار ، والمجازية من النبات وحبوبه . ولما كان هذا - مع ما فيه من التذكير - بالنعمة المقتضية لتويده بالدعوة - دليلا ثانيا في غاية الدلالة على القدرة على البعث ، قال تعالى : ﴿كذلك﴾^{١١} أى مثل ما أخرجنا هذا النبات من الأرض بعد أن لم يكن ﴿نخرج الموتى﴾^{١٢} أى من الأرض بعد أن صاروا ترابا ﴿لعلكم تذكرون﴾^{١٣} أى قلنا هذا لتكون حالكم حال من يرجى تذكر هذه الآية المشاهدة القرية المأخذ ولو على أدنى وجوه التذكر^{١٤} بما أشار إليه الإدغام ، لأنه سبحانه كما قدر على إعادة النبات بجمع الماء له من جوف الأرض بعد أن^{١٥} كان تغيب^{١٦} في الأرض وصار ترابا ، وأحيى الشجرة بعد أن كانت لا روح لها بإبداع الثمرة التى هى روحها ، فهو

(١) العبارة من هنا إلى « أمره فقال » - آقطة من ظ (٢) زيد بعده في الأصل : على ، لحذفنا الزيادة لأنها لا تناسب السياق (٣ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : التذكر (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : التذكير (٨ - ٩) في ظ : كانت تنفتت - كذا .

قادر على إعادة الأشباح وإيداعها الأرواح^١ كما كانت أول مرة ، لأنه لا فرق بين الإخراجين .

ولما كانت الموت موتين : حسيا ومعنويا - كما أشير إليه في الأنعام في آية "انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يعثهم الله"^٢، وآية "او من كان ميتا فأحييناه"^٣ كان كأنه قيل : لا فرق في ذلك عندنا بين أموات ه الإيمان و أموات الأبدان^٤ ، فكما أنا فاورتنا بين جواهر الاراضى بخلق بعضها جيدا وبعضها رديئا كذلك فاورتنا بين عناصر الاناسى يجعل بعضها طيبا وبعضها خبيثا ، فالجيد العنصر يسهل إيمانه^٥ ، والخبيث الاصل يعسر إذعانه و تبعد استقامته و إيقانه (و البلد الطيب) [أى - ٦] الذى طابت أرضه فكانت كريمة منبته (يخرج نباته) أى إذا نزل عليه^٧ الماء^٨ ١٠ خروجا كثيرا حسنا [سهلا - ٦] غزيرا^٩ (باذن) أى بتمكين (ربه ج) أى الرب له بما هيأه^{١٠} له ، [و الذى طاب فى الجملة ولم يصل إلى الغاية يخرج له نبات دون ذلك ، و الخبيث لا يخرج له نبات أصلا بمنع ربه له - ٦] (و الذى خبيث) أى حصلت له خبائة فى جبلته بكون أرضه / سبخة أو نحوها مما لم يهيئه الله تعالى للانبات (لا يخرج) أى نباته ١٥ / ٣٠٧ (الا) [أى - ٦] حال كونه (نكد^{١١}) أى قليلا ضعيف المنفعة ، و هو

(١) من ظ ، و فى الأصل : لأرواح (٢) آية ٣٦ (٣) آية ١٢٢ (٤-٤) فى ظ :

الابدان و اموات الايمان (٥) من ظ ، و فى الأصل : اتمامه (٦) زيد من ظ .

(٧-٧) فى ظ : أنزل عليها (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : هيا .

- مع كونه دالا على أن ذلك ما كان على ما وصف مع استواء الاراضى^١ في الاصل و استواء المياه و نسبتها إلى الأفلاك و النجوم إلا بالفاعل المختار - مثل ضربه سبحانه للؤمن و الكافر عند سماعها للذكر من الكتاب و السنة، [و الآية من الاحتباك - ٢].

٥ ولما استوت هذه الآيات على الذروة^٣ من بدائع الدلالات، كان السامع جديرا بأن يقول: هل تبين جميع هذه^٤ الآيات هذا البيان؟ ف قيل: ﴿كذلك﴾ أى نعم، مثل هذا التصريف، و هو الترديد مع اختلاف الأسماء لاختلاف الدلالات و إبرازها في قوالب الالفاظ الفائقة و المعانى الرائقة في النظم المعجزة على وجوه لا تكاد تدخل تحت الحصر: ١٠ ﴿نصرف الأيت﴾ أى كلها؛ ولما تم ذلك على هذا المنهاج الغريب و المنوال العجيب المذكور^٥ بالنعم فى أسلوب دال على التفرد و تمام القدرة، كان أنسب الاشياء ختمه بقوله مخصصا بها المتفجع لانها بالنسبة إلى غيرهم كأنها لم توجد: ﴿اقوم يشكرون ٦﴾ أى يوجد منهم الشكر للنعم وجودا مستمرا فلا يشركون^٦ بل يتفجعون بما أنعم عليهم به وحده فى عبادته ١٥ وحده، و ينظرون بعقولهم أنه أقدرهم بنعمه على ما هم عاجزون عنه، فلا يسلبون عنه شيئا من قدرته على بعث و لا غيره فانهم يزعمون أنهم أهل معالى الاخلاق التى منها أنه ما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

(١) من ظ، و فى الأصل: الارض (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و فى الأصل: الدورة (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ: المذكور (٦) فى ظ: فلا يشكرون - كذا .

ولما طال^١ تهديده سبحانه لمز أصر^٢ على إفساده^٣، ولم يرجع عن غية وعناده بمثل مصارع الأولين و مهالك الماضين، ونوع في هذه الآيات محاسن الدلالات على التوحيد والمعاد بوجوه ظاهرة و بينات قاهرة و براهين قاطعة و حجج ساطعة، ساق سبحانه تلك القصص دليلا حسيّا على أن في الناس الخبيث و الطيب مع الكفالة - في الدلالة؛ على تمام^٤ القدرة و الغيرة من الشرك على تلك الحضرة - بتفصيل أحوال من سلفت الإشارة^٥ إلى إهلاكهم و بيان مصارعهم و أنه لم تغن عنهم قوتهم شيئا و لا كثرتهم بقوله تعالى ” وكم من قرية اهلكناها“ - الآية و قوله ” فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة“ - الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم و تقوية لصالحى أتباعه بالتنبيه على أن الإعراض عن الآيات ليس من خواص^٦ هذه الأمة بل هي عادة الأمم السالفة، و على أن النعم خاصة بالشاكرين، و لذا كانت النقم مقصورة على الكافرين، فقال تعالى: ﴿لقد أرسلنا﴾ أى بعظمتنا، وافتحه بحرف انتوقع لما للسامع الفطن من التشوف إلى ذكر ما^٧ تكرر من الإشارة إليه، ولأن اللام المجاب بها القسم المحذوف لا ينطقون بها غالبا إلا مقترنة بقد، لأن الجملة القسمية لاتساق إلا تأكيدا^٨ للجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت مظنة بمعنى التوقع الذى هو معنى 'قد' عند استماع المخاطب كلمة القسم ﴿نوحا﴾ يعنى ابن ملك بن (١) في ظ: كان (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: فساد (٤-٤) من ظ، وفي الأصل: بالدلالة (٥ - ٥) في ظ: سلف بالاشارة (٦) من ظ، وفي الأصل: الآية (٧) في ظ: هذه (٨-٨) في ظ: ذكره لا .

متوشلخ بن خنوخ ، و هو إدريس عليه السلام ، و كان عند الإرسال ابن
خمسين سنة .

ولما كان إرساله صلى الله عليه وسلم قبل تفرق القبائل باختلاف
اللغات قال : ﴿ الى قومه ﴾ أى الذين كانوا ملء الأرض كما فى حديث
الشفاعة فى الصحيحين وغيرهما عن أنس رضى الله عنه : اتوا نوحا أول
نبي بعثه الله إلى أهل الأرض . و فيهم من القوة ١ على القيام بما يريدون
ما لا يخفى على من تأمل آثارهم و عرف أخبارهم ، فان كانت آثارهم فقد

حصل المراد ، و إن كانت ٢ لمن بعدهم علم ٣ - بحكم قياس الاستقراء - / أنهم

أقوى على مثلها و أعلى منها ، و لسوق ذلك دليلا على [ما - ٢] ذكر
١٠ جاء مجردا عن أدوات العطف ، و هو مع ذلك كله منه على أن جميع

الرسل متطابقون على الدعوة إلى ما دل عليه برهان " ان ربكم الله الذى
خلق السموات و الأرض " من التوحيد و الصلاح إلى غير ذلك من
بحور الدلائل و الحجاج المتلاطمة الأمواج - والله الهادى إلى سبيل
الرشاد ، و كون نوح عليه السلام رسولا إلى جميع أهل الأرض - لأنهم

١٥ قومه لوحدة لسانهم - لا يقدح فى تخصيص نبينا صلى الله عليه وسلم
بعموم الرسالة ، لأن معنى العموم إرساله إلى جميع الأقوام المختلفة باختلاف
الالسن و إلى جميع من ينوس من : الإنس و الجن ، و الملائكة ، و سيأتى
إن شاء الله تعالى فى سورة الصافات لهذا مزيد بيان .

ولما كان من المقاصد العظيمة الإعلام بأن الذى دعا إليه هذا

(١) من ظ ، و فى الأصل : القوم (٢) فى ظ : كان (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى
ظ : الجن و الانس .

الرسول لم تزل^١ الرسل - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام - تدعو إليه ، وكان نوح أول رسول ذكرت رسالته عقب ذكر إرساله بذكر ما أرسل به بالفاء بقوله : ﴿ فقال يقوم ﴾ [أى - ؟] فتحبب إليهم بهذه الإضافة ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة من الخلق والأمر ، فانه مستحق لذلك وقد كلف عباده به . ٥

ولما كان المقصود إفراده بذلك ، علمه بقوله مؤكدا له باثبات الجار : ﴿ ما لكم ﴾ وأغرق فى النفي فقال : ﴿ من الاله غيره ﴾ ثم قال معللا أو^٢ مستأنفا مخوفا مؤكدا لأجل تكذيبهم : ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ فى الدنيا والآخرة ، ولعله قال هنا : ﴿ عذاب يوم عظيم ٥ ﴾ وفى هود " اليم " و قال فى المؤمنون " افلا تتقون " لأن ترتيب السور الثلاث - وإن ١٠ كان الصحيح أنه باجتهاد الصحابة رضى الله عنهم - فلعله جاء على ترتيبها فى النزول ، لأنها مكيات^٣ ، وعلى ترتيب مقال نوح عليه السلام لهم فألان لهم أولا المقال من حيث أنه أروهم أن العظم الموصوف به " اليوم " [لا - ٢] بسبب العذاب بل لأمر آخر ، فيصير العذاب مطلقا يتناول أى عذاب كان [و - ٢] لو قل ، فلما تمادى تكذيبهم ١٥ بين لهم أن عظمه^٤ إنما هو من جهة إبلام العذاب الواقع فيه ، فلما لجوا فى عتوهم قال لهم قول^٥ القادر إذا هدد عند مخالفة غيره له :

- (١) من ظ ، وفى الأصل : لم يزل (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) آية ٢٦ .
 (٥) من ظ و القرآن الكريم آية ٢٣ ، وفى الأصل : الا (٦) فى ظ : محكيات - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : عظمت (٨) من ظ ، وفى الأصل : قال .

ألا تفعل ما أقول لك ؟ أى متى خالفت بعد هذا عاجلتك بالعقاب
و أنت تعرف قدرتى^١ .

ولما تم ذلك ، وكان الحال مقتضيا - مع ما نصب من الأدلة
الواضحة على الوحداية - لأن يجيوا بالتصديق ، كان كأنه قيل : فيما ذا
هـ كان جوابهم ؟ فقال : ﴿ قال الملا ﴾ أى الأشراف الذين يملأ العيون
مرآهم عظمة ، وتوجه^٢ العيون فى المحافل إليهم ، ولم يصفهم فى هذه
السورة بالكفر لأن ذلك أدخل فى التسلية ، لأنها أول سورة قص فيها
مثل هذا فى ترتيب الكتاب ، ولأن من آمن به مطلقا كانوا فى جنب
من لم يؤمن فى غاية القلة . فكيف عند تقييدهم بالشرف^١ وأكد ذمهم
١٠ تسلية لهذا النبى الكريم بالتحريف^٢ بقربهم منه فى النسب بقوله :
﴿ من قومه ﴾ وقابله رفته وأدبه بغلظة مؤكدا^٣ ما تضمنته من البهتان
لأن حالهم^٤ مكذب لهم فقالوا : ﴿ انا لنراك ﴾ أى كل واحد منا يعتقد
اعتقادا هو فى الثقة به كالروية أنك ﴿ فى ضلل ﴾ أى خطأ وذهاب عن
الصواب ، هو ظرف لك محيط بك ﴿ مبين ه ﴾ أى ظاهر فى نفسه حتى
١٥ كأنه يظهر ذلك لغيره .

ولما قذفوه بضلال مقيد بالوضوح ، نفي الضلال المطلق الذى هو
الاعم ، و بنفيه ينتفى كل أخصياته^٦ بل نفي أقل شىء من الضلال ، فقال

(١) من ظ ، وفى الأصل : قدرى (٢) من ظ ، وفى الأصل : توجه (٣) من
ظ ، وفى الأصل : بالتغريب (٤) فى الأصل وظ : موكد (هـ) من ظ ، وفى
الأصل : حالة (٦) فى ظ : اخصياته .

٣٠٩ /

تعالى مخبرا عنه ﴿ قال يقوم ﴾ مجددا / لاستعطافهم ﴿ ليس بي ضللة ﴾
فني وحدة غير معيئة، ولا يصدق ذلك إلا بنفي لكل فرد، فهو أنص من
نفي المصدر، ولم يصف الملاء من قومه هنا بالذين كفروا و وصفهم بذلك
في سورة هود، إما لأنها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى
بإثباتها ولا نفيها، أو لأنهم أجابوه بذلك مرتين: إحداهما قبل أن يسلم ه
أحد من أشرافهم، والثانية بعد أن أسلم بعضهم .

ولما نفي^٢ ما رموه به على هذا الوجه البليغ، أثبت له [ضده - ٣]
بأشرف ما يكون من صفات الخلق، فقال مستدركا - بعد نفي الضلال - إثبات
ملزوم^٤ ضده: ﴿ ولكني رسول ﴾ أى إليكم بما أمرتكم به فأنا على أقوم
طريق ﴿ من رب العالمين ه ﴾ أى المحسن إليهم بارسال الرسل لهدايتهم ١٠
بانقاذهم من الضلال، فرد الامر عليهم؛ بالطف إشارة؛ ثم استأنف الإخبار
عن وظيفته بيانا لرسالته فقال: ﴿ البغكم ﴾ و كأن أبواب كفرهم كانت
كثيرة فجمع باعتبارها أو باعتبار تعدد معجزاته أو تعدد نوبات الوحي
في الأزمان المتطاولة والمعاني المختلفة، أو أنه جمع له ما أرسل به من قبله
كادريس جده وهو ثلاثون صحيفة وشيث وهو خمسون صحيفة ١٥
عليها السلام فقال: ﴿ رسلت ربي ﴾ أى المحسن إلى من الأوامر والنواهي
وجميع أنواع التكليف من أحوال الآخرة وغيرها، لا أزيد فيها أنقص
منها كما هو شأن كل رسول مطيع .

(١) من ظ، وفي الأصل: أحدهما (٢) من ظ، وفي الأصل: نفوا (٣) زيد من
ظ (٤) في ظ اليهم (ه) من ظ، وفي الأصل: كريم (٦) من ظ، وفي الأصل: وه .

ولما كان الضلال من صفات^١ الفعل، اكتفى بالجملة الفعلية الدالة على الحدث في قوله: ﴿ وانصح ﴾ وقصر الفعل ودل على تخصيص النصح بهم ومحضه لهم فقال: ﴿ لكم ﴾ والنصيحة: الإرشاد إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه، ولما كان الضلال من الجهل قال: ﴿ واعلم من الله ﴾ أى من صفات الذى له صفات الكمال وسائر شؤنه ﴿ ما لا تعلمون ٥ ﴾ أى من عظيم أخذه لمن بعصيه وغير ذلك مما ليس لكم^٢ قابلية لعلمه بغير سفارتي نخذه عن تصيرون علماء، ولا تركوه بنسبتي إلى الضلال تزدادوا ضلالاً^٣.

ولما كان الحامل لهم على هذا مجرد استبعاد أن يختص عنهم^٤ فضيلة ١٠ وهو منهم كما سيأتى في غير هذه السورة، أنكر ذلك عليهم بقوله: ﴿ او عجبتم ﴾ أى أكذبتم وعجبتم ﴿ ان جاءكم ﴾ وضمن جاء معنى أنزل، فلذلك جعلت صلته^٥ على، فقال: ﴿ ذكر ﴾ أى رسالة ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالإيجاد والتربية منزلاً ﴿ على رجل ﴾ أى كامل في الرجولية وهو مع ذلك بحيث لا تهمونه فانه ﴿ منكم ﴾ [أقولكم^٦ ” ما سمعنا بهذا“] ١٥ أى إرسال البشر ” فى ابائنا الاولين“ -^٧ ﴿ لينذركم ﴾ لتحذروا^٨ ما ينذركوه ﴿ ولتقوا ﴾ أى يعملوا بينكم وبين ما تحذرونه وقاية لعلكم تنجون ﴿ ولعلكم ترحمون ٥ ﴾ أى وليكون حالكم إذا أقيمت الله حال من ترجى^٩

(١) من ظ، وفى الأصل: صفة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: ضلال (٤) فى ظ: لقوله (٥) سورة ٢٣ آية ٢٤ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: ليحذروا (٨) من ظ، وفى الأصل: يرجى.

رحمته بأن يرفعه^١ الله في الدارين .

ولما نسبوه أولاً إلى الضلال وهو قد يكون خطأ عن
 ذهول و نحوه ، فأقام لهم الدليل على^٢ أنه على الصواب ،
 أخبر أنه لم يتسبب عن ذلك إلا تصريحهم بما لوحوا إليه أولاً بالضلال
 من التكذيب فقال : ﴿ فكذبوه ﴾ أى الملا^٣ و تبعهم من دونهم ؛ ولما
 تسبب^٤ عن تكذيبهم له تصديق الله له باهلاكهم و إنجائه^٥ و من آمن به .
 قال مقدما لإنجائه اهتماما به : ﴿ فأنجيئنه ﴾ بما لنا من العظمة من أهل
 الأرض كلهم و من عذابنا الذى أخذناهم به^٦ ﴿ و الذين معه ﴾ أى بصحبة
 الأعمال الدينية ﴿ فى الفلك ﴾ وهو السفينة التى من الله على الناس
 بتعليمه عملها^٧ لتفيه من الطوفان فكانت^٨ آية و منفعة عظيمة لمن أتى
 بعدهم ﴿ و أغرقنا ﴾ أى / بالطوفان ، و هو الماء الذى طبق ظهر الأرض
 فلم يبق منها موصفا حتى أحاط به ، و أظهر موضع الإضممار تعليقاً
 للفعل بالوصف إشارة إلى أن من فعل مع الرسول شيئاً فأنما فعله مع
 مرسله فهو يجازيه بما يستحقه فقال : ﴿ الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أى و هى
 من الظهور فى حد لا خفاء به لما لها من العظمة بالنسبة إلينا ، و عدى هنا ١٥
 فعل النجاة بالهمزة^٩ و هى الأصل فى التعديّة ، و قرنت بـ " الذين "
 لأنه أخلص الموصولات و أصرحها .

(١) فى ظ : رحمه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : سبب (٤) زيد بعده
 فى الأصل : بهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ ، وفى الأصل : فيه .
 (٦) فى ظ : علمه - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : وكانت (٨) فى
 ظ : بالهمز .

ولما أعيدت القصة في سورة يونس عليه السلام ، كان الاليق
بكلام البلغاء و الأشبه بطرائق الفصحاء التفنن في العبارة ، فعدى [التضعيف
مع ما فيه من الابلغية بفهام مزيد الاعتناء مناسبة لما تقدم - ١] من
مزيد التفويض في قوله " فاجمعوا امركم وشركاءكم " - الآية ، و تلا
هـ بـ " من " ، ضمنا للفرع إلى الفرع فان [" من " - ١] مشترك بين الوصل والشرط ،
وهي أيضا قد تطلق على ما لا يعقل ، فناسب ذلك الحال ، وزيد هناك
في وصف الناجين " وجعلتهم خلتف " ٢ نظرا إلى قوله تعالى [في - ١]
أول السورة " ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا " - الآية ،
ثم قال " ثم * جعلكم خلتف في الارض من بعدهم * لننظر كيف تعملون "
١٠ فلوح لهم بالإهلاك إن ظلموا . ثم أشار لهم - في قصة نوح عليه السلام
بكونه أعلمهم أن الخلائف هم الناجون الباقي ذكرهم وذريتهم - إلى أنه
تفضل عليهم بالتوفيق إلى الإجابة ورحمهم بهذا النبي الكريم - عليه
أفضل الصلاة والتسليم - فقضى أنهم غير مهلكين .

ولما افتتحت القصة بنسبتهم له إلى الضلال باطلا ، وهو فاشئ
١٥ عن عمى البصيرة أو البصر ، ناسب أن يقلب الأمر عليهم على وجه الحق
فقال مؤكدا لإنكارهم ذلك : ﴿ انهم كانوا ﴾ أى لما في جبلتهم من العوج

(١) زيد من ظ (٢) آية ٧١ (٣) زيد بعده في الأصل : الارض ، ولم تكن
الزيادة في ظ ولا في القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٧٣ فخذناها (٤) آية ١٣ .
(٥) من ظ و القرآن الكريم آية ١٤ ، وفي الأصل « و » (٦) من ظ و القرآن
الكريم ، وفي الأصل : بعد كم .

(قوما عمين ٤) أى مطبوعين فى عمى القلب مع قوتهم فيما يحاولونه، ثابت لهم ذلك، بما أشار إليه فعل دون أن يقال فاعل، وختمت القصة فى يونس بقوله "فانظر كيف كان عاقبة المنذرين" لقوله أولها "ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى" أى إنذارى لأنه أعلم أنه كبر عليهم ولو كان تبشيراً^١ لما عز عليهم .

و لما كان عاد بعدهم، ولم يكن هنا ما يقتضى تشويش الترتيب، اتبعهم بهم مقدما المرسل إليه ليفيد تخصيص رسالته بهم وهم بعض أهل الأرض فقال: (والى عاد) أى خاصة أرسلنا^٢ (اخام) أى فى النسب لأنهم عنه أفهم وبحاله فى الثقة والامانة أعرف؛ ولما عطفه على نوح عليهما^٣ السلام بعد تقديم المرسل إليهم، بينه بقوله: (هودا^٤) بخلاف ١٠ قوم نوح فانهم كانوا جميع أهل الأرض، لأن القبائل لم تكن فرقت الناس ولا الألسنة إذ كان لسان الكل واحدا، ولم تفرق الألسنة إلا بعد الصرح، ولهذا عم^٥ الغرق جميع أهل الأرض، فكان المعنى حيثئذ لا يختلف فى قصته بتقديم ولا تأخير، فناسب تقديم الرسالة أو المرسل لأنه أهم .

١٥

و لما كانت قصة نوح عليه السلام أول قصص الأنبياء مع قومهم^٦، ولم يكن للعرب عهد بمجاورات الأنبياء ومن يرسلون إليه، فأتى فيها

(١) آية ٧٣ (٢) آية ٧١ (٣) من ظ، وفى الأصل: اكبر (٤) من ظ، وفى الأصل: بشيرا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل: عليه (٧) من ظ، وفى الأصل: اعم (٨) فى ظ « و » (٩) فى الأصل: قوتهم، وفى ظ: قولهم .

بالأصل ، أرسلناه ، فقال سياقا واحدا إخبارا لمن هو فارغ الذهن من كل جزء من أجزائها ؛ أنت قصة هود عليه السلام بعد علم السامعين بقصة نوح عليه السلام مما وقع من تبليغه لهم و ردهم عليه ، فلما ذكر إرساله تشوف السامع إلى أنه هل قال لهم كما قال نوح و هل ردوا عليه كرد قومه ه أو كان الأمر بخلاف ذلك ؟ فأجيب سؤال المتشوف بقوله : ﴿ قال ﴾ كقول نوح عليه السلام سواء ﴿ يقوم ﴾ مذكرا لهم بأنه أحدهم يهمه ما يهمهم ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى لاستحقاقه ذلك لذاته ؛ ثم علل أو استأنف بقوله : ﴿ ما لكم ﴾ / و أغرق في التني فقال : ﴿ من اله غيره ﴾ و لما كانوا عارفين بما أصاب قوم نوح قال : ﴿ افلا تتقون ﴾ أى أفلا تجعلون ١٠ بينكم و بين عذاب هذا الواحد الجبار وقاية .

/ ٣١١

و لما تشوف السامع إلى جوابهم بعد هذا الترغيب الممزوج بالترهيب ، أجيب بقوله : ﴿ قال الملا ﴾ أى الإشراف الذين يملأون العيون بهجة و الصدور هبة ؛ و لما كانت عاد قليلا بالنسبة إلى قوم نوح عليه السلام ، و كان قد أسلم من أشرافهم من له غنى في الجملة ، قيد بقوله : ﴿ الذين كفروا ﴾ ١٥ أى ستروا ما من حقه الظهور من أدلة الوجدانية ، و وصفوا تسلية لهذا النبي الكريم فيما يرى من جفاء قومه بأن مثل ذلك كان لإخوانه من الأنبياء بقوله : ﴿ من قومه ﴾ و أكدوا ما واجهوه به من الجفاء لأنهم عالمون بأن حاله في علمه و حكمه يكذبهم بقولهم : ﴿ انا لنراك ﴾ أى نعلبك علما متيقنا (١) من ظ ، و في الأصل : اخبروا (٢) من ظ ، و في الأصل : بما (٣) من ظ ، و في الأصل : عنا .

حتى كأنه محسوس (في سفاهة) أى مطروفا لحفة العقل ، فهي محيطة بك
من جمع الجوانب ، لا خلاص لك منها ، فلذا أدتلك إلى قول لاحقيقة له ،
فالتنوين للتعظيم ، فان قيل : بل للتحقير ، كأنهم توقفوا في وصفه بذلك
كما توقفوا^١ في الجزم بالكذب فقالوا^٢ : ﴿ وانا لنظنك من الكاذبين ٥ ﴾
أى المتعمدين للكذب ، وذلك^٣ لأنه كان عندهم علم من الرسل وما يأتي ٥
مخالفتهم من العذاب من قصة نوح عليه السلام ولم يكن العهد بعيدا ،
و أما قوم نوح فجزموا بالضلال وأكدوه بكونه مينا ، لأنه لم يكن
عندهم شعور بأحوال الرسل وعذاب الأمم قبل ذلك ، ولهذا قالوا
” ما^٤ سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ٥ “ ، قيل : ليس كذلك ، فقد ورد في
جواب قوم نوح في سورة هود مثل هذا ، وهو قوله ” بل نظنكم كذابين ٦ “ ؛ ١٠
فان قيل : إنما كان هذا في ثانی الحال بعد أن نصب لهم الأدلة
وأقام البراهين على صحة مدعاه و ثارت حظوظ الانفس بالجدال ، فانه
يعد أن يكون قومه أجابوه بذلك أول ما دعاهم ، قيل : و الأمر كذلك
في قصة هود عليه السلام سواء ، فانه لم يقل له ذلك إلا الكفار من قومه ،
فتقييدهم^٧ بالوصف يدل على أنه كان فيهم^٨ من اتبعه ، بل وإن متبعه كان ١٥
من أشرافهم^٩ بالظن ، و تعبير في الكذب لإرادتهم أنه يكفى في
(١) زيد بعده في الأصل : في وصفه بذلك كما توقفوا ، ولم تكن الزيادة في ظ
لخذناها (٢) من ظ ، وفي الأصل : فقال (٣) من ظ ، وفي الأصل : لذلك .
(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٢٣ آية ٢٤ (٦) آية ٢٧ (٧) من ظ . وفي الأصل :
تقييدهم (٨) في ظ : فيه (٩) في ظ : تعبير .

وصفه بالسفاهة التي زعموها إقدامه على ما يحتمل معه ظنهم لكذبه ،
أو يكون قوله غير الحق في زعمهم مرددا بين أن يكون قاله عن
تعمد أو حمله عليه ما رموه به من السفه من غير تأمل . ولما قابلوا
لينه^١ لهم وشفقته عليهم بهذه الغلظة ، أعرض عن ذلك وعاملهم^٢
من الحلم بضد ما سموه^٣ به بأن ((قال)) معلما الأدب في مخاطبة السفهاء
((يقوم)) مذكرا بما بينهم من النسب الداعي إلى الود و المناصحة و العطف
و الملاطفة ((ليس بسفاهة)) فتى أن يكون به^٤ شيء من خفة حلم ،
فاتقى أن يكون كاذبا لأن الداعي إلى الكذب الخفة و الطيش فلم يحتاج
إلى تخصيصه بنفى .

١٠ ولما نفي السفاهة ، أثبت ما يلزم منه ضدها بقوله : ((ولكن رسول))
و بين المرسل تعظيما للأمر بقوله : ((من رب العالمين)) أي المحسن
إليهم بعد نعمة الإيجاد و الأرزاق بارسال الرسل إليهم ليكسبهم معالي
الأخلاق التي بها انتظام نعمة الإبقاء ((ابلغكم)) و جمع الرسالة لما تقدم
في قصة نوح عليه السلام فقال : ((رسلت ربى)) أي المحسن إلى تبليغي
١٥ ما لم أكن أعلم و تأهيلي لما لم يكن في حسابي .

و لما كانوا قد رموه بالسفه الذي هو من غرائز النفس لأنه ضد
الحلم و الرزاة ، عبر عن مضمون الجملة النافية له بما يقتضى الثبات فقال :
((و انا لكم ناصح)) أي لم يزل النصيح من صفى ، و ليس هو [ما - °]
تكسبه بل غريزة في ° / قد بلوتموني فيه قبل الرسالة و إظهار هذه المقالة

/ ٣١٣

(١) في ظ : لينه (٢) من ظ ، و في الأصل : عامهم - كذا (٣) في ظ : رسموه .
(٤) سقط من ظ (هـ) زيد من ظ .

دهرا دھيرا و^١ زمانا طويلا ؛ ولما قالوا : إنهم يظنون كذبه ، زادم
صفة الأمانة فقال : ﴿ أمين ٥ 〉 .

ولما كان يعرف ما يعتقدونه من أمانته وعقله ، وظن أنه ما حملهم
على هذا إلا العجب من أن يطلع على ما لم يطلعوا عليه ، أنكر عليهم
ذلك ذاكرًا لما ظنه حاملًا لهم ملوًا بالعطف إلى التكذيب فقال : هـ
﴿ او عجبتُم ﴾ أى أكذبتُم وعجبتُم ﴿ ان جاءكم ذكر ﴾ أى شرف و تذكير
﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يقطع^٢ إحسانه عنكم^٣ قط ، منزلا
﴿ على رجل منكم ﴾ أى عزه عزكم و شرفه شرفكم فها ، فاتكم شيء
﴿ لينذركم^٤ ﴾ أى يحذركم ما لمن كان على ما أتم عليه من وخامة العاقبة .

و لما كان التقدير : فاحذروا ، عطف عليه تذكيرهم بالنعمة مشيرًا به إلى ١٠
التحذير من عظيم النعمة في قوله : ﴿ و اذكروا اذ ﴾ أى حين ﴿ جعلكم خلفاء ﴾
أى فيما أتم فيه من الأرض ، ولما كان زمنهم متراخيًا بعدهم ، أتى بالجار
فقال : ﴿ من بعد قوم نوح ﴾ أو يكون المحذوف ما اقتضاه الاستفهام
في قوله ” او عجبتُم “ من طلب الجواب ، أى أجيئوا و اذكروا ، أى
ولا تبادروا بالجواب حتى تذكروا ما أنعم به عليكم ، وفي الإشارة ١٥
إلى التحذير مما وقع لقوم نوح ، أو يكون العطف على معنى الاستفهام
الإنكارى فى ” افلا تتقون “ ، ” او عجبتُم “ أى اتقوا ولا تعجبوا و اذكروا ،
أو يكون العطف - وهو أحسن - على ” اعبدوا الله “ و قوله ” خلفاء “

(١) من ظ ، وفى الأصل : او (٢) فى ظ : لم يقع (٣) فى الأصل : عليكم ، وفى ظ :
عنه (٤) من ظ ، وفى الأصل : فلها (٥) فى ظ : من .

قيل : إنه يقتضى أن يكونوا قاموا^١ مقامهم ، و من المعلوم أن قوم
 نوح كانوا ملء^٢ الأرض ، و أن عادا إنما كانوا فى قطعة منها يسيرة
 و^٣ هى الشجرة^٤ من ناحية اليمن ، فقيل : إن ذلك لكون شداد بن عاد
 ملك جميع الأرض ، فكأنه قيل : جعل جدكم خليفة فى جميع الأرض ،
 هـ فلو حصل الشكر تمت النعمة ، فأطيعوا يزدكم من فضله ، [و قيل - ^٥] :
 إن^٦ قصة ممود مثل ذلك ، و لم يكن فيهم من ملك الأرض و لا أرض
 عاد ، فأجيب^٦ بما طرد^٧ ، و هو أن عادا لما كانوا أقوى أهل الأرض
 أبدا و أعظمهم أجسادا و أشدهم خلقا و أشهرهم قبيلة و ذكرا ، كان
 سائر^٨ الناس لهم تبعاء ، و كذا ممود فيما أعطوه من القدرة على نحت
 الجبال و نحوها بيوتا ، و عندى أن السؤال من أصله لا يرد ، فان
 بين قولنا - : [فلان - ^٩] خليفة فلان ، و فلان خليفة من بعد فلان -
 من الفرق ما لا يخفى ، فالمخلوف فى الثانى لم يذكر ، فكأنه قيل : جعلكم
 خلفاء لمن كان قبلكم فى هذه الأرض التى أنتم بها ، و خص قوم نوح
 و عاد بالذكر تذكيرا بما حل بهم من العذاب ، و لهذا بعينه خص الله
 هـ هذه الأمم^{١٠} التى وردت فى القرآن بالذكر ، و إلا فقد كانت الأمم
 كثيرة العد زائدة على الحد عظيمة الانتشار فى جميع الاقطار ، و معلوم
 (١) فى ظ : اقاموا (٢) زيد بعده فى ظ : اهل (٣-٢) من ظ ، و فى الأصل :
 هو الشجر (٤) زيد من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة
 فى ظ : فخذناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : فاجيبت (٧) فى ظ : يطرد .
 (٨) سقط من ظ .

أن الله تعالى لم يترك واحدة منها بغير رسول " وما كنا معذنين حتى نبعث رسولاً " وفي قصة هود في سورة الأحقاف " وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه "؛ وله سر آخر وهو " أن هذه الأمم كان عبيد العرب كثير من أخبارهم ففصلت لهم أحوالهم ، وطوى عنهم من لم يكن عندهم شعور بهم فلم يذكروا إلا إجمالاً لئلا يسارعوا إلى التكذيب بما ه نزل فيهم من غير دليل شهودى يقام عليهم .

و لما ذكرهم بمطلق الإبقاء بعد ذلك الإغراق العام ، أتبعه التذكير بالزيادة فقال : ﴿ و زادكم ﴾ أى على من قبلكم أو على من هو موجود فى الأرض فى زمانكم ﴿ فى الخلق ﴾ أى الخاص بكم ﴿ بسطة ج ﴾ أى فى الحس بطول الأبدان والمعنى بقوة الأركان ، قيل : كان طول كل واحد منهم ١٠ اثنى عشر ذراعاً ، و قيل : أكثر .

و لما عظمت النعمة ، كرر عليهم التذكير فقال مسيئاً عن ذلك / ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ أى نعم الذى استجمع صفات العظمة التى أنعم عليكم بها من الاستخلاف والقوة وغيرهما ، و اذكروا أنه لا نعمة عندكم لغيره أصلاً ، فصار مستحقاً لأن تخصوه بالعبادة ﴿ لعلمكم تفلحون ه ﴾ أى ليكون ١٥ حاكم حال من يرجى فلاحه و هو ظفره بجميع مراده ، لأن الذكر موجب للشكر الموجب للزيادة .

(١) سورة ١٧ آية ١٥ (٢) آية ٢١ (٣) فى ظ : هى (٤) فى ظ : كانت (ه) فى ظ : ما (٦) فى ظ : يوجب .

و لما كان هذا منه موجبا و لابد لكل سامع منصف [من -]
 المبادرة إلى الإذعان لهذه الحجة القطعية ، وهي استحقاقه للأفراد بالعبادة
 للتفرد بالإنعام ، ازداد تشوف المخاطب إلى جوابهم ، فأجيب بقوله :
 ﴿ قالوا ﴾ منكرين عليه معتمدين على محض التقليد ﴿ اجثنا ﴾ أى من عند
 ٥ من ادعيت أنك رسوله ﴿ لتعبد الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ وحده ﴾ و لما
 كان هذا منهم فى غاية العجب المستحق للانكار ، أتبعوه ما هو كالعلة
 لإنكارهم عليه ما دعاهم إليه فقالوا : ﴿ ونذر ﴾ أى ترك على غير صفة
 حسنة ﴿ ما كان يعبد آبائنا ﴾ أى مواطنين على عبادته بما دلوا عليه
 بـ " كان " و صيغة المضارع - مع الإشارة بها إلى تصوير آبائهم فى
 ١٠ حالهم ذلك - ليحسن فى زعمهم إنكار مخالفتهم لهم .

و لما كان معنى هذا الإنكار أنا لا نطيعك ، وكان قد لوح لهم
 بالذكر^٢ بقوم نوح و قوله " افلا تتقون " إلى الأخذ إن أصروا ،
 سببوا عن ذلك قولهم : ﴿ فأتنا ﴾ أى عابنا ﴿ بما تعدنا ﴾ أى من العذاب
 بما لوح إليه إيمانهم إلى التكذيب بقولهم : ﴿ ان كنت من الصادقين ٥ ﴾
 ١٥ و تسميتهم بالانذار بالعذاب وعدا من باب الاستهزاء .

و لما كانوا قد بالغوا فى السفه فى هذا القول ، وكان قد علم من محاورته
 صلى الله عليه وسلم لهم الحلم عنهم ، اشتد التطلع إلى ما يكون
 من جوابه لهذا و التوقع له . فشئ غليل هذا التشوف بقوله :

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بالذکر (٣) من ظ و القرآن الكريم ، وف
 الأصل : الا .

(قال قد وقع) أى حق ووجب و قرب أن يقع (عليكم من ربكم)
 أى الذى غركم به تواتر إحسانه عليكم و طول إملائه لكم (رجس)
 أى عذاب شديد الاضطراب فى تتبع أقصاكم و أدناكم موجب لشدة
 اضطرابكم (و غضب^١) أى شدة فى ذلك العذاب لا تفلتون منها .

و لما أخبرهم بذلك ، بين لهم أن سببه كلامهم هذا فى سياق الإنكار ه
 فقال : (اتجادلوننى) و لما كانت آلتهم تلك التى يجادلون فيها لا تزيد^٢ على
 الأسماء لكونها خالية من كل معنى . قال : (فى أسماء) ثم بين أنه لم يسمها
 آلهة^٣ من يعبد به فقال : (سميتوهما أنتم و آبائكم) و لما كان الله تعالى أن يفعل
 ما يشاء و أن يأمر بالخضوع لمن يشاء ، قال [نافيا التنزيل فانه يلزم منه نفي
 الإنزال -^٤] : (ما نزل الله) أى الذى ليس الأمر إلا له (بها) ١٠
 أى بتعديكم لها أو بتسميتكم إياها ، و أغرق فى النفي فقال : (من سلطان^٥)
 ولعله أتى بصيغة التنزيل لأن التفعيل يأتى بمعنى الفعل المجدد و بمعنى
 الفعل بالتدرج فقطد - [لانه فى سياق المجادلة و فى سورة مقصودها إنذار
 من أعرض عما دعا إليه هذا الكتاب النازل بالتدرج -^٦] - النفي بكل
 اعتبار ، سواء كان تجديدا أو تدريجا و إشارة إلى أنه لو نزل عليهم فى ١٥
 الأمر بعبادتها شيء واحد لتوقفوا فيه لعدم فهمهم لمعناه حتى يكرر عليهم
 الأمر فيه مرة بعد أخرى ، فيعلموا أن ذلك أمر حتم لا بد منه كما فعله
 بنو إسرائيل فى الأمر بذبح البقرة لأجل القتل لأجل أنهم لم يعقلوا

(١) من ظ ، وفى الأصل : تجادلون (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يزيد (٣) - قط

من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : تكرر .

معناه ، دل ذلك قطعاً على [أن - '] الأمر لهم بعبادتها إنما هو ظلام الهوى لأنه عمى محض من شأن الإنسان ركوبه بلا دليل أصلاً .

ولما أخبرهم بوقوع العذاب وسيه ، بين لهم أن الوقوع ليس على ظاهره في الإنجاز ، وإنما معناه الوجوب الذي لا بد منه فقال :
 هـ ﴿ فانتظروا ﴾ ثم استأنف الإخبار عن حاله بقوله : ﴿ انى ﴾ وأشار بقوله :
 ﴿ معكم ﴾ إلى أنه لا يفارقهم لخشيته منهم ولا غيرها ﴿ من المنتظرين هـ ﴾
 ولما كان هذا ينبغي أن يكون سبباً للتصديق الذي هو سبب الرحمة ،

بين أنه إنما سبب لهم العذاب ، وله ولمن تبعه النجاة ، / فبدأ بالمومنين ٣١٤ /

اهتماماً بشأنهم [بقوله - '] : ﴿ فابجئنه ﴾ أى بما لنا من العظمة [إنجاء
 ١٠ وحيًا سريعاً سللناهم به من ذلك العذاب كسل الشعرة من العجين - ']
 والذين معه ﴿ أى فى الطاعة ، وأشار إلى أنه لا يجب على الله شئ بقوله :
 ﴿ برحمة ﴾ أى باكرام وحيطة ﴿ منا ﴾ أى لا يعمل ولا غيره ' .

ولما قدم الإنجاء اهتماماً به ، أتبعه حالهم فقال معلماً بأن أخذه على
 غير أخذ الملوك الذين يعجزون عن الاستقصاء فى الطلب ، فتفوتهم أواخر
 ١٥ العساكر ° وشذاب ° الجنود والأتباع ﴿ وقطعنا ﴾ دابرهم أى آخرهم ،
 هكذا كان الأصل ، ولكنه أظهر تصريحاً بالمقصود ويانا لعله أخذهم
 فقال : ﴿ دابر ﴾ أى آخر ، أى استأصلنا وجعلنا ذلك الاستئصال معجزة
 لهود عليه السلام ﴿ الذين كذبوا بآيتنا ﴾ أى ولم يراقبوا عظمتها بالنسبة

(١) زيد ما بين الحازرين من ظ (٢) فى ظ : فقال (٣) زيد بعده فى الأصل : ما ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٤) فى ظ : بغيره (هـ - هـ) سقط ما بين الرقمين
 من ظ .
 ٤٤٢
 إلينا

[إلينا - ١] ، وقوله : ﴿ وما كانوا ﴾ أى خلقا و جبلة ﴿ مؤمنين ﴾ .
عطف على صلة " الذين " وهى " كذبوا بآياتنا " وهى جارية مجرى
التعليل لأخذهم مؤذنة [بأنه - ١] لا يحصل منهم صلاح كما ختم قصة نوح
بقوله " أنهم كانوا قوما عمن " تعليلا لإغراقهم ، أى أنا قطعنا دابرهم
وهم مستحقون لذلك ، لأنهم غير قابلين للإيمان لما فيهم من شدة العناد
ولزوم الإلحاد ، فالمعنى : وما كان الإيمان من صفتهم ، أى ما آمنوا فى
الماضى ولا يؤمنون فى الآتى ، فيخرج منه من آمن وكان قد كذب
قبل إيمانه ومن لم يؤمن فى حال دعائه لهم وفى علم الله أنه سيؤمن ،
ويزيده حسنا أنهم لما افتحوا كلامهم بأن نسبوه إلى السفاهة كاذبين ؛
فاسبب ختم القصة بأن يقلب الأمر عليهم فيوصفوا ' بمثل ذلك ' صدقا ١٠
بكلام يبين أن اتصافهم به هو الموجب لما فعل بهم ، لأن الإيمان لا يصدر
إلا عن كمال الثبات والرزانة وترك الهوى وقمع رعونات النفس والانتقياد
لواضع الأدلة وظاهر البراهين ، فمن تركه مع ذلك فهو فى غاية الطيش
والخفة وعدم العقل ، وأيضا فوصفهم بالتكذيب بالفعل الماضى لا يفهم
دوامهم على تكذيبهم ، فقال سبحانه ذلك لنفى احتمال أنهم آمنوا بعد ١٥
التكذيب وأن أخذهم إنما كان لمطلق صدور التكذيب منهم ، وأنهم
لم يبادروا إلى الإيمان قبل التكذيب ، ويحتمل أن تكون الجملة حالا ،
والمعنى على كل تقدير : قطعنا دابرهم فى حال تكذيبهم وعدم إيمانهم .
ولما أتم سبحانه ما أراد من قصة عاد ، أتبعهم ثمود فقال :

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
يكون (٤) فى ظ : تم .

(و الى ثمود) أى خاصة ، 'منع من' الصرف لأن المراد به القبيلة ، وهو مشتق من الثمد و هو الماء القليل ، وكانت مساكنهم الحجر^٢ بين الحجاز و الشام إلى وادى القرى ، أرسلنا (اخام صلحا) ثم استأنف الإخبار عن قوله - كما مضى فى هود عليه السلام فقال : (قال يقوم)
 ه مستعظفا لهم بالتذكير بالقرابة و عاطف النسابة (اعبدوا الله) أى الذى لا كمال إلا له (ما لكم) و أكد النفي بقوله : (من اله غيره^٣) .
 و لما دل على صدقه فى ذلك أنهم دعوا أولادهم فلم تبهم ، و دعا هو صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه فأخرج لهم الناقة ، علل صحة ما دعا إليه بقوله : (قد جاءكم بينة) أى آية ظاهرة جدا على صدق فى ادعاء
 ١٠ رسالتى و صحة ما أمرتكم به ، و زادهم رغبة بقوله : (من ربكم^٤) أى الذى لم يزل محسنا إليكم ؛ ثم استأنف بيانها بقوله : (هذه) مشيرا إليها بعد تكوينها تحقيقا [لها - ٢] و تعظيما لشأنها و شأنه فى عظيم خلقها و سرعة تكوينها لأجله .

و لما أشار إليها ، سماها فقال : (ناقة الله) شرفها بالإضافة
 ١٥ إلى الاسم الأعظم ، و دل على تخصيصها بهم بقوله : (لكم) حال كونها (آية) أى لمن شاهدها و لمن سمع بها و صبح عنده أمرها ؛ ثم سبب عن ذلك قوله : (فذروها) أى أتركوها و لو على أدنى وجوه^٥ الترك (تاكل) أى من النبات (فى أرض الله) أى مما أنبت الله الذى له كل شئ .

(١ - ١) فى ظ : يمنع (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : امره .

(٥) فى ظ : احوال .

و'هى' ناقته' / كما أن الأرض كلها مطلقا أرضه والنبات رزقه ،
ولذلك أظهر ثلاثا يختص [أكلها - ٢] بأرض دون أخرى .

ولما أمرهم بتركها لذلك ، أكد الأمر بنهيهم عن أذاها فقال :
(ولا تمشوها بسوء) فضلا عما بعد المس (فياخذكم) أى أخذ قهر
بسبب ذلك المس وعقه (عذاب اليم) أى مؤلم . ٥

ولما أمرهم ونهاهم ، ذكر لهم ترغيا مشيرا إلى ترهيب فقال :
(واذكروا) أى نعمة الله عليكم (اذ جعلكم خلفاء) أى فيما أنتم فيه
(من بعد عاد) أى إهلاكهم (وبواكم فى الأرض) أى جعل لكم فى
جنسها مساكن تبوؤن أى ترجعون إليها وقت راحتكم ، سهل عليكم من
عملها فى [أى - ٢] أرض أردتم ما لم يسهل على غيركم ؛ ولهذا فسر ١٠
المراد بقوله : (تتخذون) أى بما لكم من الصنائع (من سهولها قصورا)
أى أبنية بالطين واللبن والآجر واسعة عالية حسنة يقصر أمل الآمل
ونظر الناظر عليها بما فيها من المرافق والمحاسن (وتنتحون الجبال)
أى أى جبل أردتم تقدرونها (يوتاج) .

ولما ذكروهم بهذه النعم مرغبا مرهبا ، كرر ذلك إشارة وعبرة ١٥
فقال مسييا عما ذكروهم به : (فاذكروا) أى ذكر إذعان ورغبة ورهبة
(الآله) أى نعم (الله) أى الذى [له - ٢] صفات الكمال فلا حاجة

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : هو ناقته (٢) زيد من ظ (٣) من ظ والقرآن
الكریم ، وفى الأصل : فلا (٤) من ظ ، وفى الأصل : لم يسهل (٥-٥) فى ظ :
بالبن والطین (٦) من ظ ، وفى الأصل : تقصر .

به إلى أحد، فاحسانه هو الإحسان في الحقيقة ﴿ولا تشوا في الأرض﴾
من العثى وهو الفساد، وهو مقلوب عن العيث - قاله ابن القطاع،
وحينئذ يكون قوله: ﴿مفسدين﴾ بمعنى متعمدين للفساد.

ولما حصل الالتفات إلى جوابهم، قيل: ﴿قال الملا﴾ أى الإشراف،
و بينه بقوله: ﴿الذين استكبروا﴾ أى أوقعوا الكبر واتصفوا به فصار لهم
خلقاً فلم يؤمنوا؛ ونبه على التأسية بقوله: ﴿من قومه﴾ ولما قال:
﴿للذين استضعفوا﴾ كان ربما فهم أنهم آمنوا كلهم، فنفى ذلك بقوله
مبدلاً منه: ﴿لمن آمن منهم﴾ أى المستضعفين، فهو أوقع في النفس
وأروع^٢ للجان من البيان في أول وهلة مع الإشارة^٣ إلى أن أتباع الحق
١٠ هم الضعفاء، وأنه لم يؤمن إلا بعضهم، ففيه إيحاء إلى أن الضعف أجلّ
النعم لملازمته لطرح النفس المؤدى إلى الإذعان للحق، و بناؤه للفعول
دليل على أنهم في غاية الضعف بحيث يستضعفهم كل أحد ﴿اتعلون﴾
أى بدأوم بالإنكار صدا لهم عن الإيمان ﴿ان صالحا﴾ سموه باسمه جفاء
و غلظة وإرهاها للمسؤولين ليجيئهم بما يرضيهم ﴿مرسل من ربه﴾
١٥ وكأنهم قالوه ليعلموا حالهم فيبتوا عليه ما يفعلونه، لأن المستكبرين
لا يتم لهم كبرهم إلا بطاعة المستضعفين.

ولما علموا ذلك منهم، أعلمهم بالمناظرة اعتماداً على الكبير المتعال

(١) من ظ، وفي الأصل: القطان - كذا (٢) من ظ، وفي الأصل: معتمدين.

(٣) من ظ، وفي الأصل: اورع (٤-٤) في ظ: لان (ه) زيد بعده في الأصل:

المستضعفين، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها

الذى يضمحل كل^١ كبر عند كبره ولا يعد لاحد أمر مع أمره، بأن
 ﴿ قالوا ﴾ منبهين لهم على غلظتهم وغلظهم في توسمهم في حالهم معبرين^٢
 بما ذل على العلم بذلك والإذعان له ﴿ انا بما أرسل به ﴾ وبنى للفعول
 إشارة إلى تعميم التصديق وإلى أن كونه من عند الله^٣ أمر مقطوع به
 لا يحتاج إلى تعيين ﴿ مؤمنون ﴾ أى غريقون^٤ في الإيمان به ، ولذلك ه
 ﴿ قال الذين استكبروا ﴾ أى فى جوابهم معبرين بما يدل على المخالفة لهم
 والمعادنة ﴿ انا بالذى ﴾ ووضعوا موضع 'أرسل به' - ردا لما جعلوه
 معلوما وأخذوه مسلما ﴿ آمنتم به ﴾ أى كائنا ما كان ﴿ كفرون ﴾
 ثم سبب عن قولهم قوله ﴿ ففعلوا الناقة ﴾ أى التى جعلها الله لهم آية ، و عبر
 بالعقر دون النحر لشموله كل سبب لقتلها لأن ابن إسحاق ذكر أنه اجتمع ١٠
 لها ناس منهم فرماها أحدهم بسهم وضرب آخر قوائمها بالسيف ونحرها آخر
 فأطلق اسم السبب على المسبب ، لكن قوله تعالى "فنادوا صاحبهم فتعاطى
 ففقره" وقوله "اذ انبعث اشقها" وقوله صلى الله عليه وسلم "انبعث
 لها رجل عزيز عارم منيع فى قومه" قالوا: هو قدار^٥ بن سالف ، جعلت / له
 ٣١٦ / امرأة من قومه ابتها إن عقرها ، ففعل فكان أشقى الأولين ، وأشقى الآخرين ١٥
 عبد الرحمن بن ملجم المرادى قاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : على - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : معتبرين .

(٣) فى ظ : الغريقين (٤) من ظ ، وفى الأصل : فودا (٥) سورة ٤٥ آية ٢٩ .

(٦) سورة ٩١ آية ١٢ (٧) من معالم التنزيل - راجع الخازن ٢ / ٢١٠ ، وفى

الأصل : قوم ، وفى ظ : قوله - كذا (٨) فى ظ : قدا .

جعلت له قطام امرأة من بنى عجل جميلة نفسها إن قتله ، فالمناسبة بينهما^١
 أن كلا منهما ألقى نفسه في المعصية العظمى لأجل شهوة فرجه في زواج
 امرأة ، وقوله صلى الله عليه وسلم « أشقى الأولين عاقب الناقة » يدل على
 أن عاقرها رجل واحد ، وحيث أن يكون المراد به قطع القوائم ، [فحيث
 ٥ جمع أراد الحقيقة و المجاز معا ، و حيث أفرد أراد الحقيقة فقط - ٢] ،
 فالتعبير به لأنه الأصل^٢ و السبب الأعظم في ذبح الإبل ؛ قال البغوى :
 قال الأزهري : العقر هو قطع عرقوب البعير ، ثم جعل النحر عقرا لأن
 ناجر البعير يعقره ثم ينحره - انتهى . وكان هذا إشارة إلى أن المراد بالعقر
 في كلامه النحر ، [و - ٣] لاريب في أن أصل العقر في اللغة القطع ،
 ١٠ و مادته تدور على ذلك ، عقر النخلة - إذا قطع رأسها فيبست ، و الفرس :
 ضرب قوائمها بالسيف ، و أكثر ما يستعمل العقر في الفساد ، و أما النحر
 فيستعمل غالبا في الانتفاع بالمنحور لحما و جلدا و غيرها ، فلعل التعبير به
 دون النحر إشارة إلى أنهم لم يقصدوا بنحرها إلا إهلاكها عتوا على الله
 و عنادا و فعلا للسوء مخالفة " انتهى صالح " عليه السلام ، و لا يشكل ذلك
 ١٥ بما ورد من أنهم اقتسموا لحما ، لأنه لم يدع أن العقر يلزمه عدم الانتفاع
 بالمنحور ، [و - ٤] على " التزل فهم " لم يريدوا بذلك الانتفاع باللحم ،
 و إنما قصدوا - حيث لم يمكنهم^٥ المشاركة جميعا في العقر - أن يشتركوا
 (١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٣) في ظ : اصل (٤) من ظ ،
 و في الأصل : هلاكها (هـ - هـ) في ظ : لصالح (٦) من ظ ، و في الأصل : يلزمها .
 (٧ - ٧) من ظ ، و في الأصل : الرى فيهم - كذا (٨) في ظ : لم تمكنهم .

فيما نشأ عنه ترميضا برضام به و مشاركتهم فيه بما يمكنهم ﴿ وعتوا ﴾
 أى تجاوزوا الحد فى الغلظة و التكبر ﴿ عن امر ﴾ أى امثال أمر
 ﴿ ربههم ﴾ أى المحسن إليهم الذى أنام على لسان رسوله من تركها
 ﴿ وقالوا ﴾ زيادة فى العتو ﴿ ينصلح اتنا ﴾ .

و لما نزلوا و عيدهم له - حيث لم يؤمنوا به - منزلة الوعد و البشارة ، ه
 قالوا : ﴿ بما تعدنا ﴾ استخفا منهم و مبالغة فى التكذيب ، [كأنهم
 يقولون : نحن على القطع بأنك لا تقدر على أن تأتينا بشئ من ذلك ،
 و إن كنت - ٢] صادقا فافعل و لا تؤخره رفقا بنا و شفقة علينا ، فانا
 لا تأذى بذلك ، بل تلذذه تلذذ من يلقي الوعد الحسن ، و حاصله التهكم
 منهم به و الإشارة إلى عدم قدرته ؛ و أكدوا ذلك بقولهم بأداة الشك : ١٠
 ﴿ ان كنت من المرسلين ه ﴾ أى الذين سمعنا أخبارهم فيما مضى ؛
 ثم سبب عن عتوهم ٢ قوله : ﴿ فاخذتهم الرجفة ﴾ أى التى كانت عنها أو منها
 الصيحة ، أخذ من هو فى القبضة على غاية من الصغار و الحقارة ، و لعل
 توحيد الدار هنا مع الرجفة فى قصة صالح و شعيب عليهما السلام فى
 قوله تعالى : ﴿ فاصبحوا فى دارهم ﴾ أى مساكنهم ، و جمعها فى القصتين ١٥
 مع الصيحة فى سورة هود عليه السلام للإشارة إلى عظم الزلزلة و الصيحة
 فى الموضعين ، و ذلك لأن الزلزلة إذا كانت فى شئ واحد كانت أمكن ،
 فتكون فى المقصود من النكال أعظم ، و الصيحة من شأنها الانتشار ،
 فاذا عمت الأماكن المتناحية و الديار المتباعدة فأهلكت أهلها و مزقت
 (١) فى ظ : تركوا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عقرهم (٤) من ظ ، و فى الأصل :
 فيكون .

جماعتها و فرقت شملها. كانت من القوة المفرطة و الشدة البالغة بحيث
 يتزعج^١ من تأمل وصفها النفوس و تحب له القلوب ، و حاصله أنه حيث
 عبر بالرجفة و حد الدار إشارة إلى شدة العذاب بعظم الاضطراب ، و حيث
 عبر بالصيحة جمع إيماء إلى عموم الموت بشدة الصوت ، و لا مخالفة لأن
 عذابهم كان بكل منهما ، و لعل إحداها كانت سببا للأخرى^٢ ، و لعل
 المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطرابا قطعها ، أو أن الدار رجفت
 فرجفت القلوب و هو أقرب ، و خصت^٣ الاعراف بما ذكر فيها ، لأن مقصودها
 إنذار المعرضين ، و الرجفة أعظم قرعا لعدم الإلف لها - والله اعلم (جثمانين هـ)
 أى باركين على ركبهم لازمين أما كنهم لا حراك بأحد منهم ، و لم يبق
 ١٠ / ٣١٧ منهم فى تلك الساعة أحد إلا رجل / واحد كان فى الحرم ، فلما خرج
 منه أصابه ما أصاب قومه و هو أبو رغال^٤ ، و مساقاة الحرم عن أرضهم
 تزيد على مسيرة عشرة أيام ، و من الآيات العظيمة أن ذلك الذى
 [خلع - ^٥] قلوبهم و أزال أرواحهم لم يؤثر فى صالح عليه السلام
 و المستضعفين معه شيئا ، و ذلك مثل الريح التى^٦ زلزلت الأحزاب ،
 ١٥ و أنالتهم أشد العذاب ، و رمتهم بالحجارة و التراب حتى هزمتهم و ما نال
 النبى^٧ صلى الله عليه و سلم و أصحابه منها كبر أذى ، و كفها الله عن
 (١٠) من ظ ، و فى الأصل : يززع - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : لاخر .
 (٣) فى ظ : مضت (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و العالم ، و فى الأصل :
 أبو رغال (٦) من ظ ، و فى الأصل : مسير (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى
 الأصل : الذى (٩) فى ظ : المصطفى .

حذيفة ، وكذا البرد الذى كان ذلك زمانه لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم ليتعرف له أخبارهم .

ولما أصابهم ذلك ، سبب لهم الهجرة عن ديارهم ديار السوء والغضب والعنة فقال تعالى إعلاما لنا بذلك : ﴿ فتولى ﴾ أى كلف نفسه الإعراض ﴿ عنهم و قال ﴾ أى لما أدركه من أحوال البشر من الرقة على فوات هـ إيمانهم وهم أصله و عشيرته ﴿ يقوم ﴾ أى الذين يعز على ما يؤذيهم ﴿ لقد ابلغتكم ﴾ ولعله وحد قوله : ﴿ رسالة ربى ﴾ لكون آيته واحدة ﴿ ونصحت ﴾ وقصر الفعل وعده باللام فقال : ﴿ لكم ﴾ دلالة على أنه خاص [بهم - ٢] ، روى ^١ أنه خرج عنهم فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يسكى ، وكان قومه ألفا وخمسمائة دار ، وروى أنه رجع ١٠ من معه فسكنوا ديارهم ^٢ .

ولما كان التقدير : ففعلت معكم ما هو مقتضى لأن تحبونى لأجله ، عطف عليه قوله : ﴿ ولكن ﴾ لم تحبونى ^٣ ، هكذا كان الأصل ولكنه عبر بما يفهم أن هذا كان دأبهم وخلقهم مع كل ناصح فقال : ﴿ لا تحبون ﴾ [أى - ٢] حاكيا لحالهم الماضى ﴿ النصحين هـ ﴾ أى ١٥ كل من فعل فعلى من النصح انتام .

ولما أتم سبحانه ما وفى بمقصد هذه السورة فى هذا السياق من قصتهم ، أتبعه من بعده ^٤ بمن تعرفه العرب كما فعل فيما قبل فقال :

(١) فى ظ : ليعرف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقعتين من ظ (هـ) زيد بعده فى الأصل : بهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٦) فى ظ : منكم (٧) من ظ ، وفى الأصل : لم يحبونى (٨) من ظ ، وفى الأصل : بعدهم .

(ولوطا اذ قال) ولما كانت رسالته إلى مدن شتى ، وكانهم كانوا قبائل شتى ، قيل : كانوا خمسة وهى المؤتفكات ، [و - ١] قيل : كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة الشريفة ، قال : (لقومة) وقد جوزوا أن يكون العامل فيه ' أرسلنا ' و ' اذكر ' ولا يلزم من تقدير ' أرسلنا ' أن يكون إرساله فى وقت تفوهه لهم بهذا القول غير سابق عليه ، لانه كما أن ذلك الزمن - المنطبق على أول قوله و آخره - وقت له فكذلك اليوم - الذى وقع فيه هذا القول - وقت له ، بل و ذلك الشهر و تلك السنة و ذلك القرن ، فان من شأن العرب تسمية الايام المشتركة فى الفعل الواحد يوما ، قالوا : يوم القادسية ، و هو أربعة أيام إن اعتبرنا مدة القتال فقط ، و عدة شهور .
١٠. إن اعتبرنا بالاجتماع^٢ له ، و كذا يوم صفين ، و قال تعالى فى قصة بدر " و اذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم - إلى أن قال : اذ تستغيثون ربكم - إلى أن قال : اذ يغشيكم النعاس امنه منه - اذ يوحى ربك الى الملكة " ، و كلها إبدال من قوله " و اذ يعدكم الله احدى الطائفتين " و لا ريب فى^٣ أن زمان الكل لم يكن متحدا إلا بتاويل جميع الايام المتعلقة بالوقعة من سير و قتال و غير ذلك - والله أعلم ، و عبر فى قصة نوح [عليه السلام - ١] ب " أرسلنا نوحا الى قومه " ، ثم نسق من بعده عليه قليل : " و الى عاد اخاهم هودا " " و الى ثمود اخاهم صالحا " " و الى مدين اخاهم شعيبا " و عدل عن هذا الأسلوب فى قصة لوط [فلم يقل :
١٥ بالوقعة من سير و قتال و غير ذلك - والله أعلم ، و عبر فى قصة نوح [عليه السلام - ١] ب " أرسلنا نوحا الى قومه " ، ثم نسق من بعده عليه قليل : " و الى عاد اخاهم هودا " " و الى ثمود اخاهم صالحا " " و الى مدين اخاهم شعيبا " و عدل عن هذا الأسلوب فى قصة لوط [فلم يقل :

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : ذلك (٣) فى ظ : الاجتماع (٤) سورة ٨ آية ٧

= ١٢ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا .

و إلى أهل أدوما^١ أخام لوطا، أو إلى أهل سدوم لوطا - [أو وأرسلنا لوطا
إلى قومه ونحو ذلك كما سيأتى فى قصة موسى عليه السلام، لأن من أعظم
المقاصد بسياق هذه القصص تسليّة النبي صلى الله عليه وسلم فى مخالفة قومه
له وعدم استجابتهم وشدة أذاهم وإندار^٢ قومه أن يحل بهم ما حل بهذه
الأمم من العذاب، وقصص من عدا قوم لوط مشابهة لقصة قريش فى ٥

الشرك بالله^٣ والأذى لعباده المؤمنين، وأما قصة قوم لوط فزائدة عن
ذلك بأمر فظيع عظيم الشناعة شديد العار والفحش فعدل عن ذلك
النسق تنديها عليه تهويلا للأمر و تبشيعا له، ليكون فى التسلية أشد، وفى
استدعاء الحمد والشكر أتم، وحينئذ يترجح أن يكون العامل 'اذكر'

٣١٨/ 'لا' أرسلنا^٤، أى واذكر لوطا وما حصل عليه من قومه زيادة على ١
شركهم من رؤيته فيهم هذا الأمر الذى لم يبق للشناعة موضعا، فالقصة
فى الحقيقة تسليّة وتذكير^٥ بنعمة معافاة العرب من مثل هذا الحال،
وإندار لهم سوء المآل مع ما شاركت^٦ فيه أخواتها من الدلالة على سوء
جيلة هؤلاء القوم وشرارة جوهرهم المقتضى لتفردهم عن أهل الأرض

بذلك الأمر الفاحش، والدليل على أنه أشنع الشنع^٧ بعد الشرك - مع ١٥
ما جعل الله تعالى فى كل طبع سليم من النفرة عنه - اختصاصه بمشاركته
للشرك فى أنه لم يحل فى ملة من الملل فى وقت من الأوقات ولا مع

(١) فى تاج العروس : دوما - راجع « افك » (٢) زيد من ظ (٣) من ظ،
وفى الأصل : اندر (٤) فى ظ : فى الله (٥ - ٥) فى ظ : لارسلنا - كذا (٦) فى
ظ : تذكيرا (٧) من ظ، وفى الأصل : شركت (٨) سقط من ظ .

وصف من الأوصاف، وبقية^١ المحرمات ليست كذلك، فأما قتل
النفوس فقد حل في^٢ القصاص والجهاد^٣ وغير ذلك، والوطى^٤ في
القبل؛ لم يحرم إلا بقيد كونه زنى، ولولا الوصف لحل، وأكل المال
الأصل فيه الحل، وما حرم إلا بقيد كونه بالباطل - وكذا غير ذلك؛
٥ قال أبو حيان: ولما كان هذا الفعل معهوداً قبحه ومركزاً في العقول
خشاه، أتى معرفاً - أى في قوله بعد إنكاره عليهم وتقريره وتوبيخه لهم:
(اتاتون الفاحشة) أى أتعلمون السبئية المتهادية في القبح وإن كان بينكم
وبينها مسافة بعيدة - أو تكون^٥ 'أل' فيه للجنس على سبيل المبالغة،
كأنه^٦ لشدة قبحه جعل جميع الفواحش ولبعد العرب عن ذلك البعد
١٠ للتألم، [وذلك -^٧] بخلاف الزنى فإنه قال [فيه -^٨] "ولا تقربوا
الزنى انه كان فاحشة"^٩.

ولما كان غير مستبعد على صفاقة وجوههم وقاحتهم أن يقولوا:
لم تكون^{١٠} فعلتاً منكراً موجباً عليها؟ قال: (ما سبقكم بها) وأغرق في
النفي بقوله: (من أحد) وعظم ذلك بتعميمه في قوله: (من العلين^{١١})
١٥ فقد اخترعتم شيئاً لا يكون مثل خشه لتذكروا^{١٢} به أسوأ ذكر، [كما -^{١٣}]

(١) في ظ: قصة (٢-٢) في ظ: الجهاد والقصاص (٣) من ظ، وفي الأصل:
لوط (٤) في ظ: الدبر (٥) من ظ والبحر المحيط ٣٣٣/٤، وفي الأصل: يكون.
(٦) من البحر، وفي الأصل وظ: فإنه (٧) زيد من البحر (٨) - سورة ١٧ آية ٣٢.
(٩) من ظ، وفي الأصل: يكون (١٠) من ظ، وفي الأصل: ليذكروا (١١) زيد
من ظ.

أن ذوى الهمم العوال و الفضل و الكمال يستنبطون من المحاسن و المنافع
 ما يبق لهم ذكره و ينفعهم أجره ، و فى ذلك أعظم إشارة إلى تقييح
 البدع و التشنيع على فاعليها ، لأن العقول لا تستقل بمعرفة المحاسن .
 و لما أبهم الفاحشة ليحصل التشوف إلى معرفتها ، عينها فى استفهام
 آخر كالآول فى إنكاره و توبيخه ليكون أدل على تناهى الزجر عنها فقال : هـ
 (انكم ' لتاتون الرجال) أى تغشونهم غشيان النساء ، و لما أتى للتشوف
 مجالا ، عين بقوله : (شهوة) أى مشتتهن ، أو لأجل الشهوة ، لا حامل
 لكم على ذلك إلا الشهوة كالبهائم التى لا داعى لها من جهة العقل ،
 و صرح بقوله : (من دون النساء) فلما لم يدع لبسا ، و كان هذا ربما
 أؤهم إقامة عذر لهم فى عدم وجدان النساء أو عدم كفايتهن لهم ، أضرب ١٠
 عنه بقوله : (بل اتم قوم) .

و لما كان مقصود هذه السورة الإنذار كان الالىق به الإسراف
 الذى هو غاية الجهل المذكور فى سورة النمل [فقال - ٢] (مسرفون هـ) أى
 لم يحملكم على ذلك ضرورة لشهوة تدعونها ، بل اعتياد المجاوزة للحدود ،
 و لم يسم قوم لوط فى سورة من السور كما سميت عاد و ثمود و غيرهم صونا ١٥
 للكلام عن تسميتهم ، و أما قوم نوح فأنما لم يسموا لعدم تفرق القبائل
 اذ ذاك ، فكانوا لذلك جميع أهل الأرض ولذا عمهم الفرق - و الله أعلم .
 و لما كان كأنه قيل : هذا التقريع يوجب غاية الاستحياء ، بل أنه

(١) وفى مصاحفنا : انكم (٢) سقط من ظ (٣) زيد لاستقامة العبارة (٤) سقط

ما بين الرقين من ظ (هـ) من ظ ، وفى الأصل : فانه .

/ يذهب كل من سمعه منهم إلى مكان لا يعرف فيه سترًا لحاله^١، فبالت
 شعري ما كان حالهم عنده^٢ فقيل : كان كأنهم^٣ أجابوه بوقاحة عظيمة
 وفجور زائد على الحد ، فما كان جوابهم إلا أذى لوط عليه السلام وآله
 بما^٤ استحقوا منهم به شديد الإنذار الذي هو مقصود السورة ، [عطف
 عليه -^٥] قوله : ﴿ وما كان جواب قومه ﴾ أي الذين كانوا [هم -^٦]
 أهل قوة شديدة وعزم عظيم وقُدرة على القيام بما يحاربونه
 ﴿ الآآن قالوا ﴾ .

ولما كان المقصود بيان أنهم أسرعوا إجابته بما ينكيه أضمر
 ما لا يشكل بالإضمار ، [أو أنه لما كان السياق لبيان الخيث بين أنه
 لا أخبث من هؤلاء الذين بلغ من رذالتهم أنهم عدوا الطاهرين المتطهرين
 بما يصان اللسان عن ذكره -^٧] فقال [تعالى مشيرًا إلى ذلك في حكاية
 قولهم -^٨] : ﴿ اخرجوهم ﴾ أي المحدث عنهم ، وهم لوط ومن انضم إليه
 ﴿ من قريبتكم ﴾ والمراد ببيان الإسراع في هذا تسليّة النبي صلى الله
 عليه وسلم من رد قومه لكلامه لئلا يكون في صدره حرج من إنذارهم ؛
 ثم عللوا^٩ إخراجهم بقولهم : ﴿ انهم اتانس ﴾ أي ضعفاء ﴿ يتطهرون ﴾
 وكأنهم قصدوا بالتفعل نسبتهم إلى [حجة -^{١٠}] هذا الفعل القبيح ، وأن
 تركهم له إنما هو تصنع وتكليف لنفوسهم بردها عما هي مائلة إليه ،
 وإقبال على الطهر من غير وجهه^{١١} وإظهار له رياء بما أشار إليه إظهار تاء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : انهم (٣) في ظ : بما (٤) زيد ما بين
 الحاجزين من ظ (٥) في ظ : فيه (٦) في ظ : علل (٧) العبارة من هنا إلى « من
 السخرية » ساقطة من ظ .

التفعل ، وفيه مع ذلك حرف من السخرية ، و حصر^١ جوابهم في هذا المعنى المؤدى بهذا اللفظ لا ينافي آية العنكبوت القائلة ” فما كان جواب قومه الا ان قالوا اتنا بعذاب الله -^٢ “ - الآية ، لأن إطلاق الجواب على هذا يجوز ، والمعنى : فما كان قولهم في جوابه إلا إتيانهم بما لا يصلح جوابا ، وذلك مضمون هذا القول وغيره مما لا يتعلق بالجواب ، أو أن هذا هـ الجواب لما كان - لما فيه من التكذيب والإيذان بالإصرار والإغلاظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم - مستلزما للعذاب ، كانوا كأنهم نطقوا به فقالوا ” اتنا بعذاب الله “ ، جعل نطقهم بالسبب نطقا بالمسبب ، أو أنهم استعملوا لكل مقام مقالا ، ويؤيده أن المعنى لما أتحدثنا وفي النمل حصر الجواب في هذا ، أى فما كان جوابهم لهذا القول إلا هذا ؛ ولما زادهم ١٠ في العنكبوت في التقرير فقال ” ائتكم لتاتون الرجال و تقطعون السيل و تاتون في ناديك المنكر^٣ “ أتوه بأبلغ من هذا تكديبا واستهزاء فقالوا ” اتنا بعذاب الله “ - الآية .

و لما تسبب^٤ عن عنادهم إهلاكهم وإنجاؤه ، وكان الإعلام بانجائه - مع كونه يفهم إهلاكهم - أهم ، قال : ﴿ فأنجيئه و اهله ﴾ أى من أطاعه ١٥ ﴿ الا امراته ﴾ و لما كان كأنه قيل : ما لها ؟ قال : ﴿ كانت من الغرير ﴾ أى الباقيين الذين لحقتهم بالعذاب العبرة و التذكير إشارة إلى أنها أصابها مثل عذاب الرجال سواء ، لم تنقص^٥ عنهم لأنها كانت كافرة مثلهم .

(١) في ظ : حصرهم (٢) آية ٢٩ (٣) من ظ ، وفي الأصل : سبب (٤) من ظ ، وفي الأصل : لم ينقص .

ولما أفهم هذا إهلاكهم، بينه دالاً على نوعه بقوله: ﴿ و امطرا ﴾
 أى حجارة الكبريت بعد أن قلعت^١ مدائنهم و رفعت و قلبت حتى رجم
 بها مسافروهم و شذابهم^٢ لأنه^٣ عذاب الاستئصال^٤ عن^٥ لا يعجزه شيء؛
 و أوضحه بقصره^٦ الفعل و تعديته بحرف الاستعلاء فقال: ﴿ عليهم ﴾
 و أكد كونه من السماء لا من سطح أو جبل و نحوه بقوله: ﴿ مطرا ﴾
 و أشار إلى عظمه مزبلاً للبس [أصلاً - °] بما سبب عنه من قوله:
 ﴿ فانظر كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المجرمين ﴾ و أظهر موضع
 الإخمار تعليقاً للحكم بوصف القطع لما حقه الوصل بوصل ما حقه القطع
 من فاحش المعصية دليلاً على أن الرجم جزاء من فعل هذا الفعل بشرطه،
 لأن الحكم يدور مع العلة، و سيأتى فى سورة هود عليه السلام سياق قصتهم
 من التوراة بعد أن مضى فى البقرة عند^٧ " اذ قال له ربه اسلم^٨ " أوائل
 أمرهم، و هذا كما سومت^٩ الحجارة لقريش - لما أجمعوا أن يرجعوا بعد
 توجههم عن غزوة أحد من الطريق - ليفزعوا من النى صلى الله عليه
 و سلم و أصحابه على زعمهم، كما قال صلى الله عليه و سلم " و الذى نفسى
 بيده! لقد سومت لهم الحجارة، و لو / رجعوا لكانوا كأمس الذاهب، ولكنه
 صلى الله عليه و سلم لما كان رسول رحمة لم يقض الله برجعهم ففضوا
 حتى أسلم بعد ذلك كثير منهم، و كما أمطر^{١٠} الله الحجارة على أصحاب الفيل
 سنة مولده صلى الله عليه و سلم حماية لبلده^{١١} ببركته .

(١) من ظ، و فى الأصل : فعات (٢) فى ظ : لان (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ :

بقصر (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بعد (٧) آية ١٣١ (٨) من

ظ ، و فى الأصل : سويت (٩) فى ظ : امر (١٠) فى ظ : ليته .

ولما انقضت هذه القصة العجبية في القصص ، أعاد النسق الأول فقال: ﴿ والى مدين ﴾ أى أرسلنا ، وهى بلد ، وقيل قبيلة من أولاد مدين [ابن - ١] إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿ اخاهم ﴾ أى من النسب .
 ١ و بنه بقوله : ﴿ شعيا ١ ﴾ وهو موصوف بأنه خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعة قومه ؛ ثم استأنف قوله على ذلك النسق : ﴿ قال بنقوم ﴾ ٥
 دالا على النصيحة والشفقة بالتذكير بالقرابة ، وبدأ بالأصل المعتبر في جميع الشرائع المأثورة عن الانبياء عليهم السلام فقال ٢ : ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى ٣ الذى يستحق العبادة لذاته بما له من الاسماء الحسنى والصفات العلى .
 ولما كان المراد إفراده بالعبادة لانه [لا - ١] يقبل الشرك لانه غنى .
 علل ذلك بقوله : ﴿ ما لكم ﴾ وأغرق في النفي بقوله : ﴿ من الله غيره ٤ ﴾ ١٠
 ثم استأنف التذكير بما دل على صحة دعواه في نفسه وصدقته في دعوى الرسالة بقوله : ﴿ قد جاءكم ﴾ أى على بدى ﴿ بينة ﴾ ولما كنا عالمين من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه شيخان عن أنى هريرد رضى الله عنه « ما من الانبياء نبي إلا اوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » أن هذه « بينة » معجزة ، مثلها كاف في صحة الدعوى ولم تدع ١٥
 ضرورة إلى ذكرها لنا ، لم تكن ؛ ثم زادهم ترغيبا بقوله : ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم تروا ١ إحسانا إلا منه .

ولما كان إتيانه بالبينات سببا لوجوب امتثال أمره ، قال مسيبا عنه :
 ﴿ فادفوا الكيل ﴾ أى ٢ المسكيل والوزن ﴿ والميزان ﴾ أى ابدلوا ما

(١) زيد من ظ (٢) زيد في ظ : ان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وهى لأصل : لم يروا .

تعطون بها ، وافيًا ، فالآية من الاحتباك ، وكان المحكى عنه هنا من أوائل قوله لهم فترك التأكيد الرافع لمجاز المقاربة بذكر القسط .

ولما كان الأمر بالوفاء يتضمن النهى عن البخس ، صرح به على وجه يغم غيره فقال : ﴿ ولا تبخسوا ﴾ أى تنقصوا ' و تفسدوا كما أفسد البخسة ' .
 ٥ ﴿ الناس اشياء ﴾ أى شيئًا من البخس فى كيل ' ولا ' وزن ولا غيرهما ، والناس - قال فى القاموس - يكون من الإنسان ومن الجن جمع إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه ' أل ' ، وقال أبو عبد الله القرطبي : الناس أصله عند البصريين أناس ، ثم أدخلوا الألف واللام على ذلك وحذفوا الهمزة ' وبقى الناس ، وكان أصله فعال من : أنست ' به ، فكأنه قيل :
 ١٠ أناس - يعنى على القلب ، قال : لأنه يؤنس إليهم - انتهى . إذا علم هذا علم أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن بخس الجمع الذين فيهم قوة المدافعة نهى عن بخس الواحد من باب الأخرى لأن الشرائع إنما جاءت بتقوية الضعيف على حقه .

ولما نهى عن الفساد بالبخس ، عم كل فساد فقال : ﴿ ولا تفسدوا ﴾
 ١٥ أى توقعوا الفساد ﴿ فى الارض ﴾ بوضع شئ من حق الحق أو الخلق فى غير موضعه ؛ ولما نهى عن هذه الرذائل ، ذكر بنعمة الله تأكيذاً للنهى بما فى ذلك من التخويف و حثًا على التخلق بوصف السيد فقال :
 ﴿ بعد اصلاحها ﴾ أى إصلاح الله لها بنعمة الإيجاد الأول بخلقها و خلق منافعها وما فيها على هذا النظام البديع المحكم ثم بنعمة الإبقاء الأول

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢-٢) فى ظ : او (٣) فى ظ : الهمز (٤) من ظ ، وفى الأصل : انسب (٥) من ظ ، وفى الأصل " و " (٦) من ظ ، وفى الأصل : الحكمة .

بازال الكتب وإرسال الرسل و نصب الشرائع التى بها يحصل النفع
و تتم النعمة باصلاح أمر المعاش و المعاد بتعظيم أمر الله و الشفقة على
خلق الله ، و يجمع ذلك كله التنزه عن الإساءة .

ولما تقدم إليهم بالأمر و النهى ، أشار إلى عظمة ما تضمنه ذلك
حاثلم على امتثاله فقال : ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم العالى الرتبة مما ذكر ٥
فى هذه القصة ﴿ خير لكم ﴾ ولما كان الكافر ناقص المدارك / كامل
الممالك ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ أى فلا تفسدوا
أو فأتتم تعرفون صحة ما قلته . وإذا عرقتم صحته علمتم به ، وإذا عملتم به
أفلحتم كل الفلاح ، ويجوز - وهو أحسن - أن يكون التقدير : فهو
خير لكم ، لأن المؤمن يثاب على فعله لبنائه له على أساس الإيمان ، ١٠
و الكافر أعماله فاسدة فلا يكون فعله لهذه الأشياء خيرا له من جهة إسماعده
فى الآخرة لأنه لا ثواب له .

ولما كان للتعميم بعد التخصيص و التفصيل بعد الإجمال من الموقع
فى النفوس ما لا يخفى ، و كان النهى عن الإفساد بالصد عن سبيل الله
هو المقصود بالذات لأنه ينهى عن كل فساد ، خصه بالذكر إشارة إلى ١٥
أنه زبدة المراد بعد التعميم فقال : ﴿ ولا تقعدوا ﴾ أى تفعلوا فعل
المرصد المقبل بكليته ﴿ بكل صراط ﴾ أى طريق من طرق الدنيا و الدين
من الحلال و الحرام و الأوامر و النواهي و المحكم و المتشابه و الأمثال

(١) من ظ ، وفى الأصل : باصلاحه (م) من ظ ، وفى الأصل : قبله (م) من ظ ، وفى
الأصل : زايدة (٤) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : فلا (ه) فى ظ : طريق .

﴿توعدون﴾ أى تهديدون من يسلكه بكل شر إن لم يوافقكم على ما تريدون .

ولما كان طريق الدين أهم، خصه بالذكر فقال: ﴿و تصدون﴾
 أى توقعون الصد على سبيل الاستمرار ﴿عن سبيل الله﴾ أى طريق
 ٥ من له الأمر كله؛ ولما ذكر الصدود عنه، ذكر المصدود فقال:
 ﴿من آمن به﴾ أى بالله فسلك سبيله التى لا أقوم منها؛ ولما كانوا لا يقنعون
 بمطلق الصد بالتهديد ونحوه. بل يبدون للصدود شبهة توهمه أنه على ضلال،
 قال عاطفا: ﴿و تبغونها عوجا﴾ أى و تطلبون السبيل حال كونها ذات
 عوج. أى تطلبون اعوجاجها بالقاء الشبهات والشكوك كما تقول: أريد
 ١٠ فلانا ملكا، أى أريد ملكه، وقد تقدم فى آل عمران أن نصبه على الحال
 أرجح، وأن قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح «ابغى أحجارا أستنفض
 بها، يرجح نصبه على المفعولية - والله أعلم .

ولما كانت أفعالهم نقص الناس إما فى الأموال بالبخس وإما فى
 الإيمان والنصرة بالصد. ذكرهم أن الله تعالى فعل معهم ضد ذلك من
 ١٥ انتكشير بعد القلة فى سياق منذر باجتثاثهم عن وجه الأرض وخصهم
 فضلا عن تقليلهم و نقصهم، فقال عاطفا على قوله "اعبدوا الله" وما
 بعده من الأوامر والنواهي: ﴿واذكروا اذ﴾ أى حين ﴿كنتم قليلا﴾
 أى فى العدد و المدد ﴿فكثركم﴾ أى كثر عددكم وأموالكم و كل
 شيء ينسب إليكم، فلا تقابلوا النعمة بضدها، فان ذكر النعمة مرغ
 ٢٠ فى الشكر .

(١) فى ظ؛ عليه (٢) فى ظ؛ يبغونها .

و لما رغبهم بالتذكير بالنعمة ، حذرهم بالتذكير بأهل النعمة فقال :
 ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المفسدين ٥ ﴾ أى فى
 عموم الإهلاك بأنواع العذاب لتحذروا من أن يصيبكم مثل ما أصابهم
 كما صرح به فى سورة هود ' لكون الحال هناك مقتضيا للبسط كما سيأتى
 إن شاء الله تعالى .

و لما حذرهم وخامة الفساد الذى نهام عنه ، و علق انتباههم عنه
 بوصف الإيمان ، رجع إلى قسم ' ما شرط به الانتهاء عن الإفساد فقال :
 ﴿ وان كان طائفة منكم ﴾ أى جماعة فيهم كثرة بحيث يتخلقون ' بمن
 يريدون ﴿ امنوا بالذئب ارسلت به ﴾ : بناء للفعول إشارة إلى أن الفاعل
 معروف بما تقدم من السياق ، وأنه صار بحيث لا يتطرق إليه شك لما
 نصب من الدلالات ﴿ وطائفة ﴾ أى منكم ﴿ لم يؤمنوا ﴾ أى بالذى
 أرسلى به من أيدى بما علمتم من البينات . و حذرهم سطوته بقوله :
 ﴿ فاصبروا ﴾ أى أيها الفريقان ﴿ حتى يحكم الله ﴾ أى الذى له جميع
 العظمة ﴿ بينا ﴾ أى بين فريقنا باعزاز المصلح و إهلاك المفسد كما أجرى
 بذلك عادته ﴿ وهو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ خير الحكمين ٥ ﴾ لأنه يفصل ١٥
 النزاع على أتم وجه و أحكمه .

(١) زيد بعده فى ظ : لا (٢) فى ظ : نسيم (٣) فى ظ : يتخلقون (٤) من ظ ،
 وفى الأصل : كما (٥) فى ظ : ما .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء السابع من تفسير « نظم الدرر »
 في تناسب الآيات والسور ، للشيخ العلامة بهاء الدين أبي الحسن
 إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الخميس الخامس من شهر
 شوال سنة ١٣٩٣ هـ = أول نوفمبر سنة ١٩٧٣ م ، تحت مراقبة مدير الدائرة
 وعميدها الأديب الأريب صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان -
 نغمده الله بروح منه وريحان ومغفرة ورضوان ! إلى تاريخ وفاته ٢٥
 سبتمبر ١٩٧٣ ، ثم تحت إدارة الحبيب اللبيب السيد محامد علي العباسي -
 أبقاه الله لخدمة العلم والدين !

وقد عني بتصحيحه والتعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل
 محمد عمران الأعظمي العمري (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة
 مدراس) حفظه الله ! واعتنى بتفحيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة -
 كان الله له ولوالديه !

وبليسه الجزء الثامن إن شاء الله تعالى وأوله : ولما انتهى كلامه
 عليه السلام على هذا الوجه البديع - الخ .
 و في الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به ويوفقنا لما يحبه ويرضاه ،
 وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين ،
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد

السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية